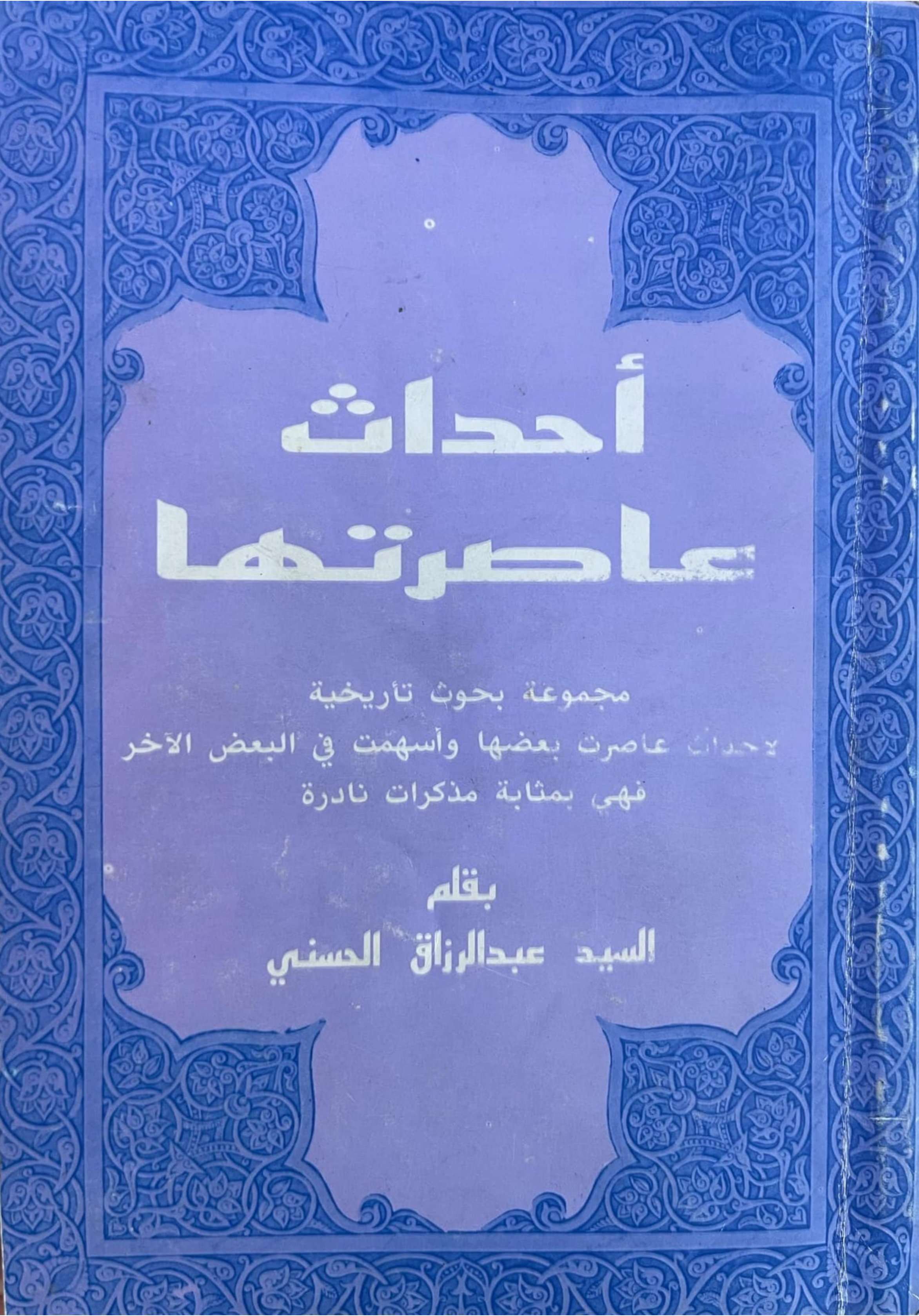


أحداث عاصرتها
مجموعة بحوث تاريخية
لأحداث عاصرت بعضها وأسهمت في البعض الآخر
فهي بمثابة مذكرات نادرة
بقلم
السيد عبدالرزاق الحسني

# أحداث عاصرتها

مجموعة بحوث تاريخية لاحـداث عاصرت بعضها
وأسهمت في البعض الآخر
فهي بمثابة مذكرات نادرة

بقلم

السيد عبد الرزاق الحسني

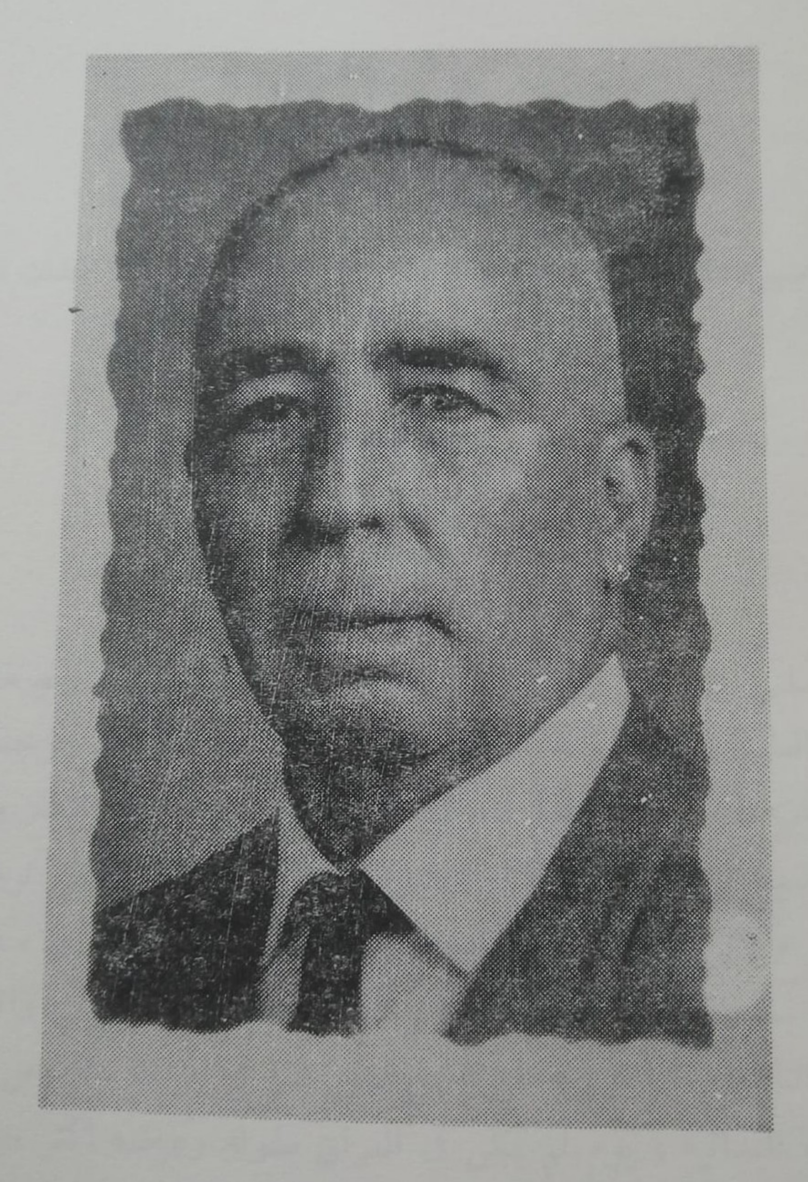


١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

٩٢٨
ح ٥٩٩ الحسني ، عبد الرزاق
أحداث عاصرتها : مجموعة بحوث تاريخية لاحداث عاصرت بعضها وأسهمت في البعض الاخر فهي بمثابة مذكرات نادرة /بقلم عبد الرزاق الحسني . ـ بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٢
٤٣٢ ص ، ٢٤سم
١ . الحسني ، عبد الرزاق ـ مذكرات ٢ . الحسني ، عبد الرزاق ( مؤرخ ) ٣ . العراق ـ تاريخ
ت . العنوان

المكتبة الوطنية ( الفهرسة أثناء النشر )

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق بغداد ٥٥٧ لسنة ١٩٩٢



آخر صورة للمؤلف

# فاتحة الكتاب

**وفيها سيرة المؤلف « بقلمه » و « مذكراته » فصول كتابه : احداث عاصرتها**

**بسم الله الرحمن الرحيم**
**وبه نستعين**

**ـ ١ ـ**

تصلني بين حين وآخر رسائل من بعض المستشرقين ، وغيرها من طلبة المعاهد العاليه وتلامذة الكليات ، يسألونني فيها ان ازودهم بترجمة حياتي ، وبمعلومات مفصلة عن كيفية نشوئي وانصرافي الى البحث والنشر والتأليف ، بحيث أصبح لي ثلاثـون كتابا مطبوعا ، وأنا لا أجد لنفسي ترجمة حريّة بالتدوين • لأني لم اكتشف المرّيخ ، ولم أهبط مع من هبط على سطح القمر ، ولم ألمّ بماديء علم الذرة ، كما أني لم أجد في كيفيه نشوئي وانصرافي الى التتبع والتأليف ما انفرد به عن غيري ممن نشأ في عراقنا ، ودرس في كتاتيبه ومدارسه البدائية ، يوم لم يكن في العراق بطوله وعرضه أكثر من مائـــة وثمانين مدرسة[1] فلا ثانويات ، ولا معاهد ، ولا كليات . ولا جامعات •

(١) في ص ٣٤٢ من كتاب « ذكريات علي جودت » ان عدد المدارس الحكومية في العراق في العام الدراسي ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ كان ( ١٨٧ ) مدرسة عداً •

ان كل ما أعرفه من تاريخ حياتي ، أني ولدت في سوق العطارين « الشورجة » ببغداد سنة ١٣٢١ الهجرية ( ١٩٠٣ الميلادية ) من أب وأم عراقيين معروفين ، وعائلة تقرض الشعر ، وتتعاطى الأدب ، وتمتهن « العطارة » ولذا سميت بآل العطار .

وقد تعلمت مبادىء القراءة والخط في جامع الخفافين الذي كان يديره الملا أحمد ، المشهور بغلظته مع طلابه ، وما زال هذا الجامع قائما في سوق البزازين . فلما أعلن الدستور العثماني في عام ١٣٢٦ هـ ( ١٩٠٨ م ) وأذن مؤذن الحرية والمساواة بين الناس ، سمح لجماعة من وجهاء الشيعة في بغداد وسراتهم في العراق ، بتأسيس مدرسة أهلية باسم « مكتب الترقي الجعفري العثماني » وهو المكتب الذي أرخ تأسيسه السيد علي البغدادي بهذين البيتين :

عصبة أسست للعلم بيتا أنهضته المعالي الحمية

لم يرق مكتب سواها فأرخ راق للعدل مكتب الجعفرية

وكنت ممن التحق بهذا المكتب ، وكان رقم تسجيلي فيه ( ٥٥٥ ) وقد شرعت في تعلم التركية والفرنسية ، مضافا الى اللغة العربية اسوة بغيري من تلامذة هذا المكتب . ولما اعلنت الحرب العالمية الاولى في عام ١٣٣٣ هـ ( ١٩١٤م ) تعثرت الدراسة في معظم المدارس الحكومية والأهلية ، بسبب التحاق أساتذتها بالجندية ، وكانت الدراسة قد تعثرت في مكتبنا ( الجعفري ) وانتقل بنا أحد الأساتذة من بناية المكتب في « سوق الغزل » الى « جامع الحاج داود » في « الهيتاوين » . ولما احتل الجيش البريطاني بغداد في فجر يوم ١٥ جمادى الاولى ١٣٣٥ هـ ( ١١ آذار ١٩١٧ م ) انتظم مكتبنا من جديد ، بعد أن أبدل اسمه الى ( المدرسة الجعفرية ) وجيء لنا بأساتذة فطاحل ، تخلوا عن الجيش العثماني المنسحب أضراب : الحاج كمال « والد

الضابط صبيح الحاج كمال » وعبد الستار الشيخلي « والد الوزير عبد الكريم الشيخلي » وعبي مظلوم « والد المهندس مدحت علي مظلوم » وغير هؤلاء ، مضافا الى الاساتذة : أحمد زكي الخياط . وجعفر حمندي . ومحمد حسن كبه ، وعبد المجيد علاوي ، وعباس مهدي ، وعلي البازركان ، ويهودي من بيت منصور لتدريس اللغة الفرنسية لا يحضرني اسمه .

★ ★ ★

ويشاء الوالد ــ رحمه الله ــ أن ينتقل الى النجف في ربيع عام ١٣٣٩هـ ١٩٢٠م ، وأن تشب نار « الثورة العراقية الكبرى » في ٣٠ حزيران من هذه السنة فتنقطع الطرق ، واضطر للبقاء في هذه المدينة المقدسة حتى نهاية هذا العام ، واذا باستاذي في ( المدرسة الجعفرية ) السيد علي مظلوم يعين قائم مقاماً لقضاء النجف ، ويلحقني مدرسا في المدرسة الأميرية فور تسلمه مقاليد هذا القضاء[٢] . فلما هدأت الأحوال أو كادت ، عدت الى بغداد ، ودخلت طالبا في الصف الثاني من مدرسة « دار المعلمين » المجاورة بنايتها لبناية مدرسة الخاتون في محلة الفضل ، والتي تعرف اليوم بدار المعلمات .

ولعت بالكتابة والنشر وأنا ما آزال طالبا في « دار المعلمين » فكنت أقتني الجرائد اليومية ، والمجلات الدورية . وأقتبس منها بعض الكلمات والعبارات الملائمة ، لأنشيء خبرا محليا . أو نتفة أدبيه ، أو قطعة شعرية ، وكانت جريدة « المفيد » لصاحبها الاستاذ ابراهيم حلمي العمر تنشر لي هذه الأخبـــار والنتف ، تلطفا منها وتشجيعا ، وما لبثت أن وضعت رسالة موجزة بعنوان « المعلومات المدنية لطلاب المدارس العراقية » استعنت على وضعها بما تيسر لدي من الكتب المدرسية المشابهة .

---

(٢) كان من بين الذين عينوا معي للتدريس في هذه المدرسة الاساتذة : جعفر الخليلي ومهدي الهلالي والشيخ حسن الجواهري .

وكان لاستاذ التاريخ في « دار المعلمين » العلامة الآثاري المغفور له عبد اللطيف الفلاحي ، مطبعه معروفة اسميا « مطبعة الفلاح » فراجعته لطبع هذه الرسالة ، واذا به يشجعني على المضي في هذا التتبع المفيد ، ويتبرع بكلفة الطبع متى يسرت له الورق • وكان عدد ما يطبع من الكتب يومئذ لا يتجاوز الخمسمائة نسخة عدا ، شأن الصحف الأدبية والمجلات الشهرية يومذاك . فكان من الطبيعي أن أهيء الورق لرسالة لا يتجاوز عدد صفحاتها الـ ٥٦ صفحة بقطع الثمن . وهكذا أصبحت مؤلفا معروفا ، وتتابعت مؤلفاتي حتى تجاوزت الثلاثين بينها « تاريخ الوزارات العراقية » في عشرة مجلدات ، و « تأريخ العراق السياسي الحديث » في ثلاثة أجزاء كبيرة ، و « العراق في دوري الاحتلال والانتداب » في مجلدين و « العراق قديما وحديثا » و « الثورة العراقية الكبرى » و « الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية » و « الصابئون » و « اليزيديون » و « البهائيون » و « تاريخ الصحافة العراقية » ••• الخ •

★ ★ ★

كنت ، وأنا طالب في « دار المعلمين » ، اكتب في الجرائد الوطنية ، وأشتغل في الأمور السياسية . فلما تخرجت في هذه الدار ، انصرفت للصحافة انصرافا كليا . حتى عينت مديرا لادارة جريدة « المفيد » ومندوبا متجولا لها • وقد طفت العراق من شماليه الى جنوبيه بهذه الصفة ، ووضعت رحلتي المشهورة التي طبعت ثلاث طبعات • ولما الغت الحكومة امتياز جريدة « المفيد »[٣] أنشأت جريدة أدبية تاريخية اسبوعية باسم « الفضيلة » وقد

---

(٣) تراجع أسباب الغاء امتياز جريدة المفيد في ص٨٦ من الجزء الاول من كتابنا « تاريخ الصحافة العراقية » الطبعة الثالثة •

برز عددها الأول في أول أيلول ١٩٢٥م[٤] ثم صارت تصدر باطراد أكثر من عامين . وهي مدة قلما عاشتها جريدة أدبية في هاتيك الأيام المظلمة .

ويشاء الطالع أن ينتقل الوالد الى الرفيق الأعلى ، وأن أستعين بما تركه لي من مال ، فأبتاع مطبعة صغيرة خاصة ، وأنتقل الى الحلة الفيحاء لاصدر جريدة علمية أدبية تاريخية باسم « الفيحاء » وقد صدر عددها الأول في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٩٢٧ م[٥] وكان العلامة الشيخ عبد الكريم الماشطة ينشر تراجم علماء الحلة وفقهائها في القرن السادس للهجرة النبوية في جريدتي « الفيحاء » تباعا . وقد فسرت بعض الجهات هذه التراجم تفسيرا بعيدا عن الحق . فسحبت امتياز الجريدة ، وصادرت المطبعة .

وتلقيت رسالة من سكرتير المعتمد السامي البريطاني في بغداد ، يطلب اليّ فيها التوجــه الى العاصمة ، ومقابلة محمد حسين خان النواب في دار المندوبية ، وشعرت يوم تمت هذه المقابلة ، أن هنالك رغبة ملحّة في استغلال قضيّتي وللدس والكيد لحكومتي[٦] .

---

(٤) تاريخ الصحافة العراقية ١/١١١ .

(٥) وفي عهده – عهد متصرف لواء الحلة عبد العزيز المظفر – في ٢٧ كانـون الثاني ١٩٢٧ أصدر في الحلة السيد عبد الرزاق الحسني صحيفة أدبية اسبوعية باسم الفيحاء ، وجلب لها مطبعة خاصة . فاقبل عليها القراء ، وكثر مشتركوها ، ولكنها – مع الأسف – نكبت من قبل السلطة بناء منها أن في تلك الكتابات ما يثير العواطف ويوقظ الافكار ، الامر الذي ينافـــي سياستها ، وهكذا نكب هذا المشروع وهو في مهده .

كركوش في كتابه « تاريخ الحلة » ص١٨٣

(٦) اذا رجعنا الى ص ( ١٠٨ ) وما بعدها من الجزء الثاني من كتابنا الكبير « تاريخ الوزارات العراقية » في طبعته الخامسة الموسعة ، فسنقرأ تحت عنوان « الحركة الطائفية واخطارها » نبأ تعطيل « جريدة النهضة » في ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٧م من قبل « الوزارة العسكرية الثانية » واذا بالمندوب السامي البريطاني يطلب الى مجلس الوزراء ان يعيد النظر في قراره ، فيضطر وكيل رئيس الوزراء ياسين الهاشمي الى الاستقالة من منصبه ، احتجاجا على التدخل البريطاني السافر في امور العراق الداخلية .

وكانت لي علاقة صحفية بالمغفور له جعفر العسكري منذ عام ١٩٢٣م ، وكان العسكري يشغل رئاسة الوزراء في عام ١٩٢٧ م للمرة الثانية ، فنقلت اليه موضوع سحب امتياز جريدتي ، ومصادرة مطبعتي ، ومحاولة استغلال قضيتي ، فأمر ــ رحمه الله ــ باعادة المطبعة الي فورا ، وطلب الى الزعيم الخالد ياسين الهاشمي ان يبحث عن وظيفة مناسبة لي في ديوان وزارته ، فعينت معاونا لمحاسب وزارة المالية(٧) وتدرجت في وظائف الدولة فكنت مديرا لخزينة لواء الحلة ، ثم مديرا لخزينة لواء ديالى ، فمديرا لخزينة لواء بغداد ، فمديرا لحسابات مديرية الري العامة ، ومنها نقلت الى مثل وظيفتي في « مديرية البرق والبريد العامه » حتى اذا أعلنت الحرب العالمية الثانية في ٣ أيلول ١٩٣٩م ، وحدث الاصطدام المسلح بين الجيشين : العراقي والبريطاني في ٢ مايس ١٩٤١م « فيما عرف بحركة رشيد عالي الكيلاني » فصلت من الخدمة لمدة خمس سنوات ، وأبعدت الى « معتقل الفاو » ثم الى « معتقل العمارة » فقضيت في المعتقل اربع سنوات ، كتبت خلالها كتابي « تاريخ العراق السياسي الحديث » بأجزائه الثلاثة ، وهو الكتاب الذي نال جائزة « المجمع العلمي العراقي » لأحسن كتاب صدر عام ١٩٤٨م وقد طبع سبع طبعات .



---

(٧) كان الاستاذ عثمان قاسم ، الأديب السوري المعروف ، يراسل جريدة « الاهرام » من بغداد بمقالات اسبوعية ممتعة ، وقد هجر العراق الى ايران فجأة في منتصف عام ١٩٢٨ م فطلب الاستاذ اسعد داغر ، المحرر في جريدة الاهرام ، الى المغفور له ياسين الهاشمي ، أن يعتمد أحد الشبان المستقيمين الذين يثق بهم ، لمراسلة هذه الجريدة المصرية الكبرى ، فوقع اختياره ــ رحمه الله ــ علي ، وأصبحت مراسلا للاهرام في العراق منذ عام ١٩٢٩م ولمدة طويلة على الرغم مما لحقني من أضرار مادية ومعنوية ، علمها عند السيد مزاحم أمين الباجه‌جي وزير الداخلية في « الوزارة السعيدية الاولى » سنة ١٩٣١م .

عدت الى الخدمة في الحكومة ، بعد خروجي من المعتقل ، وانتهاء مدة فصلي . كما عاد غيري من الضباط . والـوزراء ، والاطباء ، والمتصرفين ، والمدرسين . وغيرهم • ثم ندبت للعمل في « ديوان مجلس الوزراء » في مفتتح عام ١٩٤٩م • فعهد الي تنظيم سجلات خاصة بتاريخ الدولة ، على نمط المؤسسة العثمانية « وقعيء نويس » وقد قضيت في هذا الديوان مديرا ، أربع عشرة سنة استفدت خلالها فوائد تاريخية جليلة ، وكانت أسعد ايام حياتي في الوظائف الحكومية • فقد تعاقب على رئاسة الوزراء في بحر هذه السنوات السادة : نوري السعيد ، وعلي جودة ، وتوفيق السويدي ، ومصطفى العمري ، ونور الدين محمود ، وجميل المدفعي ، ومحمد فاضل الجمالي ، وأرشد العمري ، وعبد الوهاب مرجان ، وأحمد مختار بابان ، وعبد الكريم قاسم . فلم يتدخل أحد منهم في عملي ، ولم يمسني سوء من واحد منهم ، حتى احلت نفسي على التقاعد في عام ١٩٦٤م بمحض ارادتي •

ـ ٣ ـ

نشرت عددا كبيرا من المقالات البلدانية ، والتاريخية ، والأدبية ، في معظم المجلات العراقية المعتبرة يومئذ كالزنبقة ، والتلميذ . ودار المعلمين ، والمرشد ، ولغة العرب ، والنشيء الجديد « وهذه كلها كانت تصدر في بغداد » والاعتدال . والغري . والبيان « وهذه كانت تصدر في النجف » وفي مجلة النجم « الموصلية » والهدى « العمارية » وفي غيرها • كما نشرت في الهلال . والعصور ، والكتاب ، ورسالة الاسلام « المصرية » والعرفان ، والعروبة . والمكشوف « اللبنانية » والحديث « الحلبية » و ••• الخ • واني مدين لمجلة « العرفان » لأنها نشرت لي عشرات المقالات المنوعة ، كما أن مطبعة « العرفان » تولت طبع كتبي كلها تقريبا فلولا « العرفان » لما كنت

ولا كان اسمي ، ولا أبصرت مؤلفاتي العديدة النور • وهذه حقيقة أذكرها ما حييت حياتي الكتابية •

★ ★ ★

وكاتبت جماعة من فطاحل رجال الاستشراق كالدكتور هـ•ريتر ، وف • كرنكو ، وي • شخت ، وهوتسما ، ودنلوب ، وجب ، وتللينو ، ولويس ماسينيون ، وجاك بيرك ، وكراتشكوفوسكي ، وغفور أوف • وف• كوتلوف ، وبيتر ، وغيرهم وغيرهم • وما زلت احتفظ برسائل كثيرة من هؤلاء • كما راسلت جمعا من العلماء العـرب اضراب الأمير شكيب أرسلان ، وشيخ العروبة أحمد زكي باشا ، وأحمد تيمور باشا ، واسعاف النشاشيبي ، وأمين الريحاني ، ومشايخ جبل عامل : الشيخ أحمد عارف الزين ، والشيخ أحمد رضا ، والشيخ سليمان الظاهر ، ومحمد كرد علي ، والأب انستاس ماري الكرملي ، ومحمد الفاسي ، وسلامة موسى ، وعباس محمود العقاد ، وغيرهم •

★ ★ ★

وتوليت كتابة مذكرات رئيسي الوزراء السابقين : علي جودة الأيوبي وناجي شوكت ، وأشرفت على اعداد مذكرات الوزراء المرحومين : طـه الهاشمي ، وعبد العزيز القصاب ، وتحسين العسكري • أما مذكرات اللواء المتقاعد ابراهيم الراوي فقد جاء عن اسهامي فيها ما يأتي :

« واخص بالذكر صديقي الاستاذ عبد الرزاق الحسني ، الذي بذل جهدا محسودا وسعيا مشكورا في ملاحظة مواد المذكرات ، والتثبت من الفصول ، وصحة التواريخ ، ونحو ذلك ، حتى أنه صحبني الى لبنان للاشراف على الطبع • ولولا هذه الجهود وملاحقاته لما ظهرت المذكرات •

وقد سافرت مرارا عديدة الى « سورية » و « لبنان » و « فلسطين » و « الأردن » و « مصر » و « تركية » و « ايران » فضلا عن امارات الخليج العربي ،كما سافرت الى اليونان ، والنمسة ، وسويسرة ، والمانيا ، والدانمرك ،

والسويد . والنرويج ، وبريطانية ، وفرنسة ، واسبانيه ، وايطاليا ، وهولندة ، وبلجيكا ، وبلغارية وپولندة • وقد دعيت الى مؤتمر المستشرقين الخامس والعشرين الذي انعقد في « موسكو » سنة ١٩٦٠م ، وانتهزت الفرصة فزرت لينغراد ، وباكو ، ومدنا سوڤياتية أخرى ، وعرجت على جيكوسلوفاكيا وغيرها من الدول الاشتراكية في اوربة الشرقية •

وقد انعم علي نظام الحكم الملكي بوسام الرافدين من الدرجة الثالثة والنوع المدني • ومنحت وسام المؤرخ الذهبي من قبل «اتحاد المؤرخين العرب» وشهادة الدكتوراه الفخرية من قبل جامعة بغداد •

وقد جعلت مذكراتي « أحداث عاصرتها » فصولا مستقلة يضمها هذا الكتاب وفيما يأتي قائمة بمؤلفاتي :

١ ـ تاريخ الوزارات العراقية في عشرة اجزاء طبع سبع طبعات وثمن الطبعة الاخيرة ٥٠ دينارا •
٢ ـ تاريخ العراق السياسي الحديث في ثلاثة اجزاء طبع ست طبعات وثمن الطبعة الاخيرة ١٢ دينارا •
٣ ـ العراق في دوري الاحتلال والانتداب في جزءين كبيرين وثمنها ثلاثة دنانير •
٤ ـ الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية في جزءين وقد طبع ست طبعات وثمنه ٨ دنانير •
٥ ـ الثورة العراقية الكبرى طبع ست طبعات ٥ دنانير
٦ ـ اسرار الانقلاب « صادرته الحكومة العراقية » وثمن النسخة الميسورة ٥ دنانير •
٧ ـ الاصول الرسمية لتاريخ الوزارات العراقية طبع مرتين ٣ دنانير •
٨ ـ العراق في ظل المعاهدات طبع خمس طبعات ٥ دنانير

٩ ــ العراق قديما وحديثا طبع سبع طبعات ٣ دنانير .
١٠ ــ الصابئون في حاضرهم وماضيهم طبع ثمان طبعات ٣ دنانير .
١١ ــ اليزيديون في حاضرهم وماضيهم طبع احدى عشرة طبعة٤ دنانير .
١٢ ــ البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم طبع اربع طبعات ٣ دنانير .
١٣ ــ تاريخ الاحزاب السياسية العراقية طبع ثلاث طبعات ثلاثة دنانير .
١٤ ــ تاريخ الصحافة العراقية ــ طبع ثلاث طبعات ــ
١٥ ــ تاريخ البلدان العراقية ــ طبع طبعتين ــ
١٦ ــ تاريخ الثورة العراقية ــ طبع طبعتين ــ
١٧ ــ الأغاني الشعبيه
١٨ ــ الصابئة قديما وحديثا
١٩ ــ عبدة الشيطان في العراق
٢٠ ــ البابيون في التاريخ
٢١ ــ تعريف الشيعة
٢٢ ــ الخوارج في الاسلام
٢٣ ــ تسخير كربلا
٢٤ ــ المعلومات المدنية لطلاب المدارس العراقية
٢٥ ــ تحت ظل المشانق « رواية في ثلاثة أجزاء »
٢٦ ــ ثورة النجف بعد مقتل مارشال ــ طبع خمس طبعات ــ
٢٧ ــ رحلة في العراق أو خاطرات الحسني ــ طبع طبعتين ــ
٢٨ ــ أحداث عاصرتها « وهو هذا الكتاب »
٢٩ ــ المراقد المقدسة في العراق [ ما يزال مخطوطا ]
٣٠ ــ الجبهة الوطنية المتحدة .

# ثورة العشرين

## كيف قضت على فكرة الحاق العـراق بالهند ؟

**تمهيـــد**

كان العرض من الاتفاقية السريه التي عقدها السر مارك سايكس باسم الحكومة البريطانيـة . والمسيو جـورج بيكو باسم الحكومه الفرنسية في ١٥ـ١٧ ايار من عام ١٩١٦ ، واشتهرت بين الناس بمعاهدة سايكس ـ بيكو ، كان الغرض منها ومن عقدها تنظيم الاوضاع المقبلة في شرقي البحر المتوسط التي قد تنشأ من تفسير المراسلات التي كانت تجري بصورة سرية بين الحسين بن علي . شريف مكة المكرمة . والسر هنري مكماهون ، المقيم البريطاني في مصر ، بغية تحرير الاقطار العربية من الهيمنة العثمانيه . وتوحيدها في مملكة عربية واحدة تمتد من المحيط حتى الخليج . وكانت الدوله العثمانيه قد انضمت في ٢ تشرين ثاني ١٩١٤ الى المانية في الحرب العالمية الاولى . التي شب أوارها في ٢٨ تموز من عام ١٩١٤ . على الرغم من الجهود المضنية التي بذلها الساسة والعظماء والزعماء الكرام لتجنيب العثمانيين التورط في هذه الحرب . لاسيما وقد كانت أوربا تطلق اسم « الرجـل المريض »[1] على

---

(١) هو اللقب الذي اطلقه علي تركيا : نيقولا قيصر روسية في سنة ١٨٤٤م

الامبراطورية العثمانية . وتحاول تجزئتهــا واقتسام املاكها اذا ما سنحت الفرصة . وما الاتصالات السرية التي كانت تجري بين الانكليز وشريف مكة المكرمة الا التمهيد للاجهاز على امبراطورية الرجل المريض . فلما انتهت الحرب بفوز الحلفاء واندحار الالمان وأعوانهم . حل الوقت للبر بالوعود التي قطعت للحسين بن علي في قيام دولة عربية واحدة « بحيث تضم منطقتي مرسين وأطنه شمالا ، وتمتد من خط العرض رقم ٣٧ الى الحدود الايرانية ، ويبدأ حدها الشرقي من الحدود الايرانية المذكورة لينتهي الى خليج البصرة ، ويكون المحيط الهندي ـــ مع استثناء عدن ـــ حدها الجنوبي ، ويكون البحر الاحمر والبحر المتوسط لغاية مرسين الحـــد الغربي للمملكة »[٢] . لكن لم تكد تنتهي الحرب ويحين الوقت لاقتسام غنائمها حتى ظهر لشريف مكة المكرمة انه في وادٍ وان حلفاءه من انكليز وفرنسيين في وادٍ آخر ولا سيما بعد نشر الروس المعاهدات والاتفاقات التي وجدوها في خزائن قياصرتهم اثر قيام ثورة اكتوبر ١٩١٧ .

**الوعود المعسولة**

١ ـــ ان اول الوعود التي أعلنتها بريطانية لتطمين العراقيين على حاضرهم ومستقبلهم . هو البلاغ الذي اعدته الدوائر العليا في لندن ، وبعثت به الى الجنرال مود SIR STANLEY MAUDE فاتح بغداد في الحادي عشر من شهر آذار لسنة ١٩١٧ ليذيعه على الشعب العراقي باسم حكومته ، على الرغم من ان مود احتج عليه ، ورأى ان السياسة المقرر اعلانها غير ضرورية وفي غير أوانها . معتقدا ان هذا التصريح وهذه السياسة سيخلقان بلبلة في أذهان

(٢) ص ٣٦٢ من مذكرات احمد جمال باشا . نقلا عن جريدة الطان الفرنسية الصادرة في ١٨ ايلول ١٩١٩

العرافيين حول نيات بريطانية المقبله . ويثير آمالهم ومطامحهم في وفت يجب ان تكون سلطة الجيش هي العليا ومطلقه في المناطق المحتلة(٣) .

جاء في بلاغ الجنرال مود : ان الغرض من معاركنا الحربية ، دحر العدو واخراجه من هذه الأصقاع . فاتماماً لهذه المهمه . وجهت الي السلطة العليا المطلقة على جميع الاطراف التي يحارب فيها جنودنا ، الا ان جيوشنا لم تدخل مدنكم واراضيكم بمنزلة قاهرين أو أعداء ، بل بمنزلة محررين ... فامنية الحكومة البريطانية هي ان تحقق ما تطمح اليه نفوس فلاسفتكم وكتابكم مرة اخرى . ولسوف يسعد اهالي العراق حالهم ، ويتمتعون بالغنى المادي والمالي . بمصل نظامات توافق قوانينهم المقدسه ، واطماعهم القوميه والفكريه ... وتسمو الامه العربيه مرة اخرى عظمه وصيتاً ـ انتهى المرام ـ

٢ ـ أما ثاني الوعود فقد كان أفصح واشمل . وقد صدر بعد فضح الروس للمعاهدات والاتفاقيات السريه التي عقدها قياصرتهم قبل القيام بثورة اكتوبر ١٩١٧م . فقد كان من بين هذه المعاهدات . اتفاقيه سايكس ـ بيكو المعقودة بين بريطانيه وفرنسه وروسيه في ١٥ ,١٧ ايار من عام ١٩١٦م . التي جزأت الاقطار العربيه المقرر سلخها من الامبراطوريه العثمانيه الى مناطق حمراء . وزرقاء . وسمراء و A. و B. وقد هال الانكليز والفرنسيين أمر فضحهما و ( الف سبعة من العرب المقيمين في القاهرة هيئه منهم للقيام بعمل مشترك في ربيع عام ١٩١٨ ، حين هاج شعور العرب على اثر صدور وعد بلفور . واذاعة اتفاقية سايكس ـ بيكو . حتى تزعزعت اركان الحلف العربي ـ البريطاني . وكانوا جميعا من ذوي المكانة والنفوذ الذين اطلعوا على مضمون اتفاق الحسين ـ مكماهون في حينه ، فراحوا يعملون بحماس منذ ذلك الوقت على تأييد الثورة العربيه . أما الآن فقد تملكتهم الشكوك والمخاوف

---

(3) P.W.IRELAND;IRAQ A STADY IN POLITECAL DEVELOPMENT P. 9

الخطيرة بنتيجة القلق الشديد الذي ساد العالم العربي ، وما انتاب اعتقادهم بصدق الحلفاء من وهن عظيم ، فكتبوا تصريحا في شكل مذكرة موجهة الى الحكومة البريطانية شرحوا فيها الموقف ، كما ترآى لهم ، من ناحيتيه الخارجية والداخلية . وطلبوا من بريطانية العظمى تعريف سياستها المتعلقة بمستقبل البلاد العربية بمجموعها في بيان واضـح وشامل ... وبعد مضي مدة من الزمن ، أي بتاريخ ١٦ حزيران من عام ١٩١٨ ، ورد جواب وزارة الخارجية البريطانية فكان على جانب كبير من الأهمية في مضمونه وفي الاثر الذي تركه. وقد سلمه الى السبعة احد كبـار موظفـي الاستخبارات ، واسمه المستر والروند . في اجتماع رسمي عقد لهذه الغاية في مقر قيادة الجيش )[٤] وهذا نصه :

١ ــ ان حكومة جلالة الملك ترغب في أن تكون عامة الشعوب التي تتكلم اللغة العربية منقـَذةً من السلطة التركية ، وان تعيش فيما بعد وعليها الحكومة التي ترغب فيها .

٢ ــ ان بعض البلاد العربية اما كانت تتمتع باستقلالها التام منذ مدة ، واما حصلت عليه الآن ، وهو استقلال اعترفت به انكلترا اعترافا تاما ، وهذا يكون شأنها أيضا مع البلاد التي تحصل على استقلالها من الآن حتى نهاية الحرب .

٣ ــ ان سائر البلاد العربية هي الآن خاضعة للترك او تحتلها جيوش الحلفاء ، فحكومة جلالة الملك تأمل ، ولها الثقة ، أن شعوب هذه البلاد تحصل أيضا على حريتها واستقلالها ، وأن يتخذ بشأنها ــ عند انتهاء الحرب ــ قرار يتفق مع رغباتها .

---

(٤) جورج انطونيوس في كتابه « يقظة العرب » ص٢٩٨ ــ ٢٩٩ وفي صفحة ١٢٨ من كتاب ( الهاشميون والثورة العربية ) للاستاذ انيس صائغ ان هؤلاء السبعة كانوا السادة : فوزي البكري ،وخالد ، وحسن حمادة ، والدكتور عبد الرحمن الشابندر ، ورفيق العظم ، وكامل القصاب ، ومختار الصلح .

٤ ــ ان حكومة جلالة الملك تعتقد ان العوائق والصعوبات المقدرة ، التي تقف في سبيل احياء هذه الشعوب سيتغلب عليها تغلبا ناجحا ، وهي تعد بكل مساعدة لمن يسعى في ازالتها . ومستعدة لأن تنظر في أية خطه لعمل مشترك يلتئم مع الحركات العسكريه الحاضرة ، ويتفق مع المبادىء السياسيه لبريطانيه وحلفائها ــ انتهى بنصه ــ[٥] .

ويرى المتتبعون للسياسة البريطانيه أن هذا التصريح يعد اخطر بيان أصدرته بريطانيه لتوضيح سياستها نحو الثورة العربيه ، ونحو البلاد العربية التي سلخت من الامبراطورية العثمانية حربا .

٣ ــ وكان البلاغ البريطاني ــ الفرنسي الصادر في الثامن من شهر تشرين الثاني لعام ١٩١٨ ثالثة الأثافي في وعود الحلفاء المعسوله لاستمالة العرب الى جانبهم ، وتخفيف شدة الحنق التي ظهرت عليهم من جراء الغدر الذي لمسوه في هؤلاء الحلفاء . ولقصة اصدار هذا البيان مقدمة طريفة هي :

لما دخل فيصل دمشق على رأس الجيش العربي في الأول من تشرين الأول ١٩١٨ ، اراد شكري الأيوبي أحد رجال الامير المبرزين ، أن يعلن السيادة العربية على بلاد الشام فرفع العلم العربي في اليوم الثالث من ذلك الشهر . فاستاء الفرنسيون من هذا العمل . وحملوا الجنرال اللنبي على ازاله فورا ، فكان ازال العلم ضربة قاضيه على مطامح العرب ، وسبب هيجانا عنيفا ، فاحتج الامير فيصل على هذا العمل . واعلن عجزه عن كبح جماح قواته العربية ما لم يصدر الحلفاء بيانا صريحا عن نياتهم فصدر هذا البيان المشترك :

« ان الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسه وبريطانية العظمى في خوض غمار الحرب في الشرق من جراء أصدع المانيه . هي تحرير الشعوب التي طالما

---

(٥) عبد الرزاق الحسني في كتابه « تاريخ العراق السياسي الحديث » ص٩٨ من الجزء الاول من طبعته السابعة .

رزحت تحت اعباء استعباد الاتراك تحريرا تاما نهائيا ، وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم • وتنفيذا لهذه الغاية فقد اتفقت كل من فرنسة وبريطانية العظمى على تشجيع ومساعدة انشاء حكومات وادارات وطنية في كل من سورية والعراق . وقد حررهما الحلفاء فعلا . وفي الاقطار التي يسعى الحلفاء في تحريرها ، والاعتراف بهذه الاقطار بمجرد تأسيس حكوماتها تأسيساً فعلياً ، وان فرنسة وبريطانية العظمى لا ترغبان في وضع نظامات خاصة لحكومات هذه الاقطار . بل لا هم لهما الا ان تضمنا بمساعدتهما ومعاونتهما الفعلية سير امور هذه الحكومات سيرا معتدلا ، وأن تضمنا سير العدل الشامل الخالي من شوائب المحاباة ، وان تساعدا التقدم الاقتصادي بانهاض همم الأهليين وتشجيع مشاريعهم . وأن تساعدا على تعميم التعليم والتهذيب ، وان تضعا حدا للتفرقة التي طالما توخاها الاتراك في سياستهم • هذه هي الخطة التي ستسير عليها الحكومتان في الاقطار المحررة »(٦) •

وتقول المس بل في مذكرة لها نشرها الكولونيل ولسن في كتابه [ تصادم في الولاء ] ان نشرنا للتصريح الانكليزي ـــ الفرنسي ادى ، على أهميته السياسية العظيمة ، الى نتائج يؤسف لها في العراق • والواقع انه يكاد يردّد ما جاء في التصريح الذي سبق لنا ان ادلينا به عند احتلال بغداد ، الا أنه يختلف عنه في نقطة واحدة مهمة ، هي أن الاول جاء ونتائج الحرب ما تزال بين الشك واليقين فعده الناس حيلة عسكرية ولم يعيروه اهتماما زائدا • أما الثاني فقد جاء بعد ان انتصر الحلفاء وبعد ان آمن الناس بهذا النصر ، وكان أهل العراق قبل أن ينشر فيهم هذا التصريح قد أيقنوا ، بعد الذي رأوه من نجاحنا في انهاء الحرب ، أن البلاد ستبقى تحت السلطة البريطانية ، وأن

---

(6)A.T.WILSON; A CLASH OF LOYALTIES P.330

عليهم أن يرضوا بما يمليه السيف . ولكن هذا التصريح فتح لهم ابوابا جديده للأمل ظلوا خائفين عليها »[٧] .

**يحنثون بوعودهم**

يقول H.V.W. TEMPERLY في ص من المجلد الرابع من كتابه HISTORY OF THE PEACE CONFERENCE: صرح الناطقون الرسميون باسم الحلفاء : ان الحلفاء لا يستهدفون من حربهم هذه ضم أراضٍ جديده أو الحاق مدن اخرى بأراضيهم ، وانهم انما يحاربون لتحرير الشعوب التي ترزح تحت الطغيان الألماني والتركي . وأنه ليست لهم أية نيةٍ في أي توسع اقليمي . وقد زاد دخول أمريكا الحرب الى جانب الحلفاء هذا المبدأ توكيدا .

وقد اخترنا ثلاثة من وعود الحلفاء من عشرات أمثالها . وكلها تنطق بتحرير البلدان العربيه ومنحها الحكم الذي ترضيه ويلائم طباعها .. فهل حققت الأيام هذه الأحلام ؟

كانت حكومة الاحتلال البريطانيه قد اصدرت جريدة الأوقاف البصريه في البصرة بتاريخ ١٩١٥ وجريدة العرب في بغداد عام ١٩١٧ وجريدة الموصل عام ١٩١٨ لتكون هذه الصحف لسان حالها وتعبر عن سياستها . وقد نشرت جريدة العرب في الرابع من تشرين الثاني من عام ١٩١٨ نصّ خطاب القاه قائد القوات البريطانية الجنرال مارشال « الذي ولي هذه القيادة بعد وفاة الجنرال مود » على رهطٍ كبير من وجهاء بغداد وسراتها وممثلي الاقليات فيها أعلن فيه نبأ انتهاء الحرب ، واستسلام جيوش اعداء الحلفاء من ترك والمان وبلغار ... الخ ، وجاء زمن البر بالوعود التي قطعت للعرب بمنحهم حريه

---

(٨) مقر نائب الملك في الهند

تقرير المصير • وبمثابة عربون على تحقيق هذه ، فقد صدرت الأوامر لتنفيذ ما يأتي بالحرف :

١ ـ ان اسرى الحرب « ما عدا الذين هم من الجنس التركي المعتقلين في الهند » يسمح لهم بالرجوع الى اوطانهم •

٢ ـ في داخل الاراضي المحتلة . تطلق الحرية التامة للتجارة ، وتخفيف تضييقات الحصار •

٣ ـ التخفيف أيضا من التضييق على المسافرات الشخصية •

٤ ـ يسمح بنقل الجثث مرة ثانية للدفن في كربلاء والنجف بشروط مناسبة •

٥ ـ تفتح الطرق من جديد للزيارات المنظمة من قبل الأهالي للأماكن لمقدسة •

٦ ـ ان موظفي الحكومة الثابتين ، الذين لا يخدمون في صفوف الجيش ، وقد قاموا بوظيفتهم بصورة حسنة يعطون جائزة معاش شهر •

٧ ـ ينتخب بعض المسجونين في السجون الملكية ويطلق سراحهم •

٨ ـ يوزع طعام وألبسة على فقراء بغداد والمدن الاخرى ، وتخفف القوانين الحالية تخفيفا قليلا •

والى جانب خطاب القائد العام للقوات المسلحة ، نشرت جريدة العرب بتاريخ ١٦ تشرين الثاني تقول :

تقرر ان ينشأ من أول كانون الثاني ١٩١٩ مجلس بلدي للنظر في امور البلدية ، ويتألف هذا المجلس من رئيس ومن رئيسين ثانيين ، ومن كاتم اسرار ، ومعاون كاتم أسـرار ، وكل من هـؤلاء يكون موظفا من لدن الحكومة ••• ويرتأى أن هذا المجلس عند تأليفه ، سينظر في امور رسوم البلديات ، وواردات بغداد ، تحت رعاية ونظارة الادارة الملكية ، ويعنى في الأمور الآتية :

التنظيف ، والصحة العامة ، والمستشفيات ، واسعاف الفقراء ، والطرق والمتنزهات والأسواق ، والحرف ، وتخطيط الدور والمدينة والأبنية ،والتجارة

النهرية ، والامور الاخرى الراجعة الى ادارة البلدية • وهذا العمل المذكور يكون عربونا على نوايا الحكومة البريطانية الحسنة نحو أهالي العراق ، الذين يؤمل منهم ان ينتهزوا الفرصة السانحة ويبادروا بروح الاخلاص لخدمة الغرض المشترك • ــ انتهى المقصود ــ

وهكذا عدت العناية بالمتنزهات ، وتنظيف الطرق ، نوعا من « الحكم الذاتي » و « الاستقلال السياسي » وفاءً بالعهد الذي قطعته الحكومتان البريطانية والفرنسية على نفسيهما في البلاغ الذي أذاعتاه في الثامن من تشرين الثاني ١٩١٨ القائل « ان الغاية التي ترمي اليها كل من بريطانية وفرنسة تحرير الشعوب تحريرا تاما نهائيا ، وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة السكان الوطنيين أنفسهم ومحض اختيارهم » فلا عجب أن لا تلقى هذه الدعوة اذنا صاغية ، بل صدودا تاما من معظم العراقيين اديا الى عدول السلطة عن التبجح بمثل هذه الامور التافهة •

واغرب من هذا ان يكتب ولسن الى صديق له في البرلمان يقول [ اود ان اعلن انه من الضروري ضم ما بين النهرين ــ العراق ــ الى الهند مستعمرة للهند والهنود بحيث تقوم حكومة الهند بأدارتها وزراعة سهولها الواسعة بالتدريج وتوطين البنجاب أو اجناس المحاربة فيها ] وهذا ما جاء في ص٣٩٩ من اطروحة الدكتور وميض عمر نظمي [ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية في العراق ] نقلا عن وثيقة انكليزية •

**محاولة لتبديد المخاوف**

شعرت الاوساط الرسمية في سملا[٨] وفي الجزر البريطانية ، بأن فريقا كبيرا من العراقيين المثقفين ، يكبت شعوره القومي تجاه تصرفات السلطة

(٨) مقر الوزير البريطاني في الهند

المحتلة . وموقفها من مبدأ تقرير المصير الذي بشر به الحلفاء فلا يجهر بآرائه التحررية خشية البطش به . ودلت تقارير دوائر الاستخبارات العسكرية على ان تحت الرماد وميض نارٍ . وان هناك افكارا تعتلج في نفوس الطبقة المنورة يخشى ان تؤدي الى عواقب لا تحمد عقباها . ففاجأت ممثلها السياسي في العراق ، وهو يومئذ آي • تي ولسن ، ببرقية تطلب فيها استفتاء العراقيين في مستقبلهم بالصيغة الآتية :

أولا – هل يرغبون في دولة عربية تحت الوصاية البريطانية تمتد حدودها من شمالي الموصل حتى الخليج العربي ؟

ثانيا – هل يرغبون – في هذه الحالة – في رئيس عربي بالاسم يرأس هذه الدولة ؟

ثالثا – من هو الرئيس العربي الذي يريدونه في هذه الحالة ؟

وقد جاء في ختام البرقية ما نصه بالحرف :

ومن المهم جدا في نظرنا ان يكون التعبير عن آراء السكان المحليين حول هذه الامور حقيقيا بحيث ان اعلانه للعالم يكون تعبيرا نزيها عن رأي السكان فيه[٩] .

وبدلا من ان يضغط ولسن على اعصابه ، ويتغلب على عواطفه وميوله الشخصية فيقوم بهذا الواجب بكل صدق واخلاص ، فانه استدعى الحكام السياسيين ومعاونيهم – وكلهم من العسكريين – في الالوية والأقضية ، وبعد أن أطلعهم على نص البرقية التي تلقاها من حكومته » أوعز اليهم بأن تجيء أجوبتهم مطابقة للسياسة التي يرتآيها هو كالتمسك بطلب الحماية البريطانية أو استمرار الهيمنة الانكليزية او نحو ذلك ، فلم تخل بعض الاجوبة من مثل هذا الضرب من المصانعة . أما العلماء والسراة وحملة الأقلام والمثقفون واصحاب الرأي ، ولا سيما في بغداد والاعظمية والكاظمية وكربلاء والنجف

(٩) ولسن ٣٣٤ – ٣٣٥

فقد اجمعوا على ان تكون للعراق الممتدة حدوده من شمالي الموصل الى جنوبي البصرة حكومة واحدة يرأسها ملك عربي مسلم هو احد أنجال الحسين بن علي شريف مكة المكرمة ، على ان تكون حكومته مقيدة بمجلس تشريعي وطني مقره بغداد .

« وقد طلب اليهود أن يصبحوا رعايا بريطانيين ، وراحوا الى الطوائف المسيحية فاجتمعوا بها واتفقوا على خطه واحدة للعمل . وعلى هـذا فحين اجتماع الاعضاء يوم ٢٢ كانون الثاني لاستفتائهم في هده الاسئلة ، ابى اليهود أن يوقعوا على العريضة التي وضعها المسلمون ... ووقع اليهود في النهاية عريضة طالبوا فيها استمرار الادارة البريطانية »[١٠] .

**التمهيد للثورة**

على اثر انتهاء السلطات المختصه من أجراء الاستفتاء المذكور ، سافر الكولونيل ولسن الى لندن في ٢٩ شباط ١٩١٩ ليعرض على ولاة الامور فيها ما توصل اليه من نتائج لم يقره عليها الذين سبق لهم أن درسوا احوال العرب . أو سمعوا أو قرأوا شيئا من عاداتهم وأميالهم . ولما سئل عن رأيه الشخصي في مستقبل البلاد وكيفية ادارتها ، قدم بعض المقترحات التي تتعارض مع السياسه المنوي انتهاجها في العراق .

وفي العراق شرع المثقفون واصحاب الرأي من علماء وزعماء وساسه يتداولون في الحالة التي كانت تسود البلاد ، ويتناقشون في الوسائل التي يجب اتخاذها أو الركون اليها لتصحيح الأوضاع العامة . وكان الأهلون قد ضاقوا ذرعا بأعمال السلطة المحتله من سلب الثورة من ابناء البلاد ، ولا سيما المسلمين منهم ، واحتكار الاقوات ثم ابتياعها بأبخس الاثمان واعادة بيعها بأثمان باهضه الامر الذي أدى الى حدوث مجاعة عامة في البلاد .

(10) SIR A.L HALAND;THE INSERRECTION IN MESPOTAMIA P2.0

ويقول الاستاذ منتشاشفيلي ئي ص١٥٣ من كتابه « **العراق في سنوات الانتداب** » تعريب الدكتور هاشم صالح التكريتي :

« ومع ذلك لم ينس الانكليز أبدا بأن عليهم أن يكسبوا الحرب فاخضعت كل الحياة في العراق لحاجات قوات الاحتلال ، ولم يسمح ببيع المواد الغذائيه الا في حالات معينة ، وبعد تطمين حاجات الجيش ، ومنع استخدام انابيب المياه ، وكان يجري في بعض الأحيان طرد عوائل كبيرة من بيوتها . أما الأرض فكانت تصادر دون أي تعويض نقدي ... وكانوا يختارون الايدي العامة بأعداد متزايدة من القرى والمدن ، ويجبرون الأهالي على القيام بالأعمال العسكرية الصعبة .

**وشهد شاهد من اهلها**

وخير ما يستشهد به في هذا المقام ، ما جاء على لسان الجنرال هولدن قائد القوات البريطانية في العراق وهو « وعندما تغنت الدول بالسلم ، انهمر سيل من الطلبات من قبل الضباط للأستخدام في الدوائر الادارية والسياسية . ولما كان هؤلاء الجنود والضباط لم يأنفوا الاشتغال في المناصب الادارية ، عينوا في المناطق الصغيرة كالشطرة ، وقلعة سكر ، والديوانية ، وعفك ، بينما في المراكز المهمة ، عينت القيادة موظفين أكفاء من هيأة الادارة الهندية ... وشغل المناصب الصغيرة ضباط وأفراد من الجيش البريطاني الذين كانوا يحاربون خلال الحرب في المستعمرات والمناطق البعيدة . ولما كان هؤلاء الضباط لم يطلعوا على وسائل الادارة ، ويجهلون الأحوال والظروف التي تحيط بهذه البلاد ، عينوا كوكلاء للحكام السياسيين ، وأحيانا كحكام سياسيين ... فيظهر من هذا أن اغلب الموظفين الاداريين والرؤساء العسكريين يجهلون عادات البلاد وأحوال اهلها ، فكانوا يسألون من حين لآخر الاشخاص الذين سبق لهم الاشتغال في هذه البلاد ودرسوا احوال

اهلها . ولما كان العراقيون يختلفون عن الهنود اخلاقا وخلقا . كانت الطرق التي يتبعها رؤساء الدوائر عقيمة وصعبة التنفيذ ... وتبين لي خلال رحلاتي وأحاديثي مع الحكام السياسيين أن فريقا كبيرا منهم ضعيف في ادارته . ضعيف في نشاطه ، وغير كفوء للقيام بوظائفه »[11] .

**ثم يعود فيقول في ص ١١٢ من كتابه :**

« وقد أدت احتياجات جيش الاحتلال المحلية الى اصدار عدد كبير من البيانات والاعلانات والاوامر المعقدة ، هيمنت على العلاقات بين الجيش والأهليين فكانت شديدة الوطأة ، صعبة التنفيذ ، بحيث انتقدها العسكريون قبل السياسيين . فالسخرة ، وجمع الطعام ، واشغال العقارات ببدلات اسمية وضئيلة جدا ، وآجال طويلة ، واستخدام وسائل النقل ، وتقييد التجوال والاسفار . وسحب الزراع من حقولهم وتشغيلهم كعمال في الجيش ، وعدم السماح بنقل الجنائز الى المراقد المقدسة ، وتعالي الموظفين على الاهليين . واتباع السياسة الاستعمارية المألوفة في الهند من حيث عدم المبالاة بالاهليين ، ومعاملة الناس بالخشونة ، واذلال المراجعين ، ووقوف الحجاب في وجه مختلف الطبقات . وتولي العسكريين مهام رجال السياسة ورجال الادارة الذين الفت طباعهم القاء الاوامر بدون اعتراض ، كل هذه كانت حالات لم يألفها الناس ، على الرغم من أنهم ذاقوا مرارة الحرب في اثناء القتال بين الجيشين : البريطاني والعثماني ، الامر الذي ادى الى توسيع الهوة السحيقة التي كانت بينهم وبين البريطانيين ...

**الشرارة الاولى للثورة**

كانت الشرارة الاولى التي ألهبت ثورة العشرين وأدت الى سريان النار في الهشيم ، حبس الملازم هيات . نائب الحاكم السياسي في الرميثة ، لشيخ

(11) HALAND SIR J.A.L;THE INSURRECTION IN MESOPOTAMIA P.

الظوالم شعلان ابو الچون بزعم وجود دين للحكومة في ذمته . وكان ذلك في الثلاثين من حزيران سنة ١٩٢٠ . فقد هاجم عشرة من الظوالم لمحبس شيخهم . واطلقوا سراحه بعد ان فتكوا برجال المخفر ، واضطروا الملازم هيات على التحصن في سراي الحكومة . ثم عمد افراد من القبيلة المذكورة الى رفع بعض قضبان السكة الحديد فانقطع الطريق بين بغداد والبصرة . ولما سمع الرائد ديلي حاكم الديوانية السياسي بما جرى ، أعدَّ مفرزة من جنده لتخليص حامية الرميثة ، ولكن المفرزة تعرضت الى مضايقات كثيرة ومعارك دامية بحيث لم تستطع انجاز المهمة التي ندبت اليها الا في الحادي والعشرين من تموز . ثم تضطر ديلي أن ينسحب والقوة التي كانت معه الى الحلة بعد اشتباكات مريرة مع المقاتلين من قبيلة الاكرع ، ومن قبائل الجبور ، والدغارة وعفك .

وما كادت قبائل آل فتلة ، وآل شبل ، وآل ابراهيم ، والغزالات ، المقيمة في المشخاب تحاط علما بما جرى في الرميثة والديوانية حتى تشجعت فطردت حامية ابي صخير ، كما ان القبائل المحيطة بقصبة الشامية ، بين الديوانية وأبي صخير ، من العوابد ، والخزاعل ، والحميدات ، أرغمت النقيب مان ، حاكم الشامية ، على الفرار الى جسر الكوفة . وكذلك هرب حاكم النجف السياسي الرائد نوربري . وعلى هذا تجمعت في الكوفة حاميات النجف ، والشامية ، وأبي صخير ، فاعتصمت في البيوت والخانات والأسواق المطلة على النهر . فضربت قبائل بني حسن حصارا عليها دام نحو اربعة اشهر كان اطلاق النار بين بني حسن والجيش البريطاني المحصور غير منقطع .

لقد اضطربت القيادة البريطانية العليا مما جرى فقررت تخليص المحاصرين في الكوفة بأي ثمن ، ففي ٢٣ تموز ١٩٢٠ غادرت الحلة قوة كبيرة سميت « رتل منجستر » كان هدفها استرداد الكفل التي كانت بأيدي الثوار ، ثم الزحف على الكوفة . ولكن القبائل الثائرة تصدت لها بين الحلة

والكفل . واشتبك الطرفان في معركه خسر الانكليز فيها عشرين قتيلا . وستين جريحا . و ٣١٨ مفقودا . مع كمية هائله من السلاح والعتاد ، مع مدفع من عيار ١٨ رطل • وقد أسر الثوار من ال (٣١٨) مفقودا (٧٩) انكليزيا ، و ٨١ هنديا . وضاعت أشلاء بقية المفقودين •

وكانت سدة الهندية ، والمسيب ، وكربلاء قد أخليت من الحاميات البريطانيه فأقام الثوار حكومات محليه فيها ، وفي بقية المدن والقصبات التي حررها الثوار أو اضطر الانكليز الى اخلائها . وكانت هذه الحكومات تقوم بواجبات الحراسة ، وتأمين الخدمات ، وجباية الرسوم احيانا •

**توسع نطاق الثورة**

كانت قد صدرت دراسات مختلفه لاشخاص متباينين عدّوا منطقة الثورة ، الفرات الاوسط . وهذا تعدٍ لا يصح السكوت عليه لأنه نوع من انواع الظلم . ولأنه يجانب الواقع • فقد كانت قيادة القوات البريطانيه في العراق تصطاف في تلول كرند على الحدود العراقية الايرانيه الشرقية يوم اندلع لهيب الثورة في الثلاثين من حزيران ١٩٢٠ فاستطاع قادة الثورة السياسيون ، واستطاع الشباب المثقفون ، ان يحملو القبائل القاطنة في ديالى ولا سيما قبيلة العزة التي يرأسها الشيخ حبيب الخيزران ، في لواء ديالى ، على الأسهام في هذا الواجب الوطني المقدس . واذا بقبائل اللواء المذكور تقطع قضبان السكه الحديدية الممتدة بين خانقين وبغداد ، وتعبيء قواتها لرصد الطريق المذكور فيتعذر على القوات التي كانت تصطاف في كرند القيام بعملية ما ، الأمر الذي حمل حكومة لندن على الاستنجاد بحكومة الهند لتهيئة القوات اللازمة لمقاتله الثوار في العراق •

**وفي لواء الدليم قتل** الشيخ ضاري المحمود ، رئيس قبيله زوبع ، وولده الشيخ خميس الضاري ، الكولونيل لچمن فاندلع لهيب الثورة في هذا اللواء

الشاسع الارجاء ، على الرغم من تصدي الشيخ علي السليمان رئيس الدليم ، والشيخ فهد الهذال رئيس عنزة ، لمعاداة الشيخ ضاري وتصديهما للثوار الذين أوقعوا بالجيش البريطاني خسائر فادحة في الارواح والممتلكات • أما في لواء المنتفق فقد اضطر النقيب گرافورد أن يخلي قصبة قلعة سكر ، وهو حاكمها السياسي ، كما اضطر حاكم الشطرة السياسي الى اخلاء قصبة الشطرة والهرب الى الناصرية مثلما لجأ اليها حاكما قلعة سكر وسوق الشيوخ وغيرهما •

وللدكتور كمال مظهر أحمد دراسة نفسية عن [ دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية ] لا بد من دراستها بدقة وامعان لمعرفة الموقف النبيل الذي وقفه الاكراد للاسهام في الثورة موضوعة البحث ، الامر الذي اضطر الكولونيل ولسن الى انتهاز وفاة قائد الثورة الروحي الشيخ محمد تقي الحائري الذي كان قد أفتى بجهاد المحتلين فكتب الى خليفته الشيخ فتح الله شيخ الشريعة ، للدخول في المفاوضات المؤدية الى السلام ، فلم يتلق جوابا يشفي الغليل ، فعهدت القيادة العسكرية البريطانية الى اللواءين (٥٣) و (٥٥) الشروع في استرداد القرى والقصبات التي أخلتها في الوية الفرات الاوسط : كربلاء والحلة والديوانية والناصرية ، وفي لواءي الدليم وديالى ، وفي المنطقة الكردية بشمال العراق ، وكان طبيعيا أن يتم هذا الاسترداد بعد قتال عنيف وتضحيات عظمى ، ولا سيما وقد جاءت امدادات عسكرية هائلة من الهند ، وتضاءل السلاح والعتاد بأيدي الثوار ، ومل الناس مقاتلة دولة مستعمرة كبرى لا تنضب أموالها وأسلحتها ولا تغيب الشمس عن مستعمراتها •

أجل ! شرعت القوات النظامية المجهزة بأنواع آلات القتال والدمار تسترد المدن والقصبات والقرى بعد القتال والدفاع منذ الثاني عشر من شهر تشرين الاول ١٩٢٠ • ولما رأى الكربلائيون والنجفيون أن لا قِبَلَ لهم بالاستمرار في الحرب ، أوفدت حكومة كربلاء المؤقتة وفدا خاصا لعرض

استعداد المدينة الى الاستسلام . فصدرت الأوامر العسكرية الى الوفد بالسفر الى بغداد وتلقي أوامر المندوب السامي . كذلك أرسلت حكومة النجف وفدا الى مقر الجيش في الكوفة ــ وكان الجيش قد استردها قبل أيام ــ فعرض استسلام النجف ، وقد صحب الوفد هذا ٧٩ بريطانيا و٨٨ هنديا كانوا قد اسروا في معركة الرارنجية يوم زحف رتل مانجستر على الكفل ليسترد الكوفة ، فكانت المعركة الضارية التي خسر فيها الرتل عددا من القتلى والجرحى والمفقودين . ولم تنته الثورة بانتهاء القتال في الفرات الاوسط ، وبقمع القبائل الثائرة في ألوية الدليم وديالى والمنتفق ، بل كانت السماوة بلواء الديوانية ما تزال في قبضة الثوار ، وكان بنو حچيم يقاتلون القوات الزاحفة لاخضاعهم قتالا مستميتا فلم ترَ سلطات الاحتلال مناصا من مهادنتهم على شروط هي :

١ ــ أن تكون للعراق حكومة عربيه مستقلة .

٢ ــ ان لا يطالب عرب قبائل بني احچيم بكل شيء خسرته الحكومة أثناء الثورة عدا ما تراه أعين الحكومة باقيا في ايديهم .

٣ ــ أن لا يؤدي عرب بني احچيم شيئا من الضرائب الاميرية لسنة ١٩٢٠ للاضرار التي لحقت بهم وبزرعهم .

٤ ــ أن يأخذوا على عاتقهم المحافظة على السكة الحديد التي تمر بهم على طوال الخط .

٥ ــ أن يتعهدوا بتوطيد الأمن وحماية السلم في أراضيهم .

٦ ــ أن سلموا للحكومة ( ٢٤٠٠ ) بندقية .

وكان الشرط الاول من هذه الشروط الستة شرط الثوار ومحرضيهم . بل كان شرط العراقيين كافة في مهادنة المحتلين ، ولذا كانت الوزارات التي تألفت في العراق بعد قيام الحكم الوطني في ٢٣ آب ١٩٢١ تبذل قصارى جهدها لتحقيق استقلال العراق .

## القوات المحاربة والخسائر

كانت القوات البريطانية التي اشتركت في اخماد الثورة كما اثبتها الجنرال هولدن كالآتي :

١ ـ القوات المحاربة من البريطانيين (٩٠٠٠) ومن الهنود ( ٣٨ر٠٠٠) ومن الأتباع (٦٠٠٠)

٢ ـ القوات غير المحاربة من البريطانيين (٣٠٠٠) ومن الهنود (٢٣ر٠٠٠) ومن الأتباع ( لاشيء )

٣ ـ فيكون عدد المقاتلين من البريطانيين ( ١٢٠٠٠ ) ومن الهنود ( ٦١٠٠٠ ) ومن الأتباع (٦٠٠٠)

٤ ـ أما عدد أفراد القبائل الذين اشتركوا في القتال فلا يمكن معرفته لعدم وجود سجلات تحفظ اسماءهم أو هوياتهم أو عددهم أو نحو ذلك من ضروب الاحصاء .

٥ ـ اما عدد الضحايا التي مني بها جيش الاحتلال فهو كما جاء في كتاب الجنرال هولدن كالآتي :

٢١٣ القتلى

١٢٢٨ الجرحى

١٦٤ الاسرى

١١٣ المتوفون بسبب الجروح

٤٥١ المفقودون في الحرب

١ المتوفون في الاسر

---

٢٢٦٩ المجموع العام

ولا شك ولا شبهة في ان المفقودين في الحرب وعددهم (٤٥١) بين انكليزي وهندي ، هم الذين قتلوا وضاعت أشلاؤهم . فيكون عدد القتلى (٨٧٧) والجرحى (١٢٢٨) والاسرى (١٦٤) والمجموع (٢٢٦٩)

ويذكر الدكتور وميض عمر نظمي في ص٣٩٩ من اطروحته نقلا عن وثيقه بريطانيه مؤرخة ٢٠ / ١٢ / ١٩٢٠ وتحت رقم f.o./341/5231 ان الجيش البريطاني خسر ٩٠٦ قتيلا و ٦٧١ جريحا و ٢٤٧ مفقودا •

أما عدد الخسائر في الثوار فغير معروف وغير محدد . لعدم وجـود احصاءات أو سجلات . لأن جيش الثورة لم يكن نظاميا ، ولكن الجنرال هولدن يقول في ص٣٣١ من كتابه ان الثوار خسروا (٨٤٥٠) بين قتيل وجريح . وهو يدعي ان هذا العدد يستند الى التقاريـر التي كانت ترد اليه . ومن سجلات الدفن في كربلاء والنجف •

ويقول هولدن في ص٢٩٨ من كتابه : ان جيش الاحتلال البريطاني جمع من الثوار ( ٦٣٤٢٥ ) بندقيه صالحة للاستعمال . بينها (٢١١٥٤) بندقيه من طراز حديث . مع ثلاثة ملايين و (١٨٥٠٠٠) اطلاقة . وبلغت الغرامات النقدية التي استوفاها (٨٧٧٦٥٠) ربية أي ما يعادل (٥٤١١٢) باونا استرلينيا •

**ولسن يغير رايه**

كان للانكليز ــ قبل استقلال الهند ــ مدرستان سياسيتان في الشرق ، احداهما في الهند والاخرى في مصر ، وقـد اصطلح على الأولـى بالمدرسه البريطانية ــ الهنديه ، أو المدرسة العربية ــ الشرقية . وعلى الثانية بالمدرسة المصرية ــ البريطانيه . أو العربيه ــ العربية • فأصحاب المدرسة البريطانية ــ الهنديه يعتقدون ان التوغل البريطاني في البلاد العربيه يجب ان يبدأ من عدن والخليج العربي . وينتهي الى بغداد •

اما اصحاب المدرسة البريطانية ــ المصرية فانهم يرون ان من الاحرى أن تسيطر بريطانية على مصر ، وتستولي على سوريه ، فتحمل عرب الشام على مقاومة النفوذ الفرنسي من التوسع في الشرق الادنى ، وبذلك تحفظ الطريق بين الهند والجزر البريطانية . وتستحوذ على المدن الاسلامية المقدسة :

مكة المكرمة . والمدينة المنورة . والقدس الشريف ، فتجعل العرب يدينون لها بالولاء .

وكان الكولونيل ولسن نائب الحاكم العام في العراق من أقطاب المدرسة البريطانية الهندية ، بل كان من طغاة الاستعمار . وتدل البرقيات والرسائل التي كان يبعث بها الى وزارة المستعمرات في لندن على انه كان يصر على جعل العراق تابعا للهند ، الدرة اللامعة في التاج البريطاني ، ولكن نتائج الاستفتاء الذي جرى في العراق وحملها بنفسه الى لندن ، وكذلك تقارير دوائر الاستخبارات البريطانية في العراق . كانت تفاجيء المقامات الرفيعة في لندن وتدل على ان العراق مقبل على احداث خطيرة تقلب موازين ولسن رأسا على عقب فاصدرت الحكومة البريطانية البلاغ الآتي في السابع عشر من حزيران ١٩٢٠ . منشور رقم ٧٠ :

حيث ان حكومة جلالة ملك بريطانية العظمى قد تقررت وكالتها في خصوص العراق . فتتوقع انه سيكون من الشروط المزبورة ، جعل العراق حكومة مستقلة تضمن استقلالها جمعية عصبة الامم ، وتوكل بريطانية العظمى وكالة بها . وثانيا تكليف الحكومة البريطانية بالمسؤولية عن حفظ السلم الداخلي والامن الخارجي . وثالثا الزامها بتشكيل قانون أساسي ، وبأن تستشير أهالي العراق في مسألة تشكيله ، مع ملاحظة حقوق الاجناس المختلفة الموجودة في بلاد العراق ورغائبها ومنافعها ، فتحتوي الوكالة المذكورة على شروط لتسهيد مسالك الرقي للعراق . بصفة كونه حكومة مستقلة ، الى أن تتمكن على الوقوف بنفسها فحينئذٍ تنتهي مدة الوكالة . فقررت حكومة جلالة الملك تكليف سيربرسي كوكس بتنفيذ هذه المهمة ، فعليه سيرجع سعادته الى بغداد في موسم الخريف . ويتقلد وظيفة الممثل الاعلى للحكومة البريطانية في العراق ، بعد انقضاء الادارة العسكرية الموجودة الان ، وستعطى السلطة لسيربرسي كوكس لتنظيم موقت :

اولا ـ مجلس شورى تحت رئاسة عربي .

ثانيا ـ مؤتمر عراقي يمثل جميع اهالي العراق ، ينتخب أعضاؤه باختيارهم ، فيكون مما يجب عليه ، تجهيز القانون الاساسي المار ذكره . باستشارة المؤتمر العراقي .

**تبدل موقف ولسن**

فلما فَقَدَ فيصل عرشه في دمشق يوم ٢٥ تموز ١٩٢٠م ، وأجلاه الفرنسيون عن الاراضي السورية المشمولة بالانتداب الفرنسي ، أبرق اللورد كرزن وزير خارجية بريطانية برقية الى الكولونيل ولسن يسأل رأيه في الأحداث الجارية فطيّر البرقية الآتية :

تنص برقيتكم المؤرخة في ٣٠ تموز على ان الامير فيصل قد جلا الى درعا ، في منطقة النفوذ البريطاني ، بناءً على أمر الفرنسيين . ويرى من في بغداد أن ذلك يعني أحد أمرين : فاما ان يكون ـ الامير ـ في طريق عودته الى الحجاز ، او انه ينوي البقاء في هذا الجزء من سورية ، المشمول بالنفوذ البريطاني ، فأن بقي في درعا واستمر على الادعاء بعرش سورية ، فانه سيجمع حوله عددا لا بأس به من موظفيه السابقين فيكون مصدر ازعاج دائم للفرنسيين . اما اذا تنازل عن مطالبه في سورية وطالب بزعامة فلسطين فقط فان وجوده سيخلق المتاعب لفرنسة ويجعلنا في وضع صعب جدا . فهل لحكومة صاحب الجلالة أن تفكر في امكان اسناد امارة العراق اليه ؟

ان الاعتراضات التي قامت هنا بصدد ايجاد الامارة كانت تتجمع مبدئيا حول عدم وجود الشخص المناسب لها ، وكنا نعد فيصلا مهيئا لعرش سورية ، وما من شيء سمعته خلال الاشهر القليلة الماضية غير رأيي في عدم أهلية الامير عبد الله ، كما أن خبرتنا في بغداد خلال بضعة الاسابيع الاخيرة دلت بوضوح على عدم وجود مرشح محلي يستطيع ان يحوز على تأييد يمكنه من القيام بمهمته .

ان فيصلا هو الوحيد بين زعماء العرب ، الذي يدرك المشكلات العملية في ادارة حكومة متمدنة بموجب الطرق الغربية ، وانه لا يخطيء في التقدير بأن المساعدة الاجنبية أمر حيوي لاستمرار وجود دولة عربية ، كما انه يدرك الخطر الذي ينجم من الاعتماد على جيش عربي ، فاذا قدمنا اليه عرش العراق فاننا لا نسترجع مكانتنا في نظر العالم العربي حسب ، ولكنا قد ننجح الى حد كبير في القضاء على التهمة التي قد توجه الينا بخياتنا لفيصل ولأهل هذه البلاد . فاذا عزمت حكومة صاحب الجلالة انقاص نفقاتها في هذه البلاد انقاصا محسوسا فان ذلك لا يتحقق بصورة أتم الا بواسطة فيصل دون اي حلول اخرى[١٢] .

وهكذا نجد الكولونيل ولسن يتحول بين شمس وضحاها من داعية كبير لضم العراق الى الهند ، الى مسؤول يرى وجوب اهتبال الفرصة التي آتاحها الفرنسيون باخراجهم الامير فيصل من بر الشام وتقويض الحكومة العربية التي اقامها ، الى اسناد عرش العراق الى هذا الامير العربي الذي برهنت الايام على انه كان خير ملك للعراق ، خلق دولة عصرية من العدم ، وسار بها قدما نحو الاستقلال .

**أسباب الثورة كما يراها ولسن**

والان وقد انتهينا من بحث ظروف ثورة العشرين ، وما اسفرت عنه من خسائر فادحة ونتائج حميدة ، نرى ان نختم هذا المقال التاريخي بذكر الاسباب التي أدت الى نشوب هذه الثورة على ما جاءت في برقية ولسن التي طيرها الى وزير الهند في الثاني من شهر آب سنة ١٩٢٠ فهي على جانب من الاهمية وهذا نصها :

---

(١٢) مجموعة البيانات الصادرة بين مارت و ٣٠ سبتمبر ١٩٢٠ ص٣٤٤ ـ

١ ـ تدل تجاربنا في الشهور الثلاثة الماضية على أننا اخطأنا في التسرع كثيرا في بعض الشؤون الادارية المتعلقة بالقبائل ، وجريرة هـذه تقع على الاداره المدنية وشيوخ القبائل وبقية زعمائها على حد سواء . وجريرتنا هي أننا سرنا على سياسة مؤازرة الشيوخ وتعزيز سلطاتهم . وجريرتهم هي في محاولتهم اثقال كاهل رجالهم . واكثار اتعابهم بتنظيف الترع وانشاء السدود ، متظاهرين بأن سبب ذلك ، الرغبة في تحسين الزراعة وجلب المحصول الجيد . في حين ان كثيرا من الفوائد الماديه يرجع الى جيوبهم الخاصه . ولم يفهم الشيوخ الا في وقت متأخر جدا بأنهم ليس لديهم النفوذ الذي تصور لهم على قبائلهم ، وهاهم يلقون جزاء ذلك .

٢ ـ والعامل الثاني الذي يشارك فيه العراق بقية البلدان الاخرى وأدى الى اثارة سخط الناس ، هو ظهور الاحوال التي نسميها أحوال بعد الحرب ظهورا تدريجيا فكان هناك صعود في الاسعار وقلة في بعض الضروريات وغير هذه من امور اذا لم تحس طبقات الناس بما جاءها من جيش الاحتلال من ثروة . وقد اثرت على اكثرية الناس ، وصارت علينا ـ بصفتنا المنتصرين في الحرب العظمى في العراق وفي غيره ـ جريرة المجيء بهذا الحال .

٣ ـ وربما كان العامل الذي يلي هذين العاملين في الاهمية . ادراك الناس ضعفنا العسكري . وقد تعود الشرقيون طوال القرون على أن يغتنموا فرصة تضعضع العدو للايقاع به .

٤ ـ عداء المجتهدين الذين قاوموا كل الحكومات من بعد الخلفاء الراشدين .

٥ ـ نقاط الرئيس ولسن الاربع عشرة وما انتجته من هياج وتأثير زاده اثرا الشريف والترك ، والبولشفيك من متطوعين ومأجورين .

٦ ـ الخلاف العنصري بين العرب والانكليز ، وقد استعمل هذا ذريعة اكثر منه سببا .

٧ ـــ التأخر في تعيين وضعيتنا في العراق ، وبقاء الحكم البريطاني المباشر بعد الهدنة بمدة طويلة . واذا لم تخني الذاكرة فاني اتذكر أني مُنعت حتى في تشرين الاول ١٩١٩ من اتخاذ أي تدبير ، أو الادلاء بأي تصريح يفهم منه منحنا الانتداب على العراق أو أننا قبلنا به .

٨ ـــ ما أحدثه تأثير الوضعية في سوريا التي ساعدت حكومتها الشريفية الاعانة البريطانية الواقية التي كانت تتناولها على ان تدفع لموظفيها ولا سيما من كان في الجيش منهم ، مرتبات تزيد كثيرا عما يمكن لهذه الادارة أو لأية ادارة اخرى تسدد مصاريفها بايرادها الخاص دفعه .

٩ ـــ اجبارنا الناس على العمل في السداد أيام الفيضان . فالعربي يفضل أن يعرض نفسه لخطر الفيضان . الذي هو من صنع الرحمن ، على أن يشتغل كثيرا في السداد ، التي هي من صنع الانكليز . ولظروف الاحتلال العسكري اثر كبير في هذه الوضعية . فقد كانت السلطات العسكرية ـــ وما تزال ـــ تلح علينا في المحافظة على السداد وجعلها بدرجة من القوة تمنع عن السكك الحديدية والمعسكرات من الخطر رائحته . ولم تعطنا الادارة العسكرية دائرة الري الا على هذا الشرط وحده .

١٠ ـــ جمعنا ضرائب الارض وغيرها .

١١ ـــ خوف الناس من ان يطغي عليهم سيل الاستعمار التجاري الغربي .

١٢ ـــ استعمالنا الطائرات مع القائمين علينا .

١٣ ـــ عدم ارتياح الملاكين ، الذين لا يرون أن على الملاك واجبات تقابل ما له من حقوق . ويرون أن كل محاولة تبذل لتخفيف اعبائهم على الفلاحين غير مشروعة ، في حين يرى الفلاحون أن كل محاولة تبذلها السلطات الحكومية لاستعمال قوات القانون والنظام لأخذ ما للملاكين عليهم بعين السخط . وقد طالما وقف الحكام السياسيون بسبب العراقيل الموجودة في القانون التركي في هذا البيان في وضعيات عسيرة .

١٤ ــ يرى الكثيرون هنا ، من عراقيين وانكليز ، انني اخطأت في عدم استعمال الشدة والصرامة مع كبار المهيجين قبل أن تتوسع الحركة ، ولكن هذا الرأي يستحق الجدل • فان ادارة مدنية من هدا النوع طبيعي لها في مثل هذا الوقت أن تجد صعوبة كبرى في معرفة الحد الذي تستدعي به حركة دستورية تقوم في البلاد والشدة والصرامة وتبررهما ــ انتهى ــ(١٣)

أي • تي • ولسن

ان الكولونيل ولسن يعترف بان لمواد رئيس الولايات المتحدة ، وودرو ولسن ، آثرا محسوسا في نشوب ثورة العشرين ، كما يعترف ان المظالم التي لحقت الناس من جمع الضرائب الفادحة ، وسوء الادارة المتفشية ، والسخرة ، والنفوذ الديني ، اثرا لهذا النشوب لكنه لم يتطرق الى الوعود التي اعطيت العراقيين الخاصة بتقرير المصير ، ثم نكث حكومته بهذه الوعود رغم اعترافه في آخر برقيته بان الحركة كانت دستورية ، ولهذا السبب لم يستعمل القسوة مع القائمين بها •

---

(31) SIR ARNOLD WILSON ; A CLASH OF LOYALTIES P.305

# فيصل الاول

## وكيف انتخب ملكاً على العراق

توطئـــة

كانت بريطانية تعتقد أن في امكانها جعل العراق مستعمرة لها تابعة للهند . وقد مهدت لذلك بعقد اتفاقية سايكس ـ بيكو السرية بينها وبين فرنسا وروسيا في ١٥ ـ ١٧ مايس ١٩١٦ قبل أن تنهار الدولة العثمانية ، وكان قد وقعها كل من السير مارك سايكس ، باسم الحكومة البريطانية ، والمسيو جورج بيكو باسم الحكومة الفرنسية ونصت على تجزئة الوطن العربي على الوجه الآتي :

١ ـ المنطقة الحمراء : تكون تحت ادارة الحكومة البريطانية المباشرة ، وتشمل ولايتي البصرة وبغداد من العراق ، وثغري حيفا وعكا من سورية الجنوبية « أي فلسطين » .

٢ ـ المنطقة الزرقاء : تكون تحت ادارة الحكومة الفرنسية المباشرة ، وتشمل كليكية وجزءا من الانضول ، وقطعة من سورية الغربية .

٣ ـ منطقة A. : تكون جزءا من دولة عربية تشكل تحت الحماية الفرنسية ، وتشمل ولايات : دمشق وحلب والموصل . ويكون لفرنسا حق الافضلية في المشروعات والقروض المحلية ، وفي تقديم المستشارين والموظفين الاجانب لها .

٤ ــ منطقة B. : تكون جــزءا من دولة عربية تشكل تحت الحماية البريطانية . وتشمل الاراضي الواقعة بين فلسطين والعــراق المسماة شرق الاردن فيكون لبريطانية حق الأفضلية في المشروعات والقروض المحلية وفي تقديم المستشارين والموظفين الاجانب لها •

٥ ــ المنطقة السمراء : تكون تحت ادارة دولية . وتشمل القسم الجنوبي من سوريا أي فلسطين ، على أن تستشار روسيا في نوع الادارة ، ويتفق عليها مع باقي الحلفاء والشريف حسين •

وكانت الحكومة البريطانية قد تعهدت للشريف حسين بن علي أمير مكة المكرمة في مراسلات الحسين ــ مكماهون بأن تمنح الوطن العربي وحدة عربية غير مجزأة ويكون الشريف حسين ملكا عليها لقاء اعلانه الثورة ضد العثمانيين ، اخوانه في الدين ووقوفه الى جانبها في حربها مع العثمانيين •

**ثورة فانتداب**

بعد ان حطت الحرب العالمية اوزارها وقرر مجلس الحلفاء الاعلى المنعقد في سان ريمو في ٢٤ نيسان ١٩٢٠ وضع العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وسورية ولبنان تحت الانتــداب الفرنسي ، وظهر وعد بلفور للوجود . وافتضحت أسرار معاهدة سايكس ــ بيكو ، أبى العراقيون أن يرضخوا لحكم الانتداب البغيض الذي فرض عليهم قسرا وقاموا بثورتهم الكبرى في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ، وهي الثورة التي كلفهم اخمادها اكثر من الفي نسمة بين قتيل وجريح ومفقود . ونحو أربعين مليون جنيه استرليني • قامت قيامة الصحف البريطانية مندّدة بالوجود البريطاني في العراق ، وطالبةً سحب قواته العسكرية منه • وفي الوقت نفسه أدركت بريطانية أن ليس في امكانها أن تحكم العراق حكما مباشرا ، وان في استطاعتها أن تؤمن مصالحها في هذه البلاد عن طريق واجهة وطنية شكلية يختفي وراءها الحكم البريطاني

المقنع ، فأعادت الى بغداد السيربرسي كوكس الذي صحب الجيش البريطاني عند فتحه العراق بصفة كونه مستشار الحملة السياسي ، ثم أرسل سفيرا الى طهران ، فألف كوكس حكومة محلية تأتمر بأمره وتعمل تحت هديه وارشاده وذلك في ٢٥ تشرين الاول من عام ١٩٢٠ • وقد روعي في هذه التشكيلة ، التمثيل الديني والطائفي والمدني ، فكان السيد عبد الرحمن النقيب رئيسها ، وطالب النقيب وزير داخليتها ، وجعفر العسكري وزير دفاعها ، وساسون حسقيل وزير ماليتها ، والدكتور حنا خياط وزير صحتها ••• الخ وقد حتّمت التعليمات التي وضعها السير برسي كوكس لهذه التشكيلة « وقد اصطلح عليها بالوزارة » أن لا تنفذ مقرراتها الا بعد أن تقترن بموافقته ، وقد تقلد منصب المندوب السامي في العراق بعد عودته من ايران •

## فيصل وتاج العراق

قرر المؤتمر السوري ، المنعقد في دمشق في الثامن من آذار ١٩٢٠ المناداة بالامير فيصل ملكا على سورية • وكان يقيم في دمشق رهط من صفوة شباب العراق وكهوله فاجتمعو في اليوم المذكور ونادوا باستقلال العراق وبالامير عبد الله شقيق الملك فيصل ملكا عليه • وقد توج الملك فيصل فعلا وبقيت بيعة الامير عبد الله في عالم الخيال ، اذ كان « يصعب على العقل قبول قرار أو النزول على حكم قررته جمعية التأمت في بلاد غير بلادها ، بحق بلاد لا حول ولا طول لها » على حد قول لودر في ص ٩٥ من كتابه : القول الحق في تاريخ سورية وفلسطين والعراق •

ولم تلبث ملوكية فيصل في سورية أن انتهت بالحملة الفرنسية التي قادها الجنرال غورو في ٢٥ تموز عام ١٩٢٠ ، وان تقوضّ حكمه وتجليه عن الاراضي السورية المشمولة بالانتداب الفرنسي • وكانت الحكومة البريطانية

على علم بما قرره الفرنسيون ومتورطة معهم في هذه المأساة ولكن للضرورة احكامها .

ورأت بريطانية ان تستغل نكبة فيصل في دمشق وتستدعيه الى لندن لتفاوضه في أمر اسناد عرش العراق اليه ، اذا ما وافق على قبول الانتداب الذي عهدت به عصبة الامم اليها في ٢٤ نيسان ١٩٢٠م . مطمئنة الى ان خيبته في سورية ضمان لأتآده في سياسته في العراق وحذره من الاندفاع في التصادم معهم وله من شخصيته التي برزت في الحجاز وسورية ما يطمئنهم على نجاحه في توجيه السياسة العراقية توجيها يضمن مصالحهم الرئيسية في العراق ، ويرضي العراقيين في الوقت نفسه ، او يكفل على الاقل السيطرة على هذا البركان المتأجج .

واستدعي الامير أو الملك العربي الى لندن فبلغها في ٢ كانون الاول ١٩٢٠ ، فتم الاتفاق بينه وبين الجهة البريطانية على أن يوسّد عرش العراق فيؤلف فيه حكومة عربية مستقلة ، ولكن تحت الانتداب البريطاني . وكان جلياً ان العراقيين يأبون التسليم بفرض الانتداب على بلادهم فأقنعه المستر تشرسل بأنه سيعرض عليه مسودة معاهدة تعقد بين بريطانية والعراق لتنظيم العلاقات بين الطرفين دون ان يذكر اسم الانتداب فيها . فأستطاعت بريطانية بهذه الطرق الملتوية وبفضل تفاهمها مع فيصل أن تفرض انتدابها بشكل آخر يسكت العراقيين من جهة ، ويقنع عصبة الامم بأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مازالت في الحقيقة في وضع تستطيع معه القيام بعهودها الانتدابية .

كان اللورد كرزن ، وزير خارجية بريطانية ، قد أبرق الى نائب الحاكم العام في العراق في الثلاثين من تموز ١٩٢٠ ، اي بعد خمسة أيام من تقويض الحكم الفيصلي في دمشق برقية ذكر فيها ما أصاب الامير العربي وطلب اليه ان يبدي رأيه في الموقف ، وكان نائب الحاكم العام ، وهو يومئذ الكولونيل أي . تي ولسن ، من القائلين بوجوب الحاق العراق بالهند . فلما انفجرت

الثورة العراقية الكبرى في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ أجاب على برقية وزير الخارجية البريطانية بما يلي بالنص :

« تنص برقيتكم المؤرخة ٣٠ تموز على ان الامير فيصل قد جلا الى درعا في منطقة النفوذ البريطاني بناء على امر الفرنسيين ، ويرى من في بغداد أن ذلك يعني احد أمرين : فاما ان يكون ــ الأمير ــ في طريق عودته الى الحجاز ، أو أنه ينوي البقاء في هذا الجزء من سورية المشمول بالنفوذ البريطاني • فان بقي في درعا واستمر على الادعاء بعرش سوريا فانه سيجمع عددا لا بأس به من موظفيه السابقين فيكون مصدر ازعاج دائم للفرنسيين ، أما اذا تنازل عن مطالبه في سورية وطالب بزعامة فلسطين فقط فان وجوده فيها سيخلق المتاعب لها ــ لفرنسا ــ ويجعلنا في وضع صعب جدا ، فهل لحكومة صاحب الجلالة أن تفكر في امكان اسناد امارة العراق اليه ؟

« ان فيصلاً هو الوحيد بين زعماء العرب الذي يدرك المشكلات العملية في ادارة حكومة متمدنة بموجب الطرق الغربية ، وانه لا يخطيء في التقدير بأن المساعدة الاجنبية أمر حيوي لاستمرار وجود دولة عربية ، كما انه يدرك الخطر الذي ينجم عن الاعتماد على جيش عربي • فاذا قدمنا اليه امارة العراق فاننا لا نسترجع مكانتنا في نظر العالم العربي حسب ، ولكنا قد ننجح الى حد كبير في القضاء على التهمة التي توجه الينا بخياتنا فيصلاً واهل هذه البلاد • فاذا عزمت حكومة صاحب الجلالة انقاص نفقاتها في هذه البلاد انقاصا محسوسا فان ذلك لا يتحقق بصورة أتم الا بواسطة فيصل دون أي حلول اخرى »[1] •

وقعت هذه البرقية من نفس اللورد كرزن موقع الاستحسان ، لا سيما وأنها دلت على تبدل ملموس في موقف الكولونيل ولسن وكيل الحاكم الملكي العام في العراق • واستدعي فيصل الى لندن فبلغها في اليوم الثاني من شهر

(١) IRELAND, Irag Astudy in Political development

كانون الاول سنة ١٩٢٠ ودبرت له مقابلة مع الملك جورج الخامس في اليوم الرابع من الشهر المذكـور بحجة تقديم الشكر على الهدايا التي كان ملك الانكليز قد أنعم بها على والده الملك حسين[٢] . ثم ندبت وزارة الخارجية أحد أركانها البارزين ، كورنواليس . ليقابل فيصلاً بصورة شخصيه ويفاتحه في موضوع عرش العراق والتزامات بريطانية تجاه عصبة الامم وتجاه فرنسا التي قوضت عرشه في سورية وأجلته عن الاراضي المشمولة بانتدابها . وقد هيأت الوزارة لكورنواليس مسودة بالموضوعات التي يجب ان يذاكر فيصلاً بها دون أن يعلم فيصل بها[٣] . وكان فيصل ينزل في فندق كلارج الشهير ، وصادف ان قصد احدى دور التمثيل في الليلة التي قصده مبعوث الخارجية البريطانيه ، فاضطر كورنواليس أن ينتظر عودته الى ما بعد منتصف الليل ، ثم يدخل في مفاوضته في المهمة التي ندب اليها بحيث استطاع أن يقدم مذكرة بما دار من حديث الى الجهة المختصة في اليوم الثاني مباشرة .

كان أهم ما قصدته الخارجية البريطانية من ارسال كورنواليس الى الأمير فيصل ، هو التأكد من ان الأمير الهاشمي لن يفكر في الانتقام من فرنسا . وانه يدرك مسؤوليات بريطانيا الانتدابية نحو العراق . أما موقفه الشخصي تجاه المقترحات البريطانية فهو أن العراقيين الذين كانوا في دمشق نادوا بأخيه الأمير عبد الله ملكا على العراق في اليوم الذي نادى السوريون بسموّه ملكا على سورية ، وهو يوم ٨ آذار ١٩٢٠ . فكيف يسوغ له أن يزاحم أخاه عبد الله على عرش العراق . وهو يجمع الجموع المقاتلة في معان ليثأر له من الفرنسيين ؟ لقد وجدت انكلترا الحل المناسب لهذه المعضلة اذ انتدبت الكولونيل لورانس ليعرض عليه عرش سورية اذا ما تنازل لأخيه فيصل

(٢) جريدة التايمس اللندنية الصادرة في ٥ كانون الاول ١٩٢٠ .

(٣) راجع مسودة الحديث مع التقرير الرسمي في العدد الثاني عشر من السنة الثالثة من مجلة ( آفاق عربية ) .

عن عرش العراق • وقد قام كورنواليس بهذه المهمة قياما حسنا ووضع للعرشين العراقي والأردني اسسهما المتينة •

كانت السياسة البريطانية في الشرقين الأدنى والأوسط منوطة بثلاث وزارات هي الخارجية والمستعمرات ووزارة الهند • فأرتأت الحكومة البريطانية أن تتوحّد امور الشرقين المذكورين في مؤسسةٍ للشرق الاوسط وأن تلحق بوزارة المستعمرات • وقد نقل ونستن تشرشل من وزارة الحربية الى وزارة المستعمرات لاعادة تنظيم السياسة البريطانية في العالم العربي ، واختار لمساعدته عددا من الموظفين الملمين بالامور العربية • وما لبث ان قرر الاجتماع بممثلي بريطانية وقادتها العسكريين والمدنيين في الشرق الاوسط ليتذاكر واياهم في كيفية خفض النفقات البريطانية الطائلة ، وتخفيف الوجود العسكري ، لا سيما وقد كانت الخزانة البريطانية تئن من ثقل النفقات التي أوجبتها تكاليف الحرب العالمية الاولى ونتائجها • ثم جاءت التدابير العسكرية وتكاليفها لاخماد الثورة العراقية الكبرى ضغثاً على ابّاله ، مما حمل الرأي العام في بريطانية على المناداة بوجوب الجلاء عن العراق ، والحكومة البريطانية على التفكير في وجوب انقاص نفقاتها الناجمة عن الالتزامات الخارجية الى ادنى حدٍ مسكن مع المحافظة على المصالح البريطانية العامة محافظة تامة بأقل كلفة •

دعا المستر تشرشل الممثلين السياسيين والعسكريين في مناطق الشرقين الاوسط والادنى الى الاجتماع به في مؤتمر يعقد في القاهرة في الثاني عشر من شهر آذار ١٩٢١ • فكان الوفد العراقي الى هذا المؤتمر مؤلفا من المندوب السامي السير برسي كوكس . وقائد القوات البريطانية في العراق الجنرال ايلمر هالدين ، والسكرتيرة الشرقية للمندوب السامي المس بيل ، ومستشاري وزارات المالية والاشغال والدفاع ، سليتر وأتكنسن وايدي ، والوزيرين العراقيين وزير الدفاع جعفر العسكري ووزير المالية ساسون حسقيل ، واستبعد من الحضور وزير الداخلية طالب النقيب • ويظهر من محاضر المؤتمر أن الوزيرين جعفر وساسون حضرا بصفة مستشارين يدعوان لحضور الجلسات

عندما يرى المجتمعون ضرورة لاستمزاج رأيهما • وتناول موضوع العراق ما يلي :

أ ــ علاقة الدولة الجديدة المقبلة ، من حيث النفقات ، ببريطانية •

ب ــ شخصية من يتولى حكم العراق •

جـ ــ نوع قوات الدفاع في الحكومة الجديدة ، وشكلها •

قال كوكس : ان باستطاعة العراق ان يسهم بمدى أوسع في المسؤوليات المترتبة على بريطانية في العراق وذلك بتأليف جيش محلي من خمسة عشر ألف محارب ، وتخصيص ١٥ في المئة من ايرادات العراق العامة ، على ان تزداد هذه النسبة بالتدريج حتى تبلغ الـ ٢٥ في المئة ، وأن تزداد قوة الليفي المحلية التي تقوم الحكومة البريطانية باودها من اربعة الاف الى ٧٥٠٠ مقاتل ، وان يعزز ذلك كله بستة اسراب من الطائرات البريطانية ترابط في محلات استراتيجية معروفة ، فتنسحب القوات البريطانية من العراق بالتدريج ، ويحل التفاهم والوئام محل التشاكس والخصام بين العراقيين والدولة المنتدبة • حلت كلمات السير برسي كوكس محلاً عظيما من نفس ونستون تشرشل بحيث استطاع أن يقف في مجلس العموم البريطاني بعد ايام ليعلن انقاص النفقات البريطانية من ٣٥ مليون باون في سنة ١٩٢١ الى ٢٧ مليونا ونصف ، وانها ستنقص الى تسعة ملايين في السنين التي تليها ، وكانت مصروفات بريطانية في العراق في السنوات ١٩٢٠ ــ ١٩٢٥ كما يأتي :

| | |
|---|---|
| ١٩٢٠ ــ ١٩٢١ | ٣٢ر٠٠٠ ٠٠٠ |
| ١٩٢١ ــ ١٩٢٢ | ٣٣ر٣٥٥ر٩٥٠ |
| ١٩٢٢ ــ ١٩٢٣ | ٧ر٨٠٧ر٣٨٤ |
| ١٩٢٣ ــ ١٩٢٤ | ٥ر٧٤٠ر٣٥٨ |
| ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ | ٤ر٤٧٩ر٧٥٤ |
| ١٩٢٥ ــ ١٩٢٦ | ٤ر١١٨ر٤٠٠٠[٤] |

(4) IRELAND: IRAQ A Study in Political Development.

ولما عرضت فكرة أمير عربي يتولى امور الدولة الجديدة في العراق ، استعرضت أسماء الطامعين في العرش فكانوا كما يأتي :

١ ـ السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب أشراف بغداد ورئيس الحكومة المؤقتة .
٢ ـ السيد طالب النقيب وزير الداخلية في حكومة النقيب المؤقتة .
٣ ـ الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود أمير نجد ثم سلطانها المعظم .
٤ ـ الشيخ خزعل بن الشيخ جابر الشيخ مرداو شيخ المحمرة وتوابعها .
٥ ـ الأمير برهان الدين العثماني نجل السلطان عبد الحميد .
٦ ـ هادي باشا العمري الموصلي .

فالسيد عبد الرحمن النقيب رجل هرم ليس في عائلته من يصلح لتولي عرش العراق بعد وفاته . والسيد طالب النقيب ، وان كان من الشخصيات التي تستطيع ان تؤدي خدمات ممتازة ، الا أن خصومه في بغداد والبصرة في ازدياد مستمر . أما عبد العزيز آل سعود فان ترشيحه للعرش يخلق خللاً في التوازن في الجزيرة . واما الشيخ خزعل فكاد ان يظفر بالعرش لما بذله من مال وفير بواسطة مزاحم الباجهجي وآل الجزائري في النجف الا ان السياسة البريطانية ونواياها حالت دون ذلك[٥] . آما الأمير برهان الدين العثماني فكان ذكر

(٥) هذا نص ما اذاعه الشيخ خزعل في عدد جريدة العراق ( ٣١٧ ) الصادر في ١٤ حزيران ١٩٢١ :
« انني عندما طرحت مسالة عرش العراق على بساط البحث ، ورأيت ان الذين رشحوا انفسهم لذلك العرش هم اناس دوني في الكفاءة والمقدرة وفي جميع المزايا والصفات التي يجب ان يتصف بها ملك أو أمير ، كنت قد رشحت نفسي لذلك العرش لأني رأيت نفسي أنني أجل واجدر من جميع الذين رشحوا انفسهم له . اما الآن . وقد بلغني ترشيح سمو الامير فيصل لهذا العرش ، فانني اتنازل عن ترشيح نفسي لأني أرى في شخص الامير فيصل جميع الصفات والمواهب التي تؤهله لأن يتولى ذلك العرش واني اقابل ترشيح سمو الأمير فيصل بكل ابتهاج ، واؤيده كل التأييد ، وارجو من جميع أصدقائي ان يؤزروني بكل قواهم .

اسمه فقط يفزز الانكليز على اساس انه تركي ـ عثماني • وهكذا خلفت المقادير لوالي بشت كوه ، ولأغا خان الهندي •

أما هادي العمري فانه كان يقيم في تركية وسبق له ان اشغل المناصب العليا في العهد العثماني ، وفضل الاستمرار على الحياة في اسطنبول على العودة الى العراق •

وكانت هناك فئة من السياسيين . أمثال السيد عبد الرحمن الكيلاني ، والسيد طالب النقيب ، وعبد المجيد الشاوي ، وتوفيق الخالدي . وحكمة سليمان . ومعروف الرصافي . وغير هؤلاء من الاتحادين يسندهم جون فلبي مستشار وزارة الداخلية ، ورايلي مستشار المعارف الا ان هؤلاء كانوا يدعون الى النظام الجمهوري •

وفاجأ تشرشل المجتمعين • فعرض اسم الأمير فيصل مرشحا للعرش وقال : ان فيصل من بيتٍ رفيع . وانه ابن الملك حسين شريف مكة المكرمة الذي وطد توده بين العرب وثبت شخصيته بين رجال الدين فهو خليق بأن ينال تشجيع الحكومة البريطانية اذا انتخبه العراقيون • فأومأت الرؤوس أن نعم ، فهتف الناس : ليحيى فيصل ملك العراق ، وهمس ابليس في اذن الزمان ليحيى تشرشل . وقد أوجب تدخل البريطانيين في اختيار فيصل لعرش العراق مباحثات دقيقة واقوالا كثيرة[٦] •

ومن لطيف ما يروى عن مؤتمر القاهرة ان ساسون حسقيل وزير مالية العراق سأل المستر تشرشل قائلا : جرت العادة في البلاد المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية أن يأتيها أمراؤها من الشمال الى الجنوب ، ولم يسبق ان جاءها أمير من الجنوب فكيف تعللون هذا الحدث ؟ فرد عليه تشرشل :

---

(٦) لوذر في كتابه « القول الحق في تاريخ فلسطين وسورية والعراق » ص١٠٩ •

ان ذلك لصحيح ولكن لا تنسى ياساسون افندي ان مستر كورنواليس ذاهب مع الامير فيصل وهو من الشمال(٧) .

قلنا : ان كورنواليس صحب الملك فيصل الى العراق ، وقد أشغل منصب مستشار وزارة الداخلية حتى عام ١٩٣٥ حيث لم يجدّد عقد خدماته بعد هذه المدة الطويلة ، ثم جاء سفيرا لحكومته في العراق في نيسان ١٩٤١ ولبث في منصبه حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية في منتصف عام ١٩٤٥ .

**حركة فيصل**

كان الامير فيصل قد حضر الى القاهرة اثناء عقد المؤتمر ليراقب سير الامور عن كثب . فلما انتهى المؤتمر توجه الى مكة المكرمة ليطلع والده على ما جرى وتم . أما تشرشل فبعد انتهاء المؤتمر توجه الى القدس واستدعى الأمير عبد الله الذي كان ما يزال في معان وعمان ، في محاولة الثأر لأخيه فيصل في قضية تقويض الفرنسيين لملكه في دمشق ، وأفهمه بصريح العبارة أن أخاه سيتولى الحكم في العراق بدلاً من أن يتولاه هو .

يقول الملك عبد الله في ص (١٦٢/١٦٥) من كتابه « الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين » : جاءني من جلالة والدي أن وزير المستعمرات البريطانية مستر تشرشل موجود في القدس وقد يطلب أن يزور وادي موسى ـ البتراء ـ أو قد يدعوني الى القدس لاقابله فيها ، واوصاني جلالته بأن أقوم بالواجب بكل اكرام ورعاية . ثم تلقيت دعوةً من السر هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني في القدس لزيارة القدس ومقابلة وزير المستعمرات فقبلت الدعوة وتعين اليوم . قال مستر تشرشل ان الحكومة البريطانية محايدة في القضية بين العرب والفرنسيين الذين هم حلفاؤها لهذا فانها تنصح بلزوم

(٧) عبد الرزاق الحسني في كتابه « العراق في دوري الاحتلال والانتداب » ٢٠١/١ مطبعة لعرفان بصيدا عام ١٩٣٥ .

انصراف الأمير فيصل بن الحسين عن سوريه وسفره الى العراق ليرشح نفسه لملك العراق • وأوضح مستر تشرشل ان الحكومة البريطانية متأكدة من أن فرنسة لا تتعاون بوجه من الوجوه مع الملك فيصل أو الامير زيد ، وأنها لا ترى على عرش العراق الا الشخص الذي تأمن جانبه • وأشار الى أن طلاب عرش العراق كثيرون منهم ابن النقيب ، وابن سعود ، وخزعل خان ، وأشار مستر تشرشل بأنه يجب علي أن اساعد على ذلك وأن أؤثر على والدي بان يقبل به وأن أؤثر كذلك على اهل العراق ان يرضوا بفيصل ملكاً عليهم ثم أن أبقي أنا في شرقي الاردن على تفاهم مع الفرنسيين فاسير بالناس سيرة تبتعد عن تحديهم ، وانه اذا تم هذا فيؤمل أن تعيد النظر في الامر وبالنتيجة فانه يعتقد ان بالاستطاعة بعد ستة اشهر أن يهنئنا برجوع الشام الينا »[٨] •

ملاحظة : اقتصر عرش الامير عبد الله على شرقي الاردن ، أي القسم الجنوبي من سورية • ويقول مؤلف كتاب « في طريق الهند » في ص ٣٣٠ من كتابه :

« وقد اراد الانكليز بتأسيس هذه الامارة وتنصيب الامير عبد الله عليها ان يجعلوا منها سورا يدفع خطر البادية عن فلسطين ، ووسيلة لدوام العداء بين العائلة السعودية والعائلة الهاشمية » •

**تهدئة المنافسين للفيصل**

كانت المس بيل ، السكرتيرة الشرقية للمندوب السامي في العراق ، كثيرة الاتصال بالسيد عبد الرحمن الكيلاني رئيس الحكومة المؤقتة التي أقامها المندوب المذكور في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٠ • وقد ذكرت في مذكرة لها رفعتها الى حكومتها البريطانيــة في شباط ١٩١٩ أنها سمعت من السيد

(٨) كتاب « الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين » ص١٦٢/١٦٥ •

الكيلاني ذات يوم يقول : « أما بالنظر الى الحكومة العراقية فان مقتي للادارة التركية الحاليه معروف لديكم الا اني افضل عودة الترك ألف مرة على ان أرى الشريف أو احد أنجاله يحكم هذه البلاد »[٩] فاستطاعت الحكومة البريطانية ان تحمله على تغيير رأيه لما علم ان الحكومة المذكورة مصممة على اسناد عرش العراق الى احد انجال الشريف .

وكان السيد طالب النقيب أشد الطامعين بعرش العـراق . فاستطاع المندوب السامي البريطاني ان يبعده عن العراق في ١٦ نيسان ١٩٢١ . وكان الامير عبد العزيز آل سعود قد سمع بما تقرر في القاهرة وما تنويه الحكومة البريطانية تجاه الامير فيصل ، فكتب الى السيربرسي كوكس رسالة مطولة في ١٨ مايس ١٩٢٠ يذكره بالاعمال التي ارتكبها الحسين وأولاده ضدهم ، والمخاطر التي ستتولد من وجود الهاشميين الى جوار السعوديين[١٠] . ولكن الحكومة البريطانية استطاعت أن تبدد مخاوفه وتزيد مخصصاته السنوية ، كما استطاعت أن تحمل الشيخ خزعل على سحب ترشيح نفسه لعرش العراق . أما الامير برهان الدين العثماني وأمير بشت كوه الايراني ، والاغا خان الهندي وهادي باشا العـسري فلم يلتفت الى مساعيهم لتفاهة مراكزهم . اما فلبي مستشار وزارة الداخلية الذي كان يروج للحكم الجمهوري فقد أقصـاه المندوب السامي عن منصبه .

### توجه فيصل نحو العراق

بعد أن وصل فيصل الى الحجاز وأطلع والده على سير الامور وما تم في القاهرة ، أبرق الملك حسين الى رجالات بغداد البرقية الآتية :

« نشكركم على دعوتكم لنا لمعاونتكم فيما ينتابكم من المشكلات .

---

(٩) نص مذكرة المس بل الى حكومتها البريطانية في شباط ١٩١٩ .
(١٠) نص الرسالة في آفاق عربية لشهر آب ١٩٧٨ ( ٣/١٢ ) .

وليس بخافٍ على اهل العراق ولا على غيرهم ما بذلناه من المجهودات والقوى اثناء الحرب الكبرى في سبيل تحقيق رغائب العرب القومية وذلك بمعونة الله عزوجل وحلفائي . واني لم افتأ ابذل هذه الجهود حتى الان . وحيث اني انظر الى دعوتكم كدعوة وطنية خالصة فاني سأبعث فيصل اليكم ليعينكم في العراق والله أسأل ان يتوج اعمالنا بالنجاح ويهدينا جميعا لما فيه خير الامة وسعادتها ...

الحسين »[11]

كما ان الامير فيصل أبرق الى نقيب بغداد . والى السيد طالب النقيب مثل هذه البرقية ثم تلقى ما يلي :

الى حضرة صاحب السمو الملكي الامير فيصل أيده الله

سيدي العزيز . بعد ابداء جزيل التحية وعظيم التوقير . قد وصلتني البرقية الاتيه هذا الصباح من لندن وهي :

« تصل الباخرة نورث بروك وبها محلات لعشرة اشخاص الى جده . وتقوم من هناك الى البصرة . الرجاء أن تطلبوا من سمو الامير آن يكون مستعدا لكي لا تتأخر الباخرة . ويجب ان تحتوه ان تكون حاشيته مركبة من محض عراقيين ــ انتهى ــ واني ارجوكم افادتي متى تأتون الى جده مع افادتي بعدد اسماء من سيكونوا بمعيتكم الى البصرة وتقبلوا خالص توقيراتي .

مخلصكم : الميجر مارشال ــ معتمد بريطانيه[12]

وقد استقل الامير فيصل الباخرة البريطانية نورث بروك من جده في اليوم الثاني عشر من شهر حزيران ١٩٢١ واستقلها معه السيد محمد الصدر ، والسيد علوان الياسري ، والسيد محسن ابو طبيخ ، والسيد هادي مكوطر ،

---

(١١) من آرشيف صاحب البحث .

(١٢) من آرشيف صاحب البحث .

والشـيخ يوسف السـويدي ، والحـاج رايـح العطيـة ، وكـان هؤلاء من زعماء الثورة وقد هربوا من تعقيبات الانكليز ولجأوا الى الحجاز ، كما استقلها كل من السادة : رستم حيدر وأمين الكسباني وتحسين قدري وعلي جودة الايـوبي وابراهيم كمـال وصبيح نجيب ومكي الشـربتي وكورنواليس ، عين حكومته البريطانية ، والذي عين مستشارا لوزارة الداخلية. وما كادت الباخرة تقترب من المياه العراقية حتى ابرق الامير فيصل البرقية التالية الى السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب اشراف بغداد ورئيس الحكومة المؤقتة .

بغداد فخامة رئيس الوزراء حضرة النقيب ٢٢ حزيران ١٩٢١

بمزيد السرور اخبر فخامتكم بأني واصل البصرة الجمعة . شاكرا للمولى عزوجل الذي أسعدني بقرب لقاكم ومشاهدة البلاد التي هي محط مفاخـر الاجداد واثقا بازدياد عواطفكم الودية اتم وزملاؤكم وكافة الشعب العراقي الكريم ..

فيصل

وقد أسرع الرئيس عبد الرحمن النقيب فرد على هذه البرقية بالجواب الآتي : :

ضياء مصباح النبـوة والكوكب الدري في سماء الشرف سمو الامير فيصل حفظه الله تعالى ..

الباخرة نورث بروك

لقد اخذت بيد الاحترام برقية سموكم الدالة على عواطفكم الهاشمية نحو هذا الداعي ، والمبشرة بقدوم سموكم البصرة يوم الجمعة ، فامتلأ القلب سرورا فنشكركم شكرا وفيرا داعين لسموكم بسرعة الوصول بالسلامة مرحبين بقدومكم الميمون نحن والوزراء والشعب .

رئيس الوزراء ــ عبد الرحمن

لم يكتف السيد النقيب ببرقية الترحيب التي طيرها للأمير فيصل ، وهو في عرض ابحر . بل حمل مجلس الوزراء على اتخاذ قرار ب « تعيين لجنة مؤلفة من حضرات اصحاب المعالي : جعفر باشا العسكري ، وعبد الغني جلبي آل كبة ، وفخر الدين أفندي آل جميل ، وعبد الجبار باشا خياط ، وعبد المجيد بك الشاوي . وعبد الرحمن باشا الحيدري ، لاختيار محل يليق بسمو الامير ، ووضع منهاج لاستقبال سموه ، وأن تتعهد وزارة المالية بصرف المبالغ اللازمة في هذا السبيل » .

ثم ندب خمسة من أعضاء مجلس الوزراء للسفر الى البصرة واستقبال الامير بصورة رسمية . كما ان امانة العاصمة ألفت ــ بالاشتراك مع السلطات البريطانية ــ وفدا قوامه ستون شخصا للاشتراك في هذا الاستقبال .

ورست الباخرة « نورث بروك » في ميناء البصرة في اليوم الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٩٢١ فاستقبل الامير العربي استقبالا رائعا ، وتوجه رأسا الى الدار المعدة لاقامته . وهي دار احمد باشا الصانع ، حيث اقيمت فيها مأدبة غداء فاخرة حضرها لفيف من الوجوه والاعيان ، مضافا الى الذوات الذين قدموا مع سموه ، وكان احمد الصانع ومعه عبد اللطيف باشا المنديل قد رفعا عريضة الى المندوب السامي البريطاني بتاريخ ٢٠ مايس ١٩٢١ يطلبان فيها منح البصرة نوعا من الاستقلال الذاتي ، كما أسهما في عريضة وقعها ٥٤٠٠ ذات من أهل البصرة بتاريخ ١٣ جون ( حزيران ) ويطلبون فيها فصل البصرة عن العراق[١٣] مع ان احمد باشا كان عضوا في الوزارة التي ألفها السير برسي كوكس في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٠ وان كان بدون حقيبة وزارية . وقد خطب الامير فيصل في المأدبة الكبرى التي أقامها

---

(١٣) تراجع مضبطة الصانع والمنديل في ص٩٨ من الجزء الاول من تاريخ الوزارات في طبعته السادسة .

الصانع على شرفه خطبة مطولة حث فيها السامعين على التمسك بالوحدة العراقية . وعلى التضامن والتآزر ورفع الضغائن والاحقاد لاستقبال عهد جديد ومستقبل عتيد[14] .

وتابع الامير فيصل وصحبه سفرهم الى بغداد فكانت الاستقبالات التي تجري في المحطات تختلف باختلاف عقليات الحكام السياسيين ونوابهم من البريطانيين والهنود .

ويذكر السيد علي جودة الايوبي الذي قدم مع الامير من الحجاز في ص ١٤٤ من مذكراته « ذكريات علي جودة » حادثا غريبا جرى للأمير عند وصوله الحلة الفيحاء في طريقه الى الكوفة والنجف وكربلاء ، وهذا نص ما كتبه :

« نزل الملك في الحلة ليعرج منها على الاضرحة المقدسة في الكوفة والنجف وكربلاء فيزور اجداده الاطهار فيها قبل أن تطأ قدماه بغداد ... ولابد ان اشير الى صلف برترام توماس ـ المفتش الاداري في الحلة ـ وقلة ذوقه ، حين دخل على الملك فيصل ، وكنا أنا والمرافق صبيح نجيب حاضرين ، ووجه اليه سؤالا سمجا :

برترام توماس : ليش جنابك جيت الى العراق ؟

الملك فيصل : لماذا تسألني ؟

توماس : لأن الأهالي لايريدونك

فيصل : ولماذا تريد أن تتدخل أنت بيني وبين الأهالي ؟

توماس : حتى أخبرك

فيصل : لست بحاجة الى خبرك وسوف ترى ما اذا كانوا يريدونني أم لا » .

---

(١٤) تراجع هذه الخطبة الخطيرة في ص١٢٠ من الجزء الاول من كتابنا « العراق في دوري الاحتلال والانتداب المطبوع في مطبعة العرفان بصيدا ـ لبنان عام ١٩٣٥ .

وقد لقي الامير القادم استقبالا منقطع النظير في النجف وكربلاء ، على الرغم من تغيب متصرف لواء كربلاء عبد الحميد خان عن مقر وظيفته • وفي ٢٩ حزيران ١٩٢١ وصل القطار الذي يقل القادم الكبير ورجال حاشيته الى بغداد فاستقبل استقبالا فخما ، على الرغم من حرارة الصيف ، واخذت ولائم الترحيب وحفلات التكريم تقام لسموه من قبل الاوساط الشعبية والقومية على اختلاف أنواعها وميولها • وكانت الخطب والقصائد الوطنية ، تلقى في هذه الحفلات وكان سموه يرد عليها بأجوبة رزينة وحكم مختلفة • واراد السير برسي كوكس المندوب السامي البريطاني ، أن يستغل هذا الشعور ، فأذاع بيانا مطولا شرح فيه الخطاب الذي القاه وزير المستعمرات في مجلس العموم البريطاني يوم ١٤ حزيران وجاء فيه :

« لعلكم تذكرون أنه نشر في العراق في شهر حزيران ١٩٢٠ بلاغ جاء فيه : ان السير برسي كوكس عائد في الخريف ، وقد عهد اليه انشاء حكومة عربية محضة ، وقد انجز الشيء الكثير من ذلك •• وفي النية الاستعاضة عن هذه الحكومة المؤقتة بادارة أساسها جمعية عمومية منتخبة ، وذلك في بضعة الاشهر المقبلة واجلاس حاكم عربي تقبله البلاد ، وانشاء جيش عربي لأجل الدفاع الوطني • وليس في النية اكراه الشعب على قبول حاكم مخصوص ، وستطلق الحرية التامة في البحث والافصاح عن الرأي سواء كان ذلك في انتخاب الحاكم أم انتخاب الجمعية العمومية • ولما كانت الدولة المنتدبة قد تكبدت نفقات باهضة فلا يمكنها والحالة هذه أن تتغاضى عن مسألة حيوية هذا شأنها • فطبيعة الحال تقضي بأن تكون رغبتنا انتخاب أفضل المرشحين • وقد بلغت حكومة صاحب الجلالة البريطانية الامير فيصلاً انها لا تعارض على ترشيحه ، وانه اذا تم انتخابه فالحكومة البريطانية تؤيده • وهو في طريقه الآن الى البصرة ولا شك في أنه اذا انتخب فيصل نكون قد توصلنا الى حل فيه خير مستقبل سعيد ناجح » •

هذا هو الخطاب الذي القاه وزير المستعمرات في مجلس العموم البريطاني ، واراد المندوب السامي في العراق أن يشرحه للرأي العام لمناسبة وصول الامير فيصل الى العراق • والتناقض ظاهر فيه ظهور الشمس في رابعة النهار • فبينما يقول الوزير « وليس في النية اكراه الشعب على قبول حاكم خاص » يعود فيقول « وقد بلّغت حكومة صاحب الجلالة البريطانية الامير فيصلاً أنها لا تعارض في ترشيحه ، وأنه اذا انتخب فيصل نكون قد توصلنا الى حل فيه خير مستقبل سعيد ناجح » • وقد كانت الحكومة المؤقتة التي تكونت في بغداد تعمل تحت ارشاد المندوب السامي وتوجيهه فهل كان بامكان وزير أو رئيس ان يخالف الامر في انتخاب الامير فيصل ملكا على البلاد ؟

## العدول عن فكرة المؤتمر

يفهم من البيان الذي القاء وزير المستعمرات في مجلس العموم البريطاني في الرابع عشر من حزيران سنة ١٩٢١ ، ومن البيانات كافة التي صدرت في العراق ، بعد التاريخ المذكور ، أن النية كانت متجهة نحو تأليف مجلس منتخب يمثل الشعب تمثيلا صادقا لانتخاب رئيس للدولة العراقية بحيث يحظى برضاء الشعب وتأييده • ولكن مؤتمر القاهرة الذي عقد في ١٢ آذار اتخذ قرارا ضمنيا بترشيح الامير فيصل لعرش العراق ، وعهد الى المندوب السامي اتخاذ التدابير اللازمة لتحقيق ذلك • ويقول الدكتور فيليب آيرلند في كتابه : IRAQ--A. Study in Politcal Devlorment بان ايةمحاولة عاجلةتتخذ لجمع المجلس سوف لا تكون ضربة قاضية على السياسة البريطانية وعلى تنصيب أمير شريفي بمقتضى ما صادقت عليه الدوائر البريطانية حسب ، بل سوف يسبب ذلك حدوث قلاقل جديدة اذا لم يسبب ثورة حقيقية •

لهذا فلما أمر ديوان الحكومة الموقتة ان يسأل ديوان المندوب السامي عن سبب عدم صدور قانون الانتخاب للمجلس موضوع البحث ، أجاب ان السبب

في ذلك هو وجوب ايجاد حل لمشكلة الاكراد القاطنين في العراق . وتباين وجهات نظرهم تجاه الحكم المنوي اقامته في العراق ، وانه يخشى ان تطول المدة المقتضية لاجراء الانتخاب للمجلس المطلوب . في حين ان الرأي العام يزداد حرصا على انتهاز الفرصة لتعيين حاكم للبلاد . لهذا اتخذ مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ١١ تموز ١٩٢١ قرارا باحداث طريقة سهلة لاعطاء الشعب العراقي فرصة يظهر فيها رغائبه ويختار ملكا للبلاد . فقرر مجلس الوزراء باتفاق الآراء ، بناء على اقتراح فخامة رئيس الوزراء المناداة بسمو الامير فيصل ملكا على العراق ، ويشترط أن تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون .

ولما تبلغ المندوب السامي بما قرره مجلس الوزراء ، ادعى ان النقيب لم يستشره بما قرره من تلقاء نفسه . ومع ذلك فانه اوعز الى سكرتيره أن يكتب الى سكرتير مجلس الوزراء :

« يجب قبل أن يوافق فخامته على القرار ويؤيده ، أن يطلع على رأي الامة في هذا الخصوص مباشرة . وعليه ففخامته يرجو من مجلس الوزراء اصدار الامر لوزارة الداخلية بوضع الوسائل المقتضاة التي يوافق عليها لاجراء التصويت العام » .

ولم يكتف المندوب السامي بذلك بل اذاع بتاريخ ١٦ تموز ١٩٢١ بيانا تحت توقيعه قال فيه :

« ان فخامة المندوب السامي يشعر أنه ، مع وجود جميع الاسباب التي تحمله على الاعتقاد بأن قرار المجلس السالف الذكر يمثل شعور البلاد السائد . يرى أن من الواجب عليه أن يحصل على تصريح مباشر من الامة بموافقتها قبل ان يوافي المجلس بموافقته على القرار المذكور . وعليه فقد طلب فخامته الى مجلس الوزراء أن يوعز الى وزارة الداخليه بأن تتخذ التدابير الادارية للحصول على تعبير رسمي عن رغائب الشعب . اما الطريقة المبينة للحصول على تعبير

رسمي عن رغائب الشـــعب • اما الطريقــة المبينــة للحصــول على ذلك فستعلن في حينها »[15] •

وعلى هذا أصدرت وزارةالداخلية أوامرها الى متصرفيالالوية أن يستحصلوا مضابط من الاهليين بترشيح الملك فيصل ، وعينت لجانا تجوب البلاد من شمالها الى جنوبها لهذا الغرض • وكانتكل لجنة تستدعيمجموعات في كل محلة ثم يتلو أحدهم خطابا يمجد فيه جهاد فيصل ، ويطلب التصويت على انتخابه ملكا • وكان ببعض المشاورين البريطانيين في بعض الالوية يوعزون الى البسطاء من الاهليين أن يضيفوا الى المضابط المعدة صيغتها من قبل وزارة الداخلية بموافقة المندوب السامي ، شروطا وعبارات لا تعلم بها الجهات العليا في بغداد بحيث جاءت النتائج مختلفة باختلاف الالوية •

وننشر فيما يأتي جدولا بهذه النتائج بعثت به وزارة الداخلية الى مجلس الوزراء برقم ١٥١١٩ وتاريخ ١٨ آب ١٩٢١ :

قدم لواء بغداد ١٥٧ مضبطة ، ٦٨ منها تشترط قيام حكومة دستورية نيابية حرة ديمقراطية مجردة من كل قيد ومنقطعة على سلطة الغير ، وتشترط جمع المؤتمر العام خلال ثلاثة أشهر • أما هذه المضابط فست وستون منها خاصة ببغداد فقط •

وقدم لواء « الدليم » ١٦ مضبطة موقع عليها من زعماء القبائل وزعماء البلاد بقبول ملوكية الامير فيصل بشرط بقاء مشارفة الدولة البريطانية عليها •

وقدم لواء البصرة ٧؟ مضبطة • وقد ذكر المتصرف بأن الاكثرية رفضت في باديء الامر التصويت الى ان اخذت تأكيدا ببقاء الوصاية والنظر في مطالب البصريين الخاصة ، وبعد ذلك وقعوا على المضابط •

اما لواء ديالى فقدم ٤١ مضبطة بالموافقة المطلقة •

---

(١٥) نصوص القرارات بحذافيرها في ص ٥٣ من الجزء الاول من « تاريخ الوزارات العراقية » في طبعته لسادسة •

واما لواء « الحلة » فقدم ٤١ مضبطة وقع رؤساء القبائل وزعماء الاهالي على ١٣ من هذه المضابط قابلين بسلوكيه الامير بشرط أن تبقى وصاية الدولة البريطانية .

وقدم لواء كربلاء ٢٨ مضبطة بالموافقة المطلقة .

وقدم لواء « العمارة » سبع مضابط . اثنتين منها تخص الطوائف غير المسلمة . اما البقية فتشرط ابقاء الوصايــة البريطانية وعدم الاستغناء عن خدمات الضباط البريطانيين في جميع الشؤون الادارية وغيرها .

اما لواء « الموصل » فقدم ٩٧ مضبطة ست مضابط منها تطلب المحافظة على الحقوق الكردية وسائر الاقليات ، وسبع مضابط تطلب الوصاية البريطانية وعشر مضابط تشترط أن تكون الحكومة العراقية الجديدة تحت وصاية الدولة البريطانية وأن تقبل استشاره ودلالة الدولة وضباطها في الامور الملكية والعسكرية ورعاية اللغة الكردية في الدوائر الرسمية والمدارس الابتدائيه ومحافظة الحقوق السياسية والعدلية في كردستان .

واما لــواء « كركوك » فقــدم ٢٠ مضبطة بالموافقــة و٢١ مضبطة بالمخالفة ، ولم تكمل المضابط . فالعشرون بالموافقة لا شــرط فيها . وأما المضابط المخالفة فترجع الانتظار . واكثر المضابط الموافقة هي من قضاء اربيل .

ومن طريف ما يروي عن انتخاب لواء كركوك ، أن مدير ناحية طاووق السيد محمود فخري لما تلقى الامر بتنظيم مضبطة ناحيته نظمها على اساس ترشيح الامير فيصل لعرش العراق . ثم شاع في المساء ان الانكليز عدلوا عن هذا الترشيح . ولما لم تكن وسائل المخابرات البرقية والتلفونية ميسورة بين الناحيه ومركز اللواء ، نظم المدير المذكور مضبطة ثانية برفض الامير . فلما كان اليوم التالي توجه الى كركوك وقابل مشاور اللواء « ميللر » فسأله عن المضبطة فرد عليه أيهما تريد ؟ التي بالموافقة او التي بالمخالفة ؟ فأخذ المشاور المضبطتين معا .

وقدم لواء « المنتفك » ٣٩ مضبطة ٢٤ منا تشترط بقاء الوصاية البريطانية ومساعدتها للملك فيصل ٠

وكانت ألوية « الكوت » و « الديوانية » واربيل أقضية تابعة الى بغداد و « الحلة » و « كركوك » ٠ ولم تشترك السليمانية في التصويت ٠

ويقول Philirp Craows في ص ٢٠٩ من كتابه The Life of Percy

كان فيصل وكوكس معاً يعارضان أية محاولة من الوطنيين المتطرفين لاستعجال التتويج ، اذ كان كلاهما يشعر ان ملك العراق يجب الا يكون مدينا لفئة معينة نتيجة لعملية انتخابية غير مشروعة وان الشرعية تقضي ان يكون التصويت للتتويج باجماع الشعب ، وبطريقة دستورية ، فلا يصبح الملك أسيرا لفئة معينة ٠ كما كان كوكس يشعر في قرارة نفسه ان حكومته التي مهدت الامور لفيصل يجب ان تقطف ثمار جهودها ٠

**برقيات هامة وخطيرة**

بعد ان وصل الملك فيصل الى العراق في حزيران ١٩٢١ ، جرى الاستفتاء المعلوم للمناداة به ملكاً على العراق « وتشترط ان تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون » واقترب موعد اقامة حفلة التتويج المبارك ودارت بين المندوب السامي في العراق ، ووزير المستعمرات البريطانية في لندن ، خمس برقيات مهمة وعلى جانب عظيم من الخطورة لما تضمنته من معلومات وأسرار غامضة ٠ وقد رأينا أن تنشر هذه البرقيات السرية بنصوصها المطولة لأن في هذا النشر فوائد تاريخية عظيمة ٠ وفيما يلي هذه النصوص بالتسلسل :

١ ــ بغداد ٣١ تموز ١٩٢١

نتائج التصويت وصلت الي من معظم الامكنة ولم تبق شبهة في النتيجة ، وهنا ، الرأي العام ، بما فيه رأي سموه ورأيي ، يرتأي أن يكون

التتويج في أقرب وقت طبعا . على اثر هذا سيطلب سمو الامير القيام بمهامه الملكيه بمشورتنا ، وهو يود أن يلقي بيانا على الناس يوضح فيه سياسته المقبلة بصفته كونه ملكا على العراق ، ولا سيما مناسباته مع حكومة جلالة الملك . ومن الضروري له ولي تعيين الخطوط المفصلة التي تعين مناسباتنا مع بعضنا بعد ارتقاء العرش . وهكذا تظهر أمامنا ضرورة عاجلة لتنظيم العلاقات الراهنة وطمأنة الرأي العام بعدم عرقلة التقدم الذي سرنا في طريقه حتى الآن . كذلك يترتب علينا في الوقت نفسه ان نطمئن الموقف السياسي العام وواجباتنا تجاه حلفائنا وتجاه عصبة الامم . وعلى قدر علمي ان الامير فيصل يوم توج ملكاً على سورية اعترف به فعلاً من قبلنا ومن قبل فرنسا ولكن لم تتخذ أية وسيلة للاعتراف به اعترافا دوليا ، واني الآن لمتردد الى أية درجة يمكن تطبيق حالة سورية على وضعنا في الوقت الحاضر . فمن الناحية الدولية حكومة جلالة الملك هي الموكل اليها من قبل الحلفاء المحافظة على هذا الجزء من الاراضي التي انسلخت من تركية وذلك الى أن يصادق على معاهدة الصلح ، والقرار الاخير الذي سيتخذ تجاه قضية الانتـــداب . ومن الحري أن أفصح هنا بمناسبة التصويت الذي يجري الآن . أن بعض العناصر المتطرفة في بغداد جعلت قبولها بملكية فيصل أن يكون بعيدا عن أية سلطة أجنبية . اما الامير فيصل نفسه فانه يود ان يكون في وضع يساعده قريبا على الاعلان بصراحة ، وبموافقة منا ، بأن قبوله لهذا المنصب وسياسته المقبلة سيكونان مستندين على مساعدتنا وحدنا دون غيرنا ، وهو في الوقت نفسه معارض لاستعمال كلمة الانتداب على ما يفهمه الناس ، وأنه يتوقع أن تنظم العلاقات بموجب معاهدة تعقد بين حكومتين مستقلتين كأن تكون بين أخوين أحدهما كبير والآخر صغير . اذا لم توضح هذه الامور منذ الان فستكون هناك صعوبات تعترض العلاقات بيني وبين الملك والتفريق بين مسؤولياتنا المتقابلة .

« برسي كوكس »

٢ ـ لندن في ٩ آب ١٩٢١

اوافق على ما اقترحتموه بخصوص تتويج فيصل في اقرب وقت ممكن، تاركا لكم تعيين التاريخ ولكن يجب اعلامي به حالا . لا شك أن من المطلوب أن يعلن فيصل عند اعتلائه العرش ، ان قبوله للملكية منوط باستمرار مساعدتنا وحدنا . اما حكومة صاحب الجلالة فأنها مستعدة لمؤازرته ولكن ليس في امكانها أن تعلن الآن عن أي تصريح بتعيين المناسبات بينه وبين حكومة جلالة الملك . ان هذه المناسبات ستبت في القانون الأساسي الذي يباشر باعداده هنا من قبل لجنة خاصة حيث نوافيكم بمقترحاتها بأقرب وقت ، ويكون البحث عنه مع الجانب العراقي في الوقت المرهون . لقد اتفقنا مبدئيا بأنه يمكن لحكومة جلالة الملك وللملك فيصل ان يبدلا الانتداب باتفاق ـ معاهدة ـ ما بين المملكتين يعين فيه الموقف الخاص لحكومة جلالة الملك بموجب معاهدة تعقدها مع العراق ، ان هذه المعاهدة ستحل محل المواد الخاصة بعلاقاتنا مع العراق ، وستدرج تلك المواد في القانون الاساسي . والى أن نصل الى هذا الحد فاني أخشى الا تتمكن من تحديد علاقاتنا . كما لا يمكن لفيصل أن يكون في وضع يمكنه من ممارسة واجبات الملك كافة . لقد قبل الانتداب ، فعليه أن يطبق مواده حتى يحل محله نوع آخر من العلاقات ، واني واثق من أنه يدرك ضرورة اتباع مشورتكم في الوقت نفسه على أن يبقى شرفه ومركزه محتفظاً بهما ضمن أوسع الحدود الملائمة للانتداب . على انه من الضروري ان يدرج في القانون الاساسي ما يفهم منه بأن الكلمة العليا في الامور الداخلية ستكون لكم . أما القضايا الخارجية فان حكومة جلالة الملك هي المسؤولة عنها وحدها . اني أسف لعدم تمكني تزويدكم بتعليمات معينة اكثر مما تقدم لأن ذلك مستحيل وقد يضر ببعض القضايا التي ما زالت تحت البحث . ان الموقف حرج ودقيق بدون شك في الوقت الحاضر ولكن لي ملء الثقة بمهارتكم في التغلب عليها .

« تشرشل »

٣ ــ بغداد ١٢ آب ١٩٢١

سيكون التتويج في العشرين من الشهر الحالي على الأرجح وسأخبركم عن الموعد المحدد نهائيا باقرب فرصة ممكنة ، وأتوقع ان يكون الاعتراف النهائي من قبل حكومة جلالة الملك قبل كل شيء فارجو موافقتكم • كان الامير فيصل قد صرح في كافة خطبه التي ألقاها هنا ، بأن مجيئه الى العراق وترشيح نفسه للعرش انما كان على اساس الاشتراك معنا والاعتماد على مؤازرتنا . واني اوافق بان الخطاب الذي سيلقيه في حفلة جلوسه يجب أن يتضمن التصريح بالاعتماد علينا فقط ، ولكن لآجل ازالة الشكوك من هذا المحيط من الضروري ألا يصرح باكثر من ذلك • واني سأعرض عليكم مسودة تتضمن الامور التي ارى من المناسب الجهر بها • والى ان نكون في وضع يمكننا من تعيين المناسبات وتوزيع المسؤوليات بين الملك فيصل والمندوب السامي ، سيبرز سير الاعمال صعوبات لنا جميعا واني لا اشك في أن فيصلاً سيكون حكيما وسيقبل ــ هكذا أؤمل ــ أن يقوم بالعمل في الوقت المناسب على أساس الشروط التي بينتموها ، لكن الصعوبة الاساسية ستكون من غيرة بعض المتطرفين • ولمعالجة هذه الناحية فمن الضروري جدا أن نكون احرارا في أن نتكلم بصراحة عن احتمال تنظيم العلاقات بين بريطانية والعراق على أساس معاهدة تسمح بعقدها الظروف الدولية • ولقد فهمت من برقيتكم المجاب عنها ألا مانع لديكم يحول دون هذا الرأي •

كوكس

٤ ــ من الوايت هول لندن : سري وشخصي الى السير برسي كوكس ــ بغداد ٢٠ آب ١٩٢١

يجب أن تقول لفيصل من قبلي انني لم أتبدل للاضرار به بوجه من الوجوه • ان التبدل الوحيد الذي طرأ هو بينما كنا نفكر في جعل المعاهدة بدل العلاقات القائمة في زمن غير محدود في المستقبل ، أردنا الان أن نجعلها في

اقرب وقت . ثانيا يجب ان يوضح له ان الحكومة البريطانية ملزمة بالعمل ضمن طريقة قانونية ومنتظمة وذلك فيما يتعلق بتعهداتها في عهد عصبة الامم وبقية تعهداتها الخاصة كاتفاقية الزيت الانكليزية ـ الفرنسية . ان الحكومة الامريكية تتشدد في قضية المنافع الزيتية فان اتفقت مع فرنسا ضد فيصل فستقع في مشكلات جديدة مع عصبة الامم ، وقد تكون هذه المشكلات صعبة الاقتحام الا اذا اتبعنا طريقا مستقيما تماما . ان من الحماقة أن يبحث فيصل عن وسيلة تخلصه من هيمنة عصبة الامم السامية تلك العلاقة التي تمنحه مركزا مرموقا في المحافل الدولية وفي نظر العالم ومهما كان الامر فاني واثـق من أنا سنعمل معاً بيسر وابتهـاج من الناحية العملية لأن غايتنا أن نحمله من السلطة والمسؤولية ما يستطيعهما ، وأن نظهره كملك حقيقي في نظر شعبه . ولكن يجب أن تناط بالمناسباب ما بين المعتمد السامي والملك وان تساعدوه في تشبثاته في القضايا المهمة . بهذه البرقية وما يتبعها من برقيات رسمية اخرى سوف لا يتعذر عليكم اعداد الخطاب الذي سيلقيه فيصل في حفلة تتويجه ولكم الصلاحية المطلقة في كيفية الاداء . أظن ان تتويـج فيصل في الظروف الحاضرة وفي الموعد المحدد الذي حددتموه مسألة حيوية واني باذل جهدي لاستحصال برقية تبريك من صاحب الجلالة الملك الى فيصل لمناسبة تتويجه .

تشرشل

٥ ـ لم يكتف تشرشل ببرقيته المثبت نصها فويق هذا ، فثناها بالبرقية الآتية في ٢٠ آب ١٩٢١ أيضا :

من لندن الى المندوب السامي في بغداد :

اني اقدر وجهة نظر فيصل كل التقدير . ويجب أن تفهمه من قبلي حالاً بأنه لا مجال لتبدل موقف جلالته بصورة مطلقة . واني شخصيا مهتم بقدر اهتمامك بأن نبذل كل ما في وسعنا لتقوية مقامه في نظر شعبه . لقد كانت

برفيتي ٣٠٤ موضوعة على أساس انه من المتعذر ـ إن لم يكن من المستحيل ـ التخلص من ضرورة وجود قانون أساسي تهيؤه الدولة المنتدبة • لقد درست القضية دراسة دقيقة واحيلت من قبل الوزارة الى لجنة وزارية فيها ناظر الخارجية وناظر الهند والمستر فيشر ممثل جلالة الملك في عصبة الامم • بعد أن اتصلنا بوزارة الخارجية من جديد . علمنا أن من الممكن لنا أن نعين موقفنا الانتدابي الذي كننا به من قبل فنعقد مع فيصل حالاً معاهدة ، ومع هذا فان من المتفق عليه ان القانون الاساسي سيعد بمشاورة السلطات المحلية على أن يصادق عليه من قبلكم قبل أن يتم بصورة نهائية لأننا سنكون مسؤولين عنه تجاه بقية الدول • وفي الوقت نفسه لا نشك في انه قد اتضح لديكم ضرورة منحنا الضمان الكافي لأن نخولنا المعاهدة في صيغتها النهائية القيام بتعهداتنا الدولية واشرافنا على القضايا المالية المهمة . ويكفي أن يعطيكم فيصل تعهدا واضحا في هاتين القضيتين ، ويرجع أن يكون التعهد خطيا وذلك قبل ارتقائه العرش ، وأنا لا أشك في أنه سيفعل ذلك بالنظر لما جاء في تلابيب برفيتكم • أما خطاب العرش فيجب أن ينص فيه على ما يأتي :

« ان الحكومة البريطانية تنفيذا لتعهداتها الصادقة التي دخلنا فيها ، قررت أن تعترف بي ملكاً لدولة العراق المستقلة التي دعيت الى تبوء عرشها من قبل الاكثرية الساحقة في هذه البلاد ، كما تعهدت أن ادخل معها في حلف يكون من وجهة ضامناً لهذا الاعتراف بصورة نهائية ومن وجهة اخرى يخول الحكومة البريطانية القيام بالتعهدات التي تعهدت بها بشأن العراق أمام عصبة الامم • هذا وان اول خطوة اخطوها هي وضع قانون أساسي ديمقراطي تمثيلي للمملكة بالتعاون مع المندوب السامي وممثلي الشعب ، وسيتضمن هذا القانون حقوق ومنافع ورغبات الاهالي كافة ، كما سيتضمن وضع نظام عدلي للعراق يؤمن مصالح الاجانب وحقوقهم المشروعة ويضمن حرية المعتقدات الدينية لبعض الطوائف وكذلك عاداتها بشرط الا تكون مخلة بالامن العام والآداب العمومية ، وستسن قوانين تمنع كل تعرض بالدين »•

اما النهج الذي سنتبعه هنا فيتلخص فيما يلي :

سنوضح لمجلس الامم الطريقة التي سلكناها حتى الان لتنفيذ صك الانتداب . وان الترتيبات الاساسية التي تمت حتى الان ، بما فيها انتخاب فيصل من قبل الاكثرية الساحقة ، قد اقنعتنا بأن العراق بلغ مرحلة من التقدم جعلته في وضع يستطيع أن يقف بمفرده . ومكنتنا من القيام بتعهداتنا تجاه عصبة الامم وذلك بواسطة معاهدة تعقد بين الطرفين ويصادق عليها من قبل عصبة الامم حيث يخول المجلس وضع الخطط اللازمة التي ستكون اساسا للمعاهدة . ومن المحتمل أن تترك العصبة بعض المواد المدرجة في صك الانتداب الى عهدة فيصل فيقوم بها منفردا . اما المواد المتعلقة بمسؤوليتنا تجاه عصبة الامم وتجاه بقية الدول فان من الضروري أن تبقى في عهدتنا الى بعض الوقت ، وانا واثق بأن فيصل يدرك ذلك كله . وعليه يجب ان تساعدنا المعاهدة على القيام بتعهداتنا كما انه موافق بانه من المستحسن أن يكون واضحا بان ادخال المناطق الآهلة باكثرية كردية في المملكة العراقية لم تقرر بعد .

« تشرشل »

## يوم التتويج

بهذه البرقيات الخمس ، تحدّد يوم التتويج ، كما تحددت صيغة خطاب العرش الذي سيلقيه الملك فيصل بهذه المناسبة . وتضمن الخطاب أسس القانون الاساسي الذي سيوضع للعراق وما يقتضي ذكره من مراعات لمصالح الاجانب وحقوقهم المشروعة ، وضمان حرية المعتقدات الدينية لبعض الطوائف غير المسلمة .. الخ .

ففي يوم ١٨ ذي الحجة سنه ١٣٣٩ و ٢٣ آب سنة ١٩٢١ للميلاد وفي الساعة السادسة صباحا أقيمت حفلة التتويج في ساحة برج الساعة ( بالقشلة )

وحضرها عدد كبير من الاعيان والوجوه والسراة ، بينهم بعض ممثلي المناطق التي اشتركت في التصويت . ثم أقبل الامير الهاشمي يحيط به المندوب السامي السير برسي برسي كوكس . وقائد القوات البريطانية الجنرال هالدين، والمستشار الخاص الكولونيل كورنواليس فمفتش حرس الشرف المعد لتحية سموه . واقتعد المحل الخاص فوق منصة مرتفعة ، جاعلا المندوب السامي عن يمينه ، وقائد القوات عن شماله ، وجلس في الصف الثاني كل من السادة رستم حيدر وامين الكسباني ( من السوريين ) وحسين أفنان سكرتير مجلس الوزراء . وبعد لحظات ناول المندوب السامي سكرتير مجلس الوزراء بلاغا تلاه على الجموع المحتشدة . وفيه نص القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء في ١١ تموز ١٩٢١ بمبايعة الأمير فيصل بملوكية العراق ، والامر الذي أصدره المندوب لاجراء التصويت العام الذي أسفر عن اكثرية ممثلة في ٩٧ في المئة من مجموع المنتخبين ، واعتراف بريطانيه العظمى بالامير فيصل ملكا على العراق . ثم قام السيد محمود النقيب ، اكبر انجال السيد عبد الرحمن النقيب، فتلا دعاءً موجزا لمناسبة هذا الحدث العظيم ، ثم اطلقت المدافع ٢١ طلقة تيمنا بهذا الحدث . ثم نهض الملك فيصل فألقى خطابا مدونا استهله بشكر العراقيين على مبايعتهم اياه مبايعة حرة ، وحيا ابناء النهضة العربية الذين استبسلوا مع ابطال الحلفاء وذهبوا ضحية اوطانهم ، وشكر الانكليز على جميل معروفهم ، وحث الناس على الاتحاد والتآلف . وننشر فيما يلي مقاطع من خطاب التتويج كما اقترحها وزير المستعمرات تشرشل في برقيانه المثبتة اعلاه .

قال فيصل : وهناك واجب آخر يدعوني لأن ارتل آيات الشكر للامة البريطانية اذ أخذت بناصر العرب في أوقات الحرب الحرجة فجادت بأموالها ، وضحت بأبنائها في سبيل تحريرهم واستقلالهم ، وأنني اعتمادا على صداقتها ومؤازرتها التي أظهرتها وتعهدت لنا بها ، أقدمت على القيام بشؤون هذه البلاد .

وقال فيصل : وقد صرحت مرارا بأن ما نحتاج اليه لترقية هذه البلاد يتوقف على معاونة أمة تمدنا بأموالها ورجالها . وبما أن الامة البريطانية أقرب الامم لنا واكثرها غيرة على مصالحنا ، فاننا سنستمد منها ونستعين بها وحدها على الوصول الى غايتنا المنشودة في أسرع وقت .

ومما قاله فيصل : الا وان اول عمل أقوم به هو مباشرة الانتخابات وجمع المجلس التأسيسي . ولتعلم الامة ان مجلسها هو الذي سيضع بمشورتي دستور استقلالها على قواعد الحكومات السياسية الديمقراطية ، ويعين اسس حياتها السياسية والاجتماعية ، ويصادق نهائيا على المعاهدة التي سأودعها اليه فيما يتعلق بالصلاة بين حكومتنا والحكومة البريطانية ، ويقرر حرية الاديان والعبادات شرط الا تخل بالأمن العام والاخلاق العمومية ، ويسن قوانين عدلية تضمن مصالح الاجانب ومنافعهم ، وتمنع كل تعرض بالدين والجنس واللغة ، وتكفل التساوي في المعاملات التجارية مع كافة البلاد الاجنبية ... الخ .

وقد عزفت فرقة الموسيقى العسكرية النشيد الملكي « ليَحمِ الله الملك » حيث لم يكن يوجد نشيد وطني عربي يومئذ(١٦) .

### تثبيت الاعتراف البريطاني بالعراق

كان المندوب السامي البريطاني يحث وزير المستعمرات في لندن على أن يقرن اعتراف حكومته بفيصل ملكا على العراق بعطف ملكي خاص ، وقد جاء في البرقية الرابعة من البرقيات الخمس قول الوزير :

» واني باذل جهدي لاستحصال برقية تهنئة من صاحب الجلالة الملك الى فيصل لمناسبة تتويجه « .

وقد هيأت الدوائر المختصة في لندن صيغة البرقية المطلوبة بحيث عينت

---

(١٦) آيرلند . ص٢٦٣ من الترجمة العربية .

الواجبات الملقاة على فيصل ، وذكرته بأمر المعاهدة الواجب عقدها بين الطرفين لتحل محل الانتداب الذي فرضه مجلس الحلفاء الاعلى على العراق في ٢٤ نيسان من عام ١٩٢٠ وهذا نص البرقية :

صاحب الجلالة الملك فيصل ــ بغداد

اقدم لجلالتكم تهاني الخالصة على هذا الحادث التاريخي المؤثر ، الذي قد اصبحت به بغداد مدينة العراق القديمة مرة اخرى مركزا لمملكة عربية بفتوى الاغلبيه الساحقة من أهالي العراق . وانه لمن اشد دواعي الابتهاج لي ولشعبي أن يتوج الجهاد العسكري المشترك للقوات العربية والبريطانية وقوات حلفائهم بهذا الحادث المجيد الذكرى . واني لواثق بان المعاهدة التي ستعقد بيننا قريبا لتوثيق عرى المحالفة التي دخلنا فيها الحرب المظلمة ستمكنني من القيام بتعهدي المقدس بافتتاح عهد سلام واقبال مجدد للعراق .

٢٣ آب ١٩٢١ « آر.آبي.جورج : الملك الامبراطور »

كان لهذه البرقية وقع عظيم في نفس الملك فيصل ، وقد قابلها بفرح وابتهاج ، وأمر باعداد جواب يليق بهذه المناسبة ، ويتعهد بعقد المعاهدة التي ستنظم العلاقات بين بريطانية والعراق . وهذا نص جوابه :

صاحب الجلالة الامبراطورية الملك جورج ــ لندن

اني لمسرور ومبتهج جدا باللطف الملوكي الذي أظهرتموه نحوي ونحو شعبي ببرقية جلالتكم . وفي مثل هذا اليوم المبارك الذي أصبحت به بغداد ، مدينة الخلفاء ، ثاني مرة عاصمة مملكة عربية ، أذكر مفاخرا بما لجلالتكم ولشعبكم الكريم من الايادي البيضاء في تحقيق آمال العرب . واني لواثق بان الامة العربية ستحقق ما لجلالتكم من الاعتماد عليها باعادة مجدها القديم ما دامت مؤيدة بصداقة بريطانية العظمى . ولا شك في أن المعاهدة التي ستعقد بيننا قريبا ستؤكد صلات التحالف التي شيدتها دماء العرب والبريطانيين

الممتزجة في ميادين الحرب الضروس وستكون مؤسسة على دعائم لاتتزلزل .
هذا واني مع شعبي ارجو لجلالتكم ولشعبكم المجيد السعادة الابدية والنصر الدائم .

٢٥ آب ١٩٢١ « فيصل »

**تثمين عرش العراق**

هذه هي قصة رسو عرش العراق على الامير فيصل ابن الشريف حسين وتكوين الدولة العراقية .

وفي كتاب « الملوك الهاشميون » يقول مؤلف الكتاب جيمس موريس :

وكان العراق الذي حكمه فيصل الآن اعجوبة . فقد نص المرسوم البريطاني على قيام ملكية دستورية ولكن الدستور لم يسن بعد ، وكان العراق بلدا واقعا تحت الانتداب ولكن صك الانتداب لم يصادق عليه احد ، وكان المفروض ان يرتبط بمعاهدة مع بريطانية ولكن هذه المعاهدة لم توجد . وطلب العراق ان يكون مستقلا تمام الاستقلال ، بينما اراد الانكليز ـ الهنود ان يكون دولة حاجبة كبهوتان ، وتطلع الانكليز الى ما يحتويه من كنوز البترول .

# ازمة وزارية حادة

## تمهيداً لعقد المعاهدة العراقية ـ البريطانية الجائرة

**تمهيـــد**

لما قررت الحكومتان الفرنسية والبريطانية وضع معاهدة سايكس ـ ـ بيكو السرية موضع التنفيذ[1] وزحف الجنرال غورو بجيشه على دمشق ،

(١) هذه خلاصة لمعاهدة سايكس ـ بيكو المؤرخة في ١٥ـ١٧ ايار ١٩١٦ وجزأت البلاد العربية الى الاقسام الآتية :

١ ـ المنطقة الحمراء : تكون تحت الادارة البريطانية ، وتشمل ولايتي البصرة وبغداد من العراق ، وثغري عكا وحيفا من فلسطين ٠

٢ ـ المنطقة الزرقاء : تكون تحت الادارة الفرنسية ، وتشمل كليكية وجزء من الانضول وقطعة من سورية الغربية ٠

٣ ـ منطقة A. وتكون جزءا من قطر عربي يوضع تحت الحماية الفرنسيه ، ويشمل ولايات دمشق وحلب والموصل ، ويكون لفرنسة ٠٠ حق الافضلية في المشروعات والقروض المحلية ، وفي تقديم المستشارين والموظفين الاجانب لها ٠

٤ ـ منطقة B. تكون جزءا من دولة عربية تحت الحماية البريطانيه ، وتشمل الاراضي الواقعة بين فلسطين والعراق المسماة شرق الاردن فيكون لبريطانية حق الافضلية في المشروعات والقروض المحلية ، وفي تقديـــم المستشارين والموظفين الاجانب لها ٠

٥ ـ المنطقة السمراء تكون تحت ادارة دولية ، وتشمل القسم الجنوبي من سورية، اي فلسطين ، على ان تستشار روسية في نوع الادارة ، ويتفق مع باقي الحلفاء والشريف حسين بن علي شريف مكة المكرمة ٠

وفوض عرش الملك فيصل الهاشمي فيها وأجلاه الى درعا ، كانت البلاد العراقية منهمكة في ثورة دموية ضد الاحتلال البريطاني . فشعرت بريطانية بوخز في الضمير من جراء نكثها للعهود التي قطعتها للحسين بن علي في مراسلات الحسين ـ مكماهون ، والتي وعدت فيها بتكوين دولة عربية واحدة ، فاستدعت فيصلا الى لندن ، وفاوضته في أمر تنصيبه ملكا على العراق اذا تعهد بتنفيذ صك الانتداب الذي فرضه مجلس الحلفاء الاعلى المنعقد في سان ريمو بتاريخ ٢٤ نيسان ١٩٢٠ وعهد به الى بريطانيا . كما عُهد بالانتداب الفرنسي على سورية ولبنان في اليوم المذكور . ولما كان العراق يأبى الاعتراف بهذا الانتداب، وأعلن ثورته الكبرى عليه في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ . فقد وعد تشرشل ، وزير المستعمرات البريطانية ، فيصلاً بأن يُفرّغ هذا الانتداب في قالب معاهدة تعقد بين بريطانية والعراق دون ان يذكر فيها اسم الانتداب ، وتبوأ فيصل عرش العراق في ٢٣ آب على هذا الاساس .

**تأليف اول وزارة**

وقد تألفت في بغداد بعد تتويج الملك فيصل ، وزارة برئاسة السيد عبد الرحمن نقيب أشراف بغداد ودخلت في مفاوضات مزعجة من اجل وضع المعاهدة المطلوبة . وكان الشعب العراقي ، ولا سيما القسم المثقف منتبهاً الى ما يراد تكبيله به من قيود تحول دون تمتعه بنعمة الاستقلال ، وكانت التظاهرات والاحتجاجات تسود منطقة الفرات الاوسط اذ لم تكن بغداد قد تملكت زمام الامور بصورة صحيحة ، وقد انعكست هذه التبرمات على مجلس الوزراء فصار الوزراء يتخوفون جزعا ، واذا بمجلس الوزراء يتخذ القرار الآتي في التاسع من آب ١٩٢٢ ولم يمض عام واحد على تتويج الملك فيصل :

« وتكلم معالي وزير الداخلية توفيق بك الخالدي مبينا الاسباب التي دعته الى تقديم استقالته في ٣ آب ١٩٢٢ فقال

اني رأيت منذ عشرة أيام ظهور علائم الوهن في المملكة المتسبب عن عدم اتساق المعاملات والمؤدي الى مشاغبة المتطرفـين والحركة ضد سياسة الحكومة . أما المشكلة الكبرى فهي مسألة المعاهدة . وبما ان المعاهدة ستعقد باسمي صاحبي الجلالة ملك العراق وملك بريطانيا ، أرى أنه من الواجب أن تجري أعمال الحكومة تحت اشراف جلالة الملك . وبعد ذلك تلا معاليه برقية من متصرف كربلاء ، وكتابا من قائمقام ابي صخير ، جاء فيهما بيان عما يجري في النجف وبين قبائل الشامية من الخلل والارتباك المتسببين من ظهور الوهن المذكور آنفا . فتكلم فخامة رئيس الوزراء وقال : ان الزمن حرج الان وعلى ملك البلاد ادارة دفة السياسة العليا ، وان ذلك غير منافٍ لأساس الحكم الدستوري . فجلالة الملك هو ملك البلاد وسيدها ونحن تابعون له ، ولاشك ان جلالته لن يضن على حكومته بالمعاضدة والمساعدة لدفع مفاسد المفسدين. وعليه قرر مجلس الوزراء باتفاق الآراء عرض ما يلي على السدة الملكية :

بناء على ما سمع من الاشاعات التي نشرها بعض المتطرفين في العاصمة والألوية ، والتي سببت قلقا وارتباكا في بعض الاماكن ، وما يخشى من تفاقم الأمر ، اذا دامت الحالة على ما هي الآن ، يطلب مجلس الوزراء من حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم أن يؤازر حكومته المجدة في تمشية الامور على ما يرتأيه جلالته ويرضاه ، ليظهر للشعب ان حكومة جلالته مستندة على مؤازرة جلالته »[٢] .

وما كاد صاحب الجلالة يطلع على قرار مجلس الوزراء هذا حتى دهش فأمر رئيس ديوانه أن يرد عليه بما يأتي :

بغداد ١٤ آب ١٩٢٢ الرقم ٢/٥/٦٨٢

سعادة سكرتير مجلس الوزراء المحترم :

لقد احاط صاحب الجلالة علما بمفاوضات ومقررات المجلس الموقر في

---

(٢) مجموعة مقررات مجلس الوزراء للاشهر تموز ـ كانون الاول ١٩٢٢ ص ٤٤/٤٥ .

جلسته المنعقدة في ٩ آب ١٩٢٢ بخصوص الاحوال التي استوجبت تقديم استقالة معالي الوزيرين توفيق بك الخالدي وجعفر باشا العسكري . وبصدد هذا فقد أمرت أن ابين لكم ما يلي :

ان صاحب الجلالة سرّ من قرار المجلس بضرورة زيادة عدد الجيش الى ٦٥٠٠ جندي . ولا شك في أن جلالته يرغب في تنفيذ هذا القرار بكل سرعة ليتمكن الجيش من القيام بما يترتب عليه من الواجبات الوطنية ، الا أنه لم يقف تمام الوقوف على الاسباب الموجبة لعقد جلسة وزارية خصوصية تحت رئاسته ، وكان يود لو أن المجلس بحث في الوسائل التي تمكّن وزارة الدفاع من تنفيذ قراره فاذا حال دون هذا العمل الحيوي موانع لا تتمكن الوزارة من التغلب عليها فحينئذ يرى صاحب الجلالة رأيه في الأمر . ثم ان صاحب الجلالة لم يعلم ما هي حقيقة أسباب الوهن وعدم اتساق المعاملات التي أدت بالحركة ضد سياسة الحكومة وأوجبت استقالة معالي وزير الداخلية . لذلك يطلب جلالته أيضا ايضاح تلك الاسباب بصراحة كافية وبكل سرعة ليقف على رأي الوزارة في هذه الامور الخطيرة . أما كون المعاهدة هي المشكلة الكبرى فالمجلس الموقر عالم بشدة حرص جلالة الملك على انجازها . وجلالته آسف شديدا على تأخر ابرامها بسبب مسألة الانتداب . ان صاحب الجلالة يشكر المجلس على التماسه ولكنه يأسف جدا والحالة هذه على أنه لا يرى مسوغا للعدول عن خطته الحاضرة . واقبلوا فائق الاحترام .

رستم حيدر[٣]

وقد دعا رئيس الوزراء أعضاء وزارته الى جلسة عقدها في ١٤ آب واتخذ القرار الاتي بعد الاطلاع على هذا الكتاب :

« وتلي كتاب من رئيس الديوان الملكي رقم ٦٨٢/٥/٢ ومؤرخ في ١٤ آب سنة ١٩٢٢ يبحث فيه عن قراري مجلس الوزراء المتخذين في الجلسة

---

(٣) من ملفات البلاط الملكي في المركز الوطني لحفظ الوثائق .

المنعقد في ٩ آب سنة ١٩٢٢ والمتعلقين بمسألة ضـرورة زيادة عدد الجيش لابلاغه الى ٦٥٠٠ جندي وطلب المؤازرة من جلالة الملك المعظم • ولقد جاء في آخر هذا الكتاب ما نصه : ان صاحب الجلالة يشكر المجلس على التماسه ولكنه يأسف جدا والحالة هذه على انه لا يرى مسوغا للعدول عن خطته الحاضرة • وبناء على ما جاء في هذه الفقرة ، قدم حضرات أصحاب المعالي ، توفيق بك الخالدي وزير الداخلية . وساسون افندي حزقيل وزير المالية وعبد المحسن بك الفهد السعدون وزير العدلية وجعفر باشا العسكري ، وزير الدفاع ، وصبيح بك وزير الاشغال والمواصلات ، والسيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني وزير المعارف استقالاتهم من الوزارة »[٤] ولم يحتفظ بمنصبه غير وزير الاوقاف محمد علي فاضل • واراد السيد رئيس الوزراء ان يُطلع الملك على الموقف الذي وقفه زملاؤه الوزراء ازاء رفض صاحب الجلالة عقد اجتماع لمجلس الوزراء تحت رئاسته فكتب اليه هذه الرسالة :

يا صاحب الجلالة

لقد تشرفت بالامر الكريم الذي تضمنه كتاب رئيس الديوان الملكي المرقم ٦٨٢ والمؤرخ في ١٤ آب سنة ١٩٢٢ الى سكرتير مجلس الوزراء ، وتلي الكتاب المذكور في الجلسة الوزارية المنعقدة يوم الاثنين في ١٤ آب سنة ١٩٢٢ فنشأ عن ذلك ان كلاً من حضرات اصحاب المعالي توفيق بك الخالدي وزير الداخليه . وساسون افندي حزقيل وزير الماليـة ، وعبد المحسن بك السعدون وزير العدلية ، وجعفر باشا العسكري وزير الدفاع ، وصبيح بك نشأت وزير المواصلات والاشغال ، والسيد هبة الدين الشهرستاني وزيـر المعارف قد رفع استقالته لما جاء في الفقرة الاخيرة من الكتاب المذكور من الالتباس واحتمال التأويل • غير انه لما تبلغ هذا الداعي ان ثقة جلالتكم بهذا الداعي وبأصحاب المعالي الوزراء وطيدة ، وهي التي تتوخاها الوزارة في

---

(٤) مجموعة مقررات مجلس الوزراء للاشهر تموز ـ كانون الاول ١٩٢٢ ص ٥٥/٥٦ •

جميع الشؤون ، قد امتنعت عن قبول استقالة اصحاب المعالي الوزراء ودعوتهم الى مزاولة اعمالهم كجاري عاداتهم بالنشاط والهمة المعروفين عنهم ، فاني استرحم من جلالتكم المعظمة تأييد ثقة جلالتكم بهذا الداعي والوزارة بصدور الارادة الملكية بذلك لكي يهتم الوزراء في شؤون وزاراتهم كالسابق .
كتب في بغداد في ٢٢ ذي الحجة ١٣٤٠ و ١٦ آب ١٩٢٢

مخلصكم المستديم : رئيس الوزراء عبد الرحمن

وقد استغرب الملك موقف السيد الرئيس هذا ، وأدرك أن الرجل لن يتخلى عن رئاسة الوزارة الا اذا حمـل ورجليه الى الامام على حد تعبير المس بل[٥] فوجه اليه هذه الرسالة :

أخذت كتابكم المتضمن خبر استقالة الوزراء على اثر قراءة كتاب رئيس ديواننا الى سكرتير المجلس بتاريخ ١٤/٨/١٩٢٢ . اني واثق بانكم متيقنون بما لشخصكم الكريم من الحرمة والمودة لدي ، وعالمـون حـق تقديري لخدماتكم الجليلة في سبيل المملكة الا انه يؤسفني جدا بعد ان استقال جميع الوزراء ، اني لا أرى وجها لاستئناف الوزارة مهام وظائفها ، ويسرني أن اطلب اليكم ان تستمروا مع زملائكم على ادارة الامور حتى تتألف الوزارة الجديدة .

فيصل

وعلى هذا ، تقدم السيد الرئيس عبد الرحمن بكتاب استقالة الوزارة الآتي :

صاحب الجلالة ملكنا المعظم أيده الله تعالى

بناء على استقالة اكثر الوزراء ، رأيت من الواجب ، جريا على الاصول

---

(٥) GERTRUDE BELL from her personal papers P.289

الدستورية . بان أرفع أستقالتي الى سدتكم الملكية والأمر لوليه •
كتب في بغداد في ١٩ آب ١٩٢٢

رئيس الوزراء ــ عبد الرحمن

كان الملك فيصل قد ضاق ذرعا بالاساليب التي يركن اليها المندوب السامي في تمشية امور البلاد من وراء ستار فقرر أن يوجه اليه الخطاب الآتي نصه بعد تلقيه كتاب استقالة الوزارة في التاسع عشر من آب •

بغداد ٢٠ آب ١٩٢٢

عزيزي السر برسي :

اتقدم لفخامتكم بهذا الكتاب لاذكركم بما كنت ألفت نظركم اليه في كل مجالس انا من وجوب اتباع سياسة واحدة ظاهرة وجلية دفعاً لما قد ينتج من العواقب السيئة اذا بقيت سياسة الارضاء سائرة سيرها في البلاد • واذكر انني قد صدعتكم مرارا بطلبي بلزوم تعيين المسؤولية فيما يختص بالادارة الداخلية • وقد مضى على ذلك نحو من سنة دون أن تنال هذه المسألة الحيوية الحل الذي تتطلبه • ولقد كنت أؤمل صلاح الحال بعقد المعاهدة التي يتعين بها موقف البلاد الا أنه ويا للأسف تأخر ذلك للسبب الذي تعلمه ، ووصلت البلاد الى درجة لا يجوز التغافل عنها • ولذلك فتنصلاً من المسؤولية المادية والمعنوية تجاه وطني وتجاه صديقتي بريطانية العظمى التي لها الأيادي البيضاء علي ، وتجاه كل فرد من افرادها مرهونة حياته بشرفي في هذه البلاد ، ومحافظة على شرفي الشخصي أراني مضطرا على ان اخبر فخامتكم بكل صراحة ووضوح أن تخاطبوا ــ ان شئتم ــ وزارة المستعمرات بأني لست مسؤولا عن نتيجة التردد والتغاضي في الادارة والسياسة التي لا يبعد أن ينشأ عنها ثورة شديدة المخاطر • وبقي لي أن أطلب من فخامتكم أحد أمرين : اما ان تأخذوا على شخصكم بأسم بريطانية مسؤولية البلاد وتطبقوا سياستكم بكل حزم وجدّ لتخليصها من الخطر المحدق بها والخراب الذي يتهددها ، واما ان تلقوا

المسؤولية على عاتقي وتتركوني مطلق اليدين لتدبير الامور على الخطة التي أرى بها انقاذ البلاد وسلامتها ، وارجو من فخامتكم أن تتلطفوا بجواب شاف في أسرع ما يمكن . واعذروني اذا لاح لكم في كتابي هذا ما يكدركم ، وتأكدوا انه لا دافع لي الى ما كتبت سوى الاخلاص لصديقتي بريطانية وامتي معاً والخوف من نتائج سير الاحوال الحاضرة .

فيصل

**تأثير رسالة الملك**

وقعت رسالة الملك فيصل الى المندوب السامي السير برسي كوكس على رأس الأخير وقع الصواعق المحرقة ، ان لم تكن أشد تأثيرا ، اذ لم يكن يتوقع ان يجرؤ الملك الهاشمي في يوم من الايام فيوجه الى ممثل بريطانية العظمى في العراق مثل الرسالة بمثل هذه الجرأة والصراحة « فسوّد جوابا شديد اللهجة في الحال يلقي فيه مسؤولية الحالة الراهنة على عاتق الملك ، الا أن هذا الكتاب أوقف اصداره لئلا يحدث تأثيرا سيئا على الاحتفال بيوم التتويج »[٦] الذي كان سيحلّ بعد ثلاثة ايام وعلى وجه التحقيق في الثالث والعشرين من شهر آب . وكان مما تضمنه هذا الجواب ، على ما جاء في برقية السر برسي كوكس الى وزير المستعمرات في لندن ، في ٢٣ آب ١٩٢٢ م : ان الاشخاص المسؤولين عن عدم الاستقرار مبدئيا هم أنفسهم الذين ينالون رعاية الملك ومساعداته ، وأن مجرد صدور اشارة واضحة منه لهم سيتوقف كل شيء ... ان المسؤولية الكبرى عن تدهور الوضع الحالي تقع على الملك نفسه ، وان الطريق المثلى هي أن تقوم الحكومة العراقية بالتشاور معي حول الخطوات التي تتخذها ، واذا ما أهملت استشارتي حول الخطوات التي

(٦) الدكتور فيليب آيرلند في كتابه
IRAQ : A Study in Political development

تتخذها فاي مستعد للتشاور مع قائد القوات المسلحة لاتخاذ التدابير الضرورية .

ان برودة الدم الانكليزي هي التي جعلت سياستهم تسود معظم أنحاء العالم ردحا من الزمن ، وان هذه البرودة هي التي أوحت الى ممثل الانكليز في العراق أن يسلك سلوك التؤدة وطول الاناة لبلوغ أهدافه ، ولم يكن يبغي يومئذ غير أمرين : عقد المعاهدة الانكليزية العراقية وتأسيس مجلس نيابي يجيزها ، وكان متيقنا ان الامر الاول لا يتم الا في اثبات الولاء والمؤازرة بين دار الانتداب وبيت النقيب فسعى أولا في تأسيس حزب سياسي معتدل دُعي بالحزب العراقي الحر يرأسه السيد محمود بن السيد عبدالرحمن النقيب ليكون عونا للحكومة في انتخاب المجلس(٧) ثم سعى في اعادة الوزارة المستعفية لانجاز المعاهدة . وكان جلالة الملك يؤثر غير النقيب رئيسا ، والمندوب السامي للأسباب التي بسطتها لا يبغي سواه »(٨)

**محاولة أولية**

أراد الملك فيصل أن يضمن تعهد الوزارة المراد تكوينها ، القيام بأصلاحات جذرية للنهوض بالبلاد الى ما تصبو وترنو اليه فأوعز الى رئيس ديوانه أن يوجه الكتاب الآتي نصه الى السيد عبد الرحمن النقيب ، رئيس الوزراء المستقيل والذي كان المندوب السامي يصرّ على اسناد رئاسة الوزارة الجديدة اليه دون غيره لأسباب ليس هنا موضع ذكرها ، فكتب رئيس الديوان هذا الكتاب :

بغداد ٢٦ ذي الحجة ١٣٤٠ ــ ٢٠ آب ١٩٢٢

---

(٧) كان في العراق يومئذ حزبان متطرفان سمي اولهما الحزب الوطني العراقي ، ودعي الثاني حزب النهضة العراقية وقد أمر المندوب السامي بغلق هذين الحزبين في ٢٤ آب ١٩٢٢ واسس الحزب الحر في ٣ ايلول من السنة نفسها .

(٨) امين الريحاني في كتابه ملوك العرب ٢/٢٧٤

حضرة صاحب السماحة والفخامة السيد عبد الرحمن أفنـدي نقيب اشراف بغداد الأفخم

مولاي : تلقى صاحب الجلالة كتاب فخامتكم المؤرخ في ١٩ آب ١٩٢٢ باستقالتكم من رآسة الوزراء وهو آسف على اضطراره لقبولها ، ولكن بناء على ما لشخصكم الكريم من الحرمة والثقة في نفس جلالته ، فقد امرني بأن اكتب الى فخامتكم برغبته في آن يعهد اليكم برئاسة الوزارة للمرة الثانية ، الا آنه يود أن تطلعوه على المنهاج الذي ترون أن تسيروا عليه بالنسبة للموقف الحاضر في سياسة البلاد . ويسرّ جلالته آن توافوه بملاحظاتكم على الامور المذكورة في الجدول المقدم الى فخامتكم طي هذا .

رستم حيدر

١ ـ ما هي السياسة تجاه الازمة المالية وكيف يسد العجز في الميزانية ؟

٢ ـ ما هي الوسائل اللازمة لايجاد اموال تكفي لابلاغ الجيش الى ٦٥٠٠ رجل ؛ وهل هذا العدد يكفي لصيانة البلاد داخلا وخارجا ؟ اذا كان غير كافٍ فما الذي يجب عمله ؟

٣ ـ ما هي اسباب عدم الاتساق في امور الحكومة ، وما هي التدابير الواجب اتخاذها لتقوية وتسكين العشائر ؟

٤ ـ ما هي الخطة تجاه الانتخابات المقبلة ؟

٥ ـ ما هي الخطة تجاه الاحزاب في المملكة ؟

كانت هذه الاسئلة تسبب احراجا للسيد النقيب . فقد كانت ميزانية الدولة « وهي يومئذ ثلاثة ملايين من الدنانير » تشكو عجزا يصعب تلافيه دون فرض ضرائب لم يكن في امكان الشعب تحملها . وكان تزييد عدد افراد الجيش حسب رغبة الملك واصراره يتطلب المال الوفير والخزينة خاوية ، وكانت الاضطرابات القبلية تسود منطقة الفرات الاوسط بحيث تعذر جباية الواردات والرسوم الاميرية . وكان الناس يقاطعون الانتخابات العامة لاسباب

وجدوها وجيهة . وكانت الاحزاب السياسية التي تكونت حديثا تتقد نارا وحماسة على تدخل الانكليز في الصغيرة والكبيرة من امور البلاد وشؤونها فماذا يستطيع النقيب المكتف أن يصنعه !

تأمل الرجل الهرم في طلب الملك فرأى ان يرد عليه ردا مبهما لا يسمن ولا يغني من جوع فكتب بخط يده الجواب الآتي ننشره بحروفه وصياغته وبالتوقيع الذي ذيل به لانه من الغرابة بمكان .

بغداد في ٢٧ ذي الحجه سنه ١٣٤٠ وفي ٢١ آب سنه ١٩٢٢

سعادة رستم حيدر بيك

لقد أخذت بيد المسرة كتاب سعادتكم المؤرخ في ٢٦ ذي الحجة سنه ١٣٤٠ وفي ٢٠ آب سنه ١٩٢٢ المتضمن البيان عن أمر جلاله سيدنا الملك المعظم لسعادتكم بأن تكتب لنا برغبه جلالته في أن يعهد الينا برئاسة الوزاره مرة ثانية الا أنه يود ان نطلعه على المنهاج الذي نرى أن نسير عليه بالنسبه للموقف الحاضر في سياسة البلاد ويسر جلالته أن نوافيه بملاحظاتنا على الامور المذكورة في الجدول المرسل الينا طي الكتاب فأوجب ذلك شكرا وفيرا حيث ان الحصول على ثقة سيدنا المعظم بنا من موجبات الفخر وشيء ثمين لا يعادله شيء عندنا فلذلك أرجو أن تعرضوا على السدة الملوكيه شكرنا وامتناننا بذلك وأما ما اشعرتموه من أن جلالته يود أن نطلع على المنهاج الذي نرى أن نسير عليه بالنسبة للموقف الحاضر وليسر جلالته أن نوافيه بملاحظاتنا فنعرض : أن المنهاج الذي سيتخذه مجلس الوزراء دستورا للعمل به .

في هذه الامور شيء مهم جدا ، ويشتمل ذلك على فصول عديدة يقتضي درسها وتمحيصها وذكر مقتضياتها وعللها وموانعها الى وقت ليس بقليل فلذلك لا يمكننا عرضه الآن . غير انه من الامور البينة ان المنهاج الذي سيتخذ دستورا للعمل به في الوزارة ، يتضمن وجوب القيام باداء واجبات كل عمل صالح يضمن سعادة الرعية وتربيتهم وانتظام امورهم واعمار بلادهم بكل

ما يسكن ورفع كل مفسدة عنهم وعن بلادهم خارجا وداخلا ، وجلب كل منفعة باعثة لثروتهم وغناهم وارتباطهم بالسدة الملوكية وانقيادهم واطاعتهم لجلالة سيدنا الملك المعظم اطاعة صميمية والسلام .

بوست نشين حضرة غوث كيلاني نقيب أشراف بغداد عبد الرحمن[٩]

هذا هو الرد الذي أجاب به الرئيس المكلف عن الاستفسارات التي كلف الملك فيصل رئيس ديوانه ان يعرضها عليه ليطلع على ما ينوي القيام به ، وهو رد لا يمت الى موضوع الكتاب بصلة ما ، وليس فيه ما يشفي عليلا أو يروي غليلا فكان من البديهي أن يأمر الملك رئيس ديوانه ان يكتب الى السيد النقيب ما يلي :

في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٤٠هـ و٢١ آب سنة ١٩٢٢

حضرة صاحب السماحة والفخامة السيد عبد الرحمن آفندي نقيب اشراف بغداد الأفخم

مولاي : تشرفت بكتاب فخامتكم المؤرخ في ٢١ آب ١٩٢٢ وعرضته على أنظار صاحب الجلالة فأمرني أن أجيب فخامتكم عنه بما يلي :

ان حالة البلاد الراهنة تستدعي أن ترسم الوزارة التي ستتألف منهاجا واضحا يزيل الشكوك ويطمئن أفكار الشعب ، لأن عدم وضوح الخطة يؤدي دائما الى عدم الاتساق في سير اعمال الحكومة . فاذا كان التضامن بين الوزارة غير مبني على مباديء جلية ومؤيدة ببرنامج متفق عليه ، فلا شك في أن العمل يتعذر تنظيمه . وبما ان المواد التي قدمت الى فخامتكم هي اليوم من اشد المواد مساسا بحاجة البلاد ، وبما أن الوزارة مسؤولة مباشرة عن سير الامور ، فجلالته يرى أن المصلحة العامة تقتضي عليه ، خاصة في هذه الظروف التي لا تخفى حراجتها على فخامتكم ، ان تطلعوه باديء ذي بدء على رأيكم في تلك المواد وغيرها من الامور المهمة في سياسة المملكة .

٢٢ آب ١٩٢٢ رستم حيدر

---

(٩) من ارشيف صاحب البحث

ما كاد السيد النقيب يتلقى كتاب الديوان الملكي المثبت نصه فويق هذا . حتى حلت ذكرى تتويج الملك في الثالث والعشرين من آب ١٩٢٢ فأنشغل هو ورجالات الدولة لاستقبال هذا العيد الوطني والواجبات التي يجب القيام بها بهذه المناسبه •

وكان قد تألف في بغداد حزبان سياسيان أحدهما « الحزب الوطني العراقي » وكان تأليفه في الثاني من شهر آب سنة ١٩٢٢ والثاني « حزب النهضة العراقيه » وقد تألف في التاسع عشر من الشهر المذكور فارتآى هذان الحزبان الوطنيان أن ينتهزا فرصه حلول عيد تتويج الملك ليرفعا عريضة الى السدة الملكيه يعرضان فيها ما تشكو البلاد منه في هاتيك الايام المظلمه . وعهدا الى لجنة مشتركة من الحزبين المذكورين لاعداد صيغة العريضة • فمثل الحزب الوطني السيدان محمد جعفر ابو التمن وبهجت زينل • ومثل حزب النهضة السيدان محمد حسن كبة وآصف قاسم وفائي ، وتوجه لفيف كبير من أعضاء الحزبين وسط تظاهرة صاخبة الى ساحة القشلة حيث يقيم الملك في بناية المشيريه في القشله • وحدث في اثناء التظاهره وتقديم العريضه أن اقبل المندوب السامي وهو ببزته الرسميه ليقدم مراسم التبريك الى الملك فسمع . وهو على سلم المشيرية . مناديا ينادي ليسقط الانتداب ولتسقط بريطانيا • ومع ان التظاهرة نفسها لم تكن الا شيئا اعتياديا . وكانت الكلمات المذكورة مالوفة وربما تكون مبيتة في هذه المناسبة بالذات ، فان المندوب السامي أبي الا أن يتخذ من هذا الحادث سببا شحذ فيه عزما كان موضوع ريب الناس . فما كاد يعود الى ديوانه حتى بعث الى الملك انذارا شديد اللهجة أدعى فيه ان ما لقيه من الاهانة في وقت كان يقدم مراسيم التبريك باسم حكومته البريطانية لا يصح السكوت عنه . وطلب معاقبة المسؤولين عن هذا الحادث ، وعزل الاستاذ فهمي المدرس رئيس الديوان الملكي من منصبه اذا

كان هو المسؤول رسميا . كما طالب ببيان الأجراءات التي ينوي الملك اتخاذها بحق ممثلي الحزبين الوطنيين بحجة أنهما حقرا مقام الملك بالقائهما خطبا مهيجة أثناء تقديم العريضة المشتركة فلم يسع الملك الا أن يقيل الاستاذ المدرس من منصبه ، ويوعز الى سكرتيره الخاص السيد رستم حيدر بأن يوجه الى المندوب رسالة اعتذار عما حدث .

وتابى الصدف الا أن يصاب الملك بالزائـدة الدودية ، وأن يوصي الاطباء الانكليز بأجراء عملية استئصال هذه الزائدة ، فورا[١٠] وكانت الوزارة قد استقالت من قبل فتولى المندوب السامي السلطة التامة في البلاد ، وأمر باقفال الحزبين اللذين كونا قبل أيام . والقبض على كل من السادة الاتية اسماؤهم وابعادهم الى هنجام في الخليج العربي ١ ــمحمد جعفر ابو التمن ٢ ــحمدي الباچه چي ٣ ــالشيخ مهدي البصير ٤ ــحبيب الخيــزران ٥ ــعبد الرسول كبة ٦ ــمحمد أمين الچرچفچي . كما أمر بتعطيل جريدتي المفيد والرافدان وابعاد صاحبيهما ابراهيم حلمي العمر وسامي خوندة الى هنجام أيضا فهرب الاول الى ايران وقبض على الثاني فابعد ، وامر بالقاذفات البريطانية فقصفت قبيلة « آل فتله » في المهناوية ، و « الاكرع » في عفك ، و « خفاجة » في الشطرة ، و « العزّه » في المنصورية ، ودمرت الاكواخ والمنازل ، وأحرقت الزرع والضرع ، وشردت الاطفال والنساء ، كما أمر

---

(١٠) جاء في الفقرة ١٧ من تقرير الاستخبارات البريطانية
« في صباح ٢٥ آب قرر اطباء الملك الانكليز ضرورة اجـراء عملية سريعة فاجراها الكابتن ابراهـام بحضـور المستشار الطبـي البريطاني الدكتور سندرسن مع أطباء من العرب والانكليز ... وكان متوقعا ان يموت الملك أو ينقل الى الخارج جوا » .
وقال الدكتور سندرسن في ص ٦٨ من كتابه
Ten thousand and one nlqht
ان ستة من عبيد الملك المسلحين كانوا يقفون في الشرفة المطلة على النهر فلو حدث شيء للملك لكانت فرصتنا للنجاة بعيدة جدا .

بفصل بعض الموظفين المشايعين للحركة الوطنية ، فقضى على المعارضة قضاء ناجزا وتجاوز عن النار تحت الرماد .

### الملك يقر اجراءات المندوب

كان المنـدوب السامي السر برسي كوكس قد صحب مستشار وزارة الداخلية كورنواليس ودخل غرفة العملية التي يرقد فيها الملك قبل أجراء العملية . وطلب اليه التوقيع على قائمة الاجراءات التي اتخذها ، فقال له الملك : لا يمكنني أن أوقع ما تريد القيام به وأنا مقبل على غيبوبة قد تكون القاضية . فلما أصر عليه بوجوب التوقيع . التفت الأطباء الانكليز المقبلين على اجراء العملية الى المندوب ونصحوه بالاقلاع عما يريد . ولما شفي الملك وشرع في مزاولة أعماله . قصده المندوب السامي في بلاطه وحمله مسؤولية التأخير في توقيع المعاهده ، واضطره الى أن يكتب اليه تسويغا ــ وضع هو صيغته ــ بما قام به أثناء مرضه ليضفي الشرعية على ما اتخذه من اجراءات فكان التسويغ كما يلي .

بغداد ١١ ايلول ١٩٢٢

عزيزي سيربرسي :

الآن وقد تم شفائي بحمد الله تعالى وسمح لي اطبائي ان أستأنف أشغالي في الدولة ، أرى من واجبي ، قبل أن اتولى هذه التبعة ، أن اقدم الى فخامتكم تشكراتي القلبية وأن اعبر لكم عن اعجابي الشديد للسياسة الحازمه والتدابير الضرورية التي اتخذها فخامتكم ، بصفتكم ممثلا لحكومة صاحب الجلالة ، لصيانة المصالح العامة ، والمحافظة على النظام والأمن أثناء مرضي المفاجىء الذي صدف وقوعه بغتةً في المدة التي تنقضي عادةً بين استقالة الوزارة وتأليف

وزارة غيرها • وختاما اكرر تشكراتي الخالصة لفخامتكم على مساعدتكم الثمينة[11] •

صديقكم المخلص : فيصل

وكان المندوب السامي يبعث الى وزارة المستعمرات في لندن برقيات متعاقبة عن سير الأمور في العراق . اثناء مرض الملك ، وكان هذا المندوب يفصح في برقياته عن أن الملك فيصل لا يصلح لأن يكون ملكا على العراق لعدم تعاونه مع رئيس الوزراء السيد عبد الرحمن النقيب تعاونا صحيحا ، ولتشجيعه المعارضة ، وإن كان هذا التشجيع يجري من وراء ستار ، ومع هذا فقد اقترح على وزير المستعمرات أن يعطي الملك فرصة مناسبة لتقويم سلوكه فاذا بهذا الوزير يبرق الى المندوب السامي في العراق أن يخيّر فيصلاً بين أمرين : إما أن يساند السيد النقيب المسند من قبل الحكومة البريطانية فيؤيد سياسته تأييدا مطلقا . أو يخلع عن عرشه ويعود الى الحجاز حراً دون عقاب ، وعندئذ تعيد انكلترا النظر في سياستها العربية بصورة عامة والعراقية بصورة خاصة فلا تنفق أموالها على منع ابن سعود من اجتياح الحجاز بلمحة بصر « كما تم في عام ١٩٢٥ » •

لم يكن الملك فيصل خصما للسياسة البريطانية في العراق الممثلة في توسيد السيد عبد الرحمن النقيب مقاليد الحكم ، ولكنه كان يوّد من صميم قلبه أن يخدم العراق والسياسة البريطانية المراد تطبيقها بواسطة النقيب في آن واحد • فقد جاء في هامش الصفحة ٥٥ من أوراق الزعيم العربي عوني عبد الهادي التي نشرتها الدكتورة خيرية قاسم ما نصه :

« وقد حقق جلالة الملك فيصل هذه السياسة باخلاص تام فقد حدثني ، بعد ان سار في العراق زمنا ، عن السياسة التي اتبعها هناك بما يلي : لقد أقنعت الانكليز بأعمالي أن مصلحتهم ومصلحة العراق تتمشى جنبا الى جنب

---

(١١) IRAQ : A Study in Political development

فاقتنعوا بأني مخلص فيما أقول ، وأخذت أتشدد بعد ذلك بالمطالبة بما ينفع العراق وتحقيق بعض الاعمال التي أنشدها • ومن جهة كنت أجتمع ليلاً مع المعارضين في العراق لنخطط معاً أعمال المقاومــة واموّلها ، وحــين تشتد المعارضة أكسب أنا حقوقا جديدة للعراق من السلطات البريطانية لتسكين المعارضة » •

### التمهيد للوزارة الجديدة

بعد أن حمّل المندوب السامي الملك فيصل مسؤولية ما جرى في البلاد • واضطره الى تأييد السياسة التعسفية التي اتخذها أثناء مرض جلالته من غلق الاحزاب السياسية ، وتعطيل الصحف الوطنية . وابعاد جمهرة من المناوئين للسياسة البريطانية الى جزيرة هنجام في الخليج العربي ، التفت الى قضية تاليف الوزارة الجديدة برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب وعضوية الوزراء الذين كانوا في وزارته المستقيلة فاجتمع بالملك فيصل اجتماعا مطولا وتذاكر في موضوع الوزارة وما لبث أن وجه الى جلالته الخطاب الآتي نصه :

دار الوكالة البريطانية          بغداد ١٨ ايلول ١٩٢٢

خصوصي لجلالة الملك

يا صاحب الجلالة : قد اتفقنا عند مواجهتي معكم بعد ظهر اليوم . أنه لأجل أن يفهم الوزراء المختارون للوزارة الجديدة التي ستصدرون ارادتكم للنقيب بتأليفها ، الخطة السياسية التي تفترضها حكومة صاحب الجــلالة البريطانية وشخصكم للسير بموجبها ، أن اكتب الى جلالتكم بصفة غير رسمية. ايضاحات باقتراحات المستر تشرشل والتوصيات التي هو مستعد شخصيا أن يعرضها على الوزارة البريطانية عندما يرده تأكيد كافٍ من قبلنا •

اما الوضعية فهي كما يأتي :

ان المستر تشرشل مستعد لأن يوصي الى الوزارة البريطانية بنشر نصوص

المعاهدة في الشكل الذي قبلت به في المسودة من قبل جلالتكم ومن فخامة النقيب ووزارته السابقة[١٢] ويصحب المعاهدة ببيان من حكومة جلالته البريطانية يوضح فيه ان المادة السادسة من المعاهدة وهي « يتعهد جلالة ملك بريطانيا العظمى بان يسعى بادخال العراق في عضوية عصبة الامم في أقرب ما يمكن » ان هذه المادة في حد ذاتها تشترط قاعدة دستورية لأجل خلاص العـراق

---

(١٢) كان مجلس الوزراء قد اتخذ القرار الآتي نصه في الخامس والعشرين من شهر حزيران ١٩٢٢ ايام وزارة النقيب المستقيلة :

« انعقد مجلس الوزراء يوم الاحد الواقع في ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٢ الساعة الرابعة زواليه بعد الظهر برئاسة فخامة رئيس الوزراء فتليت مواد المعاهـدة العراقية ـ البريطانية فقرر مجلس الوزراء قبول المعاهدة المذكورة المعدلة على ان تصبح نافذة العمل حالما تصدق من قبل الفريقين الساميين المتعاقدين ، بعـد قبولها من المجلس التأسيسي ، وان يكون قبولهـا من مجلس الـوزراء مقترنا بالشروع في الانتخابات لعقد المجلس التاسيسي ، وقرر مجلس الـوزراء أيضا احضار مواد القانون الاساسي ، ولائحة انتخاب المجلس التشريعي ليعرضا مـع المعاهدة المذكورة على المجلس التاسيسي حين انعقاده ، ووافق معالي وزيـر التجارة جعفر جلبي ابو التمن على هذا القرار غير انه خالف فيما يلي واقترح :

١ ـ لزوم التنصيص بالغاء الانتداب في المقدمة من المعاهدة ٠
٢ ـ وخالف المادة الثانية من المعاهدة لاعتقاد معاليه بأنها من منافيات الغـاء الانتداب ٠
٣ ـ اقترح معاليه حذف الجملة الآتية من المادة الثالثة « الذي يجب ان يكون وفقا لنصوص هذه المعاهدة » ٠
٤ ـ واعترض معاليه على المادة الرابعة لاعتقاده انها منافية لالغاء الانتداب ٠
٥ ـ واعترض معاليه على المادة الخامسة قائلا : ان قيد التمثيل الخارجي الوارد في هذه المادة مظهر من مظاهر الانتداب ٠
٦ ـ وخالف معاليه المادة التاسعة قائلا انها مظهر من مظاهر الانتداب ٠
٧ ـ وقال معاليه عند البحث في المادة العاشرة ان معاليه خالف قبول التعهدات الواردة في المعاهدة بناءً على ذلك لايتمكن من قبول التعهدات الواردة في هذه المادة ٠
٨ ـ وافق معاليه على منطوق المادة ١٨ فيما يتعلق بما قبله من مواد هذه المعاهدة فقط ـ انتهى ـ

من وضعية الدول الواقعة تحت الانتداب . حيث ان حقيقة الأمر وهي ان ادخال العراق في عضوية عصبة الامم ينهي بطبيعة الحال العلاقة الانتدابية . وبموجب هذا الترتيب فان المعاهدة سيوقع عليها من قبل مندوب جلالتكم ومن قبلي حالما يصلنا بيان جلالته البريطانية .

ان تعهدات بريطانية العظمى بموجب المادة ٦ لا تنفذ طبعا الا بعد أن تبرم المعاهدة والاتفاقيات المبنية عليها . وينبغي أن اوضح انه بموجب قرار حديث أصدرته جمعية الامم فان العضو الجديد لا يكون أهلاً للانتخاب بالجمعية الا اذا كان لديه دستور ثابت ، حتى والى أن تضمن حدوده بصفة رسمية ، ولكننا نتعشم ان فيما يخص العراق أن نبلغ كلا الشرطين في زمن ليس ببعيد . وبعبارة اخرى ان المستر تشرشل مستعد أن يوصي الى الوزارة البريطانية بتعهدها طلب العراق بدخوله في عضوية عصبة الامم حالما تبرم المعاهدة والاتفاقيات المبنية عليها ، ، وحالما يصدق القانون الاساسي وتعين حدود العراق . ولأجل أن يكون لدى المستر تشرشل مبرر لتقديم توصياته هذه ، فانه يطلب أن يؤكد له بأنه : اذا تألفت الوزارة التي يقتنع جلالتكم وشخصي معاً بانها ستقوم بأعباء ادارة الحكومة ، والتي ستعاضد جلالتكم وشخصي معاً من كل قلبها في تنفيذ السياسة الموضحة اعلاه . وانه في حال انجاز الانتخابات فيما بعد ، فان الحكومة العراقية بموجب الدستور المشار اليه ستعلن سياستها باصدار التعليمات الى جميع موظفيها العراقيين والبريطانيين ليستعملوا نفوذهم على قدر المناسبة لضمان قبول المعاهدة من قبل المجلس التأسيسي .

ان المستر تشرشل لا يشك الا قليلا في أنه اذا تأكد للوزارة البريطانية بصورة كاملة بأجوبة مقنعة من طرفنا فيما يخص النقاط المشار اليها اعلاه ، فانهم ـ أي أعضاء الوزارة البريطانية ، سيقبلون بتوصياته التي ستكون طبعا عرضة للقبول في حينه من قبل جمعية الامم ، وستفهمون جلالتكم ان هذا

الكتاب لا ينبغي أن يؤخذ بصفة رسمية . وانما المقصود منه فقط أن يفسر مضمونه شخصيا للمرشحين للوزارة الجديدة للحصول على قبولهم بذلك ، هذا وتفضلوا بقبول أزكى تحياتي الخالصة •

الى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم أدام الله ملكه آمين

محبكم المخلص : المندوب السامي في العراق برسي كوكس

**موقف الملك**

لم يكد الملك فيصل يتسلم كتاب المندوب السامي حتى سر به سرورا عظيما لأن دخول العراق عضوا في عصبة الامم ينهي علاقات العـراق الانتدابية بالحكومة البريطانية ، ويجعله احدى الدول المستقلة التي تتكون منها العصبة المذكورة • وعلى هذا توجه الى زيارة النقيب المقعد في داره ، وأطلعه على نص الكتاب ــ موضوع البحث ــ ثم طلب اليه أن يطلع عليه المرشحين لعضوية الوزارة الجديدة وما لبث أن أمر رئيس ديوانه بارسال صورة الكتاب الموجه اليه على صورة رسمية •

وبعدأنأطلع النقيب السادة المرشحين لعضوية الوزارة عليه ، بعث الى الملك بالكتاب الآتي :

يا صاحب الجلالة

لقد وصلتنا بواسطة رئيس الديوان الملكي نسخة من كتاب المندوب السامي لجلالتكم المعظمة المؤرخ في ١٨ ايلول سنة ١٩٢٢ وبناءً على ما جاء في الكتاب المذكور من حب اطلاع المرشحين للوزارة على مندرجاته المتعلق بشؤون السياسة ، فقد اطلعنا حضـرات اصحاب المعالـي الذين اخترتهم للاشتراك معي في الوزارة على الكتاب المذكور ليحيطوا علما بمدرجاته ووافقوا عليه جميعهم ما عدا الحاج عبد المحسن جلبي آل شلاش المرشح لوزارة المعارف

وذلك لعدم حضوره العاصمة وعند حضوره نطلعه على الكتاب المذكور كما اطلعنا عليه غيره من زملائه •

كتب في بغداد ٧ صفر الخير سنة ١٣٤١ و ٣٠ ايلول سنة ١٩٢٢

رئيس الوزراء عبد الرحمن

وقد ارتاح الملك فيصل لما جاء في كتاب رئيس وزرائه فوجّه الى المندوب السامي هذا الجواب :

عزيزي السر برسي بغداد ٧ صفر ١٣٤١ — ٣٠ ايلول ١٩٢٢

اني اشكركم على كتابكم الخصوصي الذي تفضلتم به في تاريخ ١٨ ايلول ١٩٢٢ ، والذي أوضحتم فيه الخطة الاساسية التي ستسير عليها حكومة الملك بشأن العراق • ولقد أرسلت نسخة من الكتاب المذكور الى رئيس الوزراء ليتفاوض مع زملائه بمضمونه ، وها قد جاء الجواب بالموافقة على الخطة التي تفضلتم بايضاحها وفي طيه صورة منه ، وهو ينطبق تمام الانطباق على رغبتي • واني واثق بأن العراق يستعمل كل ما في وسعه ليهيء في اقرب وقت الى حكومة جلالة الملك أسباب مساعدتها له في الدخول الى جمعية الامم فأرجو آن تتوسطوا بابلاغ خالص شكري الى حضرة المستر تشرشل على صورة المساعدة التي ابتدعها مؤخرا ، والتي يؤمل قويا بأنه سيكون من ورائها تطمين الافكار العامة •

أما أنتم يا عزيزي فنظرا لما عانيتموه من المشاق ، وما بذلتموه من الجهود في سبيل هذه التسوية . فاني لا أعلم كيف اشكركم • وعلى كل حال نحمد الله الذي جعل النهاية خيرا ونسأله أن يأخذ بيدنا فيما يستقبلنا من الاعمال الجليلة وهو ولي الجميع •

فيصل

**تكوين الوزارة الجديدة**

انتهت الازمة التي فرضت على البلاد فرضا فوجه الملك الى السيد النقيب هذا الخطاب :

وزيري الأفخم السيد عبد الرحمن

ان ما نعهده فيكم من الروّية والاخلاص ، يدعونا الى أن نفوّض الى عهدتكم للمرة الثانية برئاسة الوزراء على أن تباشروا حالاً باتنخاب زملائكم وعرض اسمائهم على سدتنا الملكية ، آخذين بنظر الاعتبار ما يستقبلكم من الأعمال الجليلة التي يتوقف عليها صلاح المملكة ورقيها والله ولي التوفيق .

كتب في قصرنا الملكي في بغداد في اليوم الخامس من شهر صفر الخير سنة الف وثلثمائة واحدى واربعين الموافق ٢٨ ايلول سنة ١٩٢٢

فيصل

وقد ردّ النقيب على التكليف الملكي بهذا الخطاب :

يا صاحب الجلالة سيدنا الملك المعظم ايده الله تعالى بتوفيقه

لقد تشرفت بالارادة السنية الملكية المتضمنة ثقة جلالتكم بهذا المخلص في صداقته لعرشكم السامي المكين والناطقة باسناد رئاسة الوزراء الى هذا الداعي . وعليه أبادر الى عرض فروض الشكر والاخلاص الى سدة جلالتكم السنية راجيا من الله تعالى أن يوفقنا لاداء ما يجب العمل به مما هو نافع للبلاد ومريح للعباد ومسر لجلالتكم . اما الزملاء الذين اخترتهم للاشتراك معي في شؤون الوزارات هم :

عبد المحسن السعدون وزيرا للداخلية
ساسون حزقيل وزيرا للمالية
توفيق الخالدي وزيرا للعدلية
صبيح نشأت وزيرا للاشغال والمواصلات
محمد علي فاضل وزيرا للأوقاف

وقد اخترت الحاج محسن جلبي آل شلاش وزيرا للمعارف غير انه لم يحضر الى العاصمة فاذا حضر نبلغه ذلك . وفي الختام نبتهل الى الله أن يديم شوكتكم وجلالتكم .

كتب في بغداد في ٧ صفر الخير سنة ١٣٤١ و ٣٠ ايلول سنة ١٩٢٢

رئيس الوزراء ــ عبد الرحمن النقيب

وقد صدرت الارادة الملكية بما تقدم وبقي منصب وزارة المعارف شاغرا الى يوم ١٧ تشرين الأول ١٩٢٢ حيث صدرت ارادة ملكية بتعيين الحاج عبد المحسن شلاش وزيرا للمعارف ولكن شلاش أبى ان يشغل هذا المنصب ، وكتب الى السيد الرئيس الكتاب الآتي ننشره بحرفه وطراز كتابته واملائه :

لحضرة فخامت ( كذا ) رئيس الوزراء دام فضله

عب تقديم فائــق الاحتــرام اعرض بأنني حسبما تفضلتكم بزيارت ( كذا ) أعتاب جلالت ( كذا ) ملكنا المعظم ( كذا ) وعرضت لجلالته الاسباب الذي ( كذا ) تدعوني للاستقالة عن وزارات ( كذا ) المعارف الشريفة . ومن سوء طالعي الذي لم أكون ( كذا ) موفقا لهذه الخدمــة بواسطة أشغالي المتراكمة والضرورة التي تدعوني لعدم الانفكاك عن التجارة والتي لا يمكنني احالتها لغيري وغير ذلك من الاسباب الضرورية لذا سمحلي ( كذا ) دام ظله بتقديم عريضة استقالتي لفخامت ( كذا ) رياستكم فقدمت هذه العريضة راجيا قبولكم لها دام فضلكم واني ان شاء الله سوف أخدم بما يمكنني بدون وضيفة ( كذا ) هذا ما لزم ادام الله بقائكم مؤيدين مولاي .

١٠ ربيع اول ١٣٤١ و ١ تشرين ثاني ١٩٢٢

خادمكم المخلص ــ عبد المحسن شلاش[١٣]

---

(١٣) لما الف جعفر العسكري وزارته الاولى في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٣ جعل الحاج عبد المحسن شلاش وزيرا للمالية في وزارته وكان السبب في رفضه الدخول في وزارة النقيب هو ان هذه الوزارة كانت ملزمة بانجــاز طبخة المعاهدة التي كان علماء النجف ورؤساء القبائل المحيطة بها يرفضون عقدها والحاج عبد المحسن من شخصيات النجف .

كان الغرض من افتعال ( أزمة وزارية حادة ) التي نحن بصدد البحث عنها ، تهيأة الجو اللازم لعقد المعاهدة العراقية ــ البريطانية التي ستنظم العلاقات الحقوقية بين بريطانيا والعراق على صورة رسمية لتحل محل نظام الانتداب . وقد بذل المندوب السامي اقصى الجهود وأقساها في سبيل عقد هذه المعاهدة . فلم يتوقف عن سد الاحزاب السياسية المجازة ونفي زعمائها الى جزيرة هنجام في الخليج العربي ، ولا تأخر عن تعطيل الصحف الوطنية والحاق اصحابها بالمنفيين كما أنه لم ير غضاضة في قصف القبائل ، وقتل الابرياء لارهاب الناس وحملهم على السكون والهدوء لتتمكن الوزارات العراقية من انمام صفقة المعاهدة وعلى هذا قامت الوزارة النقيبية الجديدة في ٣٠ ايلول ١٩٢٢ كما قدمنا .

وفي العاشر من تشرين الأول سنة ١٩٢٢ ، أي بعد تأليف الوزارة بعشرة ايام عقد مجلس الوزراء في يوم الثلاثاء الموافق ١٠ تشرين الأول جلسة خاصة بكامل اعضائه واتخذ هذا القرار[١٤]

« قرر مجلس الوزراء باتفاق الآراء تأييد قراره الموقع عليه في ٢٥ حزيران ١٩٢٢ وهو كما يأتي :

« تليت المعاهدة العراقية ــ البريطانية ، فقرر مجلس الوزراء قبول المعاهدة المذكورة المعدلة ، على أن تصبح نافذة العمل حالما تصدق من قبل الفريقين الساميين المتعاقدين ، بعد قبولها من المجلس التأسيسي ، وأن يكون قبولها من مجلس الوزراء مقرونا بالشروع في الانتخابات لعقد المجلس

---

(١٤) تقول المس بل في ص٢٧٨ من كتابها
G BELL from her Personal papers.

ما نصه :
كان الملك فيصل قد بعث أربع رسائل سرية الى وزرائه يطلب فيها أن يضيفوا الى بنود المعاهدة رفضهم للانتداب قبل المصادقة على النص الاخير للمعاهدة في حين انه كان قد أخبر المعتمد السامي بانه سيرفض اضافة مثل هذا الشرط .

التأسيسي ، وقرر مجلس الوزراء أيضا احضار مواد القانون الاساسي ولائحة انتخاب المجلس التشريعي لتعرض مع المعاهدة المذكورة على المجلس التأسيسي حين انعقاده » •

نشر المعاهدة

وفي ١٣ تشرين الاول ١٩٢٢ قرر مجلس الوزراء نشر نص المعاهدة على الشعب على أن يصدرها الملك بهذا البلاغ :

أنشر اليوم على شعبي المحبوب نص المعاهدة المعقودة بيني وبين صاحب الجلالة البريطانية ملك بريطانية العظمى • ولقد اعترضت سير المفاوضات التي دارت بين مندوبينا نحوا من عشرة أشهر ، مصاعب جمة تمكنا في النهاية بفضل حسن النوايا والثقة المتبادلة من التغلب عليها والوصول الى هذا الحل المرضي • واني لا اشك في أن شعبي سيقدر أهمية هذه المعاهدة والخطوة الواسعة التي خطوناها في سبيل تحقيق أمانينا القومية ، وسيزداد تمسكا بصداقة حليفته الكبرى بريطانية العظمى ، اذ ان دوام صداقتها مسألة حيوية لصيانة استقلال هذه المملكة وتأمين رقيها الاقتصادي والعمراني • فالمعاهدة كما هو واضح من بنودها ــ بنيت على اسس المنافع والمصالح المتبادلة • وكما اننا أخذنا على انفسنا ان نحترم عهود بريطانية العظمى ومصالحها الدولية ، فانها تعهدت بمعاونتنا واعترفت باستقلالنا السياسي وباحترام سيادتنا الوطنية • وجميع الاتفاقيات التي تتفرع عن المعاهدة ستبنى على اسس هذه المباديء ، ولم يبق علينا الا أن نباشر بالانتخاب لجمع المجلس التأسيسي ووضع القانون الاساسي وبذلك نخطو خطوتنا الثانية وتتقدم الى جمعية الامم طالبين بمساعدة حليفتنا قبولنا في عضويتها اسوة بسائر الدول • فأستفز شعبي الى مؤازرة حكومته بتأييد النظام داخل المملكة ، ومساعدتها على انفاذ القوانين ، وأدعوه الى اختيار النواب الصالحين لتمثيل الامة تمثيلا صحيحا ، قارنين ذلك بالثقة والولاء للامة

والحكومة البريطانية المعترفة الآن وحدها بكياننا السياسي والتي أخلصت لنا ووعدت بمساعدتنا على دخول جمعية الامم ، وتحقيق امانينا القومية .

والآن وقد عقدت المعاهدة فالادارة الداخلية أصبحت منوطة بي وبحكومتي وشعبي ، فنحن جميعا والحمد لله كتلة واحدة يشدها شعورنا القومي بالمسؤولية عن مستقبل البلاد وسعادتها ، والقوات البريطانية التي كانت مشتركة معنا في المسؤولية هي اليوم قوة حليف مخلص مؤازر لنا ضمن شروط المعاهدة ضد كل من يريد العبث باستقلالنا . ونحن نستمد من الله في اتباع سياسة اخلاص ووئام تجاه مجاورينا متوخين توطيد المحبة والسلام بين كافة الاقطار والله ولي التوفيق[١٥] .

فيصل

والى جانب هذا البلاغ الذي أصدره الملك ، أصدر وزير المستعمرات البريطاني المستر تشرشل هذا البلاغ :

لقد فوضتني الحكومة البريطانية أن أذيع البلاغ التالي بمناسبة امضاء المعاهدة المنشور نصها في هذا اليوم .

ان الحكومة البريطانية ، وهي شاعرة بقوة العهود الوثيقة التي قطعتها للعراق ، لمقتنعة بان ايفاء هذه العهود حق الوفاء يتم بواسطة معاهدة التحالف التي امضيت بالنيابة عن جلالة ملك بريطانية وعن جلالة ملك العراق ، وستبذل الحكومة البريطانية كل ما في وسعها في سبيل الاسراع في تعيين حدود العراق لكي يتسنى له طلب الانخراط في عضوية عصبة الامم حينما يتم تصديق المعاهدة والاتفاقيات الفرعية المنصوص عليها في هذه المعاهدة وتنفيذ مواد القانون الاساسي .

وتتوقع الحكومة البريطانية بملء الثقة أن يعرض هذا الطلب حال تقرير أمر الحدود وانشاء حكومة ثابتة تؤلف وفقا لمواد القانون الاساسي ، وعندئذ

(١٥) تاريخ الوزارات العراقية ، ص١٣٧ من الجزء الاول في طبعته السابعة .

تبذل الحكومة البريطانية خير مساعيها في سبيل حمل عصبة الامم على قبول العراق في عضويتها بشرط تنفيذ مواد هذه المعاهدة ، وذلك حسب نص المادة السادسة منها • وهذه المادة على رأي الحكومة البريطانية هي الوسيلة الوحيدة التي بها تنتهي علاقات الانتداب على صورة قانونية •

لندن ١٣ اكتوبر سنة ١٩٢٢

وزير المستعمرات : ونستن تشرشل[١٦]

وتقع المعاهدة ــ موضوعة البحث ــ في ثماني عشرة مادة ومدتها عشرون عاما وقد سبق لوزير التجارة الحاج محمد جعفر ابو التمن ان ابدى ملاحظاته على اهم موادها في جلسة مجلس الوزراء المنعقدة في ٢٥ حزيران ١٩٢٢ وهي بمجموعها نسخة طبق الاصل للائحة الانتداب البريطاني على العراق •

وقد انتهت حياة الوزارة النقيبيه الجديدة وانتفت الحاجة الى بقائها في دست الحكم واضطر السيد عبد الرحمن النقيب الى التقدم بكتاب استقالة وزارته وهو :

يا صاحب الجلالة

بناء على ما أحسه من التعب في وجودي بصورة تمنعني عن الاستمرار في رؤية امور رئاسة الوزارة ، فلهذا تجاسرت بتقديم هذه العريضة راجيا اسعاف طلبي بالانسحاب من الرئاسة المشار اليها والامر والاراء لجلالتكم اولا وآخرا •

بغداد في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢

نقيب اشراف بغداد ــ عبد الرحمن

ولم يشأ الملك ان يضيع جهود السيد النقيب فوجّه اليه هذا الجواب :

البلاط الملكي ــ رئاسة الديوان بغداد في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢

---

(١٦) جريدة العراق : العدد ٣٣ الصادر في ١٤ تشرين الاول ١٩٢٢ •

عزيزي السيد عبد الرحمن :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد تناولت كتابكم المتضمن استقالتكم • وانه ليؤسفني جدا أن احرم من خدماتكم للاسباب المجبرة التي أورتموها •

ان ثقتي باخلاصكم لا تتزلزل ، وتقديري للمساعي الجليلة التي بذلتموها حتى الان في سبيل نفع الامة والوطن سيكون دائما مقرونا بالشكر، فان كنتم اعتزلتم عملكم رسميا فانيأومل ان تبقى نصائحكم المفيدة وارشاداتكم الخيرية عونا دائما لنا ولحكومتنا في المستقبل •

هذا واني اؤكد لكم دوام محبتي ومودتي واتمني ان تتمتعوا دائما بصحة تامة •

**محبكم ـ فيصل**

# بين الانتداب والتعاهد

## المعاهدات العراقية ـ البريطانية غير المتكافئة

**توطئـــة**

عاش العرب والترك تحت خيمة الامبراطورية العثمانية زهاء اربعة قرون اخوانا على سرر متقابلين ، ولكن لم يكد غلاة « جمعية الاتحاد والترقي » يستولون على الحكم في هذه الامبراطورية سنة ١٩٠٨ للميلاد ، حتى اعلنوا سياسة التتريك الصريحة ، وشرعوا في اضطهاد الاقوام التي كانت تتكون منها تلك الامبراطورية الشاسعة . وقد نكلوا بالعرب خاصة تنكيلا فظيعا فساقوا رجالهم الى ميادين القتال في القفقاس ، وشنقوا عددا من زعماء أحرارهم في سورية والعراق ، ونفوا نساءهم واطفالهم الى مجاهل الآفاق ، فتأجج الشعور القومي في معظم الانحاء العربية ، واذا ببريطانية تقرر الاستفادة من الهوة السحيقة التي ولدتها هذه الاضطهادات ، وتعمل على تعميقها وتوسيعها ، فتفاهمت مع الحسين بن علي شريف مكة المكرمة ، وسعت الى دعوة الضباط العرب لانضوائهم تحت رايته ، ولا سيما اولئك الذين كانوا في الجيش العثماني فوقعوا في الاسر البريطاني . وبعد محاولات كثيرة وجهود مضنية ، استطاعت بريطانية بدهائها ومصانعتها ان تقنع هؤلاء الضباط بسلامة دعوتها من الخديعة، وعدم وجود نية لاستخدامهم في مصالحها الخاصة ، او خيانة رابطتهم السابقة

بالدولة العثمانية ، قاصدة بذلك تقوية الشريف حسين الذي حالفته على اساس تحرير العرب ، وضمان وحدة بلادهم ، وامدته بالمال والعتاد . وقد قبل هذه الدعوة من قبلها ورفضها من لم يؤمن باخلاصها ، فكان يوم ٩ شعبان من عام ١٣٣٤ للهجرة و ١٠ حزيران من عام ١٩١٦ للميلاد يوما مشهودا تفككت فيه اواصر الجامعة الاسلامية ، وتزعزت اركان الامبراطورية العثمانية ، وامتزج الدمان العربي والافرنجي في ساحات القتال للتغلب على الترك في عقر ديارهم « وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون »[1] صدق الله العظيم

**التنافس على الزعامة**

ونادى الشريف حسين بنفسه ملكا على العرب فلم يقر نداءه زعماء العرب الآخرون « فالملك ابن سعود يقول : انه احتج على اعلان الملك حسين نفسه ملكا على العرب فتدخل الانكليز في الامر .. وفي الوقت نفسه اضطر الملك حسين الى الغاء اللقب الجديد مكتفيا بملكية الحجاز »[2] .

وكان الامير فيصل ، ثالث انجال الملك حسين ، قد تفاهم مع القيادة الانكليزية على ان يكون للجيش العربي دوره الخاص في فتح سورية واضطلاع رجاله بادارتها . وكان مما يساعده على ذلك ، الوعي العربي في سقي بردى ، وشموله كافه طبقاته وطوائفه ، ورغبة الحكام الترك أنفسهم في تسليم البلاد السورية الى العرب عند انسحابهم[3] وما كاد فيصل يستقر في دمشق حتى قرر المؤتمر السوري في جلسته المنعقدة في ٨ آذار سنة ١٩٢٠ المناداة بسموه ملكا على سورية ، والمناداة بأخيه الأمير عبد الله ملكا على العراق ، فتنكر الفرنسيون

---

(١) سورة النمل الآية ١١٨ .

(٢) السياسي السعودي المعروف ، حافظ وهبه ، في كتابه « جزيرة العرب في القرن العشرين » ص١٩٨ .

(٣) من رسالة لباعث النهضة العربية ، عزيز علي المصري ، الى صاحب البحث .

ـ حلفاء الانكليز ـ لهذا القرار ، وآبى الانكليز ان يساعدوا فيصلا ، فآل الامر الى فاجعة ميسلون في ٢٥ تموز من هذه السنة ، وهي الفاجعة التي ادت الى إجلاء الملك فيصل عن سورية وحلول الفرنسيين محل حكومته فيها .

**التمهيد لطبخة جديدة**

وكان العراق يموج بثورة عارمة في تلك السنة ، ويطالب الانكليز بأن يبروا بوعودهم للعرب فيمنحوه الاستقلال ويؤلفوا فيه حكومة وطنية ، فرأى هؤلاء الانكليز ان يتجهوا الى الامير فيصل مطمئنين الى ان خيبته في سورية ضمان لا تناده في العراق ، وحذره من الاندفاع والتصادم معهم ، فاستدعوه الى عاصمتهم « لندن » في الثاني من كانون الاول سنة ١٩٢٠ واتفقوا واياه على ان يوسد عرش العراق فيؤلف فيه حكومة عربية مستقلة تحت الانتداب البريطاني ، وفقا لقرار مجلس الحلفاء الاعلى المنعقد بسان ريمو في فرانسه في ٢٤ نيسان سنة ١٩٢٠م ولما كان واضحا للانكليز ولغيرهم ان العراقيين يأبون التسليم بفرض الانتداب عليهم ، وقد ثاروا في وجه السلطة المحتلة من جراء فرضه ، فقد توصلوا مع فيصل على ان تعقد بين الطرفين معاهدة تصاغ فيها بنود الانتداب ، وأن لا تذكر فيها كلمة الانتداب . وعلى هذا الاساس توجه الامير العربي الى العراق في حزيران ١٩٢١ ونودي به ملكا على البلاد في ٢٣ آب من هذه السنة .

**الشروع في المفاوضات**

لم تمض على حفلة التتويج ايام معدودات حتى وصل الى بغداد الميجر يونغ M. young والخبير المالي ڤرنن YERNON موفدين من قبل وزارة المستعمرات ، وهما يحملان الاسس التي سيقام عليها نظام التعاهد بين العراق وبريطانية فقدما الى المندوب السامي السر برسي كوكس P.Z.COX

هذه الاسس لعقد المعاهدة التي ستنظم العلاقات العامة بين بريطانية والعراق ٠ فلم تكد الوزارة التي ألفها السيد عبد الرحمن نقيب اشراف بغداد في ١٢ ايلول سنة ١٩٢١ تطلع عليها حتى ادركت خطورة التبعة التي تحملتها ٠ فالبلاد على الرغم من انها خرجت من ثورتها العظمى ظالعة ، كانت تستنكر كل سلطة اجنبية . والانكليز كانوا يريدون ان يحكموا البلاد على اساليبهم المعروفة :

علم ودستور ومجلس امـــةٍ كل عن المعنى الصحيح محرّف[٤]

فعلى الوزارة ان توفق بين هذه النظرية الانكليزية في حكم البلاد ، ونظرية العراقيين في نوع الحكم الذي ينشدونه ٠

كان بين وجهة النظر البريطانية ووجهة النظر العراقية وادٍ عميق يتعذر اجتيازه دون تضحية من احد الجانبين . ودون تساهل كليهما ٠ فبريطانية كانت ترى نفسها انها صاحبة السلطة المنتدبة ، المشروعة عن جمعية عصبة الامم ، وانها تريد ان تصوغ انتدابها في قالب معاهدة بأقل كلفة وادنى معارضة ٠ والعراقيون كانوا يريدون ان تحل المعاهدة محل الانتداب فتنظم العلاقات بين الطرفـين المتعاهدين على اسس حلفية سليمة بين ندّ وند ٠ وقد تعرضت المفاوضات التي جرت لهذا الغرض الى هزات عنيفة وازمات شديدة . ولما لم يكن في البلاد يومذاك مجلس نيابي ينطق باسمها ، ولا صحافة حرة تستطيع ان تعبر عن آرائها . ولا قوة مادية لدى الوزارة القائمة فتتمكن من التلويح فيها ، فقد استطاعت بريطانية ان ترغم الوزارة القائمـة على التوقيـع على مـواد المعاهـدة فقـرر مجلـس الـوزراء في جلسـته المنعقـدة في ٢٥ حزيـران ١٩٢٢ قبـول النصوص بالصيغة التي توصـل اليهـا المتفاوضون ٠ وقد خالف الحاج محمد جعفر ابو التمن وزير التجارة ذلك القرار ثم حدثت انتكاسة عظيمة في العشرة الثالثة من آب من هذه السنة ،

---

(٤) من قصيدة لمعروف الرصافي في ديوان الرصافي ص ٤٣٧ ٠

وتولى المندوب السامي الحكم المباشر في العراق فنكل بالوطنيين أيما تنكيل ، وابعد لفيفا من الموظفين الذين كانوا يشايعون الحركة الوطنية عن وظائفهم ، كما أبعد الى هنجام قادة الحركة . وفي ٣٠ ايلول ١٩٢٢ تألفت وزارة جديدة برآسة السيد عبد الرحمن النقيب نفسه ، واضطر للتوقيع على مواد المعاهدة بعد ان استطاع ان يدخل عليها شرطا هو ان المعاهدة لا تعد نافذة الا بعد تصديقها من قبل المجلس التأسيسي المقرر تأليفه في البلاد ، وكان المندوب السامي يرفض مثل هذا الشرط من قبل . وكان التوقيع في العاشر من تشرين الاول ١٩٢٢ .

**تقليص مدة المعاهدة**

كانت مدة المعاهدة العراقية البريطانية الاولى التي شرحنا امرها ، عشرين سنة ، وقد قامت الضجة حول ثقل موادها وطول أمدها ، وتعرضت الى نقد شديد في الاوساط الشعبية والحكومية . وتسببت في حوادث دموية كثيرة . وفي الوقت نفسه كان الرأي العام في بريطانية غير راض عن سياسة حكومته في العراق ، كما كان مشمئزا من زيادة الاعباء المالية المفروضة على دافع الضريبة البريطاني فارتأت الحكومة البريطانية ان تخدر اعصاب العراقيين المتوترة ، وتضمن مصادقة المجلس التأسيسي على هذا التعاقد ، فألحقت بالمعاهدة موضوعة البحث، بروتكولا في ٣٠ نيسان من عام ١٩٢٣ جعل مدة المعاهدة اربع سنوات ابتداءً من تاريخ ابرام الصلح مع تركية ، وانه ليس في هذا البروتكول ما يمنع عقد اتفاقية جديدة لأجل تنظيم العلاقات بين بريطانية والعراق اذا ما انتهى أجلها .

لقد اجريت انتخابات مزيفة لعقد المجلس التأسيسي ، الذي عليه ان يضع دستور البلاد ، ويسن قانون الانتخاب للمجلس النيابي الواجب اقامته ، والبتّ في المعاهدة العراقية ـ البريطانية . وقد قوطعت هذه الانتخابات ،

وجرت حوادث دموية هائلة بسببها ومع ذلك فقد اجتمع المجلس المذكور في ٢٧ آذار ١٩٢٤ فتألفت لجنة خاصة لتدقيق مواد المعاهدة وذيولها • والبروتكول بها . فقد استطاعت بريطانيا ان ترغم الوزارة القائمة على التوقيع في جلسته الملحق بها • وكانت ملاحظات اللجنة تصطدم دائما بعناد المندوب السامي وتصلبه . حتى انه رفض ادخال اي تعديل على اية مادة من مواد المعاهدة ، الا انه وعد باجراء بعض التعديلات ، ولكن بعد الابرام • ولما وجد تصميما من بعض المندوبين على وجوب ادخال التعديلات المنشودة وتوضيح البعض ، طلب الى الملك فيصل في ٢٦ مايس ان يحل المجلس التأسيسي ويطوق بنايته بالقوة اللازمة لمنع عقد اي اجتماع فيه . فاضطر الملك الى اتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لحمل المندوبين على قبول المعاهدة والاعتماد على شرف وعد المندوب السامي الخاص بالتعديل • وفي منتصف ليلة ١٠ — ١١ حزيران ١٩٢٤ صادق سبعة وثلاثون مندوبا من اصل تسعة وستين مندوبا حضروا الجلسة الليلية على المعاهدة ، وكان عدد المندوبين مائة •

**تمديد مدة المعاهدة**

كانت بين بريطانية والجمهورية التركية ، التي ورثت الامبراطورية العثمانية ، قضية معقدة فان القوات البريطانية كانت على بعد بضعة كيلو مترات عن الموصل يوم اعلنت هدنة موندروس في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ وتوقفت الحركات العسكرية بين الطرفين فشخص الكولونيل LEACHMAN الى الموصل وطلب الى القائد العسكري التركي علي احسان باشا أن يخلي المدينة المذكورة عملاً بالمادة ١٦ من شروط الهدنة ، وهي المادة التي تنص على « تسليم جميع المواقع الحربية المحافظة في سورية والحجاز وعسير واليمن ومابين النهرين — العراق — الى اقرب قائد من قوات الائتلاف ، وانسحاب القطعات التركية من ولاية أطنه ، عدا العساكر التي تلزم لتأمين النظام بحسب المادة الخامسة ، ولكن القائد التركي رفض ان يجيب الكولونيل الانكليزي الى طلبه ، ودارت

مراسلات مطولة بين لندن واسطنبول اسفرت عن صدور الاوامر بانسحاب القوات التركية عن مدينة الموصل على أن تشغلها القوات البريطانية شغلا عسكريا ، فلما استعاد الاتراك منزلتهم الدولية بعد الحرب ، طالبوا بضم ولاية الموصل الى الجمهورية التي اقاموها على انقاض امبراطوريتهم . فامتنع الانكليز واجابوا ان شَغْلَهم هذه الولاية عسكريا لا يعني وجوب التخلي عنها بعد الحرب رضائيا .

وتطور الخلاف بين الطرفين الى انتشار عصابات تركية تعبث بالامن في هاتيك الاطراف ، وتخلق المشكلات للحكومة العراقية التي قامت في ٢٣ آب ١٩٢١م فلما عقد مؤتمر لوزان لوضع الشروط النهائية للصلح ، نصت المادة الثالثة من هذه الشروط على ان يحال هذا الخلاف على عصبة الامم فتتولى البت فيه ، اذا عجز الطرفان عن الانتهاء الى نتيجة مباشرة بينهما . وبالنظر الى فشل الطرفين في الوصول الى هذه النتيجة فقد أوفدت « عصبة الامم » لجنة خاصة الى العراق في ١٦ كانون الثاني ١٩٢٥ مكونة من ابرز رجالات المجر والسويد والبلجيك ، فكان الكونت تلكي الجغرافي المعروف ورئيس الوزراء السابق ، والمستر قرسن السويدي ، مستشار السفارة في روما . والكولونيل بولص البلجيكي . الضابط المتقاعد المعروف ، للتحقيق في رغبات سكان المنطقة المتنازع عليها . وبعد ان قامت اللجنة بمهمتها ، اوصت بابقاء ولاية الموصل للعراق على شرط ان تبقى المنطقة تحت انتداب عصبة الامم لمدة ٢٥ سنة ، وأن تمنح المنطقة الكردية في شمال العراق نوعا من الادارة المحلية يحقق رغباتهم وطموحهم . وكان طبيعيا ان تتقدم بريطانية بملحق لمعاهدة ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ يقضي باستمرار امدها مع ما يلحقها من اتفاقات مالية وعسكرية وعدلية وادارية لمدة ٢٥ سنة . وكان ذلك في ١٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٦ ، وقد عجزت الحكومة العراقية عن حمل حليفتها انكلترا لتعديل أية فقرة او

---

(٥) الحقت بالمعاهدة اربع اتفاقيات هي : الاتفاقية المالية والاتفاقية العسكرية والاتفاقية العدلية واتفاقية الموظفين الواجب استخدامهم في دواوين الدولة .

مادة من فقرات او مواد المعاهدة الاولى فأجبرتها هذه الحليفة على قبول العرض كما هو قائله لها بفصيح العبارة : اما الاحتفاظ بولايه الموصل مع قبول المعاهدة ، او التخلي عنها ، فأكرهت الوزارة السعدونية الثانية مجلس النواب على قبولها باكثرية ٥٨ نائبا ضد ثمانية عشر صوتا وغياب عشرة نواب عن حضور جلسة الاقتراع • ولأجل أن تحمل بريطانيا الجمهورية التركية على قبول قرار عصبة الامم ، دخلت في مفاوضات مع الحكومة لتأسيس علاقات حسن جوار ، ثم عقدت معاهدة بين بريطانية والعراق من جهة والجمهورية التركية من جهة اخرى ، تقرر بموجبها ان يقدم العراق الى تركية عشره في المئة من عائدات النفط المستنبط في اراضيه لمدة ٢٥ سنه • وقد سبق للورد كرزن وزير خارجية بريطانية ، ان قال في خطبة القاها في مؤتمر النفط الذي عقده الحلفاء في لندن في ٢١ تشرين الثاني من سنة ١٩١٨ ان الحلفاء طفوا الى النصر على بحر من النفط •

**معاهدة ثالثة**

نصت المادة الثالثة من معاهدة ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦ العراقية البريطانية ( الثانية ) على ان « يتعهد جلالة ملك بريطانية •• في اي وقت كان ، بشرط موافقة مجلس جمعية الامم » ، بأن ينظر بجد ونشاط في المسألتين الآتيتين عند حلول الوقت الذي كان ينبغي ان تنتهي فيه معاهدة اليوم العاشر من شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٢ بموجب بروتوكول اليوم الثلاثين من شهر نيسان سنة ١٩٢٣ ، ثم بعد ذلك في فترات متعاقبة مدة كل منها اربع سنوات الى ان تنقضي مدة الخمس والعشرين سنة المذكورة في هذه المعاهدة ، او الى ان يدخل العراق في جمعية الامم :

١ — هل في استطاعته الالحاح على ادخال العراق في جمعية الامم ؟

٢ — إن لم يكن في استطاعته ذلك ففي مسألة تعديل الاتفاقيات •• بناء على

التقدم الذي بلغته مملكة العراق ، أو بناءً على أي سبب آخر ــ انتهى نص المادة ــ

وكان امر دخول العراق في عصبة الامم من الامور الحيوية بالقياس الى المملكة العراقية الناشئة . فقد كان هذا الدخول يعني انتهاء الانتداب البريطاني على العراق ، وبالتالي بطلان كافة المعاهدات والاتفاقات التي عقدت بين العراق وبريطانيا على اسس انتدابية . ولهذا انصرفت جهود الساسة العراقيين على اختلاف نزعاتهم وتباين مناهجهم واساليبهم في مكافحة التدخل الاجنبي . انصرفت الى وجوب السعي لادخال العراق في العصبة الاممية باسرع مايمكن . وكان الانكليز يماطلون ويسوّفون في امر هذا الدخول ، كما كانوا يراوغون في اقناع المسؤولين العراقيين بضرورة التريث وعدم الالحاح على الدخول في العصبة بسرعة . ولما لم تسفر المفاوضات التي جرت بين العراقيين والممثلين البريطانيين عن اية نتيجة ، سواء كان ذلك من ناحية الاسراع في دخول العراق عصبه الامم ام من ناحية تعديل الاتفاقيات الملحقة بمعاهدة ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ ، ولا سيما الاتفاقيتين المالية والعسكرية فقد إرتؤي نقل المفاضات من بغداد الى لندن لتيسير أمرها .

وكانت الوزارة التي تتولى المفاوضات في العراق ووافقت على نقلها الى لندن ، هي وزارة جعفر العسكري الثانية التي كونت في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٦ إثر انخذال وزارة عبد المحسن السعدون الثانية في مجلس النواب في اول هذا الشهر ،[٦] فاتخذت قرارا في الرابع من آب ١٩٢٧ : « ان يسافر جلالة الملك المعظم الى اوربا بنفسه للاشراف على سير المفاوضات » على الرغم من ان المادة الخامسة والعشرين من القانون

---

(٦) كان رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون قد رشح وزيره حكمه سليمان لرئاسة مجلس النواب في دورة اول تشرين الثاني ١٩٢٦ ، ورشحت المعارضة رشيد عالي لهذه الرئاسة ، ففاز مرشح المعارضة على مرشح الحكومة وكان الملك فيصل وراء هذه الطبخة فاضطر السعدون الى تقديم استقالة وزارته .

الاساسي العراقي تنص على ان « الملك مصون وغير مسؤول » كما ان مجلس الوزراء قرر في الرابع من ايلول من هذه السنة ايضا تزويد جعفر باشا العسكري رئيس الوزراء ووزير الخارجية بالسلطة التامة للمفاوضة مع ممثلي الحكومة البريطانية في اوربا لاجراء ما يقتضي من التعديل في المعاهدة والاتفاقيات المذكورة ، على ان يأخذ بنظر الاعتبار تحقيق الاسس الواردة في المذكرة المعدة لهذا الامر ) ـ انتهى نص القرار ـ

وكان وزير العدلية في وزارة العسكري الثانية رؤوف الجادرجي قد سافر الى اوربا مجازا من قبل ، فكلفه ان ينظم الى رئيس الوزراء جعفر باشا العسكري ، كما كلف مزاحم أمين الپاچه‌چي ، وزير العراق المفوض في لندن ان ينظم اليهما فأصبح الوفد العراقي المفوض ثلاثة : العسكري والچادرچي والپاچه‌چي .

افتتحت المفاوضات في لندن افتتاحا رسميا في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٧ فكانت قاعدتها المبدءآن اللذان قررتهما معاهدة ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦ ، وهذه القاعدة مبنية على ركنين اساسيين هما : دخول العراق عصبة الامم في عام ١٩٢٨ ، وهل في استطاعة الحكومة البريطانية ان تلح على ذلك ؟ وتعديل الاتفاقيتين المتفرعتين من هذه المعاهدة وهما الاتفاقية المالية والاتفاقية العسكرية[٧] اما الركن الاول فقد هدمته الحكومة البريطانية نفسها بقولها :

« ان الحكومة البريطانية دققت في قضية ترشيح العراق للدخول في عصبة الامم في ضوء التقرير المرفوع من قبل المعتمد السامي في العراق ، وبعد الامعان بالنظر ملياً في الحجج المؤيدة لهذا الطلب ، قر قرارها على ان القاء هذه الخطوة سابق لأوانه ، وانه ادعى الى الحكمة ومن مصلحة العراق ـ والحالة هذه ـ تأجيل القضية الى عام ١٩٣٢ »[٨] .

---

(٧) التقرير البريطاني الخاص ص ١٨ .

(٨) في ص٢٠٧ـ٢٢٠ من الجزء الثاني من تاريخ الوزارات « الطبعة السابعة » النصوص الرسمية لوجهات النظر لدى الفريقين .

وأما الركن الثاني ، فقد اعربت الحكومة البريطانية عن رغبتها في قصر المفاوضات على تعديل الاتفاقيتين المالية والعسكرية • ولما منيت هذه بالاخفاق في بغداد ، نقلت الى لندن فأعربت الحكومة العراقية عن رغبتها في عقد معاهدة جديدة تحل محل معاهدة ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢م ، الممدّد اجلها بموجب معاهدة ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦ ، وتعديل الاتفاقيتين المالية والعسكرية تعديلا محسوسا ، فأعدت الحكومة البريطانية مسودة معاهدة جديدة لا تختلف عن المعاهدة القديمة الا ببعض التفصيلات ، وتركت امر الاتفاقيتين المذكورتين دون حل •

وكان الملك فيصل الاول قد انتقل من « إكس لبان » الى « لندن » ليشرف على المفاوضات الدائرة بين العراقيين والبريطانيين في العاصمة البريطانية فوجد ان صعوبات جمة تحول دون التفاهم بين المتفاوضين ، فحاول ان يقرب بين وجهتي نظر الطرفين فلم يوفّق ، فقطع المفاوضات وغادر رئيس وزرائه جعفر العسكري لندن في طريق عودته الى بغداد ، ولما قرر الملك فيصل العودة الى عاصمة ملكهُ أقامت وزارة المستعمرات مأدبة وداعية له بهذه المناسبة جرى خلالها حديث المفاوضات واسباب فشلها ، فتم التفاهم على بعض التعديلات الطفيفة ، وتقرر ان يعود جعفر العسكري الى لندن ليوقع المعاهدة التي تم التفاهم عليها • وكان العسكري في عرض البحر انذاك فصدرت التعليمات الى القاهرة باعادة رئيس الوزراء العراقي عند وصوله الاسكندرية ، وهكذا رجع جعفر الى عاصمة الضباب ، وتم التوقيع على المعاهدة في ١٤ كانون الاول ١٩٢٧ . وعاد الى العراق فبلغ بغداد في ٣٠ كانون الاول ١٩٢٧ واطلع زملاءه على تفصيل ما جرى في العاصمة البريطانية •

**العدول عن المعاهدة الثالثة**

لم يرَ وزير المالية « ياسين الهاشمي » ووزير الداخلية « رشيد عالي الگيلاني » في المعاهدة الجديدة ما يحقق الآمال التي عقداها على مفاوضات

لندن ، او يتفق مع التوصيات التي زود بها مجلس الوزراء رئيسه جعفر العسكري يوم سافر للمفاوضات . فاستقالا من منصبيهما قبل ان يعود رئيسهما الى بغداد ، فلما عاد هذا الى الوطن ، وجد ان من الصعوبة الاستمرار في الحكم فرفع استقالة وزارته الى الملك في الثامن من شهر كانون الثاني ١٩٢٨ فقامت مقامها وزارة جديدة هي وزارة السعدون الثالثة في اليوم الرابع عشر من الشهر المذكور ، وكان من رأي الرئيس الجديد عدم صلاح المعاهدة الجديدة ، وعدم عرضها على البرلمان لابرامها ،[٩] لكنه تجاه رغبة الملك فيصل الذي ، عقدت هذه المعاهدة بمعرفته وإرشاده أعلن في منهج وزارته الثالثة ما يأتي :

« عرض المعاهدة العراقية ـ البريطانية التي عقدتها الوزارة السابقة على المجلس النيابي القادم ، وبذل الجهود لانجاز عقد الاتفاقيتين الجديدتين المالية والعسكرية وفقا لما تقتضيه مصلحة البلاد » .

وقد اختار السعدون اضعف نقطة في المعاهدة الثالثة ، معاهدة ١٤ كانون الاول ١٩٢٧م ، لحمل الملك فيصل على الاعتقاد بصحة رأيه فيها ، فقد نصت المادتان الثانية عشرة والثالثة عشرة على وجوب عقد اتفاقية للامور المالية واخرى للامور العسكرية لتحلا محل الاتفاقيتين المالية والعسكرية الملحقتين بمعاهدة ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢م ، على ان يتم ابرام هاتين الاتفاقيتين مع المعاهدة الجديدة في وقت واحد ، فقرر السعدون وجوب تحقيق مصالح العراق التامة في الصفقة الجديدة وفي ضوء الوعود التي وعدت الحليفة بها ، وفقا لقرار لجنة تدقيق المعاهدة في المجلس التأسيسي .

وتقدمت الحكومة البريطانية بمسودتين للاتفاقيتين المذكورتين آنفاً الى الحكومة العراقية في آذار ١٩٢٨ فاذا هما لا تتضمنان غير اللف والدوران ، ولا تحققان أية رغبة للعراق في الانعتاق من الهيمنة البريطانية على اموره المالية

(٩) من مذكرة السيد توفيق السويدي الى صاحب البحث في الجزء الثاني من تاريخ الوزارات العراقي من طبعته السابعة ص ٥٥٥ .

والعسكريه والتحكم فيها حتى وأنهما لا تتفقان مع الوعود الصريحه التي اعطتها الحكومه في اوقات مختلفة ، ولذا تعقدت المفاوضات التي شرع فيها من اجلها . وتلبدت سماء الوئام والبر بالوعود بالغيوم الكثيفة ، وبدأت الصحف العراقية تحمل على سياسة التمويه والتضليل . حتى ان المندوب السامي السر هنري دوبس قال في مقال نشرته له مجلة ذي إمپايرريڤيو الصادرة في ايلول من عام ١٩٣٣ ( ان تهمة الوطنيين العراقيين لنا بنقض العهود لا تخلو من الحق ) واخيرا لم ير السعدون غير استقالة وزارته مخرجا من هذه الورطه فقدم استقالته في ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٩ ولكنه بقي يزاول اعماله بالوكالة ثلاثة اشهر .

**معاهدة الاستقلال**

وشاءت حكومه لندن ان تستبدل معتمدها السامي في العراق السر هنري دوبس N. DOBBS قبل أن ينتهي أجل خدماته بمعتمد جديد هو السر جلبرت كلايتن CLYTON فشاء المعتمد الجديد أن يفتح صفحة جديدة لسياسة حكومته المقبلة في العراق ، هي ان تلغى معاهدات ١٩٢٢ و١٩٢٦ و١٩٢٧ وما الحق بها من بروتكولات واتفاقيات ، وتعقد معاهدة جديدة ينص فيها ان لا تنفذ الا بعد صيرورة العراق عضوا في عصبة الامم سنه ١٩٣٢م دون ان تقيد هذه الصيرورة بأي شرط او قيد . وقد مهد لذلك بتأليف وزارة اداريه جديدة برئاسة توفيق السويدي في ٢٨ نيسان ١٩٢٩ وشرع في مفاوضه حكومته المتعسفة على هذا الاساس .

وكانت الازمة السياسية في لندن قد انتهت بانهزام حزبي المحافظين والاحرار ، وتولى حزب العمال مقاليد الحكم في الخامس من حزيران سنه ١٩٢٩م فرأت الوزارة الجديدة ان من مصلحة بريطانيـة ان تستجيب الى مقترحات معتمدها الجديد المعقولة لتنهي بذلك مشكلة استمرت بين بريطانيه والعراق زهاء ثمان سنوات فأوعزت اليه في ١٤ ايلول ١٩٢٩ ان يبلغ الحكومة العراقية ما يأتي بالنص :

١ ـ ان الحكومة البريطانية مستعدة لمعاضدة ترشيح ، العراق للدخول في عصبة الامم في عام ١٩٣٢ ٠

٢ ـ ان الحكومة البريطانية ستخبر مجلس عصبة الامم في اجتماعه المقبل أنها قررت عدم الشروع بمعاهدة ١٩٢٧ ٠

٣ ـ ان الحكومة البريطانية ستخبر مجلس عصبة الامم في اجتماعه المقبل ، انها قررت ، وفقا للفقرة ( أ ) من المادة الثالثة من المعاهدة العراقية ـ البريطانية لسنة ١٩٢٦ ، التوصية بدخول العراق عصبة الامم عام ١٩٣٢ ٠

وكان لابد لوزارة توفيق السويدي ان تستقيل لتتولى الحكم وزارة قوية تأخذ على عاتقها ادارة المفاوضات الجديدة فاستقالت في ٢٥ آب ١٩٢٩م ، وتألفت الوزارة الجديدة المأمولة برئاسة عبد المحسن السعدون ٠ والمعروف عن السعدون انه يتمتع بثقة وطيدة من الانكليز ، ولكنه لم يكد يعمل ويدخل في المفاوضات حتى اصطدم معهم على امور تافهة ، كقضية نقل السلطة الى ايدي العراقيين ، وكقضية انقاض عدد الموظفين البريطانيين المستخدمين في الحكومة العراقية ، ووضع ميزانية الدولة على هذا الاساس ٠ ولما لامه النواب على حسن ظنه المفرط في رجال دار الاعتماد البريطانية ، آثر الموت على الحياة ، فأسكت قلبه بطلقة صوبها في مساء اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الاول عام ١٩٢٩م على قلبه وتولى ناجي السويدي وزير داخليته تأليف الوزارة الجديدة من الذوات الذين زاملوا الرئيس المنتحر في وزارته الرابعة ولكن لم تستطع هذه الوزارة الصمود أمام الانكليز ومراوغاتهم ، فاستقالت في ١١ آذار ١٩٣٠م ، فعهد الملك الى نوري السعيد المعروف بممالأته للانكليز وحسن ظنه بهم فألف وزارة في ٢٣ آذار من هذه السنة كان معظم اعضائها من المخضرمين ، او الذين اشتركوا في الثورة العربية التي أجج الملك حسين نارها في ٩ شعبان ١٣٣٤ / ١٠ حزيران ١٩١٦ ٠

وقد دخل نوري في مفاوضات طويلة مع الجانب الانكليزي كان يسندها الملك فيصل الاول بكل ما أوتي من حزم وقوة حتى ذللت الكثير من الصعاب ،

وقضت على كثير من المشكلات . وضمنت للانكليز مصالحهم الجوهرية في العراق . دون التفريط الكثير بمصالح العراق ، وقد اكد في جميع مفاوضاته على ان المعاهدة الجديدة ــ على الرغم من وجوب ابرامها من قبل مجلس الامة ــ فانها لن تكون نافذة المفعول الا بعد دخول العراق عضوا في عصبة الامم سنة ١٩٣٢م . اذ تنتهي بهذا الدخول علاقات بريطانيه الانتدابية في العراق على صورة رسمية ، وتقوم الصلاة بين البريطانيين والعراقيين على قدم المساواة بصورة حلفية .

ولقد شرع في المفاوضات التي ادت الى التوقيع على المعاهدة الجديدة في الثامن من شهر نيسان ١٩٣٠ فكانت تدور حول ركنين أساسيين ومحورين ثابتين هما :

١ ــ الاعتراف بحفظ وحماية المواصلات الجوية البريطانية بصورة دائمة وفي جميع الاحوال .

٢ ــ دخول العراق عضوا في عصبة الامم سنة ١٩٣٢ .

وكان الملك يشرف على هذه المفاوضات فيزيدها قوة ونجاحا حتى اذا انتهت « المفاوضات » في ٣٠ حزيران من هذه السنة ، اجريت انتخابات جديدة لمجلس نيابي جديد يضمن اقرارها ، لأن الرأي العام كان ضد عقدها لما ظهر فيها ــ عند نشرها ــ من طعون تثلب السيادة الوطنية وتطعن في الوحدة القومية فاتخذت الوزارة الاجراءات الصارمة ضد كل من حاول عرقلتها ، ومن ذلك انها اخذت من كل نائب جديد رشحته الوزارة للنيابة كتاب استقالة من عضوية المجلس النيابي ، فيما اذا ظهر منه اي زيغ أو ميل للخروج على ارادة الوزارة . وهكذا ابرمت المعاهدة في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٠ باكثرية ٦٩ نائبا من اصل ٨٨ واصبح التغلغل البريطاني في العراق يستند الى التشاور في السياسة الخارجية ، وشيء من التشاور او التدخل في الامور الداخلية المهمة .

ولابد ان نشير هنا الى الحالة التي نشأت بين الاقليات عند نشر هذه

المعاهدة . فقد ادعى الكرد مثلا ان المعاهدة جاءت خاليه من بحث الامتيازات التي عينتها عصبة الامم لهم ، يوم مددت معاهدة ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٢ بموجب معاهدة ١٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٦ فاستنكروها وابرقوا الى عصبة الامم يحتجون عليها . وحذا النيارون حذوهم ، وهم الذين سكنوا العراق في ختام الحرب العالمية الاولى ( حرب ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ) فراجعوا عصبة الامم مثل مراجعة الكرد ، وقامت اضطرابات ادت الى بعض القتول . اما الوطنيون في بغداد ، والزعماء السياسيون المعول على آرائهم فقد عدوا المعاهدة الجديدة نوعا من الاحتلال الدائم للعراق ، بعد ان كانت البلاد تحت الانتداب الموقت ، وحجتهم على ذلك هي سماح المعاهدة للانكليز بانشاء قاعدة عسكرية في جوار الحبانية بين الفلوجة والرمادي ، وفي الشعيبة بجوار البصرة ، ومنح الممثل البريطاني في العراق ، امتياز التقدم على ممثلي الدول الاخرى ، ووجوب توحيد مساعي المتعاقدين في حالة حدوث نزاع بين بريطانية واحدى الدول ، وضرورة حماية وحفظ المواصلات في العراق ، حتى بعد انتهاء أجل المعاهدة وهو خمس وعشرون سنة . وقد الحقت بالمعاهدة كتب تفسير وايضاح منوعة . وكان العراق ملزما بقبول هذه المعاهدة ، على الرغم من ثقل بعض موادها ، لأن المعاهدة لا تنفذ الا بعد دخول العراق في عصبة الامم . وقد تم هذا القبول في الثالث من شهر تشرين الاول سنة ١٩٣٢م .

**كلمة الختام**

يتضح من هذا الاستطراد التاريخي ان الانتداب البريطاني الذي فرضه مجلس الحلفاء الاعلى المنعقد في سان ريمو على العراق في ٢٤ نيسان سنة ١٩٢٠ افرغ في صورة معاهدة كانت مدتها تقلص حينا وتمدد حينا آخر تبعا للظروف والاحداث ، ذلك ان العراقيين لم يستسيغوا نظام الانتداب الاستعماري منذ اللحظة التي فرض عليهم ، فاضطرت الدولة المنتدبة ــ بفتح

الدال ـ الى التحايل ، فركنت الى أساليبها الاستعمارية الملتوية لتنفيذه . ولما لم تكن حتى هذه الاساليب سهلة التنفيذ ، فقد ركنت الى وسائل القمع والاضطهاد لتمشية معاهدة ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ ، وركنت الى وسائل التهديد والوعيد لابرام معاهدة ١٣ كانون الاول ١٩٢٦م . أما معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ ( اي المعاهدة العرقاية ـ البريطانية الرابعة ) التي ادعت الحكومة البريطانية بانها بنيت على أساس الاستقلال التام ، وانها ستنفذ بعد دخول العراق في عصبة الامم . فقد ابرق الوطنيون العراقيون الى سكرتير عصبة الامم . انهم يرفضون هذا الدخول على اساس هذه المعاهدة ، وقالت اللجنة التي عهد اليها مجلس العصبةالمذكورة للنظر في أمر دخول العراق في عصبة الامم « انها وجدت في معاهدة ٣٠ حزيران شذوذا غير مألوف في المعاهدات الدولية المتكافئة » ولكن اساليب الانكليز ومراوغاتهم المفضوحة ضمنت ابرامها كما ضمنت ادخال العراق في العصبة الامية ، وانطوت بذلك صفحة من صفحات التعاهد المشين وكفى الله المؤمنين القتال .

# الدستور العراقي

## من وضعه؟ لماذا عدّل؟ وكيف الغي؟

**تمهيـــد**

قامت الثورة الفرنسية في صيف عام ١٧٨٩ لتعلن « حقوق الانسان » التي تمثلت فيها المباديء السامية والمثل العليا بحيث اصبحت « هذه المباديء » نبراسا الدساتير الاوربية وغيرها . وكانت معظـم دول اوربـا ، ولا سيما فرنسه والمانية وايطالية واسبانية تتخبط في ديجور حكم مضطرب وسلطان يتنازعه الملوك المستبدون وشعوبهم الطامحة في التحرر من نير الحكم الفردي ، وهكذا سنت « الثورة الفرنسية » قاعدة الحكم للاجيال الصاعدة ، فلم يعد في وسع الملوك والسلاطين ان يحكموا شعوبهم حكما فرديا مستبدا ، وان قامت بعض الدكتاتوريات بين الفينة والفينة .

وفي الحقيقة كانت الديانة الاسلامية السمحة قد منحت الانسان مثل هذه الحقوق ــ إن لم نقل اكثر منها ــ قبل اندلاع لهب الثورة الفرنسية باكثر من ألف حجة ،وانها جاءت بدستور سليم لاقرارها لم نر مثله في الدساتير العالمية ، زمنية أكانت ام دينية ، يوم لم يكن على وجه البسيطة دستور يضمن المساواة بين الافراد ، ويحفظ حقوقهم تجاه السلطة الحاكمة ، وان التشريع الاسلامي

ضمن للفرد جميع حقوقه ، وحدد سلطة الدولة في جميع القضايا التي تتصل بحياته او تتعلق بحريته الشخصية . فالفرد من حقه أن يساهم في شؤون الدولة بكل حرية ، وله ان يناقش أحكامها ، اذا كانت مخالفة لأحكام الشريعة، وان ينادي بنزع ولايتها واسقاطها حتى معاقبتها ، اذا خالفت قواعد الشرع ، وبيت المال لا يستطيع ان يجبي من الضرائب الا ما تفرضه الشريعة . الى غير ذلك من الحقوق المدنية الحديثة . بما وصل اليه تفكيرها ، وما أملته عليه تجاربها . وما حصلت عليه من ثورات داميه ، ان تشرعه وتحافظ عليه بكل ما لديها من قوة .

**منابع الدستور العراقي**

والدستور العراقي الذي وضعه الانكليز في عام ١٩٢٢م ، وصادق عليه المجلس التأسيسي العراقي في عام ١٩٢٤م ، وألغته ثورة ١٤ تموز الجبارة في عام ١٩٥٨م لم يكن منحة انكليزية ، ولا كان تشريعا عراقيا شعبيا ، وانما كان نتيجة من نتائج الحرب العالمية الاولى التي نادت بمباديء حرية الشعوب في حكم نفسها بنفسها واليك البيان :

لما قرر مجلس الحلفاء الاعلى المنعقد في « سان ريمو » في ٢٤ نيسان من عام ١٩٢٠ فرض الانتداب الانكليزي على العراق وفلسطين ، والانتداب الفرنسي على سورية ولبنان ، نظمت الحكومة الانكليزية لائحة لانتدابها على العراق في عشرين مادة نصت المادة الاولى منها على ما يلي :

« المنتدب ان يضع في اقرب وقت . على ان لا يتجاوز الثلاث سنوات من تاريخ تنفيذ الانتداب ، قانونا اساسيا للعراق — دستور — يعرض على مجلس جمعية الامم للمصادقة عليه فينشره سريعا . وهذا القانــون يسن بمشورة الحكومة الوطنية — في العراق — ويبين حقوق الاهالي الساكنين ضمن البلاد ، ومنافعهم ، ورغائبهم ، ويحتوي على مواد تسهل تدرج العراق

وترقيه كدولة مستقلة • وفي الفترة قبل العمل بالقانون الاساسي يجري العمل في العراق طبقا لروح الانتداب »[1] •

فلما اطاح الجنــرال غورو بحكم الملك فيصل في سورية في الخامس والعشرين من شهر تموز ١٩٢٠م ، واضطره الى الجلاء عن الاراضي المشمولة بالانتداب الفرنسي ، قــررت الحكومة الانكليزية استدعاء الملك فيصل الى لندن والاستفادة منه في حل المشكلة العراقية التي تفاقمت باندلاع ثورة ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ضد فرض الانتداب الانكليزي على العراق • فعرضت عليه عرش العراق اذا ما أخذ على عاتقه تنفيذ الانتداب الذي منحه اياها مجلس الحلفاء الاعلى • ولما كان العراقيون يقاومون الانتداب ولا يرتضون احكامه ؛ وعدوه باستبدال صك الانتداب ــ موضوع البحث ــ بعقد معاهدة بــين العراق وانكلترا ترضي العراقيين من جيهة ، وتجعل عصبة الامم تعتقد بان بريطانيا ما تزال عند تعهداتها الانتدابية تجاهها • وهكذا حلت معاهدة ١٠ تشرين الاول العراقية ــ البريطانية لسنة ١٩٢٢ محل نظام الانتداب الممنوح لانكلترا في ٢٤ نيسان ١٩٢٠ وقد نصت المادة الثالثة من هذه المعاهدة على ما يلي ، وهي لا تختلف بمضمونها عن نص المادة الاولى من صك الانتداب المثبت اعلاه :

« يوافق جلالة ملك العراق على ان ينظم قانونا اساسيا ليعرض على المجلس التأسيسي العــراقي ، ويكفل تنفيذ هذا القانــون الذي يجب ان لا يحتوي على ما يخالف نصوص هذه المعاهدة ، وان يأخذ بنظر الاعتبار حقوق ورغائب ومصالح جميع السكان القاطنين في العراق ، ويكفل للجميع حرية الوجدان التامة ، وحرية ممارسة جميع اشكال العبادة ، بشرط ان لا تكون مخلة بالآداب والنظام العموميين • وكذلك يكفل ان لا يكون أدنى تمييز بين سكان العراق بسبب قومية او دين او لغة ، ويؤمن لجميع الطوائف

---

(١) « تشكيلات عصبة الامم ومقاصدها » ص ٩٤ •

عدم نكـران او مساس حقها بالاحتفـاظ بمدارسها لتعليم ابنائها بلغتهـا الخاصة ، على ان يكون ذلك موافقا لمقتضيات التعليم العامة التي تفرضها حكومة العراق ، ويجب ان يعين هذا القانون الاساسي الا صول الدستورية ، تشريعية كانت ام تنفيذية ، التي ستتبع في اتخاذ القرارات في جميع الشؤون المهمة بما فيها الشؤون المرتبطة بمسائل الخطط المالية والنقدية والعسكرية »[٢]

«الدستور العراقي توافر فيه ما نص عليه صك الانتداب في مادته الاولى ، وما اشترطته صيغة البيعة للامير فيصل بملوكية العراق[٣] وما اقرته المادة الثالثة من المعاهدة العراقية ـ البريطانية الموقع علها في بغداد يوم ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ لتحل محل الانتداب . و « ان يتضمن النصوص المعتاد درجها في دساتير العصر المشتقة من اصول حقوق الانسان كالحرية الشخصية ، وحرية المعتقد ، واللغة ، والتعليم ، وحقوق الاقليات ، والمساوات القانونية العامة . وما شاكل »[٤]

## كيف وضع الدستور ؟

تمثلت الهيمنة البريطانية على العراق بتأسيس « دائرة المندوب السامي » التي ضمت عددا كبيرا من الانكليز المختصين بالامـور المالية والادارية والعسكرية والقضائية مضافا الى المندوب السامي ومساعديه ومساوريه ، وقد عهدت وزارة المستعمرات البريطانية في لندن الى دار المندوب السامي البريطاني في بغداد بالشروع في وضع لائحة الدستور العراقي في ضوء المواد المدرجة

(٢) « المعاهدة العراقية الانكليزية مع الاتفاقيات الملحقة بها » ص ٢ .
(٣) كان نص القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء العراقي في ١١ تموز ١٩٢١ لمبايعة فيصل كالآتي :
« المناداة بسمو الامير فيصل ملكا على العراق ، ويشترط أن تكون حكومة سموه دستورية نيابية مقيدة بالقانون » .
(٤) نيجل دافيدسن في رسالته « العراق أو الدولة الجديدة » ص٢٢ .

اعلاه فتألفت لجنة قوامها : الميجر دبليو •جي•يونغ ،[٥] الموظف في دائرة الشؤون الشرقية في وزارة المستعمرات البريطانية في لندن الذي الحق بدار المندوبية . والمستر أيم• اي• دراورد ،[٦] المستشار القضائي للدار المذكورة، والمندوب السامي نفسه • فاستعانت هـذه اللجنـة بالدستور الاسترالي ، والدستور النيوزيلندي ، وبعض دساتير الممالك الصغرى مثل تركية وايران في وضع هذه اللائحة العراقية ، فجاءت اللائحة كوسيلة من الوسائل السياسية للحفاظ على احكام المعاهدة العراقية ــ البريطانية بدلا من ان تكون اداة للحكم في العراق حكما ديمقراطيا • وقد ارسلت هذه اللائحة الى وزارة المستعمرات مع الميجر يونغ في اوائل عام ١٩٢٢ لتدقيقها من قبل الموظفين المختصين فأجرت الوزارة المذكورة تعديلات هامة فيها واعادتها الى مندوبها في العراق ليقدمها الى الحكومة العراقية[٧] فلما تسلمتها الحكومة المذكورة ، تألفت لجنة لتدقيقها قوامها وزير العدلية ناجي السويدي ، ووزير المالية ساسون حسقيل ، ومستشار وزارة العدلية المستر دراورد ، والمشاور الحقوقي في دار المندوب السامي نايجل دافيدسن Nigel Davidson ثم انضم الى هذه اللجنة رستم حيدر كممثل للملك فيصل • فوجدت « اللجنة » ان هذه اللائحة لا تنطبق على الاحوال السائدة في العراق ولا تلائم اوضاعه العامة • فقد اشترطت منح الملك ــ مثلا ــ صلاحية التصديق على كل قانون يسنه مجلس الامة ، كما حرمت على مجلس الامة وضع اي تشريع يخالف معاهدة التحالف المبرمة بين الحكومتين : العراقية والانكليزية ، وعلى هذا ابدلتها بلائحة جديدة استمدت مفاهيمها من الدستور العثماني ، ومن بعض دساتير الامم الاخرى ، ومنها اليابان ،[٨] كما ضمنتها التعديلات الضرورية التي رأت أن تدخلها على اللائحة

(٥) Hurbrt young

(٦) Edwin Drowed

(٧) Huoper, CA, The Constitutional Law Of Iraq, P.15

(٨) مجموعة مذكرات المجلس التاسيسي ص ٤٢٥ من المجلد الاول •

لاصلية . وقد كانت للوزيرين العراقيين وجهة نظر ، وللمستشارين الانكليزيين وجهة نظر اخرى دونتا في مذكرتين منفصلتين ارسلتا مع اللائحتين : الاصلية والجديدة الى وزارة المستعمرات في لندن لتقــول كلمتها الاخيرة . ولما كان الموظفون المختصون في تلك الوزارة من المتشبعين بالآراء الحقوقية المستندة الى نظرية حقوق الانسان « التي اقرتها الثورة الفرنسية » والتي شاعت في دساتير الدول الحديثة عامة ، والناشئة منها خاصة ، عملوا على ان تكون اللائحة المطلوبة موافقة للطرفين . فتخيروا من دساتير ايــران وتركية ومصر ابقها وأكملها . ومن لائحة دستور المملكة الفيصلية في الشام ، وغيرها من الدساتير الشرقية والغربية واكثرها ملائمة لروحية الشعب العراقي وطموحه ، واتفقوا على ضم ذلك كله الى اللائحة القديمة المعروضة عليهم ، وقد أيدوا وجهة النظر العراقية في معظم التعديلات التي ارادها الوزيران العراقيان ، ولا سيما فيما يتعلق « بسلطة المجالس النيابية . وجعل الحكومة تحت اشــراف المجالس النيابية . وجعل الحكومة تحت اشراف المجلس النيابي وتحقيق مسؤولياتها امامه »[٩] وكان هذا الحق قد منح للملك في اللائحة الاصلية . اما ما أيدوا به وجهة النظر الانكليزية فيقول عنه الحقوقيون انــه كان شذوذا في عالم التشريع[١٠] وكان مما يلفت النظر اليه بصورة خاصة ما جاء في الفقرة الثالثة من المادة السادسة والعشرين من لائحة الدستور ، من جواز اصدار مراسيم خاصة تكون لها قوة قانونيــة لتصديق القوانــين المتعلقة بالقيــام بواجب

---

(٩) IRELAND, P.W. IRAQ : A STUDY IN POLITICAL DEVELOPMENT P.314.

(١٠) « ان البريطانيين الذين اشتركوا في وضع اللائحة كان الواجب الملقى على عاتقهم أكبر من واجب تامين ادخال هذه الشروط والمواد الاخرى التي تكفل نجاح سير جهاز الدولة . فقد كان مفروضا عليهم ــ بمقتضى رغبات حكومة صاحب الجلالة ــ أن يضمنوا بهذا القانون وضع تدابير اضافية من شأنها أن تعزز مركز بريطانيا العظمى في العراق » Ireland, P. 292.

المعاهدات ، دون عرضها على مجلس الامة في اجتماعه القادم ، كما تعرض عليه بقية المراسيم التي تصدر في عطلة المجلس لتصديقها او الغائها ، الامر الذي لا نجد له نظيراً في الدساتير العالمية كافة . ويعده البريطانيون ضربا جديدا في الدساتير .

اما ما نصت عليه المادة الرابعة عشرة بعد المئة من اعتبار « جميع البيانات والنظامات والقوانين التي اصدرها القائد العام للقوات البريطانية في العراق . والحاكم الملكي العام ، والمندوب السامي ، والتي اصدرتها حكومة جلالة الملك فيصل في المدة التي مضت بين الخامس من تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وتاريخ تنفيذ هذا القانون الاساسي تعد صحيحة من تاريخ تنفيذها .... » فمن اغرب ما نصت عليه الدساتير ، ولا سيما اذا علمنا ان من بين هذه البيانات عددا من الوعود لغير العراقيين باعفاء املاكهم المطوبة في العراق من الضرائب العامة[11] ومصادرة املاك بعض العراقيين الذين قاوموا سلطات الاحتلال في ابان الاحتلال وقيدها باسم الحكومة[12] .

وعلى كل فقد صادقت وزارة المستعمرات على لائحة الدستور بشكلها

---

(١١) لما جردت حكومتا لندن والهند حملة الجنرال ديلامين لفتح العراق الحقت السر برسي كوكس بهذه الحملة كمستشار سياسي فيها ، فكان هذا المستشار يكيل الوعود جزافا لضمان النصر للحملة ، وعندما اقتربت قوات الجنرال الموما اليه من صدر الفاو ، وعد كوكس شيخي الكويت والمحمرة باعفاء بساتين نخيلهما في العراق من الضرائب التي تتحقق عليهما لما أسدياه من مساعدات للجيش البريطاني أثناء الفتح فنصت لائحة الدستور العراقي ، في جملة ما نصت عليه من مبادىء جائرة ، على وجوب اعتبار هذا الوعد ساري المفعول في الحال وفي الاستقبال .

(١٢) قتل الكابتن مارشال في النجف ـ وهو حاكمها السياسي ـ في ١٨ آذار ١٩١٨م فاتهم الحاج عطية أبو كلل بالتحريض على هذا القتل ، وصادرت سلطات الاحتلال البريطانية عقارا له في النجف ، ولم تستطع الحكومة العراقية من رد العقار الى صاحبه الا بتشريع خاص وافقت عليه سلطات الانتداب البريطاني في عام ١٩٣١ .

الاخير ، واعيدت الى الحكومة العراقية لعرضها على المجلس التأسيسي للتصديق . نعهدت بها الى « لجنة خاصه بوزارة العدلية قوامها ثلاثة أعضاء من الحكام وثلاثة اعضاء من الحقوقيين برئاسة وزير العدلية »[١٣] وهو يومئذ عبيد المحسن السعدون ـ واشراك المستشار القضائي ، وكان السيدان : ناجي السويدي ورؤوف الچادرچي مشاورين فيها ، فرأت هذه اللجنة ان هناك ضرورة قصوى لتعديل بعض المواد فدونت ملاحظاتها في مذكرة قدمتها الى مجلس الوزراء ليقرها فتولاها هذا بالتدقيق والدرس ايضا . وكان مما عدله فيها ، وجوب « منح الثقة من قبل المجالس التشريعية الى الحكومات العراقية التي ستشكل »[١٤] لتتمكن من مزاولة اعمالها في جو مشبع بروح الثقة والطمأنينة . فلم تر الحكومة البريطانية مانعا من قبول هذه التعديلات ، ولا سيما بعد ان وافقت على التعديل الذي اقرته اللجنة الاولى ، واقره الموظفون البريطانيون المسؤولون من جعل الوزارات مسؤولة امام مجلس الامة دون الملك .

**النص النهائي للائحة**

بعد ان استغرقت المفاوضات والمراسلات بين بغداد ولندن اكثر من عامين ، توصل المفاوضون العراقيون والبريطانيون الى اقرار الصيغة النهائية للائحة الدستور العراقي فجاءت في ( ١٢٣ ) مادة موزعة على مقدمة وعشرة ابواب . اما المقدمة فقد بحثت اسم القانون ، وشكل الحكومة ، وعاصمة الدولة ، وشكل علم الامة . وقد استغرق ذلك المواد الاربع الاولى . واما الابواب العشرة فهذا بيان بأهم ما تضمنته :

الباب الاول : وعدد مواده اربع عشرة مادة ، وتتناول حقوق الشعب

(١٣) مجموعة مذكرات المجلس التاسيسي ص ٤٥٢ من المجلد الاول .
(١٤) المجموعة المذكورة ص ١/٤٥١ .

بصورة منصله • وقد جزأت هذه الحقوق الى نوعين : عام كما جاءت في « لا تحة حقوق الانسان » وخاص ، وهي التي يمتاز العراق بها كدولة مسلمة فيها اقليات متباينة ، وفيها ديانات مختلفة •

الباب الثاني : في ثماني مواد تتناول بالبحث حقوق الملك وصلاحياته كأن يكون هو الذي يصدق القوانين ويأمر بنشرها ، وهو الذي يأمر باجتماع مجلس الامة وتأجيله او تمديده و حله ، وان له صلاحية اصدار مراسيم يكون لها قوة القوانين ، في حالة عدم وجود المجلس في حالة الاجتماع ، على ان تعرض عليه عند اجتماعه لاقرارها او ابطالها •

الباب الثالث : في سبع وثلاثين مادة تتناول بالبحث السلطة التشريعية ، وكيفية تعيين اعضاء مجلس الاعيان ، وانتخاب اعضاء مجلس النواب ، وما يدفع الى كلا الطرفين من مخصصات ، وكيفية عقد اجتماع كلا من المجلسين •• الخ •

الباب الرابع : وتبحث مواده الاربع في كيفية تشكيل الوزارات ، وعدد الوزراء ، ومسؤولياتهم امام مجلس الامة ، وطرق استقالتهم ، وتصرفهم بالامور المتعلقة بوزارة كل منهم •

الباب الخامس : وقد تم في ٢٢ مادة تتعلق كلها بالسلطة القضائية ، وكيفية تشكيل المحاكم ، ودرجاتها ، وأماكن انعقادها ، واقسامها ، وأختصاصات كل منها ، ومراقبة احكامها وتنفيذها بقوانين خاصة •

الباب السادس : ومواده تسع عشرة مادة تبحث كلها في الامور المالية ككيفية فرض الضرائب ، وجبايتها ، وطرق صرفها ،وقد حصر حق عرض اللوائح المتضمنة صرف مبالغ بالوزراء دون الاعيان والنواب •

الباب السابع : في اربع مواد تتناول بالبحث ادارة الاقاليم الادارية ، وانواعها ، وكيفية تأسيسها ، وما يتعلق بالمجالس البلدية والطائفية ونحوها •

الباب الثامن : في خمس مواد تحتم اعتداد البيانات العسكرية ، والانظمة الادارية ، وسائر القوانين الصادرة عن أية سلطة عسكرية او ملكية ، بريطانية

كانت ام عرافيه . فبل نشر القانون الاساسي العراقي مرعيه الجانب حتى تلغى او تستبدلها السلطة التشريعية بغيرها .

الباب التاسع : في مادتين اثنتين اجازت أولاهما تعديل اي من الامور الفرعية في القانون الاساسي العراقي خلال سنة واحدة من تاريــخ نفاذه . وأجازت الثانية تعديل ايه مادة من مواده بعد مرور خمس سنوات على تاريخ نفاذه . على ان يتم التعديل بموافقة كل من مجلسي النواب والاعيان باكثريه مؤلفة من ثلثي الاعضاء في كل من المجلسين ، ثم يحل مجلس النواب ليحل محله مجلس جديد يعرض عليه التعديل المتخذ من قبل المجلس المنحل ليقره .

الباب العاشر : في اربع مواد خصصت لكيمية اعــلان الاحكام العرفية . وكيفية تفسير القوانين . وكيفية ادارة امور الاوقاف ، وتاريخ تنفيذ القانون الاساسي « الدستور » .

**الشذوذ في الدستور**

كان الدستور العراقي الذي وضع البريطانيون اسـه ليضمنوا تنفيذ صك انتدابهم على العراق غريبا في بابه . شاذا في اسلوبه . فقد نصت مادته التاسعة عشرة مثلا على ان « سيادة المملكة العراقية الدستوريه للامة » لكنها اضافت الى هذا النص زيادة غير مألوفه في دساتير العالم او قوانينه الاساسيه . فالزيادة التي الحقت بهذه المادة ، وهي بالنص « وهي ــ اي السيادة ــ وديعه الشعب للملك فيصل بن الحسين ثم لورثته من بعده » تعد من مستحدثات الشارع العراقي ، لان القوانين الاساسية العالمية تنص على ان الامة هي مصدر السلطات . او ان السيادة تستقر في الامة(١٥) .

---

(١٥) « ان هذا النص هو الذي شوش على الملك استعمال سلطاته حتى جعله يشعر بأنه هو الحاكم المطلق في تدبير امور الدولة والامن فيها ، وبقي

←

وكمثال آخر على الشذوذ البارز في الدستور العراقي ان المادة الاولى من المعاهدة العراقية ـ البريطانية المعقودة في العاشر من تشرين الاول ١٩٢٢م ، لتحل محل صك الانتداب البريطاني على العراق . نصت على ان السيادة الوطنية للعراق . بينما قيدت المادة الرابعة منها ملك العـراق بان يستشير المندوب السامي البريطاني الاستشارة التامة . وللتوفيق بين هذين الوضعين ، أرتؤي تقييد سلطة المجلس النيابي آزاء « السلطة التنفيذية » في النواحي الاداريه والمالية والقضائية لئلا يشرع امرا قد لا يقره المندوب السامي ، مثل حكومة الانتداب في العراق ، فيؤول الامر الى التصادم . فقد زيدت السلطة التنفيذية في :

١ ـ امكان اصدار مراسيم تكون لها قوة القوانين في حالة عدم اجتماع المجلس(١٦) .

٢ ـ تعيين اعضاء مجلس الاعيان من قبل الملك(١٧) .

٣ ـ امكان عدم مصادقة الملك على القوانين التي يشرعها مجلس الامة(١٨) .

كما قيدت سلطة البرلمان في الامور المالية مثل :

١ ـ عدم السماح لمجلس النـواب بخفض النفقـات المنصوص عليها في المعاهدات(١٩) .

---

مجلس الامة متفرجا على ما يجري حوله ومما يتخذ من اجراءات في معالجة المعضلات الهامة . ولو لم يكن الملك فيصل رجلا حكيما يميل بطبيعته الى التؤدة والحكمة لاستعمل ما نص عليه الدستور من الحقوق الواسعة بشيء من التعسف والاستهتار » .

مذكرات توفيق السويدي ص١٠٢

(١٦) الفقرة الثالثة من المادة السادسة والعشرين .
(١٧) الفقرة السادسة من المادة ٢٦ .
(١٨) الفقرة الثالثة من المادة الثالثة والستين .
(١٩) المادة ( ١٠٦ ) من القانون .

٢ ــ عدم السماح لأي عضو من اعضاء مجلس النواب بتقديم اقتراح بصرف اي مبلغ[٢٠] .

٣ ــ السماح للحكومة ان تصدر ميزانيات موقتة[٢١] وان تسير على ميزانية السنة المنصرمة في حالة عدم وجود ميزانية جديدة[٢٢] .

**اللائحة في المجلس التاسيسي**

بعد ان توصل العراقيون والبريطانيون الى اقرار الصيغة النهائية للائحة الدستور العراقي . بعث بها رئيس مجلس الوزراء الى رئيس المجلس التأسيسي الذي اجتمع لاول مرة في ٢٧ آذار ١٩٢٤ ليقرها مع المعاهدة العراقية ــ البريطانية ولائحة قانون انتخاب مجلس النواب ، وهي المواد الثلاث التي اجتمع هذا المجلس خصيصا لاقرارها . وقد صحبها بهذا الكتاب الرسمي :

الى صاحب الفخامة حضرة رئيس المجلس التأسيسي

بعد التحية : اقدم الى فخامتكم طي كتابنا هذا نسخة من القانون الاساسي للمملكة العراقية الذي هيأته الحكومة العراقية . ودققت فيه كل التدقيق . اعرضه على المجلس التأسيسي الموقر .

وبهذه المناسبة ألفت نظر فخامتكم الى اهمية هذا القانون لانه ــ بعد ان يصدقه المجلس الموقر ــ يجب ان يعرض على عصبة الامم . اذ يعد قبولها اياه من اهم العوامل التي تؤهل العراق للدخول فيها .

وعليه فقد بذلت الحكومة قصارى جهدها في وضع مواده بصورة يستحسنها العالم المتمدن وتقبلها عصبة الامم . اقبلوا فائق الاحترام ...

٣ / ٤ / ١٩٢٤ — رئيس الوزراء جعفر العسكري

---

(٢٠) المادة ( ١٠٥ ) من القانون .
(٢١) المادة ( ١٠٧ ) من القانون .
(٢٢) المادة ( ١٠٧ ) من القانون .

وكان الملك فيصل حين افتتح المجلس التأسيسي اشار الى لائحة القانون الاساسي « الدستور » بهذه العبارة :

« كذلك نوجه انظاركم الى خطورة القانون الاساسي ، ركن السياسة الداخلية . اذ عليه تتوقف سمعتنا عند الامم المتمدنة . ان احكام الاسلام مؤسسة على الشورى ، وأعظم ما ارتكبته الطوائف الاسلامية من الخطيئات ، حيادها عن قوله تعالى « وامرهم شورى بينهم » فعلى كل مسلم يعلم ما يأمر به دينه ان يؤيد هذا الحكم الآلهي . وكل تكاسل عنه مخالفة لأمر الله . فاتباعا لهذا الامر الجليل . واقتداء بالامم الراقية في الحضارة ، وعملا برغبات الامة العراقية . ندعوكم ايها النواب الى سن هذا القانون ، ووضع نظام الانتخاب للمجلس النيابي »[٢٣]

وقد احال رئيس المجلس التأسيسي لائحة الدستور العراقي على لجنة من اعضاء المجلس تمثل ألوية العراق كافة على ان يكون عضوان للواء الموصل فكان اعضاء اللجنة خمسة عشر مندوبا فيهم المثقف ثقافة قضائية عالية ، وفيهم الامي وشبه الامي ، ولا سيما من كان من رؤساء القبائل التي تمثلت في المجلس التأسيسي تمثيلا خاصا . وقد عقدت هذه اللجنة عدة جلسات لتدقيق اللائحة موضوعة البحث . واتخذت في بدء اجتماعها هذين القرارين :

١ ــ ان يطلب من الحكومة اطلاع اللجنة على جميع المراسلات والاوراق المتعلقة بتنظيم لائحة القانون الاساسي اذا كانت هذه المراسلات والاوراق موجودة .

٢ ــ الاستيضاح من الحكومة ، وطلب المعلومات والافادات التي تحتاج اليها اللجنة عند تدقيق لائحة القانون الاساسي وقت اللزوم .

ولم تستطع لجنة الدستور انجاز عملها بيسر لانشغال المجلس التأسيسي في مناقشة مواد المعاهدة العراقيــة ــ البريطانية التي كانت الشغل الشاغل

---

(٢٣) مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي ص ٨٩ من المجلد الاول .

للمندوبين كافة . وللرأي العام في العراق وفي خارجه . فضلا عن الحكومتين العراقية والبريطانية • فلما فرغ المجلس من البت في امر المعاهده ، انصرف الى بحث مواد الدستور •

لم يكن لدى وزارة العدلية العراقية مخابرات ومراسلات حول لائحة الدستور العراقي لعدم وجود علاقة لها بالموضوع . على الرغم من ان الدستور كان اخطر قانون اعد للعراق ، ولم يكن في وسع هذه الوزارة ان تنيب عنها من يمثلها في لجنة تدقيق الدستور لعدم وجود موظف ملم بالظروف التي وضع فيها الدستور ، او الادوار التي مرت عليه في مختلف الظروف • وقد اداعت « لجنة الدستور » بلاغا عاما ناشدت فيه ارباب المعرفة والدراية ان يوافوها بما لديهم من ملاحظات وانتقادات . ولكن احدا لم يلب الطلب فشرع المندوبون يلقون ما عندهم من ايضاحات وبيانات لا تسمن ولا تغني من جوع •

وادرك المندوب السامي حراجة الموقف فاسر الى المندوبين الضالعين في نهجه ان يعارضوا كل اقتراح يتقدم به اساطين الحقوق والقانـــون فكانت مساجلات . وكانت مساحكات • ولأجل ان تعطى نهاية لمثل هذا التأزم ، أمر « المندوب » المشار اليه مستشاره القضائي ان يوجـــه الى رئيس الحكومة العراقية هذا الكتاب السري :

سكرتارية فخامة المعتمد السامي في العراق

بغداد في ١٦ حزيران سنة ١٩٢٤      سري شبه رسمي

عزيزي فخامة الرئيس

قد اوعز الي فخامة المعتمد السامي ان اخاطبكم في موضوع مداولات المجلس التأسيسي الذي أخذ الآن ينظر في القانون الاساسي مادة فمادة بالنظر الى تقرير اللجنة •

كما تعلمون فخامتكم ان هذا القانون في شكله الحالي هو نتيجة مسودات متعددة وضعت باستشارة وموافقة صاحب الجلالة البريطانية بصفة اداة وافية

للقيام بنصوص المادة الثالثة من المعاهدة ، وانه يحتوي على اصول دستورية لاجل القيام بالتعهدات الاخرى الواردة في المعاهدة والاتفاقيات ، وكذلك قبلته الحكومة العراقية في نهاية سنة ١٩٢٣ ثم نشر في اوائل السنة الحالية .

فبناء عليه يترتب على كل من الحكومة العراقية وفخامة المعتمد السامي ان يضمنا ان لا تجرى في هذا القانون تعديلات تنطوي على مناقضة المعاهدات والاتفاقات ، او على الاخلال بسلطة صاحب الجلالة ملك العراق والحكومة العراقية القيام بالتعهدات التي قد تعهدا بها بموجب المعاهدة والاتفاقيات . وكذلك يحسن الاحتياط ضد التبديلات اللفظية في النص التي نظرا الى قلة الخبرة في التحرير . او الى عدم تفهم موادها حق الفهم ، قد تحدث التباسا او ابهاما في وثيقة خطيرة كهذه . فلهذا السبب انه من الامور الجوهرية ان يبلغ كل من فخامة المعتمد السامي وهيأة الوزارة العراقية اي تعديلات تقترح اما من قبل اللجنة او من قبل المندوبين قبل ان يتخذ المجلس قرارا في ذلك لكي يتسنى للوزراء ان يقدموا للمجلس اي اعتراضات كانت على التعديلات المقترحة بناء على الاسباب المبينة في اعلاه .

أما بخصوص ما ستبديه اللجنة من اقتراحات التعديل فهذه يجب ابلاغها الى صاحب الفخامة مع تقرير اللجنة قبل اجراء التصويت عليها من قبل المجلس . واما بخصوص التبدلات التي يقترحها باقي المندوبين فيجب ان تقدم كتابة ، وتعرض على صاحب الفخامة قبل اجراء التصويت عليها .

ان صاحب الفخامة يلتمس ان تتخذوا ما يلزم لأجل ضمان ادخال هذه

---

(٢٤) خطبة الافتتاح كاملة في ص ٧٣ من المجلد الثاني من كتابنا « العراق في دوري الاحتلال والانتداب » وكان « المجلس التأسيسي قد افتتح في ٢٧ آذار ١٩٢٤ وحددت واجباته في الامور الثلاثة الآتية والبت فيها :
١ ـ المعاهدة العراقية ـ البريطانية الموقعة في ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ .
٢ ـ لائحة الدستور « اي القانون الاساسي العراقي » .
٣ ـ لائحة الانتخاب لمجلس النواب .

الاصول بدون تأخير ، اذ ان هذا الامر على اشد درجة من الاهمية • من المفهوم ان اللجنة قد اعدت تقريرا تمهيديا عن قسم من القانون فينبغي ارسال نسخة من هذا التقرير الى صاحب الفخامة •

المخلص : نيجل داودسن

حضرة صاحب الفخامة جعفر باشا العسكري • سي • ام • جي •
رئيس مجلس الوزراء الموقر بغداد[٢٥]

**تحذير الى الوزراء**

لم يكتف المعتمد السامي بالكتاب الذي وجهه سكرتيره العدلي داودسن الى رئيس الوزراء حول عدم جواز ادخال اي تعديل جوهري على لائحة القانون الاساسي المعروضة على المجلس التأسيسي ، فوجه كتابا آخر بنفسه الى رئيس مجلس الوزراء طلب فيه ان يحضر هو نفسه ووزراؤه امام المندوبين هذا نصه :

دار المعتمد السامي
بغداد ٢٨ حزيران ١٩٢٤ سري : شبه رسمي : بي • او/١٣٠
عزيزي فخامة الرئيس

ارى من واجبي ان الفت انظار فخامتكم الى ان من الواجب على أعضاء الوزارة ــ وامام المجلس التأسيسي عمل مهم كالنظر في القانون الاساسي ــ ان يحضروا جلسات المجلس المذكور ــ فمن الجهة الواحدة يقتضي تقديم ايضاح جلي من قبلكم ، او من قبل الوزير المختص ، عن مؤدى الفقرة الموضوعة تحت البحث الى النواب الذين اكثرهم غير واقفين على التعابير القانونية والعرف الدستوري • وبناء على ذلك لا يمكنهم التوصل الى قرار صحيح ، ما لم يقدم لهم ارشاد رسمي • ومن الجهة الثانية عند اخذ الآراء ان في حضور هيأة

(٢٥) محاضر المجلس التأسيسي ١/١٣٧ ــ ١٣٨ •

الوزارة برمتها تأييدا قويا لاقتراحات الحكومة . ان ستة او سبعة آراء يعني اراء الوزراء قد تكفي غالبا لضمان رفض تعديلات غير ملائمة ، وقبول النص الرسمي للفقرة المبحوث عنها .

كذلك ينبغي لي ان ابين انه من المستحسن لاجل ترغيب الاعضاء على التملص من مسؤولياتهم بالاستنكاف عن التصويت ، ان تعد الاستنكافات وتقيد على عين المنوال المتبع بخصوص آراء الموافقة ، واراء الرفض المعطاة بخصوص الاقتراح المعروض على المجلس . ان عدد الاعضاء الحاضرين في اية من المداولات معلوم . ولذا فان من السهل على الرئيس ـ عندما يجري التصويت على اي اقتراح معروض امام المجلس ـ ان يتأكد ما اذا كان كل عضو قيد صوته . اما الذين لم يقيدوا اصواتهم فينبغي ان يطلب منهم حينئذ ان يقفوا لتسجيل استنكافاتهم .

المخلص : هـ.دوبس

**المجلس والتعديلات**

لم يكن في امكان المجلس التأسيسي أن يدخل تعديلات تستحق الذكر على لائحة الدستور التي قدمت اليه ، لان كل اقتراح كان يقدم من احد الاعضاء المطلعين ، كان يقابل باعتراض حاد اما من قبل احد الموالين للحكومة ، او من قبل احد الوزراء ، وفقا للخطة التي رسمها المندوب السامي في كتابيه المثبتين فويق هذا . وكثيرا ما كان المجلس يقر تعديلا هاما ثم لا يلبث ان يضطر الى الغائه بعد بيان مطول يلقيه احد الوزراء ، او اعتراض خطير يرفعه المندوب السامي الى الملك فيصل . ومن يرجع الى محاضر جلسات المجلس التأسيسي في مجلديه الاول والثاني يكاد يلمس لمس اليد الشواهد والامثال الكثيرة على ذلك . وعلى هذا فقد اقتصرت التعديلات على الامور اللغوية والصرفية وعلى التراكيب في بعض المواد . وبعد ان تمت المصادقة النهائية ، اعاد رئيس

المجلس التأسيسي القانون الى رئيس مجلس الوزراء مرفقا بهذا الكتاب » .

ديوان المجلس التأسيسي — الرقم ٣٩١

بغداد — التاريخ ١٩ تموز ١٩٢٤

صاحب الفخامة حضرة رئيس الوزراء المعظم

يا صاحب الفخامة . اجيب على كتاب فخامتكم المرقم ٧٢٢ والمؤرخ في ٣ نيسان سنة ١٩٢٤ المرسل في طيه نسخة من لائحة القانون الاساسي لعرضه على المجلس التأسيسي الموقر ، وابلغكم ان المجلس التأسيسي قد نظر في لائحة القانون المذكور ، وقرر في جلسته المنعقدة في ١٠ تموز سنة ١٩٢٤ قبول النص المرسل اليكم منه نسخه في طيه . فأرجو عرضه على صاحب الجلالة ليصدق من قبل جلالته . وقد ارسلنا الى وزارة الداخلية نسخة منه ليطبع وينشر بعد موافقة صاحب الجلالة عليه .

تفضلو يا صاحب الفخامة بقبول فائق الاحترام

عبد المحسن السعدون : رئيس المجلس التأسيسي

**الانكليز يؤخرون نشر الدستور**

جاء في المادة الرابعة والتسعين من الدستور العراقي ما يلي :

« لا يعطى انحصار أو امتياز لاستثمار مورد من موارد البلاد الطبيعية ، او لاستعماله او مصلحة من المصالح العامة ، ولا تعطى الواردات الاميرية بالالتزام الا بموجب القانون ، على ان ما يتجاوز منها ثلاث سنوات يجب ان يقترن بقانون خاص لكل قضية » .

وكانت المفاوضات الجارية بين الحكومة العراقية وشركة النفط التركية حول منح الشركة امتياز استنبلط النفط في الاراضي العراقية[٢٧] تتعثر وتحتاج

---

(٢٦) المركز الوطني لحفظ الوثائق ج/٨/ ٩٢٤ .

(٢٧) المركز الوطني لحفظ الوثائق ج٨/ ١٩٢٤ .

الى مدة طويلة . فتصديق الملك على الدستور العراقي ونشره يستلزم عرض الامتياز المذكور على مجلس الامة . وفي هذا العرض ما فيه من المحاذير . وعلى هذا اشارت الحكومة البريطانية على الملك فيصل ان يؤجل مصادقته حتى يتم منح الامتياز . فلما تم المنح المطلوب في التاسع من آذار ١٩٢٥م ، نشر الدستور العراقي في الحادي والعشرين منه « ٢١ آذار ١٩٢٥ » وتبودلت البرقيتان التاليتان بين ملكي العراق وانكلترا :

صاحب الجلالة الملك جورج الخامس ـ لندن

اقدم أجزل الشكر للطف والصداقة التي ابدتها بريطانيا العظمى نحو العراق مما ساعده على اجتياز هذا الشوط من التقدم . واني واثق من بقاء عطف بريطانية وصداقتها ودوامها ابديا

ـ فيصل ـ

صاحب الجلالة الملك فيصل الاول : بغداد

أخذت بكل سرور برقيتكم المعربة عن الشكر ، واني اشارككم قلبيا في رغباتكم وفي دوام الصداقة بين المملكتين .

ـ آر . أي . جورج ـ

### تعديل الدستور العراقي

ادخل تعديل اولي على الدستور العراقي من قبل البرلمان العراقي في نهاية تموز ١٩٢٥م وكان بسيطا تافها تناول جواز غياب الملك عن العراق ، بقرار يصدره مجلس الوزراء ، كما تناول منح أعضاء البرلمان مخصصات شهرية عن المدة التي يجتمع البرلمان خلالها ، ونحو ذلك من الامور الطفيفة التي أجازت المادة ١١٨ تعديله خلال سنة واحدة ابتداء من تاريخ تنفيذ الدستور ونشره[٢٨]

(٢٨) كانت الحكومة العثمانية قد منحت « شركة النفط التركية » موافقة أولية للتحري عن مظان النفط في الاراضي العراقية ، قبيل نشوب الحرب العالمية الاولى في عام ١٩١٤م ، فلما انتهت هذه الحرب بفوز الانكليز فيها ، طالبوا الحكومة الجديدة التي تاسست في العراق بوجوب تأييد هذا المنح ، ولم يكن في وسع العراق يومئذ أن يرد أي طلب للانكليز .

ثم ادخل تعديل خطير عليه في اواخر تشرين الاول من عام ١٩٤٣ بعد فشل الحركة التحررية التي قام بها الجيش العراقي الباسل في ايار من عام ١٩٤١ حيث دخل في اشتباك مسلح مع الجيش البريطاني ، واضطر الامير عبد الآله الوصي على العرش يومئذ الى الهرب من العراق ، ثم العودة اليه على اسنة الرماح البريطانية ، وقد تناول هذا التعديل اسسا خطيرة لم تأت على بال احد يوم وضع المشرعون الانكليز والعراقيون اسس الدستور العراقي في عام ١٩٢٢ كجواز نقل العاصمة من بغداد الى غيرها بصورة مؤقتة ، وانتقال ولاية العهد الى « أرشد رجل عراقي من اكبر أبناء الملك حسين بن علي » وهو الأمير عبد الآله بالذات . واعطاء الملك حق اقالة الوزارة ، وجعل عدد أعضاء مجلس الاعيان مساويا لربع عدد اعضاء مجلس النواب ، وجواز اجتماع البرلمان في خارج العاصمة ، وضرورة تصديق مقررات مجلس الوزراء من قبل الملك قبل وضعها موضع التنفيذ . وغير ذلك من التعديلات التي جاءت نتيجة لفشل حركة ايار ١٩٤١م وليس لمعظمها مثيل في دساتير العلم .

وفي الرابع من شهر شباط سنة ١٩٥٨م قامت وحدة اندماجيه بين الجمهوريتين : المصريه والسورية : واعلن ميلاد « الجمهورية العربية المتحدة » فقابلها العراق بوجوم تام ، ولا سيما وأنه كان يبذل جهودا متواصلة لضم سوريه الى العراق ، أو تنصيب الامير عبد الآله ملكا على سورية . وعلى هذا سارع العراق للرد على هذا التحدي باعلان الاتحاد العربي بين العراق وشرق الاردن . وقد تطلب الامر تعديل الدستور العراقي تعديلا ثالثاً في العاشر من شهر مايس ١٩٥٨ وهو التعديل الذي يجيز لملك العراق أن ينشيء اتحادا مع دولة عربيه واحدة او اكثر .

### الغاء الدستور العراقي

قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ لتقضي على نظام حكم تهرّى وتفسخ ، نتيجة لانتشار الاقطاع في أراضيه الزراعية ، والفساد في داخل حكومته ،

والاستغلال في معظم مشاريعه • وقد تم القضاء على النظام واصحابه ومؤيديه بيسر • ولم يكن في وسع « ميثاق بغداد » آن ينقذ الملكية مما تعرضت اليه في يوم قيام الثورة لان الثـورة لقيت من التأييد والترحاب ما لم يكن في الحسبان • وكان على « الثورة » ان تنظر في امر الدستور القائم ، وان تشرع دستورا موقتا يحل محل الدستور المذكور حتى يتم تشريع دستور دائم للعراق وعلى هذا اعلن في التاسع من المحرم ١٣٧٨هـ والسابع والعشرين من تموز ١٩٥٨ البيان التالي :

أيها المواطنون
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

تعلمون بان ما سمي بالقانـون الاساسي العراقي قد وضـع في عهد الانتداب ، وفي ظل الارهـاب ، وجاء مخالفا في اسسه للنظام الديمقراطي الصحيح ، ولمطالب الثورة العراقية الاولى عام ١٩٢٠ اذ منح العائلة المالكة السابقة سلطات وامتيازات اتخذت اداة لاستغلال الشعب وتقييده بقيـود الاستعمار ، وان تلك العائلة المالكة والطبقة الحاكمة السائرة في ركابها في العهد البائد لم تكتف بما جاء في ذلك الدستور من احكام ضد رغبات الشعب ، بل انها امضت في العدوان على حقوقه ، وهدر حياته ، والعبث بكرامته • فلما جاءت ثورتكم هذه التي اجتثّت جذور الطغيان والفساد ، بدأ عهد جديد فاصبح من المحتم قطع الصلة بذلك الماضي المؤلم ، واعلان سقوط ذلك القانون الاساسي الذي انهار فعلا يوم اعلان ثورتكم المباركة في ١٤ تموز الحالي

ان هذه الثورة التي انبثقت من ارادتكم ، وحققت امنية من اعز امانيكم ، فساندتموها بمساهمتكم في التطويح بصرح الطغيان ومصدر الفساد ، قررت

---

(٢٩) « يجوز لمجلس الامة خلال سنة واحدة ابتداء من تنفيذ هذا القانون ، ان يعدل أيا كان من الامور الفرعية في هذا القانون أو الاضافة اليه لاجل القيـام بأغراضه على شرط موافقة مجلس الامة باكثرية ثلثي الآراء في كلا المجلسين » •

ان تتخذ لها دستورا مؤقتا يعين اسس الحكم الجديد الى ان يتم تشريع الدستور الدائم باستفتاء يعرب فيه الشعب بحرية تامة عن رأيه باسلوب الحكم الديمقراطي الذي يختاره لنفسه . واني لمطمئن ان ما لقيته الثورة من تضامن ابناء الشعب كافة سيكون اعظم ضامن للوصول الى اهدافها في حياة دستورية سليمة ... الخ

وحيث ان هذا « الدستور الموقت » عدل اكثر من مرة ، واستبدل بغيره مرارا فقد ضربنا صفحا عن اثبات نصّه في هذه الدراسة ...

# كيف تم قبول العراق

## عضوا في عصبة الامم ؟

**توطئــــة**

كان التنازع الاستعماري . ولا سيما في القرن التاسع عشر ، حيث الثورة الصناعية الكبرى ، من اهم الاسباب التي ادت الى نشوب الحروب الدامية بين دول الاستعمار . فقد اتاح الزمن لبعض هذه الدول ان تستولي على اراض شاسعة من الكرة الارضية وان تستغل مواردها وتستخدم شعوبها كما تشاء وتريد ، وبشع مقيت ، فأصبح منها غنّي وفقير . وحال الاستعمار دون التبادل الاقتصادي بين شعوب البلاد المستعمرة والدول الكبرى ، إذ عدت الدول القويه المستعمرة ، البلاد الخاضعة لاستعمارها اجزاء تابعة لها تستغلها كما تشاء وتريد . محتجةً على ذلك بالقاعدة القديمة البالية ، قاعدة حق الفتح ، فكان من المنتظر أن تزال ، استنادا الى تصريحات الحلفاء الاخيرة أهم أسباب الحروب بزوال قاعدة حق الفتح ، ورعاية المستعمرات بمنح شعوبها حق تقرير المصير ، وكان من المتوقع ألاّ تضاف الى الاسباب المؤدية الى الحروب بين الدول ، أسباب اخرى ، وألاّ تضاف مستعمرات جديدة الى مستعمرات الدول المنتصرة .

## التحايل على المبادئ

لما حكم القدر فاندلعت لهيب الحرب العالمية الأولى في منتصف عام ١٩١٤ واحتاجت الدول المتطاحنة فيها الى مساعدات الشعوب المنضوية تحت سلطاتها ، اعلن اساطين هذه الدول مرارا وجهارا انهم إنما يحاربون لتحرير الشعوب المضطهدة من نير السيطرة التي فرضها اعداؤهم عليها . محاولين ستر الشبهات التي كانت تحوم حول نياتهم وأهدافهم ، حتى استطاعت هذه الدول ان تجند ابناء البلاد التي تحت نفوذها ، ليقاتلوا في صفوفها ويستغلوا موارد بلادها . ولم يكن مأمولاً ولا منتظرا ان يحارب ابناء المستعمرات وابناء الدول المتحالفة معها في سبيل ابقاء الرقّ الجماعي ، وانما حاربوا في صفوفها للظفر بحريتهم والانعتاق من الاغلال التي ربطها بهم اسيادهم اجيالا عديدة ، فلما وضعت الحرب المذكورة اوزارها في اواخر عام ١٩١٨ ، وأخذت مدافعها نارها ، وجاء زمن اقتسام أسلابها ، وضعت سياسة التوفيق بين ( قاعدة حق الفتح ) القديمة البالية وبين نظرية ( حق تقرير المصير ) التي بشّر الحلفاء بها في بياناتهم وخطبهم . ثم جاءت شروط رئيس الولايات المتحدة ودرو ولسن الاربعة عشر ليدفع بلاده الى تأييد الحلفاء ضِغثاً على ابّالةٍ وينصّ الشرط الخامس من هذه الشروط على :

« تسوية جميع المطالب من اجل المستعمرات بصورة حرة صريحة ، بعيدة كل البعد عن التحيز . تسويةً تعترف اعترافا صريحا بالمبدأ القائل بلزوم اخذ مصالح السكان الذين يهمهم الامر ، بنظر الاعتبار ، الى جانب المطالب العادلة التي تطالب بها الحكومة التي ستقرر ملكية المستعمرات باسمها ، وذلك عند حسم جميع المشاكل المتعلقة بالسيادة » !

ولكن ما الذي حدث :

لما اجتمع المنتصرون لاقتسام أسلاب الحرب ، وتباحثوا في وجوب التوفيق بين حق الفتح وحق تقرير المصير ، طال النقاش واحتدم الجدال .

وزادت الحالة حرجا بالوعود المقطوعة للعرب سواء أكان قطعها قد تم بحكمة أم بغير حكمة . وكان الجنرال سمطس البويري قد وضع في تلك الآونه رسالة عنوانها « عصبة الامم : مقترح عملي » ارتأى فيها تأليف عصبة امية تعمل على تجنب الحروب ، وتراعي حقوق الشعوب عامة ، وتتولى الانتداب على الشعوب التي انسلخت من الامبراطورية العثمانية لكي تكون وديعةً مقدسةً من ودائع المدنية .. الى الامم الراقية التي تستطيع بفضل ثروتها او اختبارها او موقعها الجغرافي ان تتحمل هذه المسؤولية .. على ان تستمد الارشاد والمساعدة من دولة اخرى حتى يأتي الزمن الذي تصبح فيه قادرة على الوقوف بمفردها .

لقد رحب الرئيس الامريكي بمقترحات الجنرال سمطس ، واعدها دستورا ناجحا لانهاء قاعدة حق الفتح ، وسلّماً للوصول الى حق تقرير المصير فتبناه ودعمه ، وراح يدعو اليه بكل حماسٍ ، حتى انه طالب بسريانه الى الجزر والمستعمرات المنتزعة من المانية ، فلا يقتصر على البلدان التي انسلخت من جسم الامبراطورية العثمانية . ويقول الاستاذ هنري فوستر في ص (١٧٠) من كتابه : تكوين العراق الحديث ، ان اعجاب الرئيس ولسن بهذا الحل لمشكلة المستعمرات ، دفعه الى القول : انه لم يحدث في العالم تقدم أعظم من هذا ، وان فكرة الوصاية ليست نهجا انسانيا للشعوب المتأخرة حسب ، بل انها سوف تعمل على تجريد طغاة الاستعمار السياسي والاقتصادي من سلاحهم، واقترح تأليف لجنة من عددٍ متساوٍ من البريطانيين والفرنسيين والايطاليين والامريكيين لتذهب الى سورية ، وان اقتضى الامر فالى البلدان المجاورة لكي تستكشف أماني شعوبها والوصول الى تسوية عادلة ودائمة لمشكلة الاستعمار والمستعمرات .

**عهد عصبة الامم**

ان ما يهمنا اثباته هنا هو نص المادة ٢٢ من عهد عصبة الامم ليجري البحث في ضوئها وهذ هو النص :

١ ـ في المستعمرات والاراضي التي لم تعد بعد الحرب تابعة لسيادة الحكومات التي كانت خاضعة لها سابقا ، والتي يعجز سكانها عن القيام بالحكم الذاتي في بلادهم ، تحت الظروف الصعبة في العالم الحديث ، يجب ان يطبق المبدأ القائل بان رفاهية الشعوب وارتقاءها ، وديعة مقدسه من ودائع المدنية ، وان يتضمن هذا الميثاق الضمانات اللازمة للقيام بهذه الامانة .

٢ ـ ان الطريقة المثلى لتحقيق هذه المبادىء عمليا ، هي تسليم وصاية هذه الشعوب الى الامم الراقية التي تستطيع بفضل ثروتها او اختبارها او موقعها الجغرافي ، ان تتحمل هذه المسؤولية والتي ترغب في قبولها وهذه تقوم بوصايتها باسم عصبة الامم وبصفتها منتدبة عنها .

٣ ـ ان نوع الانتداب يجب ان يختلف بحسب درجة رقي الشعب ومركزه الجغرافي وحالته الاقتصادية الى غير ذلك من الاحوال .

٤ ـ ان بعض البلاد التي كانت في القديم تابعة للامبراطورية العثمانية وقد بلغت درجة راقية ، يمكن معها الاعتراف مبدئيا بكيانها كامم مستقله على أن تستمد الارشاد والمساعدة من دولة اخرى حتى يأتي الزمن الذي تصبح فيه قادرة على الوقوف بمفردها . ان اعتبار رغبات هذه البلاد يجب ان يكون في المقام الاول من انتقاء الدولة المنتدبة .

٥ ـ اما الشعوب الاخرى ، خاصة شعوب افريقيا الوسطى ، فهي في حالة تتطلب أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن ادارتها بصورة تضمن حرية المعتقد ، على ان لا يخل ذلك بحفظ الأمن العام والاخلاق ، وتضمن عدم تشييد الحصون والقواعد الحربية والبحرية وتدريب الاهليين تدريبا عسكريا لاغراض غير الشرطة والدفاع عن البلاد وتأمين ظروف متساويه لتجارة الاعضاء الآخرين من الدول الداخلة في العصبة .

٦ ـ يوجد عدا ذلك اراضٍ كجنوب افريقية الغربية ، وبعض جزر المحيط الهادىء الجنوبي التي تحسن ادارتها بقوانين حكومة الانتداب ، كما لو كانت جزءا لا يتجزأ من اراضيها ، وذلك لقلة سكانها او لصغر حجمها او نبعدها عن قواعد المدنية والحضارة او لاتصالها الجغرافي بالبلاد المنتدبة ، او لظروف اخرى مع الاحتفاظ بجميع الشروط المذكورة اعلاه ، فيما يتعلق بضمان سلامة هذه الشعوب ومصالحها .

٧ ـ وعلى كل حال يجب على الدولة المنتدبة ان تقدم تقريرا سنويا لمجلس العصبة عن البلاد التي انتدبت عليها .

٨ ـ إن لم تكن درجة السلطة وحق المراقبة والادارة التي ستقوم بها دولة الانتداب معينة بحسب اتفاق سابق بين اعضاء جمعية الامم ، وجب ان يشرع حالا في تنظيمها من لدن مجلس الجمعية .

٩ ـ يجب ان تكوّن لجنة دائمة لتسلم التقارير السنوية المقدمة من قبل حكومة الانتداب وفحصها ولترشد مجلس العصبة بكل ما يختص بالمسائل التي تتعلق بتنفيذ الانتداب[1] .

**لجنة التحقيق**

تأسست عصبة الامم في اليوم الثامن والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩١٩ « وهو التاريخ نفسه لمعاهدة فرساي ، وفي المحل نفسه الذي اعلن به انتصار المانيا وتأسيس الامبراطورية الالمانية في ١٠ مايس »[2] وكان اقتراح الرئيس ولسن الخاص بارسال لجنة التحقيق قد صدر في ٢٠ ايار ١٩١٩ فانتخب المستر تشارلس كراين والكولونيل هنري كينغ ممثلين في اللجنة المقترح ارسالها الى الشرق الاوسط وحذت بريطانيا حذوها فعينت ممثليها ،

---

(١) رسالة تشكيلات عصبة الامم ومقاصدها ص٩٤ـ٩٥ .

(٢) د . سوسة في رسالته « عصبة الامم والعراق » ص٢ .

وترنحت فرنسا فأبدت مخاوف كثيرة من القيام بهذا العمل الذي سيكشف دو ذريب عن معارضة السوريين لفرض سيطرتها عليهم ، ويؤدي ذلك الى حرمانها من غنيمتها في اتفاقية سايكس ـ بيكو السرية التي عقدت بين فرنسة وبريطانية وروسية ـ في ١٥ ـ ١٧ ايار ١٩١٦ ، وجزأت البلدان العربية الى مناطق نفوذ • اما ايطاليا فانها لم تكترث للموضوع اصلاً لعدم وجود مصالح لها في هذه البلاد ، والظاهر ان بريطانيا خشيت ان تلاقي هذه اللجنة في العراق ـ في حال ذهابها اليه ـ ما ستلاقيه في سوريه ، فأخذت تتنصل من الاشتراك ، باساليبها المعروفة ، ولكن الرئيس ولسن أصر على وجوب ارسال اللجنة وان اقتصرت على العضوين الامريكيين ، فجاءت الى حيفا ويافا في ١٠ حزيران واذاعت هذا البيان :

« ان الشعب الامريكي ليست له مطامع سياسية في اوربا او الشرق الادنى ، ويفضل على قدر الامكان تجنب كل علاقة بالمشاكل الاوربيه والاسيويه والافريقية ، ويرغب باخلاص في ان يسود السلام الدائم ، وانه بهذه الروح يدنو من مشاكل الشرق الادنى • لقد عين مجلس الاربعة لجنة دولية لدرس الحالة في المملكة التركية لعلاقتها بالوصايات ، فغاية القسم الامريكي الموجود الآن ، هي الوقوف جهد المستطاع على احوال السكان والطبقات وعلاقتهم ليكون الرئيس ولسن والشعب الامريكي على بينة من الحقائق في كل سياسة يدعى الى السير عليها فيما يتعلق بمشاكل الشرق الاوسط سواء كان ذلك في مؤتمر الصلح أم في جمعية الامم »[٣]

وشرعت اللجنة تزاول اعمالها في جو تكتنفه دسائس الانكليز والفرنسيين ورغبة العرب في التحرر من الطرفين • وبعد ان زارت ٣٦ مدينة وتسلمت ١٨٣٦ مضبطه ، انهت مهمتها في ٢١ تموز ١٩١٩ وعادت الى باريس لتقدم تقريرها فاذا بخلاصته تقول : مهما كانت الادارة الاجنبية التي يؤتى بها الى

---

(٣) امين سعيد في كتابه ( الثورة العربية الكبرى ) ٢/٤٧ •

سورية والعراق فانه ينبغي ان لا تأتي ابدا باعتبارها دولة مستعمرة بالمفهوم القديم من كلمة الاستعمار ، بل باعتبارها دولة وصية من قبل عصبة الامم ، شاعرة شعورا خاصا بأن ودبعتها المقدسة تفرض عليها طلب خير الشعبين : السوري والعراقـي ورقيهما ، فلا تصبح دعاوى الحلفـاء قصاصة ورق . واقترحت ان يطبق الانتداب من نوع (أ) على سورية والعراق على ان يكون لمدة محدودة ، وان يعامل العراق كوحدة ، وان تحافظ سورية على وحدتها ، اي سوريا ولبنان وفلسطين ، فيكون شكل الحكومة في كلا البلدين ملكيا دستوريا ، ويكون الامير فيصل بن الملك حسين ملكا على سورية ويختار العراق مليكه بالاستفتاء ، وان يسار بالقطرين سورية والعراق نحو الاستقلال بالسرعة التي تسمح بها الاحوال ، وان يعدل المنهـاج الصهيوني المتطرف الموضوع لفلسطين فلا يعني جعل فلسطين دولة يهودية ، لان تسعة اعشار سكان فلسطين عرب ويرفضون المنهج الصهيوني رفضا باتا . وذكرت اللجنة في تقريرها ان الرأي العام في سورية يستنكر كل شكل من اشكال السيادة التي يتظمنها نظام الانتداب ، الا انه يود ان تقدم المساعدة اليه من جانب امريكا وفي حالة رفض امريكا ذلك فتكون من جانب بريطانيا ، ولكنه يرفضها من جانب فرنسة بأي شكل كان ـ انتهت الخلاصة ـ

لقد بقي تقرير لجنة التحقيق ، موضوعة البحث ، طي الكتمان مجاراة ومجاملة لفرنسة وبريطانية ولم تسمح بنشره الا في اوائل عام ١٩٢٣م ، ولم يكن له اي تأثـير على القرارات التي اتخذها مؤتمـر سان ريمو المنعقد في ايطاليا في ٢٤ نيسان من عام ١٩٢٠ والقاضي بفرض الانتداب البريطاني على فلسطين والعراق ، والانتداب الفرنسي على سورية ولبنان ، دون التقيد برغبات العراقيين والسوريين ، كما تنص الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من عهد عصبة الامم التي اثبتنا نصها من قبل ودون ان تراعي القربى الجغرافية « والانتداب هو انفق ما جاءت به سياسة الحرب العظمى ، اذ ماهو الا حماية

مستترة على حد تعبير الاستاذ ديبوي . العضو في المجمع العلمي INSTITUT في باريس[٤] .

**تنويع الانتداب**

كانت المستعمرات الالمانية في افريقيه ، والجزر الالمانية في المحيط الهادىء والممتلكات العثمانيه في سورية والعراق غنائم وافرة . وكانت فكرة توزيع اسلاب الحرب وغنائمها على الدول المنتصرة من اهم القضايا التي عالجها مجلس الحلفاء الاعلى في ٢٤ كانون الثاني من عام ١٩١٩م . فقد « تقدم البريطانيون باقتراح ينص على انه ــ لا يجوز في اية حال من الاحوال ــ ان تعاد الى المانيه اية مستعمرة من مستعمراتها . وكان لهذه الخطوة خطرها الخارق لأن المسألة لا تنطوي على مصير جماعات كاملة من الشعوب وحسب ، بل يترتب عليها أن تمنح المانية اولا تمنح صلحاً مبنياً على التراضي الصحيح على نحو ما وعد به ولسن .. ولكنه وافق لويد جورج على طلب تجريد المانية من جميع مستعمراتها .. وبهذا خطا أول خطوة من الخطوات نحو الفشل »[٥] ، فقسمت الانتدابات الى ثلاثة انواع (أ) و (ب) و (ج) فجعلت البلدان المنسلخة من الامبراطورية العثمانية من النوع الاول ، والمستعمرات الالمانية في القارة الافريقية من النوع الثاني ، والجزر الالمانية في المحيط الهادىء من النوع الثالث وبُني هذا التقسيم على درجة رقي الشعب ومركزه الجغرافي واقتصاده .

وفي ٢٠ آذار من عام ١٩١٩ ايضا ، اجتمع مجلس الحلفاء الاعلى في باريس في الشقة التي يقيم فيها لويد جورج رئيس وزراء بريطانية ، وقد رأس

(٤) رواه راشد طيارة في ص١٤ من كتابه «الانتداب وروح السياسة البريطانية».

(٥) مجلة المختار السنة الثانية ١ــ٤٥ .

الاجتماع كلمانصو رئيس وزراء فرنسة ، فاشار على وزير خارجيته المسيو بيتون ان يتكلم . فعرض هذا اتفاقية سايكس — بيكو السرية ، فذعر الرئيس الامريكي ولسن لهذه المفاجأة لأنه لم يسمع من قبل بأن ما بين حلفائه مثل هذا الاتفاق . ولهذا رفض المشاركة في مثل هذه المؤامرة ، ورأى ان يتنصل من تبعتها . فلما شعر الرئيسان البريطاني والفرنسي بأن الرئيس الامريكي ما يزال على شيمته ، وانه سيكون حجر عثرة في اعمالها كافة ، اعربا عن رغبتهما في مسايرته ومعاملته حتى يفوزا باقرار الاتفاقية السرية المذكورة ( واذا نادى الرئيس ولسن بحقوق الامم فما ذلك الا لان الشعوب كانت مستعبدة يسوق الاقوياء الضعفاء لخدمة منافعهم ، كما يسوق الجزار مواشيه للذبح ، وتطارد الجماعات القوية الجماعات الضعيفة ، كما تطارد الذئاب النعاج ، فتارة باسم الحرية وطورا بسم حقوق الانسان ، ومرة باسم الفتح في عهد الغيت فيه الفتوحات ، ومرات باسم الحماية والوصاية ولكنها جميعا أساليب ونماذج للاستعباد )[٦] .

واجتمع مجلس الحلفاء في ٧ كانون الاول ، ووزع المستعمرات الالمانية فاسندت ادارة جزرها في شمال خط الاستواء لليابان ، وجزرها في جنوبه لاسترالية ، ووضعت افريقية الجنوبية الغربية تحت ادارة جنوب افريقية ، والشرقية تحت ادارة بريطانية و ... الخ . أما البلاد العربية التي طبق عليها الانتداب من نوع (أ) فقد شرحنا أمرها فيما تقدم ، بعد أن ادرك الرئيس ولسن في آخر لحظة أنه في واد ، وان حلفاءه في واد آخر . وكان مجلس الاعيان الامريكي قد رفض سياسته ، ورفض عهد عصبة الامم الذي تبناه ، وأخذ يدعو اليه بحرارة .

**الانتداب نظام مؤقت**

ذكرنا من قبل ان الذين وضعوا نظام الانتداب ، قسموه على ثلاثة انواع

---

(٦) راشد طبارة ( الانتداب وروح السياسة البريطانية ) ص١٦–١٧

هي (أ) و (ب) و (ج) وقلنا ان النوع (ب) من هذا النظام شمل المستعمرات الالمانية في القارة الافريقية ، وان النوع (ج) شمل جزرها في المحيط الهادىء •
وقد نصت الفقرتان الخامسة والسادسة من المادة (٢٢) من عهد عصبة الامم على ( ان تكون الدولة المنتدبه مسؤوله عن ادارتها ) وان ( تحسن ادارتها بقوانين حكومة الانتداب كما لو كانت جزءا لايتجزأ من اراضيها ) اي ان النوعين (ب) و (ج) ابقيا صفة الاستعمار على الجزر الالمانية في القارة الافريقية وفي المحيط الهادي ، وان انتزاع هذا الاستعمار من المانية الى الدول المنتصرة في الحرب •

أما الانتداب من نـوع (أ) فقد ضمن للبلدان العربية المنتـزعة مـن الامبراطورية العثمانية ( الاعتراف بكيانها كامم مستقلة على ان تستمد الارشاد والمساعدة من دولة اخرى حتى يأتي الزمن الذي تصبح فيه قادرة على الوقوف بمفردها ) وبعبارة أفصح : ان هذه الاقطار تعد مستقلة على ان تساعدها دوله قويه وتربة حتى تجعلها في وضع يمكنها من أن تحكم نفسها بنفسها • اي ان نظام الانتداب نظام مؤقت من حيث شكله ونصوصه بالقياس الى النوع الاول من أنواعه الثلاثة ، وهو يقضي بالتطور من حالة الى حالة افضـل منها ، وهي حال الاستقلال التام ، فلا يمكن ان يعد نظاما دائما ، ولا أن يتطور مع الزمن الى حالة الاحتلال فالاستعمار ، لأن مفهومه قائم على اساس رفع مستوى الشعوب التي تحت هذا النوع من الانتداب • وبعبارة اصح ان نظام الانتداب وضع لتدريب الشعوب تدريبا مؤقتا حتى تستطيع ان تقف بمفردها وتتعامل كدولة ذات سيادة في المجموعة الدولية ، وعلى هذا يعد نظام الانتداب نظاما مؤقتا ينتهي ان عاجلا وان آجلا •

على ان من الاهمية بمكان ان نذكر ، ان نظام الانتداب شمل المستعمرات التي انتزعت من الدول المغلوبة دون أن يشمل مستعمرات الدول الغالبة ، وان ضـرورته تقضي بأن تكون الدولة المنتدبة صاحبة الحق وحدها دون الشعوب المنتدب عليها ، ودون عصبة الامم التي منحتها هذا الانتداب في

الغاء الانتداب ( وترجع ضرورة ابتداء الدولة المنتدبة الى سببين اوليين :
اولا : ان الابتداء بالعمل من دونها يعد بمثابة خلع لها .
ثانيا : يجب ان لا يغرب عن بالنا ان المسؤولة فيما يخص بمناطق الانتداب تظل ملتقاة على عاتق الدولة المنتدبة حتى بعد تقلص سلطتها والغاء انتدابها[٧].

ولعل خير ما يختم به هذا الايضاح ، وصف الفيلسوف الامريكي ، ارنست هوكنك ، وصفه لعصبة الامم وانتدابها وهذا نصه :

( دستور من ورق ، وتقرير من ورق ، ولجنة تجتمع مدة تتراوح من اسبوعين الى ثلاثة اسابيع في السنة في جلسات سرية فهي على وجه التحقيق مؤسسة سخيفة رثة متداعية )[٨] .

وقد تداعت فعلا في عام ١٩٤٥ ( لانها في الاصل لم تكن سوى حل انكليزي – فرنسي – امريكي ، تحتفظ بالروح الاستعماري القديم تحت مسميات جديدة منمقة )[٩] .

**الغاء الانتداب**

قلنا ان مجلس الحلفاء الاعلى كان قد اجتمع في الرابع والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩٢٠ في سان ريمو بفرنسه ، وقرر فرض الانتداب البريطاني على العــراق وفلسطين ، والانتــداب الفرنسي على سورية ولبنان دون أن يستشير ابناء هذه البلدان العربية في هذا الفرض ، كما حتمته الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من عهد عصبة الامم ، ودون ان يتقيد بالوعــود التي قطعها البريطانيون والفرنسيون لابناء العروبة في مراسلات الحسين – مكماهون – في بلاغاتهم وتصريحاتهم المتكررة فكان من الطبيعي ان لا توضع الشروط والالتزامات المفضية الى انهاء الانتداب .

---

(٧) الاستاذ فؤاد مفرج في « رسالة في الانتداب » ص٢٠ .
(8) The spirit of World Policies ( 214 )
(٩) وندل ويلكي في رسالته « عالم واحد » ص١٥٧ .

كان العراق البلد الوحيد الذي استنكر فرض الانتداب عليه وقاومه بقوة السلاح • ولما استطاعت بريطانية ان تقمع المقاومة بالقوة المسلحة ، بقي العراقيون يحاربون النظام المذكــور في صحفهم واحزابهــم وفي خطبهم واحتجاجاتهم ، ولما لم تجد بريطانية مجالا للمماطلة والتسويف ، اضطرت الى انهاء انتدابها على النحــو الذي سنفصله في البحث الآتي ، اما الانتدابات المفروضة على سورية ولبنان وفلسطين فقد أنهتها الحرب العالمية الثانية بعد أن قاتل الانكليز القوات الفرنسية في هذين البلدين •

**الانتداب في العراق**

حتّمت الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين من عهد عصبة الامم ــ وقد اثبتنا نصها من قبل ــ على وجوب اعتبار رغبات البلاد التي سيطبق بحقها الانتداب في المقام الاول من انتقاء الدوله المنتدبه ، ولكن مجلس الحلفاء الاعلى المنعقد في سان ريمو بفرنسه في الرابع والعشرين من نيسان ١٩٢٠م فرض الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين ، والانتداب الفرنسي على سورية ولبنان ، دون ان يستشير الشعب العربي في هذه البلدان في انتقاء الدولة المنتدبة ، ودون ان يتقيد بالوعود التي قطعتها الحكومتان البريطانية والفرنسية في بلاغهما الصادر في الثامن من تشــرين الثانــي من عام ١٩١١ والقائل :

« ان الغاية التي ترمي اليها كل من بريطانية العظمى وفرنسه في خوض غمار الحرب •• هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت اعباء استعباد الاتراك تحريرا تاما نهائيا ، وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة السكان الوطنيين أنفسهم ومحض اختيارهم »[١٠] •

لهذا استنكر العراقيون هذه القرارات حين اذيعت في الخامس من ايار

---

(١٠) تاريخ العراق السياسي الحديث ١/٩٩ •

١٩٢٠ استنكارا تاما ، وحملت عليه صحفهم واوساطهم حملات منكرة ، واخذت مقاومتهم لكل هيمنة اجنبية تتخذ شكلا خطيرا حتى ادى الامر بهم الى اعلان ثورتهم الكبرى في الثلاثين من حزيران من هذه السنة ، وكبدت البريطانيين (٢٢٦٩) اصابة ، بين قتيل وجريح واسير ومفقود ، وحملت دافع الضريبة البريطاني اربعين مليونا من الجنيهات الاسترلينية[١١] « ولم تكن هذه الحركة وليدة الشعور المرير بالعداء لبريطانية ، بل كانت ثورة في سبيل الاستقلال المسلوب ، وعلى الانتداب المفروض ظلما ، اذ وجد الناس انفسهم خاضعين للحكم البريطاني ترافقه مساعدة اسمية بدلا من تمتعهم بالحكم العربي يرافقه شيء من المساعدة البريطانية[١٢] وقد قالت المس بيل السكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد البريطاني في رسالة بعثت بها الى والدها بلندن « ان كلمة الانتداب لفظة بغيضة غير مألوفة في نظر الجمهور ، وان عقد معاهدة تتم المفاوضة عليها في جوٍ حرٍ طليق تكون أفضل بكثير منها »[١٣] .

وقال السر برسي كوكس ، الذي أصبح مندوبا ساميا لبريطانية في العراق :

لقد بلغ الاستياء الذي كانت تقابل به دائما فكرة الانتداب في العراق حدا فائقا حتى ان لفظتي الانتداب والدولة المنتدبة كانتا تعدان تجديفا في نظرهم[١٤] ، فكان من الطبيعي ان يقترح على حكومته البريطانية افراغ الانتداب في قالب معاهدة ترضي العراقيين من جهة — ولو بصورة ظاهرة — وتقنع عصبة الامم بأن بريطانية ماتزال عند تعهداتها الانتدابية من جهة اخرى ، والى هذا يشير التقرير البريطاني الخاص عن سير الادارة في العراق خلال عشر سنوات بالنص الاتي :

(11) The Arab Awakenlng P.344.

(12) Haldane, Sir d.A.L. The Insurrectlon IN Msopotamla P.331 .

(13) The letters of Geretrude Bell P. 535.

(14) The letters of Geretrude Bell P.430.

« وفي الوقت عينه اخذت مقاومة الجمهور العراقي لأي نوع من انواع الرقابة الخارجية تتزايد سريعا حتى اصبحت من اعظم المسائل القومية شأنا حينذاك ، واثارت هذه المقاومة هيجانا خطيرا هداما في كثير من أنحاء البلاد ، فرأت حكومة صاحب الجلالة انه مالم تجد واسطة لمجابهته فلا مفر لها من اطالة الاحتلال العسكري اطالة غير محدودة : وبعد التروي الدقيق قر قرارها ان من الافضل تحديد مركزها الحقوقي في العراق ليس في شكل انتدابي مألوف كما كان قد اقترح مبدئيا ، بل بشكل معاهدة تعقد بين حكومة صاحب الجلالة والحكومة العراقية على ان ترضي شروطها العصبة ، وتقنعها بأن حكومة صاحب الجلالة ما زالت في الحقيقة في وضع تستطيع معه القيام بعهودها الانتدابية[15] فلقد كان في نية الحكومة البريطانية ليس احلال معاهدة محل الانتداب ، بل بالاحرى تحديد الانتداب وصوغه بشكل معاهدة .

ولعل خير من يوجز هذه الفكرة الاستاذ كوينسي رايت في مقال له نشره في مجلة العلوم السياسية الامريكية الصادرة في تشرين الثاني ١٩٢٦ ص٣٤ وهذا نصه :

لما وجدت بريطانية ان كلمة الانتداب يكرهها العرب لانها وضعت ايضا على العشائر الهمجية في افريقية ، وعلى الانتداب الفرنسي في سورية ، وبالنسبة للعهود المنقوضة فيما يتعلق بانشاء وحدة عربية أيضا ، فقد جد البريطانيين ان يعترفوا بحكومة فيصل التي بها تنتهي العلاقات الانتدابية .. وبذلك صار لبريطانية العظمى موقف يهم بحيث كان لهـا الانتداب على العراق في نظر جمعية الامم ، ولا انتداب لها بنظر اهل العراق ـ انتهى ـ[15] .

## كيفية التحرر من الانتداب ؟

ولابد ان نثبت هنا حقيقة لا مناص من اثباتها ، وهي ان استنكار الانتداب

(15) Special report on the Progress of Iraq P.14.

البريطاني في العراق لم يقتصر على العراقيين حسب ، فقد عارضته بعض الشخصيات البريطانية • عارضته امريكة بعد ان رأت ان الشروط التي وضعها الرئيس ولسن عند اقراره نظرية الرئيس البويري سمطس الخاصة بنظام الانتداب ، تختلف اختلافا كبيرا عن النهج الذي اتبعه مجلس الحلفاء الاعلى عند فرضه الانتداب على البلدان التي انسلخت من الامبراطورية العثمانية ، فمنحت بريطانية الشركات الامريكية حصصا في شركة نفط العراق فلم يكن امام حكومتها الا ان تسكت فسكتت • وعارضته بعض الشخصيات البريطانية المرموقة بزعم ان بقاء بريطانيا في العراق يكلف دافع الضريبة البريطاني نفقات لا قبل لها بها فاتهمت الحكومة البريطانية هذه الشخصيات بأن تحت ارض العراق بحيرة هائلة من النفط هي عدّة الاسطول البريطاني في البحر ، ومعين الشركات البريطانية الذي لا ينفذ •

اما بالنسبة الى معارضة العراقيين لنظام الانتداب ، وللهيمنة الاجنبية فانها بعد ان اخمدت ثورتهم الجبارة بالنار والحديد ، اهتبلت فرصة قضاء الفرنسيين على الدولة الفيصلية التي قامت في الشام ، وأجلت الملك فيصل عن الاراضي السورية المشمولة بالانتداب الفرنسي ، فاستدعت فيصلا الى لندن ، وتفاهمت معه على اقامة دولة عربية في العراق تحت رآسته : وحيث ان العراق وضع تحت انتدابها فهي مستعدة لعقد معاهدة تحل محل الانتداب ، وان يسار بحكومته قدما حتى انخراطه في عضوية عصبة الامم فتنتهي علاقاتها الانتدابية في العراق على صورة رسمية ولهذا بحث خاص •

ويقول القانوني البارع نيجل داودسن في ص٧ من رسالته « العراق او الدولة الجديدة » •

« ان الدولة المنتدبة لم تكن تستطيع الوفاء بالالتزامات الانتدابية المترتبة عليها لعصبة الامم ، ولا أن تجعل مصالحها المالية في العراق في مأمن ما لم يكن في يدها مقدار ما من الهيمنة ، وكان السبيل المفضي الى التسوية ان يحوّل

الانتداب الى معاهدة ، وهذا ما وقع بالحقيقة فحولت الهيمنة البريطانية المفروضة على دولة العراق ، بحكم نصوص الانتداب ، الى عدة التزامات بشكل معاهدة قبلها الشريك الاصغر بشكل محالفة .. وبدلا من ان يفرض الفريق القوي قيوده فرضا ويمليها املاء على الفريق الاضعف المتمثل بهيئة حكومة راضخة له ، أصبحت القيود التي يقيد بها استقلال العراق التام تشبه على صورة ما قسما من مساومة دائرة بين الدولتين بحيث كان نصيب العراق ، والامر من قبيل مبادلة شيء بشيء ، ان ينال المساعدة والمعاونة من حليفه الكبير . وفي الوقت نفسه ظل مقدار الهيمنة الذي احتفظت به بريطانيا العظمى تحت شروط المعاهدة كافيا ليمكنها من رعاية المسؤلية الانتدابية المطلوبة لعصبة الامم »
ــ انتهى ــ

كانت الحكومة البريطانية قد افرغت انتدابها على العراق في قالب معاهدة مدتها عشرون سنة فاستثقل العراقيون موادها ، كما استكثروا مدتها ، فلما جرت انتخابات حزب العمال في عام ١٩٢٢ ، حملت الصحافة البريطانية حملات شديدة على فداحة الضرائب على البريطانيين . وطالبت بالانسحاب من العراق ، مما حمل بريطانية على ان توقع في الثلاثين من نيسان ١٩٢٣ بروتوكولا انقصت مدة المعاهدة المذكورة بموجبه من عشرين حجة الى اربع حجج ، فلما اوفدت عصبة الامم لجنة الحدود الى العراق في عام ١٩٢٥ لدرس النزاع الناشب حول عائدية الموصل ، وهل تلحق بالعراق كجزء منه لا يقبل التجزئة ، أم تلحق بتركية على اساس ان الانكليز لم يحتلوها حربا وانما شغلوها شغلا عسكريا ؟ ارتأت اللجنة أن تبقى الولاية المتنازع عليها للعراق بشرط ان يبقى تحت الانتداب البريطاني مدة ٢٥ سنة ، وهكذا مُدّد اجل المعاهدة البريطانية المعقودة في عام ١٩٢٢ ، والتي كانت مدتها عشرين سنة ثم انزلت هذه المدة الى اربع سنوات ، الى ٢٥ سنة ولكن رغبة العراق في التحرر من هذه المعاهدات بالانخراط في عضوية الامم كانت تشتد بين يوم وآخر مما حمل بريطانية على الرضوخ لرغبة العراقيين فوضعت معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ على

ان لا توصع موضع التنفيذ الا بعد دخول العراق عصبة الامم في عام ١٩٣٢ لأن دخول العراق عضوا في عصبة الامم يحرره من كل قيد انتدابي على صورة رسمية •

**اشعار العصبة**

اشعرت الحكومة البريطانية عصبة الامــم في عام ١٩٢٩ بعزمها على ترشيح العراق لعضوية عصبة الامم اذا ما حل عام ١٩٣٢ قبل ان تتقدم لدرس الاسس التي وضعتها العصبة الاممية لتحرير العراق من نير الانتداب ، وتعهدت بتقديم تقرير مفصل عن سير الادارة في العراق بين العامين ١٩٢١ و ١٩٣٢ وقد وضعته فعلا وقدمت نسخة منه الى سكرتارية عصبة الامم في ١٣ مايس من عام ١٩٣١ فكان خير تقرير يوضح أوضاع العــــراق الاجتماعية والمالية والعمرانية •• الخ ، وما ناله من تقدم وازدهار • ويقول احد اعضاء العصبة بخصوص هذا التقرير انه ، محاولة دولة حامية تقيم البرهان على كفاءة قطر قد تعهدته بالتدريب للحصول على حق تبوء مركز بين الامم وعلى كل فهو يمثل وجهة النظر البريطانية بحق •

**فحص التقرير**

تولت لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الامم فحص تقرير الحكومة البريطانية المنتدبة ممثلا لاستجوابه فاضاف هذا الممثل معلومات كثيرة على ما جاء في التقرير وكان مما قاله :

يظهر ان الذين سنوا ميثاق العصبة لم يجعلوا العضوية منحصرة في الحكومات الراقية ، التي بلغت مستوى خاصا في حياتها السياسية والثقافية ، بل جعلوا المقياس على كل حال كون الحكومة مستقلة تمام الاستقلال ، وقادرة على ان تقف وحدها ، وان يعتمد عليها في القيام بتعهداتها الدولية • ومما لاريب

فيه ان الادارة في العراق وفي تقدم البلاد وحياتها الثقافية هي أمور لا تحتمل النقد ؛ ولكن لا يطلب من العراق ان يضاهي الامم المتقدمة العصرية التي بلغت من التقدم والرقي مستوى عاليا ، وربما لا يمكنه ان يفعل ذلك حتى ولو بقي تحت الانتداب سنوات عديدة وهل من العدل في شيء او من الضروري ان نقابل بين العراق وغيره من البلدان الراقية »[١٦] .

**قرار العصبة**

استمر النقاش والسؤال والجواب طويلا ثم اتخذ مجلس العصبة هـذا القرار :

لما كان المجلس مكلفا بالنظر في القضية الخاصة المتعلقة بالغاء الانتداب المفروض على العراق لذلك قرر المجلس الامور التالية :

١ ــ تسجيل الرأي الذي ابدته لجنة الانتداب بطلب من المجلس بناء على اقتراح الحكومة البريطانية .

٢ ــ اعتداد المعلومات المتيسرة كافية للدلالة على ان العراق بوجه الاجمال قد استوفى الشروط الحقيقية المذكورة في ذيل القرار الذي اتخذه المجلس في ٤ ايلول سنة ١٩٣١ .

٣ ــ التصريح باستعداده مبدئيا للحكم بانقضاء عهد الانتداب في العراق ، عندما تتعهد هذه الدولة امام المجلس بعهود تنطبق على التوصيات الواردة في تقرير اللجنة الدائمة للانتدابات ، مع العلم بأن حق التقاضي الى محكمة العدل الدولية الدائمة منحصر في الاعضاء الذين لهم ممثلون في مجلس العصبة .

٤ ــ لذلك يطلب المجلس الى مقرريه لمسائل الاقليات والقانون الدولي

---

(١٦) و (١٧) تاريخ الوزارات العراقية ٣/١٩٤ الطبعة السابعة .

والانتدابات وممثل بريطانيا العظمى في المجلس ان يهيئوا ( باستشارة ممثل الحكومة العراقية ) وعند الاقتضاء باستشارة ممثلي اللجنة الدائمة للانتدابات ، لائحة تصريح تتناول شتى الضمانات الموصى بها في تقرير اللجنة الدائمة للانتدابات ، ، وعرض تلك اللائحة على المجلس في دورته التالية .

٥ ـ انه اذا حكم المجس ( بعد فحص العهود التي تقطعها الحكومة العراقية ) بتقلص ظل الانتداب عن العراق ، ينفذ هذا الحكم ابتدا من تاريخ انضمام العراق الى عصبة الامم لا غير[١٧] .

هيأت اللجنة المختصة في عصبة الامم مذكرتين مختصرتين بالشروط المطلوبة من العراق ضمانا لانخراطه في عضوية العصبة وقد تضمنت المذكرة الاولى مواداً تتعلق بالامور العامة كحماية الحياة العامة ، واعتبار الرعايا العثمانيين المقيمين في العراق في السادس من آب ١٩٢٤ قد اكتسبوا الجنسية العراقية يتمتعون بحقوق متساوية مدنية كانت هذه الحقوق ام سياسية أم دينية ، وكانت كل هذه الامور مدرجة في القانون الاساسي العراقي . اما المذكره الثانية فهي تقتصر على مصالح الاجانب وبعض الامتيازات الدولية كالسماح للبعثات الدينية ، من جميع المذاهب ، بحرية التبشير والتدريس والتطبيب وغير ذلك ، وان يعتبر العراق مقيّداً بالمعاهدات والاتفاقيات التي كانت دولة الانتداب طرفا فيها ، وان التعهدات المالية المكتسبة بين ٢٦ نيسان ١٩٢٥ وتاريخ دخول العراق عصبة الامم ستكون محترمة ، ولا سيما تلك التي تعهدت بها بريطانية نيابة عن العراق ، وأن يطبق نظام قضائي موحّد على العراقيين والاجانب على حد سواء ، وان تمنح ـ على شرط المقابلة بالمثل ـ جميع الدول الداخلة في العصبة معاملة اكثر الامم حظوة لمدة عشر سنوات اعتبارا من تاريخ قبوله عضوا في العصبة ، ويحق لكل عضو من اعضاء العصبة ان يستفسر ما يشاء .. الخ .

لقد قبل العراق بكل ما جاء في المذكرتين اللتين أعدتهما اللجنة المختصة ، واستطاعت الحكومة ان تمررهما في البرلمان العراقي ، فأعلن مجلس العصبة في الثالث من شهر تشرين الاول من عام ١٩٣٢ قبول العراق عضوا في عصبه الامم . وتبودلت برقيات التهاني بهذا الحدث الكبير بين الملك جورج الخامس ملك بريطانية ، والملك فيصل الاول ملك العراق ، وكان العراق اول قطر يتحرر من الانتداب ويدخل عصبة الامم التي فرضت الانتداب .

# الانقلاب العسكري الاول

**توطئـــــة**

إختلّ التوازن بين القوى السياسية في العراق منذ أن ارتحل الملك فيصل الأول . مؤسس العراق الحديث ، الى دار البقاء في ليلة الثامن من أيلول سنة ١٩٣٣ . وانطلقت شهوة الحكم من عقالها فأخذ ساسة البلد البارزون يتفننون في الاستعانة بمختلف الطرق للوصول الى سدة الحكم والاستئثار بالسلطة . ونظرا لتضارب الأهواء والاهداف فيما بين هؤلاء الساسة ، فقد تعرضت الحياة النيابية الى الفوضى ، والمجالس التشريعية الى الحل المستمر ، واصبحت أعمار الوزارات قصيرة ، ومناهجها مضطربة ، بحيث تألفت بين ٨ أيلول ١٩٣٣ ، وهو تاريخ وفاة الملك المؤسس ، و٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ ، وهو تاريخ الاطاحة بوزارة ياسين الهاشمي الثانية ، ست وزارات ، أي بمعدل ستة أشهر لكل وزارة . وحلت ثلاثة مجالس للنواب كانت مدتها القانونية اثنتا عشرة حجة . ووقعت خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة انتفاضات محلية وقبلية كانت قمينة بأن تؤدي بالمملكة الى الهلاك لولا عناية الباري .

كان السيد رشيد عالي الكيلاني قد ألف الوزارة لأول مرة في ٢٠ اذار سنة ١٩٣٣ وقد استقالت هذه الوزارة في ٨ أيلول من هذه السنة اثر وفاة الملك المؤسس غير المنتظرة ، وتبؤ ولي عهده الأمير غازي عرش البلاد ، وألف وزارته

الثانية في هذا التاريخ فآرتأى أن يحلّ مجلس النواب القائم ، ويشرع في انتخاب مجلس جديد تكون له فيه الاكثريه بين النواب ، فحالت نصيحة تقدم بها علي جودة الأيوبي رئيس الديوان الملكي الى الملك الشاب دون الأخذ بهذا الرأي . مما أضطر الكيلاني الى تقديم استقالة وزارته في ٢٨ تشرين الاول ١٩٣٣ فقام السيد جميل المدفعي بتاليف وزارتين متعاقبتين امتدت أيامهما من ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٣ الى ٢٥ آب ١٩٣٤ . ثم تألفت وزارة برئاسة السيد علي جودت الايوبي كانت باكورة أعمالها أنها استصدرت ارادة ملكية بحل مجلس النواب الذي ارادت وزاره الكيلاني أن تحله فحال وجود الأيوبي في البلاط الملكي دون ذلك . وقد أضطرت هذه الوزارة الأيوبية الى التنحي عن الحكم في ٢٣ شباط ١٩٣٥ بعد أن ألبت المعارضه بعض القبائل لاسقاطها بالقوه ، اذا هي لم تتخلّ عن الحكم بالمعارضة السلميه ، وتألفت وزاره برئاسة المدفعي للمرة الثالثة حاولت أن تستخدم القوة لحمل هذه القبائل على الاخلاد الى السكينة وعدم الاخلال بالأمن العام ، ولكن ملاحظة عسكرية دقيقة أبدتها رئاسة اركان الجيش العراقي أدت الى افشال هذه المحاولة ثم تنحّي الوزارة عن الحكم بعد أن لبثت فيه احد عشر يوما فقط .

**اشتداد المعارضة**

كان اكبر خطأ ارتكبته وزارة الأيوبي ( ٢٧ آب ١٩٣٤—٢٣ شباط ١٩٣٥ ) بنظرنا هو ابعادها عن مجلس النواب الذي أجرت انتخاباته في كانون الاول ١٩٣٤ . بعض رؤساء القبائل الذين لهم وزنهم القبلي في محيطهم ، ولهم اتصالهم المعروف برجال الحكم في العاصمة . لمجرد انهم كانوا من خصومها . وجاءت بنواب جددٍ كان من بينهم بعض الأمعات وكبار السراكيل ، اعتقادا منها أنهم سيشايعون سياستها . ثم عمدت الى الجهاز الاداري وأجرت فيه غربلة واسعة فأبعدت خصومها ، وقرّبت معارفها وأعوانها . ثم ألفت حزبا سياسيا في ٦ كانون الاول ١٩٣٤ أسمته « حزب الوحدة الوطنية » ودعت

« ابناء الأمة على اختلاف آحزابهـم ونزعاتهم وعناصـــرهم وطبقاتهم الى تأييده »[1] فلم ينتم اليه الا الذين اعتادوا أن يلبسوا لكل حالة لبوسها ، حتى اذا ستقالت هذه الوزارة في ٢٣ شباط من السنة التالية . تشتت الوحدويون آيدي سبأ فكانوا مصداقا لقول الشاعر الجاهلي الاسود بن يعفر في داليته :

آتت الرياحُ على محلّ ديارهم فكأنما كانـوا على ميعادِ

وكانت المعارضة قد انتقلت من مجلس النواب الى مجلس الاعيان ، ثم انتقلت الى القبائل التي ابعدت الوزارة بعض رؤسائها عن المجلس الذي أجرت انتخاباته فأستفزتها وأثارتهـا ، وعقدت بعض الاجتماعات المريبة في داري السيدين : رشيد عالي وحكمة سليمان الواقعتين في الصليخ ، احدى ضواحي بغداد الشماليه ، كان من جملة ما تقرر فيها اسقاط الوزارة القائمة بالوسائل السلمية أولا فان لم تسقطها اسقطوها بالقوة ، فلما حققت الوسائل السلمية غرضها واستقال الأيوبي في ٢٣ شباط ١٩٣٥ ، تألفت وزارة جديدة برئاسة السيد جميل المدفعي في الرابع من آذار فعدها خصوم الأيوبي امتدادا لوزارته وانقلبت المعارضة السلمية الى التمردات القبلية ، اذ خرّبت جماعة الشيخ عبد الواحد الحاج سكر : رئيس آل فتلة ، القناطر والجسور القائمة على الانهر المتشعبة من عمود الفرات بين الفيصلية وأبي صخير ، وبين الأخيرة والشامية . لتقطع الطريق على القوات النظامية ، وتم حجز الموظفين في مقراتهم وبيوتهم ، وفي الوقت نفسه احتلت جماعة من قبيلة الأكرع ، التي يرأسها الشيخ شعلان العطية ، القلعة القائمة على صدر نهر الدغارة ، الذي يبعد ستين كيلو مترا عن جنوبي الحلة و٤٣ كيلو مترا عن شمالي الديوانية ، وصارت تتحكم في توزيع مياه الفرات ، بينما احتلت جماعة من قبائل العزة التي يرأسها

---

(١) من الاسباب الموجبة لتاليف « حزب الوحدة الوطنية » ـ تاريخ الوزارات العراقية ٤/٥١ .

الشيخ حبيب الخيزران « منصورية الجبل » بلواء ديالى وأقامت قوة فيها • وحاولت الوزارة الجديدة أن تركن الى القوة لارغام المتمردين على الرجوع الى جادة الصواب فأفهمها الملك بأنها ليست الهيأة الوزارية المؤهلة لحل المسائل لا بالقوة ولا بالتسوية السلمية ، فتنحت عن الحكم في ١٧ آذار ١٩٣٥ •

**المعارضة في الحكم**

اضطرت الظروف الدقيقة التي سادت العراق بعد وفاة الملك المؤسس ، اضطرت ولده الملك غازي الى استدعاء زعيم المعارضة السيد ياسين الهاشمي ليؤلف وزارة تأخذ على عاتقها انقاذ البلاد من محنتها واعادة الامور الى مجاريها « وياسين يحب الضبط ويسعى الى تحقيق سياسة لا يستسيغها الملك في أمور الدولة ، أي أنه كان يحاول دائما ان يجعل من الملك رمزا لا عنصرا مشتركا فعلا »[٢] ولهذا رفض قبول السيدين جميل المدفعي وعلي جودة الأيوبي في عداد أعضاء وزارته ، كما كان الملك يرغب في ذلك ، كما رفض اسناد منصب وزارة الداخلية الى السيد حكمة سليمان . وهو المنصب الذي كان يتنافس قطبا المعارضة السيدان رشيد عالي الكيلاني وحكمة سليمان عليه ، وكان تفضيل الاول على الثاني في اشغال هذا المنصب ، سببا من اسباب نفور حكمة من الهاشمي واستقالته من حزبه حزب « التآخي » ثم انضمامه الى صفوف المعارضة التي تألبت فأودت بوزارته بعد اقل من عشرين شهرا ، ولا يخفى أن حكمة كان من أقطاب المعارضة التي مكنت الاخائيين من الوصول الى الحكم وبفضله انضم رؤساء القبائل للمعارضة •

« لم تكن المهام المناطة بوزارة الداخلية في العشرينات كما هي اليوم في السبعينات • كانت ترتبط بوزارة الداخلية المديريات العامة للصحة ، والبلديات

---

(٢) توفيق السويدي في كتابه « نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية » ص٢٧٠ •

والسجون ، ومديرية المطبوعات . وقد أصبحت كل من هذه المديريات وزارة مستقلة الآن ، كما كانت ترتبط بها مديرية الشرطة العامة ، ومشاورية الحقوق المناط بها تدقيق قضايا دعاوى العشائر الصادرة من قبل المتصرفين ، وتقديم المشورة اللازمة عنها الى الوزير . وكانت لوزير الداخلية سلطة الاشراف على مقررات وزارة المالية الخاصة بقضايا توزيع الاراضي الاميرية او الاستيلاء عليها أو بيعها ولا سيما ما كان خاصا منها بالعشائر ... كما كانت تحت تصرف وزير الداخلية المخصصات السرية . وكذا المخصصات الموضوعة في ميزانية الشرطة العامة لهذا الغرض ، اذ لم يكن قد وضع شيء من مثل هذه المخصصات تحت تصرف رئيس الوزراء »[٣] .

لهذا كله لم يكن التنافس بين الوزراء ، والتهالك على اشغال منصب وزارة الداخلية ليس له ما يبرره ، وهذا ما أدى في النتيجة الى ابتعاد السياسيين عن التزاحم على الوصول الى كراسي المسؤولية بالطرق الدستورية المألوفة ، واللجوء الى القبائل أولاً ، والى الجيش ثانيا لتحقيق هذا الوصول .

**تفضيل رشيد على حكمة**

أضطر ياسين أن يفضّل رشيدا على حكمه في اشغال منصب وزارة الداخلية في وزارته الثانية ( ١٧ آذار ١٩٣٥–٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ ) لأن الاول كان متشبعا بالنظريات الدستورية ، ومتضلعا في الامور الادارية ، وأستاذا في كلية الحقوق ، وكانت له صلات ودٍ واحترام مع رؤساء القبائل ، ولا سيما في الفرات الاوسط . وفي الوقت نفسه كان يؤمن بعظمة ياسين الهاشمي وزعامته فلا يمكن أن يخالف له امرا أو يردّ له مطلبا . أما الثاني ، وأعني حكمة سليمان ، فكان رجلا وقرا ومغامرا جريئا ، قليل الصبر ، سريع الغضب ،

(٣) ناجي شوكت في مذكراته « سيرة وذكريات ثمانين عاما » ص١٦٠ .

يستهوي الناس بعذوبة حديثه وواسع كرمه ، وفي الوقت نفسه كان يرى نفسه نداً للهاشمي . غير مؤمن بتفوقه في الزعامة عليه ، وهذا ما أدى الى ابتعاده عن الهاشمي رويدا رويدا ، ثم للانفصال عن حزبه « حزب التآخي الوطني » الذي عمل على تأسيسه قبل خمس سنوات . ثم الانضمام الى صفوف المعارضة التي أخذت تتمثل في « جماعة الاهالي » اولاً وفي الساسة الذين أبعدهم نجاح الهاشمي عن الحكم ثانيا ، فبدأت انتقادات تلتها اضطرابات فانتهاكات .

فلقد تضخّمت كتلة المعارضة للهاشمي على مرّ الايام . ودخل في تيار المعارضة « أشتات حفزّتهم بواعث شخصية بحتة ، منهم الذين فصلتهم الوزارة من وظائفهم لاسباب قانونية ، ومنهم من كبار الموظفين الذين ضاق عليهم مجال الكسب الحرام ، ومنهم من ضاق ذرعا بتدابير وزير الداخلية المتخذة لاضرب على ايدي المفسدين والمرتشين لحماية الاخلاق ، وتضييقه على حريات الناس ولا سيما في مجال العبث واللهو . وزاد في الطين بلّة توهم الهاشمي أنه قادر على البقاء في الحكم »[٤] مدة تمكنه من التغلب على الصعاب التي برزت أمامه .

وكما استعان السيدان ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني ، ومعهما حكمة سليمان « قبل أن يزعل » بزعماء القبائل في الفرات الاوسط للاطاحة بالوزارة الايوبية الاولى ( ٢٧ آب ١٩٣٤ــ٢٣شباط ١٩٣٥ ) وبالوزارة المدفعية الثالثة ( ٤ــ١٧ آذار ١٩٣٥ ) استعان حكمة سليمان وجماعته الجُدُد بهؤلاء الزعماء للاطاحة بحكم الهاشمي . وبدأت هذه الاستعانة برئيس الأزيرج الشيخ خوام العبد العباس ، حيث قام بحركة الرميثة الاولى في السابع من آيار ١٩٣٥ ، تلتها حركة بني خيكان في سوق الشيوخ في التاسع من هذا الشهر ، فحركة المدينة ــ بالتصغير ــ شمالي البصرة في ٣٠ آب ١٩٣٥ ، فحركة الظوالم في الرميثة في ٢١ نيسان ١٩٣٦ . فحركة الشيخ شعلان العطية

(٤) الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية ص ٢٢ من الطبعة الخامسة

رئيس الاكرع في الدغارة في الرابع من حزيران من هذه السنة ، مضافا الى التمرد الذي حصل في الزيبار وسنجار شمالي العراق[٥] .

### الوزارة تحمي خصومها

وكانت الوزارة الهاشمية على علم بسببي هذه الحركات ، والدعم الذي كانت تتلقاه من الساسة في بغداد ولكنها كانت تتجاهل هذا الدعم ، وتتستر على الساسة . مثال ذلك ما يقوله رئيس اركان الجيش الفريق طه الهاشمي في ص ٤٣٩ من الجزء الاول من مذكراته :

« عثرت القيادة على كتاب من حكمة سليمان الى الشيخ شعلان العطية يحرضه فيه على القيام بالعصيان » .

ومثل ذلك ما جاء في ص ٤٣٨ من الجزء نفسه قوله :

« وفي مثل هذا الموقف الحرج ، قبض على شخص يحمل كتاب توصية من المدفعي ... لتحريض القبائل وحثهم عى التمرد » .

ولكن الوزارة أصدرت بيانا رسميا في الثامن من حزيران ١٩٣٥ قالت فيه :

« تنفي الحكومة ما زعمته جريدة صون بوسته الصادرة باللغة التركية في الاستانة من أن لرجال الدولة ، كصاحب الفخامة جميل المدفعي ضلعا في حركات التمرد » .

أما القبائل التي اكتوت بنار التمردات والثورات وتعرضت لقصف الطائرات ورمي المدافع ، ولحقت بها خسائر بشرية ومادية جسيمة ، فكانت تندب حظها ، وتستغفر ربها فقال قائلها :

---

(٥) تفاصيل كل هذه التمردات والثورات في الجزء الرابع من تاريخ الوزارات العراقية في طبعته السادسة .

وين داخــل وين رايــح أو ويــن إبن عواد
آو ويــن إبــن السويدي بالخطابــه أستاد[٦]

آو ويــن المدفعــي اللــي ســاكن ببغـــداد
اللــي شِـــرَدْ منهـــم ولبــگه گـــوّاد
إتوبــه إنچــان إنــرد ليهــه

**بين حكمة وبكر**

وكانت لحكمة سليمان علاقات ودٍ وثقى بالقائد العسكري الفذ الفريق بكر صدقي ، تمكنت وتأصلت وازدادت وتوقا منذ عملا سوية على اخماد فتنة التيارين النساطرة في شمال العراق في آب من عام ١٩٣٣ ، حيث كان حكمة وزيرا للداخلية في وزارة رشيد عالي الكيلاني ( ٢٠ آذار ـ ٢٨ تشرين الاول ١٩٣٣ ) وكان بكر صدقي آمرا للقوات العسكرية التي عهد اليها قمع الفتنة ، فكانت للرجلين مواقف مشهود في المتانة والصلابة مما ادهش الانكليز وأغضبت الملك فيصل ، ولكنها رفعت من مكانة الجيش في نفوس الشعب ، وجعلته يؤمن بأن جيشه لا يقهر ولا يمكن أن يضام .

ولما كثرت الفتن والاضطرابات ، وتكرر اعلان الاحكام العرفية خمس مرات ، وسئم الناس حياة الانقلابات والتمردات قال شاعرهم :

قالوا وزارتكم ياسين يرأسها وقائد الجيش طه في الميادينِ
يا ربّ طه وياسين بحقهمـا أجِر عبادك من طه وياسينِ

نقول : لما كثرت الفتن وتنوعت ، وكثر الضجيج والاستنكار حول الحركات العسكرية وأحكام الاعدام والسجن والابعاد ، تذكر حكمة سليمان علاقته السابقة ببكر صدقي فراح يتصل به ، وينقل اليه مواقف الناس

(٦) ( داخل ) الشعلان و ( رايح ) العطية ومرزوك ( العواد ) وناجي ( السويدي ) وجميل ( المدفعي ) .

وتذمراتهم . وكان بكر « يعتقد أنه لم يكافأ على خدماته بما كان يستحق »[7] وكان يرى « ان كل واحد من الوزراء النافذين يحاول أن يستجلبه الى صفه ليدعم به قوته الموجهة ضد خصمه ، وهذا التدليس السياسي الذي استعمله بكر صدقي المذكور أدى الى حصول مطامع جديدة لديه جعلته ينظر الى أفق أوسع لتحقيق مآربه »[8] .

**امناورة أم انقلاب ؟**

كان قد تقرر اجراء مناورات عسكرية في خريف عام ١٩٣٦ فوق تلول حمرين بين بغداد وخانقين . كما تقرر أن تكون هذه المناورات بين الفرقتين الاولى والثانية ، فتتخذ الفرقة الاولى التي يقودها الفريق عبد اللطيف نوري خطة الدفاع عن بغداد ، في حين أن الفرقة الثانية التي يقودها الفريق بكر صدقي تتخذ خطة الهجوم ، ولهذا عسكرت الفرقة الاولى في « بلدروز » بين بعقوبة ومندلي ، وعسكرت الفرقة الثانية بين بعقوبة وخانقين بجوار « قرهغان » .

وكان رئيس اركان الجيش طه الهاشمي قد سافر الى لندن في ٢٩ تموز ١٩٣٦ لحضور مناورات للجيش البريطاني على أن يعرج على چيكوسلوفاكيا لزيارة بعض المعامل الحربية[9] وقد أناب عنه الفريق عبد اللطيف نوري ، على أن يحل محله الفريق بكر صدقي عند عودته من اجازته التي كان يقضيها خارج العراق بصفة كونه أقدم ضابط في الجيش .

وكان عبد اللطيف يشكو من امراض تضطره للعلاج في خارج العراق ، وكانت وزارة الدفاع تحجب عنه المساعدة المالية اللازمة لتأمين نفقات السفر

---

(٧) مذكرات الدكتور كروبا وزير المانيا المفوض في العراق في كتاب « العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب » ص٤٠٦ .

(٨) « نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية » ص٢٧١ .

والعلاج ، على حين أنها كانت قد سمحت بمثل هذه النفقات للفريق بكر صدقي[10] فكتب عبد اللطيف الى وزير الدفاع رسالة بتأريخ ١٦ تشرين الاول يشكو له فيها أمره ، ويقول في الفقرة الرابعة من رسالته بفصيح العبارة :

« وقد تفضل فخامة الهاشمي أخيرا وأوعدني ــ كذا ــ خيرا ، وكلي أملاً ــ كذا ــ بدون ريب أن فخامته سوف ينجز وعده قبل أن يستحوذ عليّ اليأس الشديد الذي ستكون نتائجه غير محمودة »[11] .

وقد استغل الفريق بكر صدقي الوضعين الصحي والمالي لزميله الفريق عبد اللطيف نوري . فتقرب اليه ، واستطاع أن يستدرجه في الخطة التي وضعها مع حكمة سليمان ، دون أن يمكنه من تقدير كنهها أو تصوّر نتائجها[12] وتم الاتفاق بين الفريقين على الزحف على بغداد لاقالة الوزارة ، وإختط هذه الخطة :

١ ــ أن تنقل الفرقة الثانية بأجمعها من « قره تپه » الى « قره‌غان » ليلة الثلاثاء ٢٦ــ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ على أن يتم النقل في الليل عينه .

٢ ــ أن يوفد أحد ضباط الركن الى السليمانية وكركوك لجلب العتاد المقتضي للمدفعية .

٣ ــ أن تنسل الوحدات من ( قره‌غان ) متفرقة ليلة الخميس ٢٨ــ٢٩ من هذا الشهر لتصل الى بعقوبة صباح يوم الخميس .

٤ ــ أن تنقل الفرقة الاولى من ( بلدروز ) فجر يوم الخميس ٢٩ منه فتلتحق بالفرقة الثانية في بعقوبة وتحفظ المؤخرة .

---

(٩) قرار مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ٢١ تموز ١٩٣٦ .

(١٠) محمود الدره في كتابه الحرب العراقية ــ البريطانية ص ٦٤ .

(١٢) جلست الى الفريق عبد اللطيف نوري في مقهى الترينوف بدمشق يوم ٤ تموز ١٩٣٩ استمع الى حديثه عن الانقلاب فاذا به يقول : انني اشعر بانفجار في شرايين قلبي كلما تذكرت فواجع الانقلاب وتذكرت مقتل جعفر العسكري بلا مبرر .

٥ ـ أن يطلع الضباط الذين يعتمد عليهم الفريقان بكر وعبد اللطيف على خطة الزحف في يوم الزحف .

وقبل أن ينتصف يوم الاربعاء ٢٨ تشرين الاول ١٩٣٦ وصلت الى بغداد من « قرەغان » طائرة عراقية تحمل العقيد شاكر محمود الوادي ، ومعه كمية من المناشير التي طبعت في بلدروز لتوزع على سكان بغداد في اليوم التالي ( الخميس ٢٩ تشرين الاول ) مع كتاب من الفريق بكر صدقي الى المقدم الطيار محمد علي جواد يأمره فيه أن يرسل سرب الطائرات الى معسكر قرەغان محملة بالقنابل للاشتراك في المناورات ، ورسالة الى الملك غازي موقعة من الفريقين . بكر وعبد اللطيف . وقد سلم العقيد الوادي هذه الرسالة الى حكمة سليمان ، والمناشير الى المقدمين : علي غالب وسعدي مصطفى ، والكتاب الى الطيار محمد علي جواد .

**قنابل من ورق**

وفي الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم الخميس الموافق ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ ، حومت فوق بغداد ثلاث طائرات[١] من طراز جبسي موث يقودها المقدم الطيار محمد علي جواد ونثرت هذا المنشور الذي أعد مسودته كل من السادة : محمد جعفر ابو التمن وكامل الچادرچي ومحمدحديد ، على ما اكده لنا الچادرچي نفسه .

ايها الشعب العراقي الكريم :

لقد نفد صبر الجيش المؤلف من أبنائكم من الحالة التي تعانونها من جراء اهتمام الحكومة الحاضرة بمصالحها وغاياتها الشخصية دون أن تكترث

---

(١) يقول السفير البريطاني في بغداد في تقريره الذي بعث به الى وزارة الخارجية في لندن ان عدد الطائرات كان احدى عشرة .

لمصالحكم ورفاهكم . فطلب الى صاحب الجلالة الملك المعظم اقالة الوزارة القائمة . وتأليف وزارة من أبناء الشعب المخلصـين برئاسة السيد حكمة سليمان . الذي طالما لهجت البلاد بذكره الحسن ومواقفه المشرفة . وبما أنه ليس لنا قصد من هذا الطلب الا تحقيق رفاهكم وتعزيز كيان بلادكم ، فلا شك في أنكم تعاضدون أخوانكم أفراد الجيش ورؤسائه في ذلك وتؤيدونه بكل ما أوتيتم من قوة ، وقوة الجيش هي القوة المعول عليها في الملمات .

وأنتم أيها الموظفون لسنا الا أخوانا وزملاء لكم في خدمة الدولة التي نصبوا كلنا الى جعلها دولة ساهرة على مصلحة البلاد وأهلها ، عاملة على خدمة شعبكم قبل كل شيء . فلا بد وأنكم ستقومون بما يفرضه عليكم الواجب الذي ألجأنا الى تقديم طلبنا الى صاحب الجلالة ملكنا المفدى لانقاذ البلاد مما هي فيه ، فتقاطعون الحكومة الجائرة وتتركون دواوينها ريثما تؤلف الحكومة التي ستفخرون بخدمتها ، اذ ربما يضطر الجيش بكل أسف لاتخاذ تدابير فعالة لايسكن خلالها اجتناب الاضرار بمن لا يلبي هذه الدعوة المخلصة ماديا وأدبيا .

قائد القوة الوطنية الاصلاحية ـ الفريق بكر صدقي العسكري

لقد ذهل الناس لهذه الظاهرة المفاجئة فأقفلوا حوانيتهم ومخازنهم ، وترك الموظفون دوائرهم . وخلت الشوارع من وسائل النقل ، واندفع رهط من رجال الانضباط العسكري يجوب المقاهي والشوارع على الدراجات ، ويوزع نسخا من المنشور المذكور على الاهلين .

وسارع حكمة سليمان فاستقل سيارته وتوجه الى قصر الزهور . حيث يقيم الملك . فاستدعى مرافقين من القصر وكلفهما باستدعاء رئيس الديوان الملكي السيد رستم حيدر اليه فلما حضر رستم . سلم اليه الكتاب الذي كان قد جاء به العقيد شاكر الوادي قبل يوم ليوصله الى صاحب الجلالة الملك قائلا : هذا كتاب جاءني به ضابطان لا أعرفهما وسألاني ايصاله الى جلالة

الملك فأرجو تسليمه اليه • وفيما يأتي نص هذا الكتاب كوثيقة رسمية لابد من اثباتها بالنص :

**لاعتاب صاحب الجلالة الملك المعظم**

غير خافٍ على جلالتكم ما لاقى أبناء بلادكم من جراء سياسة الحكومة الحاضرة . سياسة التحزب والمحاباة والاستغلال والاسراف التي لا مبرر لها ، وتقديسها المصالح الشخصية والمنافع الذاتية على المصالح والمنافع العامة ، واستهتارها بدماء أبناء بلادكم التي أريقت لا لسبب غير الاغراض الشخصية ، وتطمين رغبات المحسوبين والمنسوبين لهذه الحكومة حتى جرها غرورها الى التطاول على صاحب العرش المفدى . بل ربما تحدثوا بما وراء ذلك •

تعلمون جلالتكم بأن الجيش برؤسائه وجنوده إنما كان خلال هذه المدة يطيع الاوامر المقرونة بارادتكم بدافع الاخلاص الى القائد الاعلى ، أما وقد تفاقم الامر واستمرت حالة البلاد تتدهور من سيء الى أسوأ ، والاضطرابات فيها متواليه ، وسياسة الحكومة لم تتبدل ، والعدل مفقود بين رعايا جلالتكم ، والبؤس منتشر في بلادكم . كل ذلك لأجل اسعاد طبقة خاصة على رأسها أعضاء الحكومة الحاضرة ، فالجيش الذي تهمه مصلحة البلاد وتعزيز كيانها أسوة بالامم المتحفزه . يأبى أن يبقى صامتا تجاه هذه الحالة السيئة التي لا شك في أن ستكون نتيجتها الدمار •

لهذا يتقدم الجيش ليعرض على اعتاب جلالتكم طالبا انتشال البلاد من هذه الهوة السحيقة . باصدار ارادتكم المطاعة باقالة الوزارة الحاضرة ، وتعيين وزارة من ابناء البلاد المخلصين برئاسة السيد حكمة سليمان خلال ثلاث ساعات[١٣] وعلى فرض مخالفة الوزارة أمر جلالتكم بالتخلي عن الحكم خلال

---

(١٣) تقول الفقرة ( ٥ ) من المادة ( ٢٦ ) من القانون الاساسي ( الدستور ) أن الملك يختار رئيس الوزراء وعلى ترشيح الرئيس يعين الوزراء ويقبل استقالتهم من مناصبهم •

المدة المضروبة . فالجيش الذي لا يزال المخلص الامين لجلالتكم ولبلاده ، سيقوم بواجبه لتنفيذ هذا الطلب خدمة للمصلحة العامة التي تسهرون جلالتكم عليها .

قائد الفرقة الاولى : الفريق عبد اللطيف نوري

قائد الفرقة الثانية : الفريق بكر صدقي

لم ترهب القنابل الورقية التي ألقتها الطائرات العراقية في الثامنة والنصف صباحا السيد ياسين الهاشمي رئيس الوزراء ، ولم يطلع على نص الكتاب الذي وقعه الفريقان عبد اللطيف نوري وبكر صدقي ورفعه الى الملك حكمة سليمان ، بل سارع الى قصر الزهور باعصاب متينة ، بعد ان هاتف بكرا وتاكد منه أن صاحب الجلالة وراء الحركة ، وانه يقوم بها بعلم منه وتأييد من لدنه . وكان الملك قد استدعى السفير البريطاني الى قصره ، كما حضر القصر كل من نوري السعيد ، ورستم حيدر ، وتأخر عن الحضور وزير الدفاع جعفر العسكري ، ووزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني . وكان الاول يستلف مبلغا من المصرف الزراعي ، والثاني في مقر عمله يشرف على الوضع العام حتى ينجلي الموقف . وما لبث العسكري أن حضر فشمل الجميع جلال الموقف اذ لم يكونوا يعرفون مصيرهم . وبينما هم كذلك ، اذ نقل لهم أحد المرافقين بأن الطائرات ألقت أربع قنابل يبدو انها كانت دقيقة في طريقة القائها ، اذ سقطت الاولى أمام بناية مجلس الوزراء ووزارة الداخلية فأحدثت في الارض حفرة عميقة ، وهزت الديوان هزا سقط أثناءه بعض زجاج النوافذ ، وسقطت الثانية أمام دائرة البريد المركزية بالقرب من دار رئيس الوزراء ياسين الهاشمي فسببت هلعا في النفوس ، وسقطت الثالثة أمام مبنى البرلمان فقتلت شخصا وجرحت آخرين . أما القنبلة الرابعة فقد سقطت في النهر ولم تلحق ضررا بأحد ، عندئذ سأل الرئيس الهاشمي الملك غازي عما اذا كان له علم مسبق بهذه الحركة ؟ فلما ردّ عليه بالنفي ، نقل الى جلالته

الحديث المهم الذي جرى بينه وبين القائد الثائر بكر صدقي بالحرف. فانزعج الملك وأنكر صحته ، فعرض الهاشمي حلولاً لمعالجة الموقف لم يقرها ، فأقترح نوري السعيد « ارسال مناشير موقعة من قبل الملك ترسل بالطائرات الانكليزية فتلقى على وحدات الجيش في قره غان ، ويعلن بها تمرد بكر ، غير أن الملك لم يجب »[١٤] فسأله السفير عما اذا كان لديه من القوة والجرأة ما يكفي لاحباط هذه الحركة ؟ فرد عليه بالنفي أيضا ، فاستنتج من ذلك أن الملك يحبذ استقالة الوزارة . وأن لا فائدة ترتجى من أية مقاومة[١٥] فأخذ الهاشمي الورق وخط بيده كتاب استقالة وزارته بالنص الآتي ، بعد ان فعلت القنابل فعلها :

مولاي المعظم　　　　بغداد في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦

تعلمون جلالتكم ان الوزارة الحاضرة سعت بكل قواها لتأمين النظام في البلاد والاخذ بجميع وسائل التقدم لايصال المملكة الى المستوى الذي يساعدها على القيام بالاعمال المنتظرة بالنسبة للظروف العالمية . الا أنه ظهر ان قلة التجربة وبعض الاطماع قد طوحت بالمسؤولين عن الدفاع عن هذه البلاد أن يقدموا على حركة أعتقد أنها تؤدي الى نتائج غير محمودة . وبعد ان بحثت مع زملائي في الموقف وان تراءى لي أن الرغبة متجهة نحو اجتناب تعريض البلاد الى خطر القلاقل الداخلية ، سارعت بالتقدم الى جلالتكم بقبول استقالتي من اعباء الوزارة سائلا المولى أن يأخذ بيد جلالتكم لتجنيب الاخطار ، وان يرشدكم الى ما فيه خير البلاد .

العبد المطيع : ياسين الهاشمي

---

(١٤) مذكرات طه الهاشمي ص ١٥١ من الجزء الاول .

(١٥)

وكانت قوات الجيش الزاحفة على بغداد تحت قيادة الفريق بكر صدقي قد بلغت أبواب العاصمة واحتلت « سدة ناظم باشا » المحيطة بالعاصمة بغداد وتوجه اربعة ضباط الى مبنى وزارة الداخلية الذي اتخذه حكمة مقرا له ، وبعد ان ادوا التحية له واخبروه بان الجيش على الابواب ، صدر الامر بوجوب دخوله الى المدينة ، وهو ما كان السفير البريطاني قد حذّر الملك من السماح به .

**مقتل وزير الدفاع**

كان لجعفر العسكري ، وزير الدفاع في الوزارة الهاشمية المستقيلة ، مقام مرموق في الجيش العراقي ، بصفة كونه أحد بُناته ، وكانت له صلة وثقى بكثير من ضباطه . فخيل أليه أنه يستطيع أن يتفاهم مع الضباط ، ويتفاهم معهم اذا ما بلغ مقرّ القيادة الثائرة ، فاعرب عن رغبته في الذهاب الى مقر القيادة المذكورة . وتوسل الى الملك غازي أن يزوده برسالة شخصية الى الفريق بكر صدقي . وقد ادرك الهاشمي خطة وزيره فأبدى موافقته عليها ، وعارض صهره نوري السعيد هذا لاقتراح أشد المعارضة ، غير ان العسكري كان حريصا على تنفيذه ، فأمر الملك غازي رئيس ديوانه رستم حيدر فخط هذا الكتاب :

عزيزي بكر صدقي :

تتسلمون هذا الكتاب من يد السيد جعفر العسكري الذي سيلاقيكم بصورة خصوصية لأجل بحث الموقف . لقد بلغني الآن ان بعض الطائرات ألقت ثلاث قنابل فاستغربت جدا لهذا الحادث الجديد ، بعد أن اخبرتكم تلفونيا بلزوم ايقاف كل حركة ريثما أتدبر الوضع الحاضر . ان كل حركة اخرى سوف لا تخلو من أن تؤثر أسوأ الأثر على مستقبل البلاد وسمعة الجيش . اذ ليس من حاجة البتة لشيء من ذلك . وسوف تفهمون التفاصيل من جعفر .

٢٩ تشرين الاول القائد الاعلى : غازي

وقبل أن يدرك العسكري بكرا ، قتله قتلة نكراء فاتسعت شقة الخلاف بين صهره نوري السعيد والانقلابيين ، وكان من المنتظر أن يدخل نوري وجعفر في الوزارة الجديدة ، لأنهما كانا يبديان براءتهما من الاخطاء المعزوة الى الوزارة المستقيلة ، ولذا ينسب اليهما التواطؤ مع رجال الانقلاب . ويقول توفيق السويدي في ص٢٧٣ من مذكراته في هذا الصدد :

« وقد أوّل بعض المطلعين على الحقائق اندفاع العسكري الى آخذ الكتاب من الملك والذهاب الى الثائرين ، بالرغم من معارضة الجميع لهذه المخاطرة غير المبررة ، بأنه كان ينوي الالتحاق بهؤلاء في وسط الطريق ، ويأتي معهم الى العاصمة ليترأس العمل الثوري ، ويزيل خصومه من الوزارة ، ويستتب له الأمر » . إ هـ

« وكان السيد شاكر الوادي الذي اشترك في حركة الانقلاب ، قد اقترح حرق جثة العسكري لاخفاء معالم الجريمة »[١٦] كما كان في نية بكر قتل محمد الطاهر الزبيدي وشاكر القرهغوللي اللذين كانا مع جعفر ، وحمل جثث القتلى بالسيارة التي جاءت بهم ، والادعاء بأن السيارة احترقت بهم ولكنه عدل عن رأيه .

وعلى كلٍ فقد اعتبر مقتل العسكري أول مسمار سيدق في نعش الملك غازي . فقد عد الانكليز تدخل الملك في حركة الانقلاب رعونة جعلتهم يفكرون في البديل منذ هذه اللحظة في حين ان نوري السعيد اعتبر الملك مسؤولا عن مقتل صهره وساعده الايمن جعفر العسكري .

### تكليف حكمة سليمان بالوزارة

ارتبك حكمة سليمان وأصحابه لمقتل الفريق جعفر العسكري ، فبذلت جهود مضنية لحمله على تأليف الوزارة الجديدة قبل أن يفلت زمام الأمر ،

---

(١٦) آفاق عربية العدد ١٢ من السنة الخامسة لشهر آب ١٩٨٠ .

فاشترط أن يكون التكليف خطيا خشية أن يتهم بالتآمر • وكان حكمة مصمما على إشراك جعفر ونوري في وزارته ، لأنهما لم يكونا على وفاق مع رئيسهما السابق ، ولأن في اشراكهما تعزيزا لمقام الوزارة الجديدة ، وتطميناً للسفارة البريطانية • فلما علم خبر مقتل جعفر ، انقلب التصميم رأسا على عقب ، وتحملت وزارته وزرا كبيرا بمقتل شخصية كانت محبوبة في أوساط الجيش والشعب معا حتى أنه لما تسلم كتاب الاسناد ، رده الى رستم معتذرا عن الاضطلاع بالمهمة الخطرة المسندة اليه فحضر الحاج محمد جعفر أبو التمن وشجعه على قبول التكليف بلا تردد فقبله على مضض وهذا نصه :

وزيري الأفخم حكمة سليمان :

بناء على استقالة فخامة ياسين الهاشمي من منصب رياسة الوزارة ، ونظرا الى اعتمادنا على درايتكم واخلاصكم ، فقد عهدنا اليكم برئاسة الوزارة الجديدة على أن تنتخبوا زملاءكم وتعرضوا أسماءهم علينا والله ولي التوفيق •

صدر عن قصرنا الملكي ببغداد في اليوم الرابع من شهر شعبان لسنة ألف وثلثمائة وخمس وخمسين هجرية ، الموافق لليوم التاسع والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ألف وتسعمائة وست وثلاثين ميلادية •

غازي

اما هيئة الوزارة التي تمّ تكونها فكانت كما يلي :

١ ــ حكمه سليمان : رئيسا لمجلس الوزراء ، ووزيرا للداخلية •

٢ ــ جعفر ابو التمن : وزيرا للمالية •

٣ ــ صالح جبر : وزيرا للعدلية •

٤ ــ ناجي الاصيل : وزيرا للخارجية •

٥ ــ كامل الجادرچي : وزيرا للاقتصاد والمواصلات •

٦ ــ عبد اللطيف نوري : وزيرا للدفاع •

٧ ــ يوسف ابراهيم : وزيرا للمعارف •

والذي يلفت النظر في هذه التشكيلة أن الفريق بكر صدقي لم يتقلد منصب وزارة الدفاع في هذه الوزارة ــ كما كان المفروض والمنتظر ــ بل أسنده الى زميله الفريق عبد اللطيف نوري ، واكتفى بمنصب رئيس أركان الجيش • وكان تعاون حكمة وبكر ضروريا لتحقيق طموحهما ، فقد كان حكمة يفتقر الى القوة فوجدها في بكر ، وكان بكر يفتقر الى الخبرة السياسية فوجدها في حكمة فهل تستقيم الامور للطرفين ؟

**التمهيد لانقلاب معاكس**

ظهر بعد نجاح الانقلاب اتجاهان في المحيط السياسي الجديد ، كان أولهما ديكتاتوريا يمثله الفريق بكر صدقي بطل الانقــلاب ، وكان الثاني يساريا متطرفا تمثله جماعة الاهالي التقدميون ، ومن ورائهم الشيوعيون ، وقد ادى اختلاف وجهات النظر بين هذين الاتجاهين الى الاحتكاك ، وتحول الحماس الذي أستقبل به الانقلاب الى نقمة كانت تتسع يوما بعد يوم • فلما بدأ الرأي العام يزور عن الحكم الجديد ، لتغلغل المبادىء الشيوعية ونفاذها في الجيش . ثارت حفائظ بكر صدقي فاتجه نحو اليساريين يقلّم أظفارهم ويتخذ الاجراءات الرادعة بحقهم •

وجاءت الانتفاضة القبلية التي انفجرت في السماوة في نيسان ١٩٣٦ ، والقسوة التي ركنت السلطة اليها في مقاتلة الثائرين ، ثم القبض على الرؤساء والمتنفذين وابعادهم الى سجون السليمانية وأربيــل وكركوك وغيرها من السجون النائية . ضغثاً على ابّالة مما حمل أربعة من أعضاء الوزارة القائمة على أن يتقدموا بكتاب استقالتهم من مناصبهم الوزارية وهو :

فخامة رئيس الوزراء :

لما كانت أماني البلاد . التي طالما ضحينا في سبيل تحقيقها ، حرصا على سعادة أبناء البلاد ورفاههم واطمئنانهم ، وتأمين العدل بين الجميع ، قد حيل

دون تحقيقها والتدابير الحكيمة والسليمة التي قررناها في سبيل استقرار البلاد .. والتي أجمع الرأي على تحبيذها ، وتوخى الجميع حسن نتائجها قد شاءت الاقدار الا أن تنعكس الآية فتهرق دماء أبناء البلاد ، ضحية لتصرفات بقيت مكتومة علينا . لولا شياع استهجانها في كثير من الاوساط ، ولأن التمادي في اتباع السياسة المحسوسة الاندفاع اليها لا يتفق مع السياسة الرشيدة الواجب على المخلصين اتباعها فلم يبق لنا أي أمل في الاشتراك في المسؤولية ولذلك قدمنا استقالتنا مع الاحترام .          ١٩ حزيران ١٩٣٧

وزير الاقتصاد : كامل الچادرچي          وزير المالية : محمد جعفر ابو التمن
وزير المعارف : يوسف عز الدين          وزير العدلية : صالح جبر

ومع ان رئيس الوزراء أستطاع أن يرقع وزارتـه بقبول استقالات المستقيلين ، واحداً بعد واحد ، وعند قبول كل استقالة يعين وزيرا جديدا في محل الوزير المستقيل ، فأن هذا الترقيع كان بداية النهاية .

### مصرع بكر

كان بكر صدقي ـــ بعد نجاح الانقلاب العسكري وتفرده بالسلطة ـــ يمني نفسه في تأسيس دولة كردية في شمالي العراق . تضم اكراد تركية وايران والعراق ، وتكون قادرة على المحافظة على استقلالها ، يؤيد ذلك ما يقوله وزير المانية المفوض في العراق الدكتور فريتز گروبا وهو :

« لما فاتحني بكر صدقي بخططه في الدفاع عن كردستان ، أخبرني أيضا ـــ ولكن بصورة سرية ـــ انه كردي ، وانه يهدف الى خلق دولة كردية تضم الاكراد السكان في العراق وتركية وايران ، وان هذه الدولة يجب ان تكون قادرة على صيانة استقلالها عن اعتداء جيرانها »[١٧] وهو مشروع كانت

---

(٢١) سورة الفتح . الآية ٢٣ .

قد ابتدعته معاهدة سيفر في موادها ٦٢و٦٣و٦٤ في العاشر من آب عام ١٩٢٠ ولكن معاهدة لوزان المؤرخه ٢٤ تموز من عام ١٩٢٤ مزّقت معاهدة سيفر وصيرتها خبرا من اخبار التاريخ .

وكان كروبا قد استقدم الكولونيل هانس HIENS ليضع تقريرا باقتراحاته للدفاع عن كردستان على نطاق واسع ، فسافر الكولونيل الى ايران وكردستان منتحلا صفة جيولوجي . وتحادث مع الشيوخ في موضوع الدفاع عن كردستان ، أي مواقع المدفعية والرشاشات وكيفية بناء الاستحكامات ومواضعها . واطلع على الحدود الايرانية . وابدى مطالعاته بشأن فتح الطرق الاستراتيجية . ثم وضع تقريرا لها كان بكر صدقي يحرص كل الحرص على ابقائه في حرز حريز ، حتى انه لما سافر الى الموصل في طريقه الى تركية لحضور مناورات الجيش في تراقيه . أخذ التقرير معه في حقيبته الخاصة فلما اغتيل في ١١ آب ، كانت الحقيبة في حوزة احد مرافقيه ، ثم وضع المقدم شاكر الوادي يده على هذا التقرير ، وقام بتسليمه الى الانكليز[١٨] كما وجد في حوزة بكر عند مصرعه ثمانون الف دينار[١٩] ويقول اللواء فؤاد عارف المرافق الخاص للملك غازي انه لما سمع الملك بمقتل الفريق بكر قال له « أنا رحت يا فؤاد ، سوف أقتل لأن بكر صدقي كان يحمل رسالتين مني واحدة الى موسوليني والثانية الى هتلر وقائمة باحتياجات الجيش العراقي من السلاح »[٢٠] .

كانت الرصاصات التي أطلقت ظهر يوم الخميس الموافق ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ لتصيب مقتلاً من الفريق جعفر العسكري وزير الدفاع في الوزارة الهاشمية الثانية ( ١٧ آذار ١٩٣٥ــ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ ) تنتظر اخواتها

---

(٢٢) مذكرات طه الهاشمي ص ١٥٣ من الجزء الاول .
(٢٣) العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب ص ١١٧ .
(٢٤) مذكرات طه الهاشمي ٢٤٢/١ .

التي ستطلق عصر يوم الاربعاء الموافق ١١ آب ١٩٣٧ لتصيب مقتلاً من الفريق بكر صدقي رئيس اركان الجيش العراقي في وزارة حكمه سليمان (٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦–١٧ آب ١٩٣٧) والمسؤول الاول عن مقتل جعفر قبل اقل من سنه ، عملاً بالقول المأثور « بشر القاتل بالقتل » سنه الله التي قد خلت ولن نجد لسنه الله تبديلا[21] •

كان القتيل الاول محبوبا من لدن القوات العراقية المسلحة ، بصفة كونه مؤسس الجيش وراعيه ، كما كان معروفا بخفة الروح ورقة القلب ، وبحبه لعمل الخير ، فعز على مقدري هذه الخلال الطيبه ان تنتهي حياته الى ما انتهت اليه • وكان القتيل الثاني القائد « الوحيد الذي يستطيع ان يكون رئيس اركان الجيش لمعلوماته العسكريه وخبرته ولا سيما بعد ان قررت الحكومه ان يكون لها جيش قوي وشرعت فعلاً في تكوينه »[22] فكانت خسارة الجيش بانتهاء حياته عظيمة •

والظاهر ان بكراً شعر بالأثر الكبير الذي تركه مصرع جعفر العسكري في نفوس معظم الناس فعمل على ابعاد الضباط الناقمين على أوامر القتل الى الوحدات النائية ، كما استطاع أن يضطر الغاضبين على عمله الى مغادرة العراق ، وسمح للمقربين اليه أن يستغلوا حمايته لهم فيعيثوا في البلاد فسادا ويخلقوا جوا من الخوف والارهاب ، الأمر الذي أدى الى التباعد بين الحكم الجديد ، والمحكومين من أبناء الشعب ، على الرغم من استقبالهم اياه استقبالا حسناً •

جرت محاولات كثيرة لانهاء حياة بكر صدقي ، والتخلّص من سلوك طغمته ، ووصلت اخبار هذه المحاولات الى بكر نفسه فحاول كشف هويات المتآمرين ومعرفة الاساليب التي سيركنون اليها لتحقيق أهدافهم فلم يفلح •

---

(٢٥) مجلة « آفاق عربية » ١٢/٥ لشهر آب ١٩٧٦ •

(٢٦) عبد الفتاح اليافي « العراق بين انقلابين » ص٥٦ •

وكان لا يخرج من داره او مقر عمله في أوقات منتظمة ، ولا يسير في الشارع من غير حماية قوية ، ولا ينام في دار معينة ، وكانت الحماية في منامه تحيط به لحاطة السوار بالمعصم « وكثيرا ما كان يصحبه بعض الجنود الاكراد ويتوجه بهم الى ضواحي بغداد حيث ينصبون له صيوانا ينام فيه بعيدا عن ضوضاء المدينة آملاً أن ينام فيعود اليه بعض ما فقده من راحة وهناء »[٢٣] .

فلما دعت الحكومة التركية حكومة العراق لحضور مناورات الجيش التركي التي تقرر اجراءها في تراقية في يوم ١٧ آب ١٩٣٧ وما بعده ، قررت الحكومة العراقية قبول الدعوة ، وندبت وفدا عسكريا للسفر الى تركية لهذا الغرض برئاسة رئيس أركان الجيش الفريق بكر صدقي ، وعضوية أمير اللواء حسين فوزي قائد الفرقة الاولى ، والمقدم نور الدين محمود ، والرئيس الاول رفيق عارف ، والملازم الاول جمال جميل ، على أن يتوجه بكر في ختام المناورات الى المانية في زيارة رسمية أعدها له وزير المانية المفوض في بغداد الدكتور گروبا ، فقرر الضباط المغامرون اهتبال هذه الفرصة النادرة ، وتنفيذ فكرة الاغتيال وهو في طريقه الى تركية . وتدارس الضباط محمد فهمي سعيد ، وقاسم مقصود ، وعبد العزيز ياملكي ، ومحمد خورشيد ، وآخرون غير هؤلاء ، تدارسوا موضوع الاغتيال ووضعوا الخطط الكفيلة لتنفيذه إن في داخل العراق وإن خارجه ، فان فشلت احدى هذه الخطط ، ركنوا الى الاخرى وهكذا دواليك .

وفي مساء الاثنين التاسع من آب ١٩٣٧ سافر اعضاء الوفد الى كركوك بالقطار ليكونوا في استقبال رئيسهم في اليوم التالي ومرافقته الى الموصل بالسيارات ، اذ لم تكن السكة الحديد بين بغداد والموصل قد تم ايصالها الى الحدباء . وفي مساء الثلاثاء العاشر من آب سافر بكر وحرسه الخاص بالقطار أيضا ، وكان معه في القاطرة التي استقلها نجيب عبوش معاون مدير شرطة السكك فاستقبل في كركوك صباح يوم الاربعاء الحادي عشر من آب استقبالا رسميا رائعا ، وبعد استراحة قصيرة في النادي العسكري ، تابع وصحبه السفر

الى الموصل مارين بآلتون كوبري ، وإربل ، والگوير ، فبلغوها قبيل الظهر ، فأرسل بكر حقائبه الى دار أخيه العقيد المتقاعد برقي شوقي ، وتوجه والوفد المرافق له الى دار الاستراحة « الريست هاوس » لتناول طعام الغداء المعد من قبل ، ثم انتقل الاعضاء الى نادي الضباط العسكري ، وبقي رئيسهم في الدار المذكورة فقرر المغامرون اقامة حفلة ساهرة على شرف بكر صدقي في النادي المذكور مساءً فتكون القاضية ، وهيأوا الراقصات والمشروبات وكل ما يلزم لمثل هذه الحفلات من طعام وشراب ونُقل • ولأجل صيانة ارواح الذين سيحضرون معه في الحفلة ، أتخذت التدابير المحكمة لاعداد مواضع الجلوس إعداداً لا تحطئوه إصابة الهدف •

وكان آمر القوة الجوية المقدم الطيار محمد علي جواد أصدق أصدقاء بكر صدقي ، وأقرب المحبين الى قلبه ، قد علم بوجود مؤامرة تستهدف حياة رئيسه فسافر الى الموصل في يوم الاربعاء للاطمئنان على صحته ، وقيل لنقله وصحبه من الموصل ألى أنقرة على متن طائرته ، ولما علم آن بكرا يقيم في دار الاستراحة ، اتصل به هاتفيا من مطعم القوة الجوية ، وحسّن له الانتقال الى حديقة هذا المطعم الواسعة حيث الهواء العليل والمحل المريح ، وشاء الله أن يتقبل بكر هذه النصيحة ، وأن ينتقل الى حديقة القاعدة الجوية فيستقبله المقدم محمد علي جواد استقبالا أخويا رائعا ، ويجلس واياه على أريكة مريحة ، وجلس أمامهما على اريكة اخرى الطيارون : كاظم عبادي ، وجهاد شاكر ، ومحمود ايوب ، وجهاد عبد الغني ، دون ان يدرك أحد منهم ما كان يبيته القدر « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون »[٢٧] •

لم يكن في القاعدة الجوية غير رجال الجو المذكورة أسمائهم فويق هذا ، لأن بكراً كان قد سمح لمرافقيه وحراسه المنتخبين بالانصراف • وفي الساعة الرابعة أقبل آمر السرب في الموصل الرئيس الاول موسى علي ألمان ، وهو

---

(٢٧) سورة النحل • الآية ٦١ •

بلباسه المدني ، فذهل حين شاهد بكراً ومحمد علي جواد يتجاذبان أطراف الحديث ، وبعد ترحاب وعتاب على عدم إخباره بمجيئهما ، أجلسه بكر الى يساره بعد أن نحّى جوادا الى الطرف الآخر من الاريكة ، جاعلا موسى علي بينه بين محمد علي • وكان الرئيس محمود هندي قد اخبر الرئيس خورشيد بوجود بكر صدقي في حديقة القوة الجوية فذهب وإياه الى معسكر الغزلاني ، وجاءا بنائب الضابط محمد عبد الله التلعفري ، وكان من الضالعين في حركة التآمر ، وأدخلاه غرفة محمود هندي من بابها الخارجي • وبعد أن شخّص خورشيد للتلعفري بكر صدقي تشخيصا دقيقا ، خرج محمد عبد الله من باب الغرفة المطل على الحديقة ، واطلق نار مسدسه على الفريق بكر فأرداه قتيلا في الحال ، ولما نهض محمد علي جواد ليحمي سيده ، وهو يصيح لا ••• لا ••• عاجله التلعفري برصاص مسدسه فألحقه بسيده ، ولم يعد الى غرفة محمود هندي لتدبير أمر هربه ـ كما كان قد تقرر من قبل ـ بل وقف في الطارمة رابط الجاش وبيده المسدس حتى قبض عليه ، وعلى عدد من الضباط الذين كانت تحوم حولهم شبهة الاشتراك في هذا الحادث الكبير •

ارتبكت الجهات المسؤولة في بغداد لحادث الاغتيال الذي وقع في الموصل الحدباء ، وحارت في تعليل أسبابه وكيفية الوصول الى معرفة القائمين به • فصرخ علي محمود الشيخ علي وكيل وزير الدفاع « أن ضابط الاستخبارات البريطاني في الموصل هو الذي دبر الاغتيال بأيدٍ عراقية »[٢٥] وكتب الينا السيد جعفر حمندي وزير المعارف في وزارة حكمة سليمان يقول « أن الوزارة لم ترَ قتل بكر صدقي الا شيئا منتظرا ، وارتأت أن قتله يجب أن لا يؤثر على الوضع ، وكأنه أمر اعتيادي تجري فيه التعقيبات القانونية المعتادة ••• وربما اعتبرت الوزارة أو اكثر أعضائها بأن قتله مشكلة عراقية انحلت بالقتل »[٢٦] وقالت جريدة المورننغ بوست في عددها الصادر في ١٧

---

(٢٨) تأريخ الوزارات العراقية ص ٣٦٨ من الجزء الرابع من الطبعة السابعة •
(٢٩) ٣٨٢/٤ الوزارات •

آب » بالرغم من عدم صدور بيان رسمي ، فالمظنون أن اغتيال بكر صدقي كان مدبراً ، والبرهان على ذلك هو فرار أحد ضباط الجيش ـ يريد به العقيد محمد فهمي سعيد ـ بعد الحادث وإختفاءه حتى الآن » إهـ إ هـ

ويشهد الله أن حكمة سليمان رئيس الوزراء صرح لنا مرارا عديدة أن قتل بكر كان أمرا منتظرا منذ بضعة اشهر .

وعلى كل ، فقد صدرت التعليمات الى عضو الوفد العسكري الى تركية اللواء حسين فوزي ، أن يرأس الوفد المذكور ، ويتابع سمره لحضور مناورات الجيش التركي في تراقية ، وألفت وزارة الدفاع لجنة برئاسة العقيد انطوان لوقا نائب الاحكام في الوزارة ، وعضوية الزعيم اسماعيل حقي الآغا ، والعقيد شاكر محمود الوادي للتحقيق في حادثة القتل ، وما لبث العقيد لوقا أن توجه الى الموصل ومعه كمية كبيرة من السلاسل والأغلال ليكبل بها أيدي الموقوفين وأرجلهم « وكان عددهم قد بلغ الـ ٤٣ »[٢٧] ويتوجه بهم الى بغداد ، وصار يتباهى بهذه المهمة ، ويتفوه بكلمات تثير حماس الضباط ، فما كان من العقيد الخيال عزيز بالملكي الا أن أمر بسحب هذه السلال وتوقيف العقيد انطوان لوقا .

**الموقف المتأتي**

كانت بغداد تطالب بالحاح توقيف الكثير من الضباط وسوقهم مكبلين الى العاصمة ، وكان من رأي آمر حامية الموصل اللواء محمد امين العمري وجوب مجيء المجلس العسكري الى الموصل والشروع في محاكمة الموقوفين فيها . ولما كثر الالحاح من بغداد على سوق الموقوفين الى العاصمة ، وجاء الى الموصل العقيد انطوان لوقا ، ومعه السلاسل والأصفاد ونطق بما نطق ، اجتمع

(٣٠) العقيد الطيار موسى علي المان في رسالته « اضـواء على مقتل الفريقين جعفر العسكري وبكر صدقي » ص٦١ .

آمرو الوحدات أضراب : العقيد قاسم مقصود ، والعقيد الخيال عزيز ياملكي ، والمقدم عبد القادر عباس ، والرئيس خير الله حسن ، وآمر المدفعية ، اجتمع هؤلاء وجاءوا الى اللوء العمري وقالوا أن الضباط يتحسسون الخطر على زملائهم الموقوفين ، ويخشون أن يقتلوا أما أثناء نقلهم الى بغداد ، او بعد وصولهم اليها ، ولهذا فهم لا يوافقون على تسفيرهم .وفي الوقت نفسه استدعى العقيد الموقوف محمد فهمي سعيد ، اللواء محمد أمين العمري وقال له : انه وزملاؤه الموقوفون سيوجهون اليه تهمة الاشتراك في حادث الاغتيال إن وافق على تسفيرهم الى بغداد ليقتلوا ، فاستمهله العمري حتى يجتمع بالأمراء ويستطلع آرائهم في الموقف فلما اجتمع بهؤلاء وجدهم على رأي الموقوفين ، فالتفت الى العقيد قاسم مقصود وقال له : الآن وقد اكتمل شملنا ولك ان تتحدث بملء الحرية ».

فألقى قاسم كلمة موجزة قابلها الجميع بالحماس ، وحلفوا بأغلظ الايمان على أنهم سيضحون بكل عزيز في سبيل تصحيح الامور وتخليص الموقوفين من الموت الزؤام[٢٨] فذهب العمري ، وقاسم مقصود ، وعزيز باملكي ، وموسى علي ، الى وكيل المتصرف جلال خالد ، وعرضوا عليه الموضوع برمته ، ثم ألمحوا الى انهم يريدون اعلان الانفصال عن بغداد ، وطلبوا اليه بيان موقفه من هذه الحركة ، فرد عليهم وكيل المتصرف بأنه لا يعارض هذا الاتجاه ، وهكذا كان موقف درويش لطفي مدير شرطة اللواء . وبعد أن تم توقيف انطوان لوقا نائب الاحكام على الوجه الذي ذكرناه ، وأحرقت أوراقه التحقيقية ، جرى تسريح الضباط الموقوفين كافة ، واعتقل لفيف من الضباط المشايعين لبكر ، وتم تسفير انطوان ومن كان معه بالقطار الى بغداد ، وأذاع اللواء العمري هذا البيان

---

(٣١) هذا ما قصه علينا قاسم مقصود وكنا معاً في معتقل العمارة عام ١٩٤٢ .

**بيان الى الشعب العراقي**

عقيب حادثة مقتل المرحومين بكر صدقي ومحمد علي جواد كانت قد جرت التحقيقات اللازمة وألقي القبض على القاتل ومحرضيه • وكانت التحقيقات تجري في نطاق يحصر الأمر في الفاعلين ومحرضيهم • غير أن الوزارة القائمة في بغداد . وذوي المآرب . شددت بلزوم القاء القبض على كثير من الضباط الذين لا دخل لهم في الأمر بتاتا ، ورغم النصائح التي أبديناها للوزارة لعدم جعل واقعة القتل المذكور وسيلة للانتقام من الأبرياء ، لكن الوزارة أصرت على لك ، وطلبت ارسال الموقوفين والضباط الآخرين الأبرياء الى بغداد ، الآمر الذي أدى الى اعتصاب وحدات الجيش لصيانة حياة آمريه الابرياء وضباطه • وعلى هذا قبلنا على عاتقنا مسؤولية الأمر وأجلنا سفر الضباط الابرياء ، وقطعنا علاقتنا مع بغداد • ان المطلوب من جميع الأهلين المحافظة على السكون التام وعدم القيام بأي عمل من شأنه تعكير صفو الأمن
١١ آب ١٩٣٦ •

أمين اللواء : آمر المنطقة محمد أمين العمري

**تطورات خطيرة**

ما كادت الوزارة القائمة تفرغ من دفن القتيلين الكبيرين « الفريق بكر صدقي والمقدم محمد علي جواد » في مقبرة باب المعظم ، وتوفد العقيد انطوان لوقا الى الموصل لجلب الضباط الموقوفين ، حتى ذعرت من موقف حامية الموصل وقطعها كل علاقة لها مع بغداد ، فحاولت تنظيم حملة عسكرية ضد الفرقة التي عصت في الموصل ،واذا بالعقيد سعيد التكريتي آمر معسكر الوشاش يعلن تأييده لموقف الجيش في الموصل ، واذا بحاميات الحلة ، والديوانية ، وكركوك ، والسليمانية ، تحذوا حذو سعيد التكريتي ، فلم يرَ حكمة سليمان رئيس الوزراء مناصا من تركه الحكم ، ولا سيما بعد أن أسند

رئاسة أركان الجيش الى وزير الدفاع الفريق عبد اللطيف نوري ، واستدعى جميلاً المدفعي من دمشق ليتولى منصب وزارة الدفاع في وزارته فلم تنجح طبخته فتقدم بكتاب استقالته وهذا نصه :

مولاي صاحب الجلالة

بغداد في ١٧ آب ١٩٣٧

نظرا الى أن حالة البلاد الراهنة لا تمكنني من الاستمرار في تسيير أعمال الدولة ومصالح المملكة ، فأتقدم بعريضتي هذه راجيا من مولاي أيده الله أن يتفضل بقبول استقالتي من رئاسة الوزراء وأني لا أزال لجلالة سيدي .

الخادم المطيع ــ حكمة سليمان

وبعد زوال نظام الحكم الملكي في العراق ، وقيام الجمهورية العراقية في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، ألف الزعيم عبد الكريم قاسم مجلسا عسكريا من الضباط المتقاعدين : عبد الرحمن شرف ، وعلي غالب عريان ، وموسى علي الطيار ، قرر أن قتل بكر صدقي ومحمد علي جواد تمّ أثناء قيامهما بواجب الخدمة فقرر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة في ١٣ كانون الثاني ١٩٦٠ منح ورثة المرحوم بكر صدقي ، وورثة المرحوم محمد علي جواد مبلغ خمسة آلاف دينار لكل منهما ، والزام دائرة التقاعد بضم العجز من الدرجة الاولى الى راتب كل من القتيلين المذكورين . وكان المقدم محمد علي جواد ابن عمة الزعيم عبد الكريم قاسم .

# مصرع الملك غازي

**توطئـــــة**

يقول المربي الكبير الاستاذ ساطع الحصري في ص٣٩٦ من الجزء الاول من كتابه « مذكراتي في العراق » ان الملك فيصل الاول استدعاه ذات يوم الى بلاطه وقال له بالحرف :

تعرف يا ساطع بأني احب اسرتي واحب ابني غازي واحب ان أؤسس اسرة مالكة ، ولكني احب امتي اكثر من اسرتي واكثر من غازي فاذا كان الأمر حقيقة كذلك ، واذا كان غازي لا يتصف بالذكاء اللازم لولي عهدٍ وللملك ... فأنا سوف لا أتردد في العمل بما يحتمه عليَّ الواجب الوطني . سأجمع مجلس الأمة وسأقول اني أجعل الأمة في حل من ولاية عهد ابني ، وسأترك لها الحرية التامة في تقرير ما يجب عمله في هذا الشأن .!

وعلى هذا اتخذت التدابير لتخصيص دار متصلة بالبلاط الملكي ، مع حديقة مناسبة وردهة خاصة لتعليم الأمير غازي ، وتم انتخاب المعلمين للمواد المختلفة . وعين العقيد طه الهاشمي مراقبا له ، وتألفت فرقة كشفية خاصة للقيام بالتمارين والحركات الكشفية مع ولي العهد ، انتخب اعضاؤها من بقية

المدارس انتخابا خاصا . وقد أثمرت هذه التدابير ثمرتها المطلوبة ، وتلافى غازي التأخر السابق وإن بقيت قابليات محـدودة وجيء بالمس فـيرلي MISS FAIRLY من لندن لتتولّى العناية به وتدريبه على اللغة الانكليزية .

ولما زار المستر ايميري MR. AMERY وزيـر المستعمرات البريطانية بغداد في عام ١٩٢٤ ، اقترح ارسال غازي الى انكلترا للدراسة في معاهدها فلقي الاقتراح ارتياح الملك والده . وهكذا سافر غازي الى لندن في نيسان ١٩٢٦ والتحق بمدرسة هارو HARROW وتقول الوثائق البريطانية بأن قابليات غازي في العلوم العسكرية كانت ضعيفة جدا ، وأن حنانه الشديد لوجوده بالقرب من والديه واخواته ، أجبرا والده على استدعائه من لندن والحاقه بالمدرسة العسكرية في بغداد عام ١٩٢٨ وتخرج فيها ضابطا خيالا عام ١٩٣٢ وعينه والده مرافقا لجلالته . ولما سافر الوالد الى لندن في الخامس من حزيران عام ١٩٣٣ تلبية لدعوة الملك جورج الخامس لزيارة بلاده ، ولاّه نيابة الملك اثناء غيابه عن العراق . وصدف ان وقع تمرد التياريين بعد شهرين من سفره ، فوقف غازي الى جنب الوزارة القائمة ، وهي الوزارة الكيلانية الاولى ، يشد ازرها ويؤيد صمودها ويدفع تهم أعداء العراق في الداخل وفي الخارج عنها ، فأحبه الشعب حبا جما وولاه ثقته التامة . وكرهه الانكليز كرها شديدا وقرروا مصيره منذ تلك اللحظات . ولما عاد الملك الى عاصمة ملكه في الثاني من آب من هذه السنة ليشرف على الحركات التأديبية ضد التمرد ، لم يستطع رأب الصدع فرجع الى أوربا في اول ايلـول ليتم التداوي ، فوافته منيته في الثامن من هذا الشهر . ونودي بولي عهده الأمير غازي ملكا على العراق ، فكظم الانكليز غيضهم وأخذوا يخططون لمستقبله . وقد تزوج غازي الاميرة عاليه كبرى كريمات الملك علي في الثامن عشر من ايلول عام ١٩٣٣ للميلاد ورزق منها ولدا فقط في الثاني من مايس ١٩٣٥ أسماه فيصلا .

بعد وفاة الملك فيصل ، اختل التوازن بين القوى السياسية في العراق في عهد الملك غازي اختلالا كبيرا ، وانطلقت شهوة الحكم من عقالها انطلاقا واسعا . فكثر تبدل الوزارات ، وتسلسلت حركات التمرد والعصيان في بعض الجهات . واضطربت الحياة النيابية بكثرة ما اصابها وأصاب حل مجالسها من فوضى . ولما تولت وزارة ياسين الهاشمي الثانية مقاليد الحكم في ١٧ آذار ١٩٣٥م ، رأت ان تعيد الى الحكم هيبته ، والى البلاط الملكي حرمته ، ولا سيما بعد فضيحة الاميرة عزّه ، كبرى كريمات الملك فيصل المؤسس . وشقيقة الملك غازي حيث تنصرّت وتزوجت من عامل يوناني كان يخدم في بيت والدها اسمه خرولبس ، فقصد الهاشمي ووزيــر خارجيته نــوري السعيد السفير البريطاني في دار السفارة يوم ١٧ حزيران ١٩٣٦ وبحث المجتمعون أمر تسيب الملك الشاب ، والخلل الذي اصاب المملكة في عهده ، فاقترح السفير وجوب التخلص اولا من العناصر المشتبه بها ، التي اختارها الملك لتحيط به ، ووضع سيطرة دقيقة على حركاته وأفعاله ، وفسح المجال له بعض الوقت ليتمكن من اداء مهمته . وكان من رأي نوري السعيد ان سمعة الملك قد تدهورت جدا بحيث اصبح من الصعوبة بمكان أن ينقذ ما تبقى منها ، وأن البلاد لن تقبل غازي ملكاً بعد يومها هذا ، واقترح ازاحته عن العرش ، وتأسيس مجلس وصاية حتى يبلغ ولده سن الرشد[١] لكن السفير نصح بالتوئدة ، واقترح اعادة رستم حيدر الى رئاسة الديوان الملكي بدلاً من تكليفه بالذهاب الى خارج العراق لمعالجة فضيحة الاميرة عزّه . وعلى هذا أبعدت الوزارة عن البلاط كل من كان مسيئا له سمعته من الموظفين ، وأغلقت قصر الملح الذي كانت تجري فيه بعض الموبقات ، وطردت كل من كان معروفا بسوء السمعة أو بفساد الاخلاق ، كما طردت سائق سيارة الملك وبعض مرافقيه ، ووضعت رقابة شديدة على الخزينة الملكية الخاصة لاطفاء الديون التي خلفها الملك

فيصل ، وجعل المصروفات الملكية متناسبة مع الايراد والدخل . وتقرر أن تجري تحقيقات أولية عن كل من يراد استخدامه في البلاط أو في القصور الملكية في المستقبل ، كما أصدرت الوزارة مرسوم الاسرة المالكة رقم ٧٥ لسنة ١٩٣٦ الذي نص على تأليف مجلس وصاية خاص من رئيس الوزراء ، ورئيسي مجلس الاعيان والنواب ، ووزيري الداخلية والعدلية . وكذلك التأديبية والانضباطية الخاصة بالعائلة المالكة .

**تبرم غازي**

تضايق الملك غازي من التدابير التي لجأ الهاشمي اليها لصيانة سمعته ، والحد من تصرفاته التي لا تتفق مع كرامة وقدسية منصبه ، ووجد في بعض وزراء الهاشمي من يحرضه على التمرد على تلك التدابير ، الأمر الذي اضطر الهاشمي الى ان يشكو هذا البعض الى السفير البريطاني[٢] . وفي الوقت نفسه كان خصوم الهاشمي السياسيون قد استطالوا مدة بقاء خصمهم في دست الحكم وحرمانهم منه زمناً طويلا فاتخذوا من التدابير العسكرية القاسية التي ركنت وزارته اليها في قمع التمرد في الفرات الاوسط ، وفي قضائي سنجار والزيبار بلواء الموصل ، واعلان الاحكام العرفية مرارا لتسريع هذا القمع[٢] ذريعة لاستغلال هذا الجفاء بينه وبين مليك البلاد ، وصاروا ينفخون في تلك الجذوة كي يزيدوها ضرما ويطبخون عليها ما يريدون أكله شهيا .

وكانت عقيدة الملك انه يتمتع برصيد كبير بين ضباط الجيش ، ولا سيما الطموحين منهم ، فوجد من الضروري ان يرتمي في أحضانهم ليتخلص من المضايقات التي كان يشكو منها ، وتذكر علاقته القديمة باللواء بكر صدقي

---

(٢) اعلنت الاحكام العرفية في عهد الوزارة الهاشمية الثانية خمس مرات .

في فتنة التيارين عام ١٩٣٣ ، فاتصل به وبغيره من الضباط المغامرين ، وكان هؤلاء يعتقدون « بأن الرجال المدنيين لا يستطيعون الحكم ، وان السياسيين أساس كل البلاء في البلد ، فأخذ البعض يفكر في طريقة انقاذ البلاد من شرهم »[٣] وجاء سفر الرئيس الهاشمي الى البصرة ، وتصريحه في الحفلة التي اقامتها بلدية الثغر لتكريمه في ايلول ١٩٣٦ بقوله « وأؤمل ان يتاح لي في خلال عشر سنوات العمل فاجد في تحقيق الاهداف المطلوبة للبلاد وعندها ترون الفرق ، ومع ذلك أرجو أن يمتع فيمد في عمري بعهد جلالة الملك غازي الاول لأقوم بتحقيق هذه الامور بشكل تؤدة ونجاح »[٤] جاء هذا التصريح ضغثاً على ابّاله[٥] حيث نقلت هذه الكلمات الى الملك بصوره مشوهة ، وفسـرت بأنها تعني تحويل نظام الحكم الملكي الى ديكتاتورية سافرة[٦] مما هيج الخواطر واتخذ وسيلة للاطاحة بالحكم القائم ، وهكذا جاء انقلاب ٢٩ تشرن الاول ١٩٣٦ ليقضي على الهاشمي وصحبه ويشتتهم أيدي سبأ .

**الكارثـة**

استبعد الفريق طه الهاشمي ضلوع الملك غازي في الانقلاب الذي دبره اللواء بكر صدقي للاطاحة بوزارة اخيه ياسين في التاسع والعشرين من تشرين الاول ١٩٣٦ فقال في الجزء الاول ص١٤٨ من مذكراته :

---

(٣) مذكرات طه الهاشمي ١/٤٣٩ .

(٤) جريدة البلاد العدد ٦٦٦ تاريخ ٦ ايلول ١٩٣٦ .

(٥) الابالة الحزمة من الحشيش والحطب ، والضغث قبضة من الحشيش مختلطة صاحبه المكروه ثم يزيد منه . — المنجد ص ١٠٧٤ —

(٦) المعروف عن الهاشمي انه كثير التفكير قليل الكلام الى حد انه يختزل الجملة بكلمة تحتمل المعاني الكثيرة حتى انه بعد عودته الى دمشق من منفاه الى الرملة في عام ١٩٢٠ اقيمت له حفلة تكريمية رفض ان يتحدث فيها قائلا ان ما لحقني من الضرر انما هو فلتة من لساني .

أنا استبعد أن يكون للملك علم بالحركة . فالمؤكد انه رضخ للأمر الواقع ، وارتاح لقلب الحكومة التي أرادت أن تصون شرفه بمنعه من الاختلاط بسيئي الاخلاق وهو مع الاسف شاب ميال الى السفه والخلاعة .

وأكد لنا السيد رستم حيدر رئيس الديـوان الملكي ان الملك كان مضطربا لا يأكل ولا يشرب حتى كلم جلالته اللواء بكر صدقي من مخفر المغيسل مؤكدا له ان الجيش سيبقى على ولائه لصاحب التاج(٧) .

اما السيد حكمة سليمان فقد قال لنا : ان الملك غازي لم يكن مسبوقا بالحركة ولكنه قابلها بالارتياح ، لأن الوزارة الهاشمية كانت قد فرضت رقابة شديدة على تصرفاته الشخصية ، ولأن بكراً كان كثير التردد على الملك ، وكان ينقل الى جلالته تذمرات قادة الجيش وتصميمهم على وضع حدٍ لسياسة الوزارة القائمة(٨) .

وتدل التتبعات التاريخية الدقيقة والوثائق البريطانية والاجنبية التي سمح بوضعها تحت تصرف الباحثين والمتتبعين ، ان الملك غازي بعد أن ضاق ذرعا بالرقابة التي وضعت على تصرفاته الشخصية ، وشعر بأن المعارضة للوزارة القائمة بلغت حدا لا يصح السكوت عليه ، وأن الضباط الاحداث الذين كانوا يحيطون به ليشاركونه السفه واللهو ، ساءهم جدا منع رئاسة أركان الجيش اياهم من التردد على الملك(٩) واللجوء اليه في قضاياهم الوظيفية ، وان بعض القادة أبدوا استعدادهم لفك أسره وارجاع حريته اليه قد ارتمى في أحضانهم .

١ ــ إذ يصف السر ارشبالد كير A. CLARK KERR سفير بريطانية

---

(٧) تاريخ الوزارات العراقية ٤/٢٣٨ من الطبعة السادسة

(٨) الوزارات ٤/٢٣٨ .

(٩) طلبت وزارة الدفاع الى رئاسة أركان الجيش بكتابها المرقم س/٢٩٩ وتاريخ ١٦ حزيران ١٩٣٦ « بأنه لا يجوز مطلقا ان يذهبوا الى البلاط الملكي او الى قصر الزهور باية دعوة كانت » .

في العراق في تقريره المرفوع الى لندن في ٢ تشرين الثاني ١٩٣٦ تحت رقم F. O. 371/200/14 EM 7/65 ما دار بين ياسين الهاشمي والملك غازي بعد القاء الطائرات منشور قيادة الجيش بطلب زوال الوزارة بقوله :

حضر ياسين الهاشمي ونوري السعيد القصر الملكي للتباحث والتداول في أمر الانقلاب فقال ياسين انه تكلم مع بكر صدقي بالتلفون ، وسأله عن سبب قيامه بالانقلاب ، فطالب هذا باستقالة الوزارة ، فأجابه ياسين انه سيستقيل حالما يتأكد ان الوزارة لا تتمتع بثقة الملك ، فكان رد بكر ان الحركة التي يقودها قد نفذت بمعرفة وتأييد الملك . وبقول السفير ان الملك جفل وأنكر صحة ما قاله بكر ولكن السفير ختم تقريره بقوله :

ولقد كنت اراقب الملك بدقة ، وأنا متأكد من قولي بأنني أنا ايضا اقتنعت **بان الملك على علم مسبق بالانقلاب .**

٢ ــ لما اجتمع السفير البريطاني بالملك غازي في الساعة العاشرة من صباح يوم الانقلاب ، سأله عما اذا كان مسبوقا بهذا الحادث الخطير بأي وجه من الوجوه ؟ فرد الملك عليه بالنفي المطلق . فسأله عما اذا كان لديه من القوة او الجرأة ما يكفي لاحباط هذه الحركة ؟ فرد عليه بالنفي ايضا ، فاستنتج من ذلك ان الملك يحبذ استقالة الوزارة وانه لا فائدة ترتجى من أية مقاومة[١٠] .

٣ ــ يقول الدكتور سندرسن H. STNDERSON طبيب الاسرة المالكة :

دعيت الى قصر الزهور في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم فلم اجد الملك في مكتبه بل كان يتمشى في شرفة القصر وهو في حالة انفعال شديد . كان يتمنطق بحزام ربط به مسدسه بشكل جلي ظاهر ، ولم أر الملك مسلحا من قبل . فسألته ولم هذا التشنج يا سيدي ؟ أشار الى طيران فوق بغداد وصاحبه انفجار له تمتم وقال : انها أشبه بالثورة . ولم اكن لأشك بأنه كان

على علم مسبق بالحادث ، وان الخطر الذي يتعرض له هو وعرشه انما يكمن في احتمال قيام عملٍ معاكس(١١) .

٤ ـ قال لنا العقيد الطيار حنظي عزيز . الطيار الخاص للملك غازي في منتصف عام ١٩٧٥ : ان الملك استدعاه الى قصره في الصباح الباكر ليوم الانقلاب ، وطلب اليه أن تكون طائرته معبأة بما يكفيها من الوقود ، بحيث تستطيع الوصول الى عمان سالمة ، الامر الذي يدل دلالة قاطعة على أن غازي كان يتوقع فشل الانقلاب ، فاعدّ العدة للالتجاء الى عمه الامير عبد الله في الاردن(١٢) .

٥ ـ يقول صفوة العوّا ناظر الخزينة الخاصة انه دخل على الملك بعد الانقلاب فرآه منبسطا منشرحا يتبجح بأنه رتّب الانقلاب ، وهو الذي دبر مؤامرة الجيش . فيزعم صفوة بانه قال للملك : انك لا تعلم عن الأمر شيئا لماذا تلقي نفسك في ورطه وواجبك ان تكون على الحياد(١٣)

٦ ـ كانت آخر مقابلة اجراها الفريق بكر صدقي مع الملك غازي قد تمت في ٢٣ تشرين الاول ١٩٣٦ بحضور المقدم الطيار محمد علي جواد ، وقد سمع من الملك تذمرا شديدا من سياسة وزارة الهاشمي في الحقلين الداخلي والخارجي ، واذا بالرجلين العسكريين يعرضان عليه فكرة الاطاحة بالوزارة ، عندما تبدأ مناورات الجيش العراقي في قره غان ، فيقع هذا العرض من نفس الملك وقعا حسنا ، ويسد عليهما ان نجاحهما سيكون مدعاة لدخولهما في سجل البطولات ، وانه سيبذل كل سعي لتأييدهما ، لكنه طلب اليهما الاعتصام بالكتمان الشديد والحذر التام . وفي حديث للسيد تحسين قدري مع صاحب البحث : ان الملك غازي كان قد أسر اليه ما دار بينه وبين بكر ومحمد علي من حديث ، وأنه « أي تحسين » كان قد أخبر كلاً من شاكر الوادي وبكر

---

(١٢) تاريخ الوزارات العراقية ٤/٢٣٩

(١٣) مذكرات طه الهاشمي ١/٢٢٤

صدقي ومحمد علي جواد بما تقدّم . عندما كان هؤلاء الثلاثة يتناولون الغداء على مائدته في السابع والعشرين من تشرين الاول ، أي قبل الانقلاب بيومين فقط .

٧ ـ لما سمع ياسين الهشمي الملك غازي يقول للسفير البريطاني أن لا فائدة من أية مقاومة ، اقترح ان ينسحب الملك والوزارة الى الألوية الشمالية لاعداد ما يقتضي لاجهاض حركة التمرد فلم ينبس الملك ببنت شفة « وكان رأي نوري ارسال مناشير موقعة من قبل الملك وترسل بالطائرات الانكليزية فتلقى على وحدات الجيش في قرهغان ويعلن بها تمرّد بكر ، غير ان الملك لم يجب »[١٤] وقال الافضل انكم تنسحبون حقنا للدماء لأنهم على أبواب بغداد . وقد عجل رمي خمس طائرات أربع قنابر على بعض الدوائر الرسمية بحسم الموقف ، فقدم الهاشمي كتاب استقالته ، وكفى الله المؤمنين القتال[١٥] .

٨ ـ ويصف السفير البريطاني لجوء نوري السعيد ومعه احمد الناصفي الى السفارة من الباب النهري في تقريره الى لندن بقوله :

لقد قضيت معظم باقي اليوم مع نوري السعيد ، الذي كان في حالة عصبية كئيبة ، ولكن بعد أن انتهيا من الاعداد لسفره الى مصر ، عادت اليه معنوياته ، واصرّ على اعتقاده بأن الملك غازي كان مسهما في حركة بكر صدقي ، وان هذا ما يعتقد به ياسين الهاشمي . ثم يقول السفير : ان الانقلاب لم يكن كمفاجأة للملك .

### فكرة الانتقام

بعد أن شرّد الانقلاب ياسين وصحبه ، وشتّت شمل أصحابه ومعارفه ، كان من الطبيعي أن ينصرف المتضررون والحاقدون الى التفكير في وسائل الانتقام المشروعة وغير المشروعة لرد الاعتبار اليهم ، والتنكيل بمن سبّب

(١٤) مذكرات طه الهاشمي ١/١٥١

(١٥) سورة الاحزاب الآية (٢٥)

محنتهم • اذ كيف ينسى نوري السعيد دم صهره جعفر العسكري المسفوح ظلماً وقد كان من بناة الجيش العراقي ؟ بل كيف ينسى اعادة شقيقته فخرية ، زوجة الوزير الفقيل جعفر من مصار بغداد الى دمشق في غسق الليل . وكانت قد رجعت الى العراق بعد فجيعتها ببعلها وشريك حياتها لتدبير امورها ، ولتشرف على دراسة اولادها ؟ وكيف يرضى رشيد عالي أن يطرد من العراق في غفلةٍ من الزمن وكان يتبجح بأنه ما كان يمكن لعراقيين اثنين أن يتحادثا في امور سياسية الا وكان هو ثالثهم ؟ وكيف يمكن لطه الهاشمي رئيس اركان الجيش ان يتحمل احالته على التقاعد لعدم مقدرته[16] أو يهضم موت أخيه ياسين كمداً في ديار الغربة ولا يسمح حتى بنقل رفاته لتدفن في وطنه ؟ وقد كان ياسين أدهى والمع شخصية في العالم العربي • آما جميل المدفعي فانه على أثر تصريحاته المدوية في جلسة مجلس الأعيان المنعقدة في ٢٦ حزيران ١٩٣٧ ، حيث انتقد تدخل الجيش في السياسة ، اضطر للهرب الى دمشق بعد ان شعر بتصميم بكر صدقي على الفتك به ، وصار يميل الى ابعاد الملك غازي عن عرش البلاد ، واعلان ملكية ولي عهده فيصل تحت وصاية الأمير عبد الله عم والده ، أو الأمير عبد الآله نجل الملك علي[17] وفي الوقت نفسه اخذ الانكليز يخططون في من يجب ان يحلّ محل الملك غازي على ان لا يكون البديل من خارج الاسرة الهاشمية •

ويقول ناجي شوكت في ص٣١٢ من الطبعة الثالثة من كتابه « سيرة وذكريات ثمانين عاما » انه سبق الاتفاق مع بعض الساسة على وجوب التخلص من العائلة المالكة بصورة من الصور ••• اذ لو أمكن التخلص من العائلة المذكورة وتبديل نظام الحكم في العراق من ملكي الى جمهوري ، من دون سفك دماءٍ أو اعتداء على أحد ، فانه سيكون الحل الأفضل لمشكلات العراق •

---

(١٦) مذكرات طه الهاشمي ١٥١/١

(١٨) مذكرات صلاح الدين الصباغ ص٩٠

وقد اتخذت كلمة « الأساس » رمزا لتحقيق هذا الاتفاق • اما نوري السعيد فقد كان مصمما على القيام بأي عمل يؤدي الى الانتقام من الملك غازي ، لاعتقاده الجازم بضلوعه في الانقلاب • وتدل الوثائق البريطانية على أنه اتصل ببعض الجهات البريطانية في القاهرة باسطاً ما لديه من خطط ومشاريع فلم يلق الاصغاء المأمول لأن الانكليز لم يكونوا يومئذٍ متفرغين للتدخل في امور العراق ، ففكر في الذهاب الى الاردن والاقامة في عمان ، ولكن اعتراض الملك غازي على ذلك ، وخشيته من أن يتخذ نوري من العاصمة الأردنية قاعدة للتآمر عليه وعلى عرشه ، وتأييد الانكليز لوجهة نظر غازي هذه[١٨] ، كل ذلك حال دون تحقيق ما فكر فيه نوري ، فأراد أن يجس نبض الضباط القوميين في بغداد حيال موقفهم من الملك غازي فبعث ولده الطيار صباح الى بغداد بعد مقتل بكر في ١١ آب ١٩٣٧ ليسأل العقيدين : محمد فهمي سعيد وصلاح الدين الصباغ عما اذا كان يريان قتل الملك غازي والحاقه ببكر صدقي وتخليص البلاد من عبثه ، فيرد عليه بصوته الجهوري : لا يا صباح لن يحدث هذا أبداً [١٩] فلما جوبه نوري بهذا الرد العنيف ، صبر على مضضٍ وأجل الفكرة الى فرصة اخرى • فلما تهيأت هذه الفرصة بعد توليه رئاسة الوزارة للمرة الثالثة في ٢٥ كانون الاول ١٩٣٨ . كان رأي فهمي سعيد قد تغير ، اذ ما كاد يحاط علماً بمصرع الملك الشاب في الرابع من نيسان ١٩٣٩ حتى قال : الخير فيما اختاره الله[٢٠] •

بعد ان فشلت كافة التشبثات التي تشبث بها نوري السعيد للاقتصاص من الملك غازي ، وممن عمل تحت لوائه في انقلاب ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ ، جال في خاطره أن يستغلّ العداء المستحكم بين العائلتين : الهاشمية والسعودية لتحقيق أغراضه ، فصار يشيد بالسعوديين ويمجد أخلاقهم • ويقول مؤرخ ثورة العرب الاستاذ أسعد داغر :

---

(١٩) فرسان العروبة في العراق ص ٨١

(٢٠) أسعد داغر في كتابه « مذكراتي على هامش القضية العربية » ص٢٠٥

« ومما قاله نوري السعيد حينئذٍ ــ وقد بلغه نبأ اهتمامي به ــ انه سيعتزل السياسة نهائياً في عهد الملك غازي ، ولما نظرت اليه نظــرة شك واستغراب قال : أنت ترى أن عندنا جهلاً وقلة اخلاق ، أما جيراننا ، ويقصد السعوديين ، فعندهم جهل واخلاق فهم خير منا ، والعمل معهم أفضل من العمل مع جماعتنا »[٢١] .

وأهم من هذا ما سجله السفير السعودي المتمرّس الشيخ حافظ وهبة :

« لقد كان مقتل جعفر العسكري صدمة عنيفة لنوري السعيد ، وكان يتهم الملك غازي وبكر صدقي بقتله ، وكان يقسم باغلظ الايمان انه لن تنام له عين حتى يأخذ بثأر جعفر منهما . وقد كتب للملك عبد العزيز يعرض عليه الاتحاد بين العراق ونجد ، على أن يكون الأمير فيصل نائبا لوالده في بغداد ، وعلى أن تكون الادارة في العراق مستقلة عن ادارة نجــد ، ولكن الملك عبد العزيز لم يلق بالاً لأمثال هذ المقترحات ، لأنه يعلم علم اليقين ان وراء العراق الانكليز ، وما داموا لم يفاتحوه بأمر خطير مثل هذا ، فانه لا يشغل باله في التفكير في موضوع خطير مثله ، وفي الوقت نفسه لا يرى من الحكمة ان تسوء العلاقات بالحكومة العراقية بسبب مشروع خيالي . ويجدر بالذكر ان جلالة الملك عبد العزيز كان يغمر نوري بعطفه ومساعدته في محنته »[٢٢] .

---

(٢١) حافظ وهبة في كتابه « خمسون عاما في جزيرة العرب » ص١٢١

(٢٢) العقيد صلاح الدين الصباغ في كتابه « فرسان العروبة في العراق » ص ٩٥

وقد سبق لهذا السفير البريطاني أن أبدى رأيه في عودة نوري السعيد الى الحكم ، بعد الاطاحة شبه العسكرية بوزارة جميل المدفعي الرابعة مساء الخامس والعشرين كانون الاول ١٩٣٨ ، فقال :

« على ان ظهور نوري مرة اخرى كانت له جوانب عديدة بدت لي مدعاة للقلق . واولها ان عودته الى الحكم اعادت الجيش الى السياسة ، وكان من مصلحة الجميع أن يبقى بعيدا عنها . وثانيها ان روحية الانتقام والتعطش للدماء وكوامن الاحقاد والضغائن التي أوجدتها فترة بكر صدقي ، وخاصة مقتل جعفر ، والتي

←

وهناك رسائل شخصية من نوري السعيد الى بعض خواصه تؤيد طلب مجيء أحد انجال الملك عبد العزيز آل سعود لحكم العراق •

كان جميل المدفعي قد غادر الى سورية في أول تموز ١٩٣٧ ، بعد أن شعر بان زبانية الحكم القائم يريدون به شرا . فلما قتل اللواء بكر صدقي والمقدم الطيار محمد علي جواد في مطعم سرب الطيران في الموصل يوم ١١ آب عصرا استدعى رئيس الوزراء حكمة سليمان جميلاً المدفعي الى العراق ليتولى منصب وزير الدفاع في وزارته ، بعد أن عهد بمنصب رئاسة اركان الجيش الى وزير الدفاع عبد اللطيف نوري ، ولكن الرجل ما كاد يصل الى بغداد حتى وجد أن الامور تبدلت ، وأن حالة من الفزع تسود البلاط الملكي والسفارة البريطانية معاً • فقد قطعت حامية الموصل علاقتها ببغداد ، وتمردّت حامية معسكر الوشاش في العاصمة على أوامر الوزارة القائمة • وبعد اتصالات مكثفة ومفاوضات شاقة ، تقرر ان يتنحى حكمة سليمان عن الحكم ، وأن يعهد الى جميل المدفعي بتأليف وزارة جديدة تأخذ على عاتقها سياسة اسدال الستار على ما وقع من أحداث صغيرها وكبيرها ، وأن يسمح للذين شرّدهم انقلاب ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ بالعودة الى ديارهم تباعا •

وكانت أيام وزارة المدفعي الرابعة حقبة سادها السكون والطمأنينة في أشهرها الاولى ، وجعلت الناس يتنفسون الصعداء ، ولكن ما كادت العاصمة تجمع شمل المشتتّين ، وتعيد اليهم طمأنتهم . حتى بدأت الدسائس والفتن • فقد أصرّ الذين طوّح بهم الانقلاب المذكور على وجوب معاقبة الذين قاموا به ، وأصرّت الجهات العليا على وجوب دفن الماضي بحسناته وسيئاته ، وقد أدى التكتل في الجيش الى الأطاحة بوزارة المدفعي مساء الرابع والعشرين من

---

حاولت وزارة جميل تهدئتها بغير قليل من النجاح ، كانت ستثار مجددا على اشدها ، وثالثا كان قد امتزج بطبع نوري مؤخرا – مع كثير من المزايا التي تستوجب الاعجاب – شيء من عدم الاستقرار كنت أعرفه أنا فقط ، وكان ذلك في حد ذاته مبعثا لعدم الاطمئنان •

كانون الاول ١٩٣٨ بعد أن لبثت في الحكم ستة عشر شهرا ، وكان الملك غازي يتحسر من أن يأتي نوري خلفاً لمدفعي ولكن :

ما كل ما يتمنّى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ولعل خير من يوجز الحوادث ويأتي بالخبر اليقين ، العقيد صلاح الدين الصباغ حيث يقول :

« ثم تذكرت كيف ثاب غازي الى رشده في أشهره الاخيرة فأذا بالملك الشاب يتعطش لما فيه خير العروبة . ويطمح لتحقيق الوحدة العربية . تذكرت حديثه لي بالهاتف ليلة أرغم الجيش وزارة جميل على الاستقالة :

— يا صلاح الدين لقد استدعيتم جميلا على متن طيارة من لبنان بعد مقتل بكر ليرأس الوزارة ، وكان ذلك خلاف رغبتي فماذا تريدون الآن ؟

— نريد الوفاء بالعهد ، وقد حنث جميل بعهوده ، وقسمت وزارته الجيش الى معسكرين . ونحن ياسيدي طوع يدك ، ونبذل أرواحنا في سبيلك .

— سأقبل الاستقالة يا صلاح الدين بشرط أن لا يأتي نوري بعده ، وأنا اوافق على اسناد الوزارة لأي رئيس باستثناء نوري .

— لكن نوري هو المطلوب ياسيدي بعد أن رفض طه الوزارة .

لكن غازي لم يتراجع وبقي على رأيه فلما انبثق الفجر ، كان لنوري ما تمنى ، وكان لطه ما أراده[٣٣] .

في الوثيقة البريطانية 1/0/371/20207/E231 المؤرخة ٣١ كانون الاول ١٩٣٨ أن نوري السعيد اقترح على الانكليز تشجيع الملك غازي على السفر الى أوربا ليتم خلعه عن العرش خلال غيابه ، ويولي حكم العراق اما الأمير زيد عمه ، أو الأمير عبد الآله ، لكنهم لم يقرّوا هذا التدبير ، فاقترح تعيين الأمير زيد مستشارا للبلاط الملكي ، ومنحه صلاحيات تمكنه من السيطرة على الملك . وتوجيهه الوجهة التي يتطلبها المقام ، فاستحسنوا هذا الاقتراح

على أساس انه سيكون في استطاعة عم الملك تصفية العناصر المحيطة بالملك ، وعهدوا الى سفيرهم في بغداد أن يفاتح الملك بما اقترحه نوري . وأدرك نوري انه سيكون من المستحيل تسخير الأمير زيد لأن يتبع خطاه في كل ما يريده ، فانصرف الى طرق اخرى تمكنه من تصفية خصومه ، ووجد في وزير دفاعه طه الهاشمي ، ووزير المالية رستم حيدر . وفي رئيس الديوان الملكي رشيد عالي ، وبعض الضباط القوميين ما يحقق أغراضه ، وكان في قمة هذه التشكيلة الأمير عبد الآله الذي كان يدرس في اسكندرية مصر ، وتعرّف عليه نوري أيام النكبة ، حيث أدرك ما في نفسه من مرارة وحرمان . وكان عبد الآله حاقدا على بكر صدقي وبطانته حيث أعرب عن رغبته في الزواج من احدى شقيقاته فلم تقرّ التقاليد الهاشمية هذه الزيجة .

وبدت نذر الحرب العالمية الثانية واضحةً للعيان ، بعد مؤتمر ميونخ في أواخر أيلول ١٩٣٨ ، وشعر الانكليز بأن وجود الملك يهدد مصالحهم بما كان يبثه من محطة « قصر الزهور » من بيانات تثير الروح القومية في الشباب ، وتنتقد سياستهم في فلسطين ، وتحرض شباب الكويت على الشغب ضد أميرهم ، وطلب ضم الكويت الى العراق ، واذا بمشروع نوري سعيد الخاص بالتخلص من الملك غازي يبعث حيا ويلاقي وقعا حسنا ، واذا بسفير بريطانية في العراق يقول للأمير عبد الآله عند زيارته الاخيرة بمناسبة انتهاء عمله : ان الملك غازي يجب إما أن يسيطر عليه أو يخلع عن عرشه اهـ .

**نعي غازي**

فوجيء الرأي العام في الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم الثلاثاء الموافق ٤ نيسان ١٩٣٩ بالبلاغ الرسمي رقم (١) تذيعه محطة الاذاعة اللاسلكية للحكومة العراقية بين الفينة والفينة وهذا نصه : : بمزيد الحزن والالم ينعي مجلس الوزراء الى الامة العراقية انتقال المغفور له سيد شباب

البلاد جلالة الملك غازي الاول الى جوار ربه على أثر اصطدام السيارة التي كان يقودها بنفسه بالعمود الكهربائي الواقع في منحدر قنطرة النهر بالقرب من قصر الحارثية في الساعة الحادية عشرة والنصف من ليلة أمس • وفي نفس الوقت الذي يتقدم فيه بالتعازي الخالصة الى أعضاء العائلة المالكة على هذه الكارثة العظمى التي حلت بالبلاد ، يدعو الله سبحانه وتعالى أن يحفظ للمملكة نجله الأوحد جلالة الملك فيصل الثاني ، ويلهم الشعب الكريم الصبر الجميل وانا لله وانا اليه راجعون •

بغداد ٥ نيسان ١٩٣٩ مدير الدعاية والنشر والاذاعة

**ما يقوله الاطباء**

والى جانب هذا البلاغ الحكومي أذاعت هيأة الأطباء التي تولت فحص الملك النعي الآتي ••

نعني بمزيد الأسف وفاة صاحب الجلالة الملك غازي الاول الساعة الثانية عشر والدقيقة اربعين من ليلة ٣ــ٤ نيسان سنة ١٩٣٩ متأثرا من كسر شديد للغاية في عظام الجمجمة وتمزق واسع في المخ • حصلت هذه الجروح بنتيجة اصدام سيارة صاحب الجلالة عندما كان يسوقها بنفسه بعمود كهرباء بالقرب من قصر الزهور الساعة الحادية عشر والنصف من تلك الليلة • ولقد فقد صاحب الجلالة شعوره مباشرة حتى اللحظة الأخيرة •

**٣ــ٤ نيسان سنة ١٩٣٩**

الدكتور جلال حمدي الدكتور صبيح الوهبي
الدكتور صائب شوكت الدكتور ابراهام
الدكتور سندرسن

## تقريران آخران

ولدينا تقريران آخران وضعتهما هياة الأطباء التي تولت فحص الملك ، ولم يسبق آن نشرا من قبل في كل ما كتب ونشر عن هذه الفجيعة حتى الان •

التقرير الاول التاريخ ١٤ صفر ١٣٥٨هـ ٤ نيسان ١٩٣٩

نحن المدرجة اسماؤنا أدناه الذين حضرنا لأسعاف صاحب الجلالة الملك غازي الاول حالاً قبل وفاته نقدم تفاصيل الحادث :ـ

١ ـ الدكتور اج • سي • سندرسن ـ استاذ الأمراض الداخلية في الكلية الطبية الملكية في بغداد ، وطبيب صاحب الجلالة الخاص •

٢ ـ الدكتور صائب شوكت ـ استاذ الجراحة السريرية في الكلية الطبية الملكية في بغداد ، والجراح في المستشفى الملكي في بغداد •

٣ ـ الدكتور جي نوئيل براهام ـ استاذ الجراحة في الكلية الطبية الملكية في بغداد ، والجراح في المستشفى الملكي في بغداد •

٤ ـ الدكتور صبيح الوهبي ـ معاون مدير المستشفى الملكي في بغداد •

٥ ـ الدكتور جلال حمدي طبيب الخفر في المستشفى الملكي في بغداد •

ليلة ٣ نيسان ١٩٣٩

ملخص حادث وفاة صاحب الجلالة الملك غازي الاول مفصلا من قبل الاطباء الذين حضروا عند جلالته حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء اليوم الثالث من شهر نيسان سنة ١٩٣٩ :

تسلم الدكتور سندرسن اشارة تلفونية من قصر الزهور يخبره ان صاحب الجلالة الملك قد اصيب بجروح خطرة من تصادم سيارته وقد طلبوا حضوره حالاً ، وأثناء المحادثة التلفونية سمع أصواتا نسائية مضطربة وبكاء ونحيب مما استدل على أن الحادث خطر • وعليه أسرع بسيارته مستصحباً من اللوازم والضمادات الطبية الضرورية • وقبل خروجه ، أخبر الدكتور براهام تحريريا ، طالبا منه أن يتبعه الى قصر الزهور بأسرع وقت ممكن •••

وفي طريقه الى قصر الزهور تلاقى الدكتور سندرسن بسيارة ملكية ارسلت لجلبه فاستقلها لأنها أسرع من سيارته ، ووصل الى قصر الزهور بنفس الوقت الذي وصل فيه سمو الأمير عبد الاله . وعند وصوله قصر الزهور وجهت السيارة الى قصر الحارثية وكانت الليلة مقمرة . وقد رأى على الجانب الأيسر من الطريق سيارة كبيرة محطمة زجاجها الامامي وعمودا كهربائيا مقلوعا بالقرب منها .

وعند وصول الدكتور سندرسن قصر الحارثية . وجد صاحب الجلالة منقاً على مصجع بحضور جلالة الملكة . ومحاطا باعضاء العائلة المالكة وبعض موظفي القصر ورجال الشرطة والخدم .

وجد الدكتور سندرسن جلالته فاقد الشعور وبحالة نزيف شديد من جراء جرح واسع عميق في الرأس ، وكان نبض جلالته لا يحس ، وكان من البديهي ان وفاته كانت محتمة ومع ذلك فقد أحضر منعشا .

وبعد لحظة وصل الدكتور صائب وحقن بالمنعش المحضّر . وكان قد أشعر الدكتور صائب شوكت ، عندما كان في فراشه تلفونيا ، للحضور الى قصر الزهور بعد اخبار الدكتور سندرسن فأسرع حالاً بسيارته لقصر الزهور . وعند وصوله لقصر الزهور ، وجه من قبل الحرس الى قصر الحارثية ، وبطريقه رأى الدكتور صائب شوكت السيارة المصطدمة المذكورة سابقا . وعند وصول الدكتور صائب شوكت لقصر الحارثية أخبره ضباط الشرطة ومعهم عدد من الجنود ان جلالته كان قد اصيب بجروح عند اصطدام سيارته التي كان يقودها بنفسه . وعند دخوله الغرفة التي كان فيها جلالته ، وجد الدكتور سندرسن يقوم بالاسعاف بحضور جلالة الملكة ، وسمو الأمير عبد الآله ، والوالدة صاحبة الجلالة الملكة ، ورئيس الوزراء ، ورئيس الديوان الملكي ، الذين قد وصلوا قبل هنيهة واخبروا بخطورة حالة جلالته .

وقد وجد الدكتور صائب شوكت جلالة الملك بنفس الحالة التي وجدها فيه الدكتور سندرسن وأعطاه حقنة منعشة ، وتلفن للدكتور جلال حمدي

في المستشفى الملكي ليجلب معه مواد الضماد وآلات اضافية لقصر الزهور •
وقد فحص الجرح مرة اخرى ووجد ان الجرح مميتا دون شك حيث أن قسما
من المخ كان خارجا من الجرح الواسع في قمة الجمجمة وان الجيب الطولي
قد تمزق . وقد أخبر رئيس الوزراء ورئيس الديوان الملكي بعدم وجود أمل

**التقرير الاول التاريخ ١٤ صفر ١٣٥٨هـ ٤ نيسان ١٩٣٩**

وقد وصل الدكتور براهام بعد دقائق • وكان قد اخبر برسالة خاصة
من الدكتور سندرسن بعد الساعة الحادية عشرة والنصف مساءً ، وذهب
حالاً الى قصر الزهور ومنه الى الحارثية مستصحبا معه الادوات الاسعافية
الضرورية ففحص جلالته حال وصوله ولكن كان في حالة النزع •

لقد أخبر الدكتور جلال حمدي من المستشفى الملكي ، الدكتور صبيح
الوهبي تلفونيا قبيل الساعة الثانية عشر ، انه طلبت سيارة الاسعاف من قصر
الزهور لأن جلالته قد أصيب بحادث خطر فذهب الدكتور صبيح الوهبي
للمستشفى الملكي حالاً وقابل الدكتور جلال حمدي في باب المستشفى واخبره
ان الدكتور صائب طلبنا وبعض آلات الاسعاف والضماد تلفونيا الى قصر
الزهور حالاً فذهبا بسيارة البلاط الملكي التي وصلت في حينه الى قصر
الحارثية حالاً • وبعد وصول الدكتور صبيح الوهبي وجلال حمدي الى
قصر الزهور ، توفي جلالته في الساعة الثانية عشر والدقيقة الاربعين من صباح
اليوم الرابع من شهر نيسان ١٩٣٩ بحضور الاطباء الموقعين أدناه ، وجلالة
الملكة وسمو الأمير عبد الآله وسمو الأمير زيد وأعضاء العائلة المالكة ، ونقلت
جثة صاحب الجلالة بعد وفاته الى قصر الزهور بسيارة المستشفى ثم نقلت
من هنالك الى البلاط الملكي •

وقد فتشت السيارة بعدها من قبل الأطباء الموقعين أدناه فوجدوا أن
الزجاجة الأمامية للسيارة مهشمة ، وأطارها كان مطوياً الى الاسفل وعليه لطخات
دموية وخصل من الشعر ، كما وجدوا بقعا دموية كثيرة على مقعد السائق

ونحته .

الدكتور صائب شوكت الدكتور سندرسن الدكتور براهام
الدكتور صبيح الوهبي الدكتور جلال حمدي

**التقرير الثاني**

لاحقا للتقرير الابتدائي المعطى قبلاً

لقد قمنا نحن الأطباء الموقعون أدناه بالفحص الطبي على جثة المغفور له صاحب الجلالة الملك غازي الأول في البلاط الملكي في الساعة الثانية عشرة والنصف بعد ظهر ٤ نيسان سنة ١٩٣٩ .

كانت الجثة في حالة الصمل ، ووجدنا سحجة صغيرة في الساعد الايمن من قسمه السفلي الخلفي وكدمة رضيّة في القسم الاسفل من الجانب الايسر من الصدر ، ووجدنا أيضا بعض سحج صغيرة جدا في اماكن اخرى منها واحدة على الخد الايسر . اما الجرح الكبير فكان جرحا هاشما كبيرا جدا وواقعا في القسم العلوي من فروة الرأس ، متجها من الامام الى الوراء ، وشوهد العظم تحته ، أي عند قمة الجمجمة مفتتاً وطوله أربع عقدات . ولوحظ أيضا عدة شظايا كثيرة من عظام الجبهة والجدار . أما السحايا فقد تمزقت على أثر انغراز الشظايا بها واتصالها بالمادة المخية التي تحتها ، وهكذا اصيب الجيب المستطيل الأعلى بخرق عرضي . اما سبب الموت فقد نشأ عن هذه الجروح الواسعة ، أي تمزق المخ ، وبروز المادة المخية . غسلت جثة جلالته وكفنت ووضعت في النعش بحضورنا .

معاون الجراح في المستفى الملكي : الدكتور صبيح الوهبي
جراح المستشفى الملكي : الدكتور نوئيل براهام
جراح المستشفى الملكي : الدكتور صائب شوكت
الطبيب الخاص لصاحب الجلالة : الدكتور ايج . سي سندرسن .
الطبيب الخفر في المستشفى الملكي : الدكتور جلال حمدي

صادق على ما ورد أعلاه ـ الدكتور ابراهيم عاكف الالوسي وكيل مدير الصحة العام

**ردود الفعل لمصرع غازي**

كان الرأي العام في العـراق وفي خارجه على علم بكراهية الانكليز ونوري السعيد للملك القتيل ، ولذا فان احدا لم يكن ليصدق ان الملك المحبوب من شعبه ومن امته العربية قد مات على أثر اصطدام سيارته بعمود الكهرباء ، ولا سيما وان عبده سعيد وملاحظ اللاسلكي علي عبدالله ، وكانا يجلسان خلف الملك في السيارة التي كان جلالته يقودها بنفسه ، لم يصبهما أي مكروه عند اصطدام السيارة المزعوم بالعمود ، ولهذا اتجهت الجماهير الغاضبة نحو السفارة البريطانية في جانب الكرخ ، وأطلقت سبابا موجعا للانكليز ولنوري • كما أن سكان الموصل الحدباء زحفوا نحو القنصلية البريطانية في الموصل وقتلوا القنصل البريطاني المستر مونك Monck Masen وحرقـوا سيارة القنصلية كانت واقفة على الباب ، انتقاما لمقتل الملك الشاب • مما حمل مجلس الوزراء أن يقرر في جلسته المنعقدة في ٢١ مايس ١٩٣٩ منح عائلة القنصل القتيل فدية قدرها عشرون الف باون ، وذلك بعد اعلان الاحكام العرفية في الموصل وفي المحلات المجاورة لها اعتبارا من ٤ نيسان وحتى العاشر من آب سنة ١٩٣٩ حيث صدرت الارادة الملكية بالغائها بعد أن اصدرت الاحكام القاسية ضد عدد كبير من الرجـال والشباب • وحاول الأهلون المتظاهرون في مدينة البصرة الفيحاء القيام بأعمال تخريبية ضد المنشآت العامة ، فصدرت التعليمات الى متصرفية اللواء بقمع المتظاهرين بالشدة[٢٤] للتغلب على الهياج الشديد الذي ساد الجميع •

وعهدت الحكومة الى حاكم تحقيق الكرخ السيد سليم الديلماني القيام بالتحقيقات القانونية في هذه الفاجعة الكبرى ، ولما شعر رئيس الوزراء نوري

السعيد ووزير عدليته محمود صبحي الدفتري ان التحقيق لم يجر المجرى الذي تريده الجهات العليا . نحيا سليما عن مهنته ، وعهدا بالتحقيق الى الحاكم الاخر خليل أمين المفتي الذي لفلفه ــ كما يقول البغداديون ــ وأنهى أمره معتبرا الحادث قضاء وقدرا .

وقد ضمنا مجلس مع الدكتور صائب شوكت في دار أخيه ناجي شوكت في الدورة يوم ٨ نيسان ١٩٧٥ وسمعنا منه قوله : انه يعتقد ان الملك قتل نتيجة ضربة بالهيب « آله حديدية » على ام رأسه ، وانه جيء اليه بالعبد سعيد الذي كان في سيارة الملك وهو مخلوع الذراع الأيسر . فأعاد الذراع الى موضعه لكن لا يعرف شيئا لا عن مصير هذا العبد ، ولا عن مصير ملاحظ اللاسلكي علي عبد الله الذي كان معه [٢٥] وكان قد حدث في ١٨ حزيران ١٩٣٨ حادث يلفت النظر فقد وجد عبد من عبيد الملك ــ واسمه وصل ــ قتيلا في فناء القصر فقالت الرواية الرسمية أن القتيل كان يحمل مسدسا فانطلقت منه رصاصة اصابت منه مقتلا . ولكن السفارة البريطانية في بغداد قالت : ربما كان هذا العبد مصدر قلق للقصر فقتل ، ثم قيل ان هذا العبد كان شقيقا للعبد سعيد الذي كان يجلس خلف الملك في السيارة التي قيل انها اصطدمت بالعمود الكهربائي فهل أغري هذا العبد للانتقام من مقتل أخيه يوم ١٨ حزيران ١٩٣٩ ؟

**ما يقال عن الحادث**

١ ــ قال السفير البريطاني في العراق موريس پاترس M. PATERSON في كتابه BOTH SIDES of the CURTINAIS P. 161

« وقد أصبح واضحا للعيان ان الملك غازي اما يجب أن يسيطر عليه

---

(٢٥) يقول الدكتور صائب شوكت انه كان اول من فحص الملك ، وان الحفرة في جمجمته كانت تستوعب كف يده .

او أن يخلع عن العرش . وقد لمحت الى ذلك وبهذا القدر في زيارتي الوداعية للأمير عبد الآله » .

٢ ــ وقال جان وولف في ص١٢٠ من كتابه « يقظة العالم العربي » من الترجمة العربية :

« ومات غازي على أثر حادث غريب فقد انفجرت سيارته دون ما سبب وجيه . بينما كان يقودها بسرعة معقولة ، وكان ذلك في الرابع من نيسان سنة ١٩٣٩ فتعالى الهمس في بغداد متهما بعض الهجــات الاجنبية بتدبير الحادث » .

٣ ــ وقال كارتا كوز KARACACUSS وهو اسم لاستاذ بريطاني مستعار كان يدرس في العراق » في ص من كتابه ثورة العراق ما تعريبه :

« ولعل مأثرته الوحيدة ــ غازي ــ انه قد لاقى حتفه بشكل عنيف في حادث سيارة يعتقد أن البريطانيين أو أعوانهم من العراقيين قد افتعلوه . أما البريطانيون بدورهم فقد نسبوا هذه القصة الى الدعاية الالمانية » .

٤ ــ وقال العقيد الركن نور الدين محمود ، على ما جاء في ص ٥٧ من كتاب « فرسان العروبة في العراق » للصباغ : « انه اصطدام غامض عويص ولا يسع المرء ، مهما كان بسيط الملاحظة ، الا أن يكذّب زعم الحكومة وهو يقارنه بالأدلة التي يراها في مكان الحادث » .

٥ ــ وقال العقيد صلاح الدين الصباغ في ص١٤ من مذكراته « فرسان العروبة في العراق » :

وقضت المصالح البريطانية اغتياله ــ اغتيال الملك غازي ــ فتم ذلك في ليلة ٤ــ٥ عام ١٩٣٩ وهو في السابعة والعشرين من العمر » .

٦ ــ وقال العقيد الصباغ ايضا في ص٢٧٥ من مذكرات « فرسان العروبة في العراق » ما نصه :

« كان الملك غازي يمقت نوري بن سعيد ، كما ان نوري بن سعيد كان يبادل الملك غازي مقتاً بمقت . وكان الملك غازي معروفا بعدائه للانكليز قبل أن يكون ملكا ، وكانت محطة الاذاعة الخاصة التي يملكها غازي تذيع من قصره برامجها المعادية للانكليز ، منددة بفضائح الانكليز في فلسطين وباقي البلاد العربية ... ولكن هذه لم تدم طويلا ، ومن البديهي أن لا تدوم ، اذ قتل الملك غازي في ليلة ٤ـ٥ نيسان بموجب الخطط الانكليزية ، وعلل القتل بحادث سيارة ولكن الشعب والجيش لم يصدقا هذا التلفيق ، واتضح ان للوصي ولنوري اصبعا في الموضوع » .

٧ ـ وقال توفيق السويدي من رؤساء الوزراء في ص٣٢٦ من كتابه « **نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية** » « **وأتذكر في هذا الصدد** أنني عندما كنت في لندن ، التقيت بالمستر في بتلر وكيـل وزير الخارجية الدائم ... فابدى لي شكوى عنيفة من تصرفات الملك غازي فيما يتعلـق بالدعاية الموجهه الى الكويت من اذاعة قصر الزهور حتى انه قال بصراحة بأن الملك غازي لا يملك القدرة على تقدير موقفه لبساطة تفكيره ، ولاندفاعه وراء توجيهات تأتيه من أشخاص مدسوسين ... ان الملك بعمله هذا لا يعلم انه يلعب بالنـار وأخشى ان يحـرق اصابعه يوما ما » قلنا وقد احترقت هذه الاصابع فعلا .

٨ ـ وقال الدكتور فاضل حسين في ص٨ من رسالته « سقوط النظام الملكي في العراق » ان أحد المتصلين بكبير من كبار ضباط الشرطة قال له :

« ان نوري السعيد أوعز الى ضابط الشرطة عبد الرزاق العسكري ، أحد اقارب جعفر العسكري . بتنفيذ خطة الاغتيال ـ اغتيال غازي ـ وكان مدير الشرطة حينذاك هاشم العلوي ، وقد عرف باغتيال الملك غازي . وبينما كان مسافرا الى سورية بعد ذلك ، قيل انه انتحر بعد اداء الصلاة بسبب تأنيب الضمير ، وكان معروفا بتدينه ، وربما اغتيل للتخلص منه لأنه اطلع على جريمة اغتيال الملك » .

علما أن المعروف ان السيد العلوي انتحر في الرطبة وهو في طريقه الى دمشق . وكان ذلك في مساء ١٠ تموز ١٩٣٩ أي بعد ثلاثة أشهر من مصرع الملك .

٩ ـ قال المرافق الخاص للملك غازي السيد فؤاد عارف أن الملك لما احيط علما بمقتل الفريق بكر صدقي في الموصل طلب اليه أن يؤمن له الاتصال الهاتفي بآمر حامية الموصل محمد أمين العمـري ، فلما أمن له ، قال الملك للعمري : اريد منك ان تحافظ على الحقيبة التي كانت بيد بكر صدقي أثناء مقتله . يجب أن تحرزها وتضعها عندك وتحافظ عليها فلا تفتحها وترسلها الينا فورا .

ويضيف فؤاد عارف الى ذلك قوله : ان ضابطا من الاستخبارات العسكرية جاء في تلك الليلة ليقول ان المستر تومسن من الاستخبارات العسكرية عبر الكوير بين الموصل واربيل ومعه الحقيبة المذكورة فما ان سمع الملك هذا الخبر حتى وجم مدة من الزمن ثم التفت اليه وقال :
« انا رحت يا فؤاد سوف اقتل لان بكر صدقي كان يحمل رسالتين مني واحدة الى موسليني والثانية الى هتلر وقائمة باحتياجات الجيش العراقي من السلاح ».

١٠ ـ قال لنا حكمة سليمان من رؤساء الوزراء السابقين « بينما كنت في السجن في أواخر شهر آذار ١٩٣٩ اذ جاءني سجانان ونقلا اليّ حديثا أفضى به اليهما السجين في قضيتنا حلمي عبد الكريم ، وكان نص حديثه : ماذا عملنا حتى جيء بنا الى هنا ؟ انتظروا اسبوعا فسيقتل الملك غازي حتما . فقلت للسجانين : الرجل يهذي فلا تصدقا هذيانه ولكنهما عادا الي بعد خمسة ايام لينقلا خبر مصرع الملك »[٣٦] .

١١ ـ أسرّ وزير الداخلية ناجي شوكت من رؤساء الوزراء السابقين

---

(٣٦) تاريخ الوزارات العراقية ٥/٧٤ الطبعة الخامسة .

الى صاحب البحث سرا بقي دفينا في نفسه ، وقد حان الآن وقت افشائه . قال ناجي :

« كانت آثار البشر والمسرة طافحة على وجوه السادة : نوري السعيد ، ورشيد عالي ، ورستم حيدر ، وطه الهاشمي . بعد أن تأكدت وفاة الملك . وكان هؤلاء الاربعة قد تضرروا في حركة بكر صدقي في يوم ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ وكان ناجي يعتقد اعتقادا جازما بمساهمة نوري السعيد والأمير عبد الآله في قتل الملك غازي .

١٢ ــ أدرك نوري السعيد خطورة الموقف قبيل دفن الملك ، فأمر بغلق الجسور القائمة على دجلة لمنع عبور الجماهير من صوب الكرخ الى البلاط الملكي في جانب الرصافة حيث يسجى جثمان الملك القتيل . كما أمر قوات الجيش والشرطة لتعزيز حماية موكب التشييع ، وعاش الممثلون البريطانيون حالة من القلق الشديد . ولم يمش نوري في موكب التشييع وانما استقل زورقا نهريا نقله من داره الى المقبرة الملكية ، وبعد الانتهاء من الدفن رجع بالزورق نفسه تاركا لوزيـــــر داخليته ناجـــي شوكت تلقي تعازي الهيآت الدبلوماسية وغيرها بدلاً عنه . أما القائم بأعمال السفارة البريطانية هوستون بوزول H. BOSWALL وبقية الانكليز فقد عادوا الى بناية السفارة من طرق فرعية تصحبهم سيارات مدير التحقيقات الجنائية مع سيارات اخرى للشرطة .

١٣ ــ قالت جريدة الـ Manghester Gardian في عددها الصادر في ٥ نيسان ١٩٣٩ :

« ان وفاة الملك غازي حلت احدى المشكلات فان العراقيين ــ كما هو مشهور ومعلوم في الدوائر السياسية البريطانية ــ كانوا يفكرون منذ بضعة أشهر في عزل ملكهم عن عرشه . فان السياسيين منهم وثقوا من عدم صلاحيته للحكم فأرادوا استبداله بآخر ، ولم يختلفوا الا في موضوع البديل وهل سيكون عمه الأمير زيد ، او ابن عمه الأمير عبد الآله ؟ أو أن يخلفه طفله تحت

وصاية هذين الأميرين • وعلى كلٍ فقد اعتبر العراقيون وفاة ملكهم كاحسن حل » اهـ

١٤ ـــ ومما يذكر بهذه المناسبة ما قاله لنا السيد حكمت سليمان ذات يوم : كان قد تقرر ان تجري مراسم تتويج ملك بريطانيا الجديدفي ١٢ ايار١٩٣٧ فسألني السفير البريطاني في العراق عن الوفد الذي سترسله الحكومة الى لندن لحضور المراسم اسوة بما ستفعله دول العالم ، وألمح قائلا : أن عندكم جوهرة كريمة ودرة ثمينة يجب الاحتفاظ بها والمحافظة عليها بوضعها في صندوق داخل صندوق داخل صندوق يوضع داخل خزانـة حديدية تحت الحراسة المشددة ، تلك هي الأمير عبد الآله نجل الملك علي فيحسن ترؤسه لوفدكم •

# ليــلة ليــلاء

**تمهيد لابد منه**

على أثر فشل المفاوضات التي كانت تدور في العامين ١٩٣٨ و ١٩٣٩ لتسوية الخلافات القائمة بين الدول الغربية ، اعلنت بريطانيا الحرب على المانية الهتلرية في اليوم الثالث من شهر ايلــول سنة ١٩٣٩ وحذت فرنسا حذوها فأعلنتها على المانية أيضا ، فأضطربت الأسواق المالية وسادت الفوضى مخازنها التجارية . فعمدت الوزارة القائمة في العراق ــ وهي وزارة نوري السعيد الرابعة ــ الى اصدار سلسلة من المراسيم اللازمة لتنظيم الحياة الاقتصادية للقضاء على سبل الفوضى والاستغلال غير المشروع .

وكان رئيس الوزراء نوري السعيد ووزير خارجيته علي جودت قد أخبرا السفير البريطاني في بغداد عن استعداد العراق للوقوف الى جانب حكومته ، واعلان الحرب على اعدائها اذا اعلنت الحــرب ، فسرّ السفير بذلك وأخبر حكومته بما سمعه . ويقول الفريق الركن طه الهاشمي في ص ٣١٦ من الجزء الاول من مذكراته : انه زار الوصي في ٣١ آب ١٩٣٩ وعلم منه ان السفير البريطاني اطلع الأمير على برقية وردت اليه من لندن جوابا له ، وفيها يشكر رئيس الوزراء نوري السعيد ووزير الخارجية علي جودت على وعدهما باعلان

الحرب حين تعلن بريطانية الحرب ، وان الامير دهش لهذا الخبر ! •

ويضيف الهاشمي الى ذلك قوله : ثم ذهبت الى علي جودت في داره فأخبرني بأنه : « في يوم السبت اراد أن يقابل السفير فذهب معه نوري ، وفي أثناء الحديث قال انه اذا اقتضى الامر يعلن العراق الحرب » •

ويتنون وزير الخارجية السيد علي جودت في ص٢٣٧ من مذكراتــه [ على اثر اعلان بريطانية الحرب على المانية في الثالث من شهر ايلول سنة ١٩٣٩ ، زارني السفير البريطاني السر بازل نيوتن ، بصفتي وزيرا للخارجية ، وسألني عن رأيي في موقف العراق بالنسبة الى المانية التي أصبحت في حالة حرب ضد بريطانية ، وبحسب نصوص المعاهدة العراقية الانكليزية التي تحدد العــلاقات بين العــراق وانكلتره • وقد نبّه في هذه المقابلة الى ضــرورة قطع العلاقات بين العراق والمانية حالاً ، ذلك لأن وجود المفوضية الالمانية وجاليتها في العراق ، واحتمال اطلاعها على ما قد يمر عبر العراق من القوات العسكرية مما يؤثر تأثيرا خطيرا في المجهود الحربي البريطاني ، ويسبب له اضرارا بالغة ، ورجاني اتخاذ قرار عاجل في هذا الصدد • فأجبته : انني سوف اعرض الأمر على رئيس الوزراء وأخبره بالنتيجة على كل حال ] ويضيف السيد علي جودت الى ما تقدم قوله :

[ اما أنني وافقته على اعلان الحرب ضد المانية كما زعم السيد رشيد عالي الكيلاني في كتاب الاسرار الخفية للسيد عبد الرزاق الحسني فهو محض اختلاق : والسفير البريطاني لا أخاله يدعي ذلك ] •

**قرار لمجلس الوزراء**

بعد اعلان الحرب بيومين اجتمع مجلس الوزراء برئاسة الوصي الامير عبد الآله واتخذ هذا القرار :

نظرا الى الوضع العالمي الراهن وما يمكن أن يتولد من وجود الرعايا الالمان في العراق من ارتباكات ، قرر مجلس الوزراء تسفير الرعايا المذكورين ،

وقطع علاقات العراق مع الحكومة الالمانية ، وتخويل وزيري الخارجية والداخلية اتخاذ ما يلزم من التدابير لهذا الغرض[1] .

وكان رئيس الوزراء نوري السعيد يتولى وزارة الداخلية بالوكالة في التاريخ المذكور فأمر بالقبض على الرعايا الألمان المقيمين في العراق وتسليمهم الى السلطات البريطانية في مطار الحبانية ، حيث جرى تسفيرهم الى الهند بصفة كونهم اعداء . « وقد اثارت هذه التدابير امتعاض رئيس آركان الجيش حسين فوزي . وأمين العمري واسماعيل نامق ، كما اثارت امتعاض غيرهم من القادة[2]. ووقف العين جميل المدفعي في مجلس الاعيان فقال « وكذلك علمت بأن الحكومة العراقية قد سلمت بعض الألمان كأسرى الى الجهات الانكليزية ، وهذا شيء استنكره لأنه كان في امكان الحكومة العراقية أن تحتفظ بهذا العدد الضئيل اذا رأت ذلك ضروريا وتعاملهم كما يتفق وكرم العراق في مثل هذه الظروف »[3] أما وزير المانية المفوض الدكتور غروبا ، فيقول عنه وزير الخارجيه علي جودت في ص٢٣٨ من كتابه « ذكريات علي جودت » ما نصه .

« حاول وزير المانية المفوض المذكور الدكتور غروبا أن يسافر وأعضاء المفوضية الى بلادهم عن طريق ايران أو المملكة السعودية فلم نوافقهم على ذلك لاحتمال قيامهم بنشاط سياسي يرمي الى تهييج الرأي العام العراقي واحداث قلاقل في داخل العراق ، وخشية ان يصيبهم أذى في اثناء مرورهم بتلك البلاد التي لم تكن طرقها مأمونة في تلك الظروف . وعلى كل فاني طلبت الى الوزير الفرنسي المفوض المسيو ليكويه ان يتعهد رسميا ، وأن يقسم لي بشرفه على تأمين سفر هذه الجالية عن طريق سورية ولبنان ، لأنهما محتلتان من قبل الفرنسيين انذاك ، فقد استمهلني ريثما يتصل بالمراجع المختصة ، ويأخذ بدوره

---

(١) مقررات مجلس الوزراء لشهر ايلول لسنة ١٩٤٠ .

(٢) العقيد صلاح الدين الصباغ في كتابه [ فرسان العروبة في العراق ] ص ٥٦ .

(٣) محاضر مجلس الاعيان ص٩ من الاجتماع العادي الرابع عشر لسنة ١٩٣٩ .

عهدا من السلطة الفرنسية في البلاد التي تسيطر عليها ، والتي سيمر بها الوزير الالماني وحاشيته لكي لا يصيبهم اذى • وفي اليوم الثاني زارني الوزير وأبلغني تعهد حكومته بذلك ، فجرى تسفيرهم بكل احترام الى الحدود السورية على ان يبحروا بأمان من بيروت الى بلادهم وقد وصلوا جميعهم بسلام » •

**مقتل وزير المالية**

وقبيل ظهر يوم الثامن عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٠ ، دخل الشخص المدعو حسين فوزي توفيق ، وهو مفوض شرطي مفصول من الخدمة في الحكومة ، دخل مكتب وزير المالية السيد رستم حيدر وأطلق نار مسدسه عليه دون سابق انذار فجرحه جرحا مميتا أدى الى وفاته في اليوم الثاني والعشرين من ذلك الشهر • وقد ذكر الفريق طه الهاشمي في ص٣٢٢ من الجزء الاول من مذكراته : [ كان الزميل الوحيد الذي يفهمني ويساعدني على العمل المضني وكنت ائتمنه في خططي ومشروعاتي والاقي منه تشجيعا وترحيبا ولا شك بأن الوزارة خسرت بموت رستم خسارة لا تعوض ] •

ويقول السيد جميل الاورفلي ، وزير العدلية السابق ، في ص ٥٥ من كتابه « لمحات » انه بصفة كونه حاكم تحقيق يومئذ ، تولى استجواب القاتل حسين توفيق فوزي الذي اعترف اعترافا صريحا لا شائبة فيه بأنه هو الذي قتل رستم حيدر لعدم حصوله على وظيفة كان يعده بها الوزير رستم بدون جدوى ، وأنه بعد يأسه من الحصول على الوظيفة المنتظرة ، أقدم على قتله دون أن يحرضه أو يعاونه أو يشترك معه أي شخص كان بارتكاب الجريمة « ثم يقول الاستاذ الاورفلي في ص٥٦ :

[ ولم تمض بضع دقائق الا وطلب مني رئيس الوزراء ان أتركه ليختلي بالمتهم وحيدا •• وان المتهم طلب قرطاسا وقلما في منتصف الليل وسجل اعترافات جديدة بخط يده ، اتهم اشخاصا قال انهم حرضوه على ارتكاب

الجريمة . منهم نجيب الراوي ، وابراهيم كمال ، وصبيح نجيب ، وعارف قطان . وشفيق نوري السعيدي ] وبهـذا تم توقيف الوزيرين السابقين ابراهيم كمال وصبيح نجيب . والمحامين الشهيرين : شفيق نوري السعيدي ونجيب الراوي ، والمتصرفين المفصولين من الخدمة : احمد عارف قفطان وحسن فهمي المدفعي ، وكان هؤلاء من خصوم نوري السعيد يومئذ ، كما اوقف غيرهم . وكان السبب في هذا التوقيف ان القاتل اتهمهم بالتحريض على جريمة القتل . بعد أن أفاد أمام حاكم التحقيق بأنه هو الذي قتل رستماً دون تحريض من احد .

وكانت الاحكام العرفية قد أعلنت في معسكر الرشيد في جانب الرصافة من بغداد ، وفي المحلات المجاورة في السادس من آذار سنة ١٩٣٩ اثر افتعال مؤامرة موهومة لتحقيق اغراض سياسية معلومة ، فارتأى رئيس الوزراء أن تحال هذه القضية الى المجلس العرفي للبت فيها ، وخالف هذا الرأي كل من السيد علي جودت وزير الخارجية والسيد جلال بابان وزير الاشغال والمواصلات وطالبا باحالتها الى المحاكم العادية لأن الجرم مشهود والقاتل معروف . أما السيد محمود صبحي الدفتري ، وزير العدلية ، فقد اقترح تأليف لجنة من ضابط تفتيش الشرطة البريطاني ، الميجر كوتس ، والحاكم العدلي السيد عبد العزيز ، وسكرتير وزارة العدلية السيد عبد الرزاق الظاهر لاجراء التحقيق في هذه الجريمة وهل هي سياسية أم عادية فتسير الحكومة بالقضية في ضوء تقرير اللجنة . وقد اكد لي الاستاذ الظاهر ، وقد التقينا في لندن في صيف عام ١٩٧٦ ، أن القاتل اعترف أمامه وأمام عضوي اللجنة بأن السيدين : صبيح نجيب وابراهيم كمال كانا يجتمعان به في مزرعة أبي غريب بين الفينة والفينة ، ويبديان استعدادهما للقيام بأود عائلته اذا ما خلّص العراق من شرور رستم حيدر[٤] . وفي الوقت نفسه يقول السيد ناجي شوكت في ص٣٨٣ من كتابه « سيرة وذكريات ثمانين عاماً » ما نصه :

---

(٤) تاريخ الوزارات العراقية : الطبعة السابعة .

« اجمع رؤساء الوزراء السابقون على مقابلة الوصي على العرش ، وتقديم احتجاج على تصرفات نوري السعيد ، وتدخله في التحقيقات الجارية في مقتل رستم حيدر ، والمحاكمات الجارية بحق المتهمين بحادثة القتل . وبينما نحن مجتمعون في غرفة رئيس الديوان ، أقبل نوري السعيد غاضبا متهيجا واذا به يوجّه خطابه الى جميل المدفعي ويقول له بشدة : وانت أيضا هنا ؟ من أنت لتحتج علي ؟ لو لم اكن أنا لما كنت الا متصرفا كما كنت . فلم ينبس جميل ببنت شفةٍ وانما ترك الديوان وذهب » .

كما ان السفير البريطاني قابل الوصي وأطلعه على « برقية وردت اليه من لندن وفيها اشارة الى ضرورة محاكمة الوزراء السابقين في محاكم اعتيادية »[٥] وتجاه هذه التطورات والاحتجاجات لم ير نوري السعيد مناصا من تقديم استقالة وزارته ( الرابعة ) في الثامن عشر من شهر شباط ١٩٤٠ . وقد ذكر في كتاب استقالته : « ان سياسة اسدال الستار والتسامح قد أفسحت المجال مجددا لهذه السياسة عينها .. وجابهت البلاد جريمة اغتيال وزير المالية في ديوان عمله فتحرم البلاد من خدمات رجل عظيم .. والأمة متفقة الكلمة على ان تتابع المؤامرات والجرائم السياسية ينذر البلاد بأوخم العواقب . وعلى أن من واجب الوطنيين على اختلاف نزعاتهم أن يوحدوا صفوفهم ويتعاونوا على القضاء على روح الاجرام السياسي .. ولما كنت اعتقد آن استقالتي من منصبي مما يفسح المجال لتحقيق رغبات الامة ويساعد على تأمين المصلحة العامة فاني أرفع أستقالتي »[٦] .

**تطور الموقف**

كان نوري السعيد قد دعا مساء يوم الرابع عشر من شهر شباط ـــ آي قبل اربعة أيام من أستقالة وزارته ـــ كلاً من العقداء الاربعة : صلاح الدين

---

(٥) مذكرات طه الهاشمي ١/ ٣٤٠ .

(٦) نص كتاب الاستقالة في تاريخ الوزارات ٥/

الصباغ ومحمد فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب ، وكذا اسماعيل نامق وسعيد يحيى الخياط ، وبعد ان تناولوا طعام العشاء على مائدته ، أعرب عن رغبته في « ضرورة تخلي وزارته عن الحكم لأنه يشعر بضعفها وعدم قدرتها على البقاء في دست الحكم بعد أن خسرت رستم • لذلك فقد اتفق هو مع طه على اسناد رئاسة الوزراء الى رشيد عالي الكيلاني ، على أن يصبح هو وزيرا للخارجية ويبقى طه على رأس الجيش حيث هو »[7] • وقد استغرب المدعوون من هذا الادعاء وشكوا من قصر أعمار الوزارات في العراق ، وأعربوا عن آرائهم بان الجيش كان وما يزال يؤيد الوزارة القائمة ، وأنها تتمتع بثقة البرلمان وحائزة على اعتماد الجيش فلا مصلحة في التبديل الوزاري المقترح ، وانفض الاجتماع بدون نتيجة ، وقدم السعيد كتاب استقالة وزارته على نحو ما تقدم •

وكان رئيس أركان الجيش الفريق حسين فوزي ملماً بالذرائع التي يتخذها الساسة لتحقيق أهدافهم السياسية ، وتنفيذ مآربهم الشخصية • وكان [ يشعر انه بوجود طه الهاشمي على رأس وزارة الدفاع ، وبنفوذ العقداء الاربعة المهيمنين على الوزارة ، فان موقفه لم يختلف عما كان عليه يوم سلب صبيح نجيب منه سلطاته في الجيش • واللواء أمين العمري ناقم على العقداء لسيرهم وراء سياسة نوري السعيد الذي استخدمهم في اسقاط وزارة المدفعي التي كان قريبه مصطفى العمري يلعب دورا فعالا فيها ، وعزّ عليه احالة زملائه الذين تعاونوا معه على انهاء عهد بكر صدقي ، باحالتهم على التقاعد وهو غائب في أوربا خلال حركة العقداء التي أسقطت وزارة المدفعي ، وناقم على نوري الذي حاول اخراجه من الجيش بعد ان بترت ساقه في عملية جراحية ، وناقم على الوزارة كلها لتهجم صحيفة موالية على قريبه مصطفى العمري ][8] فلما قدمت الوزارة السعيدية الرابعة استقالتها ، اجتمع قادة الجيش ورئيس أركانه

(٧) فرسان العروبة في العراق ص ١٢٢ •

(٨) محمود الدره في كتابه ( الحرب العراقية ـ البريطانية ) ص٩ •

في دار وزير الدفاع الفريق طه الهاشمي للتداول وبعد أن اوضح صاحب الدار أسباب هذه الاستقالة ، وما يجب على الوزارة التي ستخلف الوزارة المستقيلة ان تقوم به ، أشار الى « ان النية متجهة الى ان يتولى رشيد عالي الرئاسة ويشترك ناجي السويدي وناجي شوكت في الحكم معنا . وظهر من الملحوظة التي أبداها عبد العزيز ياملكي أن يترك الأمر بعد ذلك الى رئيس أركان الجيش ليرى الأصلح » .

أما رئيس اركان الجيش الفريق حسين فوزي فانه ما كاد يسمع ويرى ما قيل ويقال ، حتى جمع في داره في الثامن عشر من شباط ١٩٤٠ العقداء الاربعة : صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب ، وكذلك أمين العمري واسماعيل نامق وعزيز ياملكي ، وطرح عليهم نبأ استقالة الوزارة فتقرر بالاكثرية ترك الحرية المطلقة للرئيس المكلف — وهو يومئذ رشيد عالي — في اختيار أعضاء وزارته . فلما انفرط عقد الاجتماع ، قصد الفريق حسين فوزي الوصي الأمير عبد الآله وقال له بالحرف الواحد : [ بأن الجيش لا يرتاح لمجيء ، طه الهاشمي الى وزارة الدفاع ، ولا لمجيء نوري السعيد الى وزارة الخارجية ، وان في الجيش تكتلاً ، ثم اجتمع برشيد عالي فأخبره بالخبر نفسه ][٩] واذا برشيد عالي يتردد في الاقدام على تأليف الوزارة المرتقبة ، واذا بطه الهاشمي يقصد مقره في وزارة الدفاع ويجمع اوراقه الخاصة، واذا بنوري يعنّف طه على ما بدر منه من ضعف وخور تجاه الفريق حسين فوزي ، ثم يذهبان الى دار طه الهاشمي ويستدعيان العقداء الأربعة : صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب ، وكذلك اسماعيل نامق ، ويتقرر سحب استقالة الوزارة . ولأجل التأكد من صحة أقوال رئيس أركان الجيش ، التي فاه بها أمام العقداء الاربعة ، بعث الوزير طه الهاشمي العقيد صلاح الدين الصباغ الى دار الفريق حسين فوزي يستوضح

(٩) مذكرات طه الهاشمي ١/٣٢٦ .

منه ما شاع وعرف عنه من انه لا يوافق على رجوع طه الى وزارة الدفاع ، وان لا يتسنم نوري وزارة الخارجية فيما لو ألف رشيد عالي وزارة تخلف وازرة نوري المستقيلة فيرد عليه حسين فوزي قائلاً : « ان البلاد لن تستريح اذا بقيت بأيدي هؤلاء الرجال » فيردّ عليه صلاح « ولكن طه ليس مثل نوري يا باشا » فيجيب عليه فوزي قائلاً « قل له ما قلته لك » فلما أحيط طه الهاشمي بهذه المساجلة ثار ثائره وقال « اذن لن تستقيل الوزارة ، بل ستبقى في الحكم .. وأنا ذاهب للوصي »[10] .

ذهب العقيد صلاح الدين الصباغ الى دار الفريق طه الهاشمي فوجد عنده كلاً من نوري السعيد وطه الهاشمي واسماعيل نامق والعقداء : سعيد يحيى الخياط ومحمد فهمي سعيد وكامل شبيب فبادره نوري قائلاً :

[ صلاح الدين ! لقد قابل حسين فوزي الوصي والح عليه باسم الجيش ان لا يوافق على اشتراكي او اشتراك طه في الوزارة ، وقد طلبنا سحب استقالة الوزارة من لدن الوصي ، لكن الوصي متردد من تدخل الجيش ، فهل لك ان تذهب الى الوصي فتؤكد له بأن الجيش لا يتدخل في المسألة ، وبأن مسعى حسين فوزي وأمين العمري ما هو الا مسعى شخصي ][11] .

ودخل صبحي العمري وقال بأن أمين العمري أصدر أمر الانذار لقطعات الفرقة الاولى .. وفي الوقت نفسه تحدث آمر فوج الحراسة في وزارة الدفاع المقدم صالح زكي الطائي فقال : انه تلقى من أمين العمري أمرا بأن نكون في حالة الانذار ، وعلى استعداد لتلقي الاوامر . وذهب العقيد صلاح الدين الصباغ لمقابلة الوصي في قصره بحسب اشارة وتدبير نوري السعيد . ويقول الصباغ في ص١٢٨-١٢٩ من مذكراته « فرسان العروبة في العراق » :

[ سألني الوصي عبد الاله ان كان رئيس الاركان يعبر في طلبه عن

---

(١٠) فرسان العروبة في العراق ص١٢٦ .

(١١) مذكرات صلاح الدين ص ١٢٨ .

رأي الجيش ام من رأيه الشخصي ؟ فأجبته : لقد قرر الجيش أن لا يتدخل، وتوصل الى هذا القرار باتفاق الاكثرية فاسألوا القادة الموجودين في بغداد إن شئتم .. ليتصل سموكم اذا شاء بأمين زكي قائد الفرقة الثانية في كركوك ، وبقاسم مقصود قائد المنطقة في الموصل . وبابراهيم الراوي قائد الفرقة الرابعة في الديوانية .. واتصل الوصي بكركوك على مسمع مني ، وكان جواب أمين زكي انه يمتثل لأوامر سموه ، وان مسعى حسين فوزي وأمين العمري صادر عنهما شخصيا . أما هو فلا يرى خيراً من طه الهاشمي لوزارة الدفاع . ثم حضر اسماعيل نامق وفهمي سعيد وكان معهما محمود سلمان فتأكد الوصي منهما ثم عدنا بعد ذلك الى دار نوري طبعا . فما ان وصلنا حتى كان الوصي قد استدعى نوري لمقابلته ، وعاد نوري بعد نصف ساعة فأعلن أنه سحب استقالته .. واخذ نوري يلح على طه بضرورة احالة حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد ونحن حاضرون ] .

**تدابير عسكرية**

في الوقت الذي كانت المناقشات والمنازعات تجري بصورة سلبية ، ظهرت الى العيان تدابير عسكرية « فقد تحقق خبر جمع الضباط في معسكر الوشاش ــ بالكرخ ــ وسوق كتيبة الخيالة ومستودع الخيالة ومدرستها عن طريق جسر الاعظمية الى الوشاش ، وطلب رئيس أركان الجيش من مدير العينة اعطاء عتاد المدفعية الى بطريات معسكر الوشاش ، فذهب كامل شبيب وفهمي سعيد ومحمود سلمان الى معسكر الرشيد ــ بالرصافة ــ وبقي صلاح الدين متصلا بقطعات القلعة »[١٢] ويقول الفريق طه الهاشمي في ص ٣٣٠ من الجزء الاول من مذكراته انه بصفة كونه وزيرا للدفاع : « خولت صلاح الدين صلاحية المخابرة مع القطعات في بغداد ، ومنع مدير العينة عن اعطاء العتاد ، فبلّغ ذلك

(١٢) مذكرات طه الهاشمي ١/ ٣٣٠ .

آمر فوج الحرس بالقلعة ، وفي الوقت نفسه قبضنا على المخابرات التلفونية والبرقية • ثم اخذت المعلـومات ترد عن استعداد معسكر الوشاش للقيام بالحركة . بوضع المدافع على الطريق ، وارسال دوريات نحـو دار نوري وترصّده لجسر السكة الحديدية ، ومرور الكتيبة من جسر الاعظمية ، وتجاه هذا الموقف لم أر بدأ من احالة حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد للحيلولة دون قيامهما بحركة عسكرية • وقد اضيف الى ذلك اسم عزيز ياملكي في القائمة » وصدر البلاغ الرسمي الآتي :ـ

**بلاغ رسمي**

لما كان كل من الفريق حسين فوزي رئيس أركان الجيش ، وأمير اللواء آمين العمري قائد الفرقـة الاولى ، والعقيد عزيز ياملكي ، قد تصدّوا الى امور لا تتفق والواجبات المفروضة على امراء الجيش وضباطه ، فقد صدرت الارادة الملكية باحالة الموما اليهم على التقاعد ابتداء من شهر شباط سنة ١٩٤٠ •

مدير الدعاية العام[١٣]

ويقول الفريق حسين فوزي في العدد العاشر من جريدة المواطن الصادرة في بغداد بتاريخ ٨ آذار سنة ١٩٥٢ انه كان يظن أن قضية استقالة نوري السعيد جديه ولم يدرك انها لعبة سياسية ، ولهذا ماكاد يبلغ بصدور الارادة الملكية باحالته على التقاعد حتى اذعن للأمر فودع ضباطه في المعسكر وعاد الى بيته راضيا مطمئنا • أما اللواء أمين العمري فقد تهيج وهدّد بالقيام بعمل انتقامي ، وأمر باتخاذ بعض الاجراءات الدفاعية في معسكر الوشاش ، فهاتفه الوزير طه الهاشمي من معسكر الرشيد ، ونصحه بوجوب الاذعان لقـرار احالته على التقاعد لأن التمرد على هذا القرار لا يليق بالقادة ، ولا سيما بعد

---

(١٣) تاريخ الوزارات العراقية ص١١٩ من الجزء الخامس ، الطبعة السابعة •

آن نشر واذيع وبلّغ الى القادة في كركوك والموصل والديوانية ، واكد له أنه سوف لا يدخل في الــوزارة الجديدة . لا هو ولا نــوري السعيد ، فطلب ( العمري ) أن يحال صلاح الدين على التقاعد فلم يلتفت اليه ، حتى اذا هدأت أعصابه ، آجاب طه انه بلّغ القطعات بالعودة الى معسكراتها ، وانه سيعود الى داره . ولما وصلها ، وكان الفجر قد انبلج ، اخبر الهاشمي بوصوله اليها .

وقد اختير اللواء آمين زكي ، قائد الفرقة الثانية بكركوك وكيلاً لرئاسة أركان الجيش وان لم يكن من الاركان ، كما تقضي الاصول العسكرية ، وجاء في ص٢٢٥ من كتاب هاري سندرسن ما يلي :ـ

« جاءني [ هوستن بوزويل ] في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة من هذا الصباح لكي ينبئني بأن طارق العسكري [ نجل المرحوم جعفر العسكري ] قد اقبل لمواجهته وهو في حالة تهيج كبير . لقد سمع طارق العسكري اشاعات عن وقوع اصطدام مسلح بين بعض كتل الجيش ، وبأن قنابل قد القيت على معسكر الرشيد . كان خائفا جدا لان نوري السعيد كان في طريقه هناك . ولقد سمعت زوجة نوري تلك الاشاعات هي الاخرى ، وبهذا تأكدت من صحتها لذلك هربت ، وهي في اضطرابها هذا ، الى بيت تحسين العسكري وعائلته » .

**خلفيات الحركة**

شعر نوري السعيد أن ليس من مصلحته أن يتحمل مسؤولية الحكم بصورة منفردة ، كما جرى ذلك له حتى ذلك الحين ، ورای أن الضرورة تقضي بقيام وزارة قومية قوية يرأسها غيره ويكون هو وزير خارجيته فوافق على أن يؤلف رشيد عالي الكيلاني الوزارة المطلوبة ، وان يدخل هو فيها وزيرا للخارجية ، وطه الهاشمي وزيرا للدفاع . فوجود نوري على رأس السياسة الخارجية ،ووجود طه الهاشمي قريبا منه وزيرا للدفاع ، من شأنهما ضمان

السيطرة على السياسة الخارجية وعلى الجيش معاً . فلما قتل رستم حيدر وزير المالية في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٠ واختلفت الآراء في الجهة القضائية التي يجب آن تبتّ في جريمة القتل ، تهيّب رشيد عالي الموقف فتراجع عن تنفيذ ما تم الاتفاق عليه من تأليف وزارة قومية تحت رئاسته حتى يأخذ العدل مجراه في الجريمة المذكورة . وعلى هذا كلف الوصي السيد محمد الصدر رئيس مجلس الاعيان بأن يتولى تأليف الوزارة المأمولة ، لأنه يمثل الحياد ، على آن يزامل كلاً من السادة : عمر نظمي . وعلي ممتاز الدفتري . وشاكر الشيخلي ورؤوف البحراني . وصادق البصام . وعلى الرغم من الحاح الوصي وتعهد السيدين : نوري السعيد ورشيد عالي بمعاضدته معاضدة فعلية ، فان الصدر اعتذر عن الاضطلاع بمثل هذه المسؤولية في مثل هذا الظرف المشين فلم يبق أمام الوصي الا أن يوعز الى نوري السعيد بتأليف الوزارة للمرة الخامسة فألفها في ٢٢ شباط ١٩٤٠م . وكان أول عمل قام به أنه أحال قضية مقتل رستم حيدر الى المجلس العرفي . وبعد مرافعات علنية . اصدر المجلس قراره في ٢٠ آذار ١٩٤٠ وهو يتضمن براءة الوزيرين : ابراهيم كمال وصبيح نجيب ، والمتصرفين : حسن فهمي المدفعي وأحمد عارف قمطان ، وكذلك السيد صالح نجعمري من تهمة الاشتراك في جريمة القتل . وكان المجلس المشار اليه قد أمر من قبل . اطلاق سراح المحاميين : نجيب الراوي وشفيق نوري السعيدي ، وحكم بالاعدام شنقا على القاتل حسين فوزي توفيق . ويقول طه الهاشمي في ص٣٤١ من الجزء الاول من مذكراته :

| وقبل تنفيذ الحكم ، ألح علي نوري ان يجري التنفيذ في الفجر بساعة مبكرة . وأن يحضر سعيد يحيى تنفيذ الحكم من دون أن يسمع أحد ما يقوله المجرم . والأغرب من ذلك تأجيل اخباره بتنفيذ الحكم فيه الى قبيل الشنق ... وأخبرني سعيد يحيى الذي حضر تنفيذ الحكم في قاتل رستم حيدر بأنه لم يبلغ حكم الاعدام الى المجرم الا قبل الشنق ، فهتف بحياة هتلر وقال : ايسقط نوري الذي علمه بالانحراف ... وعلى كل حال ، ان اجتماع

نوري بالقاتل أضر بسير التحقيق . ولولاه لكان من الجائز أن يصل التحقيق الى نتيجة ويظهر المحرّض ] .

**خاتمة القصة**

قلنا أن نوري السعيد رأى ان ليس من مصلحته أن يتحمل مسؤلية الحكم بصورة منفردة وان الضرورة تقضي بقيام وزارة يرأسها غيره ، ويكون هو وزير خارجيتها . وطه الهاشمي وزيرا للدفاع فيها . وان النية اتجهت الى أن يتولى الوزارة المرتقبة السيد رشيد عالي الكيلاني ، رئيس الديــوان الملكي ، فلما رفض الكيلاني أن يتولى زمام الحكم ، اتجهت النية الى أن يقوم السيد محمد الصدر رئيس مجلس الأعيان للقيام بهذه المهمة بصفة كونه ممثلاً للحياد غير أن الصدر كان أبعد من أن يتورط بما كلف به .

وهكذا أقدم نوري السعيد على حل الأزمة بتأليفه الوزارة للمــرة الخامسة . ولكن عمر وزارته هذه كان قصيرا ، وان الجهود استؤنفت لاقناع الكيلاني بتولي زمام الحكم على أن يكون نوري السعيد وزير خارجيته وطه الهاشمي وزير دفاعها .

كانت المراكز العليا التي يهواها السيد الكيلاني ثلاثة وهي : رئاسة مجلس الوزراء ، ورئاسة الديوان الملكي ، ووزارة الداخلية ، فلما تقرر ان يشغل رئاسة الوزارة اشترط ان يوقع رؤساء الوزراء السابقون الوثيقة الاتي نصها :

نظراً لرغبتنا الاكيدة في جمع الكلمة وتصافي القلوب وازالة الضغائن في هذه الظروف العالمية الخطيرة ، وما تتطلبه مصلحة البلاد من التفرغ لمعالجة الامور وتمشيتها بصورة اعتيادية ودستورية فقد اتفقت آراؤنا على ما يلي :ــ

١ ــ تؤلف وزارة مؤتلفة قومية يختار رئيسها صاحب السمو الوصي حسب التقاليد الدستورية والاستشارات المعتادة .

٢ ــ رؤساء الوزارات السابقون ورجال الدولة الموقعون ، يتعاونون

مع الوزارة المؤتلفة في داخلها او خارجها ، ومن يتعذر عليه الاشتراك فيها بسبب معقول لدى سموه ، فانه يؤيدها لتحقيق الغايات المذكورة أعلاه ويتجنب مناوءتها .

٣ ـ توقع هذه الاتفاقية وترفع الى صاحب السمو المعظم . بغداد ١٤ مارت ١٩٤٠ .

علي جودت . توفيق السويدي . ناجي شوكت . جميل المدفعي . ناجي السويدي . رشيد عالي . نوري السعيد .

وقد قال لنا الحاج محمد أمين الحسيني ، مفتي فلسطين ، ان نوري السعيد أوعز اليه أن يعمل على توحيد كلمة الساسة العراقيين ويجمع شملهم في ميثاق مكتوب ، فاعدّ هذه الوثيقة وبذل جهدا كبيرا لحمل الموقعين عليها على الانضمام اليها ، وأنه لما فاتح الوصي بأمرها سرّ سرورا عظيما . واما رئيس الوزراء السيد رشيد عالي فقد كتب الينا بخط يده « ان الوثيقة اعطيت بناء على طلب رشيد عالي الكيلاني الذي كان مرشحا لرئاسة الوزراء ، وذلك كوسيلة لصد احتمال الاعيبهم وكيدهم بعد تأليفها » في حين جاء على لسان جميل المدفعي في ص ٥٠٤ من محاضر مجلس الاعيان لسنة ١٩٤٢م : « وكانت الوثيقة تأييدا لسمو الوصي وقد اعطيت بناء على طلب سمو الوصي نفسه » .

وهكذا تألفت الوزارة الكيلانية ( الثالثة ) في ٣١ آذار سنة ١٩٤٠ على صورة مشروعة من الذوات :

| | |
|---|---|
| ١ ـ رشيد عالي الكيلاني | رئيسا لمجلس الوزراء ووزيرا للداخلية بالوكالة |
| ٢ ـ ناجي السويدي | وزيرا للمالية |
| ٣ ـ ناجي شوكت | وزيرا للعدلية |
| ٤ ـ نوري السعيد | وزيرا للخارجية |
| ٥ ـ طه الهاشمي | وزيرا للدفاع |

٦ ــ محمد آمين زكي وزيرا للاقتصاد
٧ ــ عمر نظمي وزيرا للاشغال والمواصلات
٨ ــ صادق البصام وزيرا للمعارف
٩ ــ رؤوف البحراني وزيرا للشؤون الاجتماعية

وقد اشترك في هذه الوزارة اربعة من رؤساء الوزراء السابقين هم : رشيد عالي ، وناجي شوكت ، وناجي السويدي ، ونوري السعيد ، وكانت أول وزارة تؤلف بعد انقلاب بكر صدقي في عام ١٩٣٦ بصورة دستورية صحيحة . حتى ان السفير البريطاني في بغداد أبرق الى لندن يقول :

« أن هذه الوزارة كانت أول وزارة تولت الحكم بصورة دستورية بعد وفاة فيصل الاول » ومما يؤسف له ان السيد الكيلاني ما كاد يسير بالبلاد نحو نهج قومي صريح ، ويعتنب سياسة الحياد تجاه الكتلتين المتحاربتين : الكتلة الديمقراطية وكتلة دول المحور ، حتى تألبت عليه المعارضة التي كانت تؤيد بريطانيا وحلفائها . وتضخمت هذه المعارضة حتى ادت الى هرب الوصي الى الديوانية . واعتقاده بامكان استمالة الفرقة الرابعة للقيام بحركة عسكرية ضد الوزارة الكيلانية القائمة . ولكن رئيس الوزراء السيد رشيد عالي تدارك الموقف فأبرق بكتاب استقالة وزارته الى الوصي ، وقامت وزارة جديدة برئاسه الفريق طه الهاشمي ، وزير الدفاع في الوزارة المستقيلة ، في الحادي والثلاثين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٤١ ولكن الكيلاني سرعان ما عاد الى الحكم اثر انقلاب عسكري قام الجيش به ، وحمل مجلس الامة على عزل الوصي الأمير عبد الاله ، والمناداة بالشريف شرف وصيا على العرش . وكان عبد الاله قد هرب الى البصرة واحتمى بالباخرة البريطانية ( كوك شبير ) الراسية في فم الخليج العربي ثم سافر الى فلسطين فعمان للاحتماء بعمه الأمير عبدالله أمير شرق الاردن المعظم .

وعهد الوصي الجديد الى السيد الكيلاني بتأليف الوزارة الجديدة فألفها في الثاني عشر من شهر نيسان سنة ١٩٤١ وكان الانكليز له بالمرصاد فلم يعترفوا بوصاية الشريف شرف ، ولا بالوزارة الكيلانية الرابعة • وما هي الا ايام معدودات حتى فتحت الحامية البريطانية النار على القطعات العراقية المتجمعة فوق التلول المحيطة بالحامية في سن الذبان وكانت الحرب سجالا بين الجيشين البريطاني والعراقي استمرت من اليوم الثاني من شهر ايار سنة ١٩٤١ حتى اليوم التاسع والعشرين من هذا الشهر حيث عاد الأمير عبد الاله الى العراق على أسنة الحراب الانكليزية ، واستطاع بواسطة قوات الاحتلال البريطانية أن يبطش بخصومه ، وبالذين قاموا بعزله ، فمنهم من شنق ، ومنهم من سجن ، ومنهم من اعتقل طوال سني الحرب العالمية الثانية ، حتى قام الجيش العراقي الباسل بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الخالدة فقضى على نظام الحكم الملكي الذي دام من يوم ٢٣ آب سنة ١٩٢١ حتى الثالث عشر من شهر تموز سنة ١٩٥٨ « وتلك الايام نداولها بين الناس » •

# الحرب العراقية - البريطانية في مايس ١٩٤١

**توطئـــــة**

كثيرة هي الكتب العربية التي تناولت بالبحث ، الحركة التحررية الجبارة التي قامت في العراق في ايار من عام ١٩٤١ ، والتي اصطلح عليها صوابا أو خطأً بحركة رشيد عالي الكيلاني ، واكثر من ذلك المقالات والبحوث التي انشأها كتابها في أويقات مختلفة وبلغــات عديدة لمعالجة هذا الموضـــوع الحساس ، والنفوذ الى أسراره ووقائعه • وعلى الرغم من ذلك كله فان المجال ما يزال واسعا في نظرنا للولوج في هذا الموضوع ، ولا سيما اذا تذكرنا أن جيشا صغيرا مثل الجيش العراقي الناشيء ، استطاع يومئذٍ أن يقف في وجه جيش غربـــي لجب كانت الشمس لا تكاد تغيب عن ممتلكاتــه ، وله من الامكانيات ما لا يمكن مقارنتها بجيش العراق الحديث • وعلى أساس من هذا الاعتقاد ، أقدمنا على إعداد هذا البحث •

**المقدمة**

كان العراق أحد اجزاء الامبراطورية العثمانية منذ عام ٩٤١هـــ١٥٣٤م • ولما أضرم القدر نار الحرب العالمية الاولى في منتصف عام ١٣٣٣هـــ١٩١٤م •

كانت هذه الامبراطورية في حيرةٍ من أمرها . أتركن الى الانكليز وحلفائهم وتنصاع الى تهديداتهم فتقف الى جانبهم في هذه الحرب ؟ أم تنظم الى الالمان والسائرين في ركابهم اذا وقفت على الحياد ؟ ، فيؤمن الالمان حاجاتهم من المواد الغذائية الاولية ، وليتمكنوا من انجاز الخط الحديدي المقرر مده من برلين حتى الكويت على الخليج العربي . وهو المشروع الذي تقرر جعل نهايته بغداد حسماً للنزاع الذي قام حوله ؟ وكان من وحي الامبراطورية يومئذ الوقوف على الحياد حتى النهاية ، لأن الدخول في هذه الحرب الضروس سيؤدي الى حل المسألة الشرقية حلاً نهائياً[1] وستكون الامبراطورية العثمانية احدى ضحاياها .
أما القادة المهيمنون على تقاليد الامور ، والقابضون على دفة الحكم بأيدٍ من حديد . فكانوا يعتقدون ان الألمان سيكسبون الحرب حتما ، وان تحالف الامبراطورية معهم سيمكنها من « أن تحيى حياة حرة خليقة بشعب آبي »[2]

**المدخل**

في منتصف أيلول ١٩١٤ حذرت وزارة الخارجية البريطانية حكومة الهند من خطورة موقف العثمانيين حيال الانكليز ، ونصحتها باتخاذ التدابير الوقائية . وفي أوائل تشرين الاول من هذا العام ، صدرت الاومر السرية الى لواء المشاة السادس عشر ، من الفرقة السادسة المعروفة باسم فرقة پونا ، بالاقلاع من بومبي الى الخليج العربي ، وقد اطلق على هذه الحملة بحرف ( D )

(١) يراد بالمسألة الشرقية بمعناها العام ، النزاع الذي دار بين الشرق والغرب في جميع العهود في سبيل الاستيلاء على بعض الاصقاع ، ويراد بها بمعناها الخاص ، النــزاع بين الدولة العثمانية والدول الاوربية نفسها في سبيل اقتسام الدولة العثمانية وخيراتها . وقد مضى اكثر من قرنين والاوربيون يختلقون الاسباب لتمزيق الدولة العثمانية لا لانها مسلمة وهم مسيحيون . بل لاختلافهم معها في الخلق واللغة ولرغبتهم في التوسع والاستعمار .
(٢) مذكرات الوالي أحمد جمال باشا ص٤٩٩ من الترجمة العربية .

لأنها آنيطت بالجنرال ديلامين GENERAL S. DELAMAN وفضلاً عن هذا تقرر ارسال ما تبقى من الفرقة الهندية المذكورة لتقوية حملة DALLMAN في حالة اعلان الحرب على العثمانيين » •

وكانت الحكومة العثمانية قد تعاقدت مع احدى الشركات البريطانية على بناء باخرتين حربيتين لتعزيز قواتها البحرية ، فلما اندلع لهيب الحرب ، أوعزت الحكومة الانكليزية الى الشركة المذكورة بعدم تسليم الباخرتين المذكورتين الى العثمانيين • وكان في البحر المتوسط انذاك طرادان ألمانيان هما « غوبن » و « برسلاو »(٣) وكان الاسطول البريطاني يطارد هذين الطرادين، فاحتميا بمضيق الدردنيل ، فاعلنت الحكومة العثمانية انها ابتاعت الطرادين المذكورين ، ورفعت العلم العثماني عليهما • وفي ٢٧ تشرين الاول ١٩١٤ قصف هذا الطرادان بعض الموانيء الروسية على البحر الاسود ، وشاع في الاوساط السياسية أن هذا القصف كان يوحي من الألمان ، فطلب سفراء الحلفاء في اسطنبول جوازات سفرهم في الثلاثين من الشهر المذكور ، وغادروا عاصمة الخلافة • وفي الثاني من تشرين الثاني أعلنت روسية الحرب على العثمانيين ، وتلتها فرنسة وانكلترا فاعلنتاها في الخامس من هذا الشهر •

وكانت حملة DALLMAN الهندية على مقربة من شط العرب فولجته في الثالث من الشهر المذكور ، واحتلت الفاو في السادس منه ، ثم وصلت بقية الفرقة وتمكنت من احتلال مدينة البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ، واخذت تتقدم نحو بغداد بعد قتال بسيط تارة ، وشديد تارة اخرى • ولم ينته عام ١٩١٨ حتى كانت الحرب قد حطت أوزارها وأخلت مدافعها نارها ، وخسرت الامبراطورية معظم أملاكها ، ومن هذه الاملاك القطر العراقي العربي بولاياته الثلاث : البصرة ، وبغداد ، والموصل •

---

اجتمع الحلفاء المنتصرون في الحرب لاقتسام الغنائم وتوزيع الاسلاب ، فكانت أمامهم نظريتان متباينتان . نظرية حق الفتح القديمة ، ونظرية حق تقرير المصير . التي زعم هؤلاء الحلفاء بأنهم « لا يستهدفون من حربهم هذه ضم اراضٍ جديدة أو الحاق مدن اخرى بأراضيهم . وانهم انما يحاربون لتحرير الشعوب التي ترزح تحت الطغيان الالماني والتركي ، وليست لهم أية نية في أي توسع اقليمي » . وزاد دخول امريكا الحرب الى جانب الحلفاء هذا المبدأ «وكيدا » .

وبعد مباحثات ومساجلات . ابتدع الجنرال البويري سمطس G. SMATS فكرة انشاء عصبة امية تعمل على تجنب الحروب . وتراعي الحقوق العامة ، وتتولى الانتداب على البلدان التي انسلخت من الامبراطورية العثمانية لكي تكون « وديعة مقدسة من ودائع المدنية الى الامم الراقية التي تستطيع بفضل ثروتها أو اختبارها أو موقعها الجغرافي أن تتحمل هذه المسؤولية . على أن تستمد الارشاد والمساعدة من دولة اخرى حتى يأتي الزمن الذي تصبح فيه قادرة على الوقوف بمفردها »[٤]أي انه جعل الانتداب اسما مستعارا للاستعمار وستارا له .

وفي ٢٤ نيسان ١٩٢٠ اجتمع مجلس الحلفاء الاعلى « في سان ريمو بفرنسه » وعهد الى انكلترا بالانتداب على فلسطين والعراق ، والى فرنسة بالانتداب على سورية ولبنان ، بعد أن جزأوا البلدان العربية الى دويلات لا يقرها وضعها الجغرافي ، ولا تتفق مع مطامح الامة العربية في الوحدة الشاملة . وقد ظهر ان هذه التجزءة تستند الى معاهدة سايكس ـ بيكو

---

(٤) الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من عهد عصبة الامم .

السرية التي عقدوها في ١٥ /١٧ ايار من عام ١٩١٦[٥] •

ولم يرض العراقيون عن الانتداب البريطاني الذي فرض على بلادهم ، ولا بأية هيمنة أجنبية • وقد قاوموا هذا الانتداب بثورة عارمة بدأت مـن الرميثة في الثلاثين من حزيران ١٩٢٠ . وسرت الى سائر الانحاء سريان النار في الهشيم • وقد تكبدوا وكبدوا البريطانيين خسائر جسيمة في الامـوال وفي الأنفس . حتى اضطرت الحكومة البريطانية الى ستر انتدابها بمعاهدات متسلسلة ، بعد أن أقاموا حكما محليا تزعمه الملك فيصل الاول ، الذي استطاع بفضل حنكته ودهائه السياسي ومساعيه المستمرة ، ان ينقذ البلاد من نظام الانتداب البغيض ، ويسير بها نحو الاستقلال ، بحيث أصبح العراق عضوا في عصبة الامم منذ ٣ تشرين الاول ١٩٣٢م • له ما لبقية الدول المنخرطة في هذه المؤسسة الدولية من حقوق ، وعليه ما عليها من واجبات •

وفي منتصف عام١٩٣٩ فجع العالم بنشوب حرب كونية جديدة كانت أفضع ما بليت به البشرية جمعاء • وكانت البلاد العربية بصـورة عامة ، والمملكة العراقية منها بصورة خاصـة قد قاست من ظلم الحلفـاء وكذب وعودهم

---

(٥) وضع هذه الاتفاقية كل من سير سايكس باسم الحكومة البريطانية والمسيو جورج بيكو باسم الحكومة الفرنسية ، ونصت على ان تكون :
أ ـ المنطقة الحمراء لانكلترا . وتشمل ولايتي البصرة وبغداد من العراق ، وثغري حيفا وعكا من سورية الجنوبية •
ب ـ المنطقة الزرقاء لفرنسا ، وتشمل كليكيا وجزءا من الاناضول ، وقطعة من سورية الغربية •
جـ ـ منطقة A تكون جزءا من دولة عربية تحت حماية فرنسية ، وتشمل ولايات دمشق وحلب والموصل •
د ـ منطقة B تكون جزءا من دولة عربية تحت حماية بريطانية ، وتشمل الاراضي الواقعة بين فلسطين والعراق المسماة شرق الاردن •
هـ ـ المنطقة السمراء ، وتكون تحت ادارة دولية ، وتشمل القسم الجنوبي من سورية « أي فلسطين » •

ومواثيقهم مما دفعها الى اليقظة والحذر فلا تنخدع بالوعود المعسولة وأساليب الاستعمار المقنعة اذ « لا يلدغ المرء من جحرٍ مرتين ».

**موقف العراق من الحرب**

لما اعلنت الحرب العالمية الثانية في الثالث من ايلول ١٩٣٩ ، كان نوري السعيد على رأس الوزارة العراقية القائمة ، فأبرق الأمير عبد الاله ، الوصي على عرش العراق ، برقية الى ملك بريطانية في الثامن من هذا الشهر ، أعرب فيها عن « عزم العراق الراسخ على بذل كل ما في الوسع للسير بعين الروح مع بريطانيا العظمى حتى ينتصر الحق والعدل » . وقد سرّ الملك البريطاني بهذا العرض العراقي السمح ، « مقدراً التشجيع للقيــام بواجب مقاومة القوة المعتدية » . فلما انهارت بولندا وهولندا وبلجيكا والنرويج ، وأصبح انهيار فرنسة وشيكا ، وبعد أن صفّى الاتحاد السوفياتي الجيوب الموالية للحلفاء في شمالي غربي اوربا . اصبح المشتغلون في القضايا السياسية في العراق وفي البلاد العربية ثلاثة فرقاء هي :

١ ــ فريق يجري في سياسته مع بريطانيا دون قيد أو شرط ، فان تعارضت مصلحة العراق ومصلحة البلاد العربية مع المصلحة البريطانية ، ضغط على الاولى ليساير المصلحة الثانية .

٢ ــ وفريق يجري في سياسته مع بريطانية بشيء من التحفظ ، اعتقادا منه بأن مصلحة العراق تقضي بذلك .

٣ ــ اما الفريق الثالث فكان لا ينظــر الا الى المصلحة العراقية ، والا الى المصلحة العربية ، فان تعارضت هاتان المصلحتان مع المصلحة البريطانية ضغط على هذه ليساير المصلحتين العراقية والعربية .

وكان نوري السعيد قد أقنع الفريق الاول بأن الميثاق الروسي ــ الالماني الذي عقد في منتصف عام ١٩٣٩ سينهار حتما ، ويهاجم هتلر اراضي الاتحاد السوفياتي ، ان عاجلا وان آجلا ، وهو ما تم فعلا بعد عامين .

« .. كان من الخطأ أن نرمي بالخيانة كل من تعاون مع الانكليز أو مع الألمان او مع غيرهم من رجال الحركة الوطنية في الخمسين سنة الاولى من هذا القرن . فان بعضهم قد اعتقد . ولعله كان مخلصا في اعتقاده ، بأن لا أمل للعرب بان ينالوا حقوقهم الا في التعاون مع دولة من دول اوربا الكبرى تفسّر عقلية ذلك الزمن مثل هذا الاعتقاد عقلية الضعف أمام الاجنبي وعدم الثقة بالنفس ، والاستخفاف بالشعب والخوف من الاجنبي ، والاعتقاد به سيدا للعالم وقادرا على فعل ما يشاء . وقد رسخت أساطيل اوربا وجيوشها هذا الاعتقاد . مثلما رسخته الاشواط البعيدة جدا من التقدم الحضاري والعمراني الذي حققته تلك الدول في اكثر من حقل ، تخلف عنه الشرقيون[٦] .

## نصوص قانونية

كانت العلاقات بين بريطانيا والعراق قد استقرت على أحكام معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ العراقية ـ البريطانية ، وكان الاعتراف بحفظ وحماية المواصلات الجوية البريطانية في العراق قد تطلبت ـ استنادا الى هذه العلاقات ـ وجود قواعد عسكرية بريطانية في الحبانية والشعيبة ، مع هيأة عسكرية بحجة تدريب الجيش العراقي ، ومشاورة مستمرة في شؤون العراق السياسية الخارجية ، وكيفية التعاون بين الفريقين المتعاقدين في حالة حدوث حرب او ظهور خطر حرب ، وغير ذلك من الامور التي كان العراق يعدّها ثلما لاستقلاله وطعنا في سيادته وانتقاصا لحريته . وكانت مدة المعاهدة ٢٥ عاما اعتبارا من دخول العراق عضوا في عصبة الامم ، وهو التأريخ الذي يوافق ٣ تشرين الاول ١٩٣٢ . ويهمنا أن نأتي على نص هذه المادة لأن تفسيرها عند العراقيين كان يغاير تفسيرها عند البريطانيين ، وان هذا الاختلاف هو الذي ادى الى تصادم الجيشين في الثاني من ايار سنة ١٩٤١م .

---

(٦) الدكتور أنيس صائغ في كتابه « الملوك الهاشميون والثورة العربية الكبرى » ص٢٩٤

تقول المادة الرابعة موضوعة البحث :

« اذا اشتبك أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في حرب ، رغم أحكام المادة الثالثة أعلاه ،[٧] يبادر حينئذٍ الفريق السامي المتعاقد الآخر فورا الى معونته بصفة كونه حليفا ، وذلك دائما وفق احكام المادة التاسعة أدناه • وفي حالة خطر حرب محدق ، يبادر الفريقان الساميان المتعاقدان فورا الى توحيد المساعي في اتخاذ تدابير الدفاع المقتضية • ان معونة صاحب الجلالة ملك العراق في حالة حربٍ او خطر حربٍ محدق ، تنحصر في أن يقدم الى صاحب الجلالة البريطانية في الاراضي العراقية ، جميع ما في وسعه أن يقدمه من التسهيلات والمساعدات ، ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والانهر والموانىء والمطارات ووسائل المواصلات » •

لقد أوضحت هذه المادة بصراحة أن معونة كل من الفريقين المتعاقدين للفريق الآخر ، مشروطة بمراعاة احكام المادة الثالثة المتعلقة بتوحيد المساعي بين المتعاقدين لتسوية النزاع بالوسائل السلمية ، فاذا تعذر التوصل الى حل النزاع سلميا ، تنفذ أحكام المادة الرابعة فيوحد الفريقان المساعي لاتخاذ تدابير الدفاع المشتركة • وتقتصر معونة العراق ، طبقا لما نصت عليه المادة نفسها ، على أن يقدم ما في وسعه أن يقدمه من التسهيلات والمساعدات ، ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والانهر والمطارات ووسائل المواصلات • وعليه لا يكون أي من الفريقين المتعاقدين ملزما بتوحيد المساعي للاعتداء على دولة ثالثة ، ولا التعاون ، اذا لم يكن الفريق المتنازع مع دولة ثالثة قد وحد المساعي مع الفريق الآخر لتسويه ذلك النزاع • كما ان معونة العراق المذكورة في المادة لا يلزم

---

(٧) اذا ادى اي نزاع بين العراق وبين دولة ثالثة الى حالة يترتب عليها خطر قطع العلاقات بتلك الدولة ، يوحد حينئذ الفريقان الساميان المتعاقدان مساعيهما لتسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية وفقا لاحكام ميثاق عصبة الامم ووفقا لاي تعهدات دولية اخرى يمكن تطبيقها على تلك الحالة •

ــ المادة الثالثة من المعاهدة ــ

بها الا في حالة توفر ما نصت عليه المادة الثالثة من سبق توحيد المساعي السلمية وخيبتها ، ثم توحيد المساعي لاتخاذ تدابير الدفاع المشتركة تجاه هجوم أو خطر هجوم خارجي »[8] .

هذه هي وجهة النظر العراقية القانونية في تفسير المادة الرابعة من معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ العراقية ــ البريطانية . أما وجهة النظر البريطانية في تفسير هذه المادة فيقول عنها السيد ناجي شوكت وزير الدفاع في الوزارة الكيلانية الرابعة « انه سأل ذات يوم الجنرال ووتـر هاوس رئيس البعثة العسكرية البريطانية في العراق عما تريده حكومته البريطانية من العراق ؟ فرد عليه : ان الانكليز يريدون من العراقيين معونات ومساعدات لا حدود لها وذلك بسبب قيام الحرب . ولما قال له ناجي شوكت ان ذلك لم يذكر في المعاهدة ، ردّ عليه الجنرال بان المعاهدة كتبت قبل الحرب ، ونحن في حرب طاحنة تتطلب كل مساعدة ضرورية »[9] .

كان العراق قد قطع علاقاته الدبلوماسية مع المانية عندما أعلنت بريطانية الحرب عليها في ٣ ايلول ١٩٣٩ مراعاة للعلاقات الطيبة التي كانت تربطها بها ، فلما اشتركت ايطالية في هذه الحرب الى جانب الالمان ، أعربت الحكومـة البريطانية عن رغبتها في أن يقطع العراق علاقاته الدبلوماسية مع الطليان ، كما سبق أن قطعها مع الالمان ، فلم تر « الوزارة الكيلانية الثالثة » التي اعقبت « الوزارة السعيدية » ضرورة لتحقيق هذه الرغبة ، فعدت بريطانية هـذا الامتناع دليلا على عدم رغبة وزارة السيد الكيلاني في التعاون معها ، وبدأت الخلافات تسوء وتتطور حيناً بعد حين ومن ذلك :

**طلبات تعجيزية**

١ ــ كانت الوزارة السعيدية الرابعة قد وضعت عددا من المراسيم والانظمة

---

(٨) تاريخ العراق السياسي الحديث . الجزء الثاني ص٢٠٠

(٩) الاسرار الخفية في حركة ١٩٤١ التحررية .

التي أستدعتها ظروف الحرب ، وكانت احكام بعض هذه التشريعات تجعل الصحف والمجلات حتى النشريات الدورية خاضعة للرقابة الحكومية . وكان الوضع الحربي في ابان الحرب يسير في مصلحة المحور، فكان من الطبيعي أن تنشر الصحف العراقية أنباء القتال كما هي ، وتنقل عن شتى المحطات ما طاب لها من الاخبار على الرغم من الهيمنة الحكومية ، فكان هذا النقل وذاك النشر يغيظان السفير البريطاني ويؤلمان حكومته .

٢ ــ ارتأت السفارة البريطانية في العراق أن تشغّل « سينما جوالة » تري القبائل والريفيين صورا خلاعية لدولتي المحور « المانية وايطالية » فلم تر وزارة الداخلية العراقية مسوغا للقيام بهذا العمل الشائن .

٣ ــ طلبت السفارة المشار اليها أن يسمح لها بالصاق صور على علب الكبريت واللفافات تحط من قدر الالمان والطليان ، وتشوّه اعمالهم في نظر العراقيين فرفضت وزارة الداخلية اجابة هذا الطلب[١٠] .

٤ ــ أعدت السفارة البريطانية اعدادا كبيرة من الرسائل والنشرات الشائنة للدولتين المذكورتين ، وفيها طعن في رجال العراق الوطنيين ، وكانت هذه المطبوعات تطبع في القدس ، وتحمل عناوين « اخوان الفضيلة » وطلبت الى وزارة الداخلية السماح بتوزيعها في العراق ، فردت الوزارة على هذا الطلب : « ان من شان هذه المطبوعات ان يجرّ البلاد الى معاداة بعض الدول . وهو أمر ينافي مصالح العـراق ولا يلتئم مع سياسة الحياد » .

ه ــ تنص الفقرة الثانية من البند الخامس من الملحق العسكري لمعاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ العراقية ــ البريطانية على ان تقدم الحكومة البريطانية ، على

---

(١٠) لما تغلبت القوة على الحق ، واحتل الجيش البريطاني العراق بعد فشل حركة ايار ١٩٤١ سمحت الوزارات العراقية المتعاقبة بنشر الرسائل وتشغيل السينما ولصق الصور .

نفقة الحكومة العراقية ، الاسلحة والعتاد والتجهيزات والسفن والطائرات من احدث طراز متيسر الى قوات صاحب الجلالة العراقية • وكان الجيش العراقي في حاجة ماسة الى مؤن وآعتدة حربية منوعة ، فكانت السلطات المسؤولة في العراق كلما طالبت الحليفة ببيع الجيش المذكور بعض المعدات الحربية الضرورية ، اعتذرت هذه عن اجابة هــذه الطلبات المتكررة بدعوى أن الجيش العراقي ليس مهددا من قبل أية دولة من جهة ، وبعدم وجود ما يفيض عن حاجة الجيش البريطاني من جهــة اخرى • ولكن لونكريك يورد في كتابه ( IRAQ, 1900 — 1950 ) سببا غير هذا بقوله : ان العراق اصبح شريكا غير مأمون الجانب ،بينما بقي النقص في التسليح مستمرا حتى بعد اعلان العــراق الحرب على دول المحور بعد تطور الاوضاع الداخلية فيه •

٦ ــ تنص الفقرة الاخيرة من البند السادس من الملحق العسكري ــ موضوع البحث ــ أن على العراق « ان يتعهد آيضا بأن التجهيزات الاساسية لقوات جلالته وأسلحتها ، لا تختلف في نوعها عن قوات صاحب الجلالة البريطانية وتجهيزاتها » وحيث ان الجيش العراقي كان في أمس الحاجة الى السلاح ، « فلم تر هيأة أركان الجيش بدأ من الحزم ففتحت الباب لسوق الاسلحة العالمي ، وطلبت شراء الاسلحة من دول اخرى مثل المانيا وايطالية والمجر وجيكوسلافاكيا وامريكة ، مستندة في ذلك على ملاحق المعاهدة ، وبذلك تمكن الجيش من سدّ قسم من حاجاته باقل من ثلاثة أشهر ، وكان ينتظر سدّ الباقي منها بعد أربعة أشهر ، فثارت ثائرة الانكليز وأبرقوا وأرعدوا ثم أحالوا الأمر الى نوري بن سعيد ، فلوّح بقرضٍ تمنحه بريطانية للعراق ويسدّد باقساط سنوية على غرار قرض بريطانية لتركية ، ومقداره ثلاثة ملايين ونصف مليون دينار تنفق على شراء الاسلحة والمهمات المطلوبة التي زعموا انها رزمت لكي تشحن

فورا • ونجح نوري في اقناعي أنا ورئيس اركان الجيش وطه الهاشمي فأبطل شــراء الاسلحة وأوقف التعامل مع الدول الاخرى ، وسحبت الصكوك والاموال المودعة في البنوك ، وطيرت برقية الى معامل السلاح الالمانية بصرف النظر عن شراء المدافع ضد الجو ، والدبابات التي كانت مرزومة وعلى اهبة الشحن فعلاً • ولكن سرعان ما عاد الانكليز سيرتهم الاولى فنكثوا بعهودهم ، وعاد الجيش الى التوسل والتضــرع وبذل الجهود • وأخيرا وصلت الشحنة الاولى فلم نجد فيها ما طلبناه من مدافع ودبابات ، وما ينقصنا من اسلحة ومهمات ، بل وجدنا اكياسا للرمل وأحذية للجنود مصنوعة في الهند ، وقد قيدت أثمانها على انها من جملة المهمات العسكرية ، فبلغت أثمانها ثمانمائة الف دينار عراقي »(١١) •

٧ ــ حدث في تلك الآونة « تشرين الثاني ١٩٤٠ » أن اجتمع وزير العراق المفوض في أنقرة ، بالسفير الروسي الجديد في تلك العاصمة ، فدار الحديث بينهما عن العالم العربي ، قال الثاني للأول : « ان حكومة موسكو تعطف على أماني العرب الاستقلالية عطفا صادقا ، وتؤيد جهادهم التحرية ، وتود تأسيس علاقات سياسية بينها وبين العــراق فاذا كنتم تبادلونها هذه الرغبة فانها تعين سفيرها لكم حالاً » فأبرق الوزيــر المفوض الى بغداد بهذا الحديث ، فردت حكومة بغداد على ذلك بالموافقة •
ولما كانت الفقرة الاخيرة من المادة الاولى من المعاهــدة العراقية ــ البريطانية المؤرخة في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ تنص على أن تجري بين الفريقين « مشاورة تامة وصريحة في جميع شؤون السياسة الخارجية مما قد يكون له مساس بمصالحها المشتركة » ، فقد أبلغت وزارة الخارجية في بغداد سفير الحكومة الحليفة فيها مضمون الحديث السوفياتي ــ العراقي في أنقرة ، وطلبت منه معرفة وجهة نظر حكومته في الموضوع فوعد السفير

---

(١١) العقيد صلاح الدين الصباغ ، في كتابه « فرسان العروبة في العراق » ص٤٣

باطلاع حكومته على ما تقدم ولكن الحكومة البريطانية سكتت على مضض ولم تجب •

٨ ــ وقد جاء ضغثاً على ابالة اتفاق الوزارة الكيلانية مع حكومة طوكيو على بيع محصول القطن العراقي من شركات يابانية صفقة رابحة ، فحرم الانكليز شراء ذلك المحصول بالسعر الواطىء ، الذي تعودوا دفعه ، وكانوا في حاجة ماسة اليه • وحطم الكيلاني بعمله هذا الحصار الاقتصادي الذي قرر الانكليز ضربه على العراق لاذلاله •

**تأزم الوضع**

لم تستطع السفارة البريطانية أن تتحمل الرفض المستمر لطلباتها من قبل الوزارة القائمة فقصد السفير السر بازل نوتن BAZIL NUTON البلاط الملكي في السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٤٠ وطلب احضار وزير الخارجية السيد نوري السعيد ، وبلغه بمسمع من الوصي الأمير عبد الآله : ان الحكومة البريطانية لا تثق بالوزارة القائمة ، ولا بكل وزارة يرأسها السيد الكيلاني ، وان على العراق أن يختار احد حلين ، اما الاحتفاظ بصداقة بريطانية العظمى ، واما الاحتفاظ بالكيلاني رئيسا لحكومته • ولما أبرقت وزارة الخارجية العراقية الى سفيرها في لندن ليلفت نظر الخارجية البريطانية الى هذا الصلف المشين في المقابلات الرسمية ، وفي مثل هذه الظروف العالمية الدقيقة ، ردت الوزارة على هذا الاحتجاج بانها على علم بالذي جرى ويجري في بغداد ، بعد الذي لمسوه من فقدان التضامن والتآزر بين سفيرها في بغداد وبين الحكومة العراقية • ولم تكتف الخارجية البريطانية بردها المذكور ، فأسرت الى وزارات الخارجية في كل من واشنطن ، وأنقرة ، والقاهرة ، بوجوب لفت نظر الحكومة العراقية الى العواقب الوخيمة التي قد تنتج من موقف العراق مواقف لا تنسجم مع التآزر العراقي ــ البريطاني الذي يتطلبه الوضع الدولي • ومع ان العراق

نفي وجود اي خلاف جوهري بينه وبين الحكومة البريطانية ، ممثلة في سفيرها ببغداد ، فان السفير المذكور أسرّ وزير الخارجية نوري السعيد فتقدم هذا بكتاب مطول شرح فيه الموقف الدولي ، وذكر لمعاً عن الخلافات والوساطات التي اشرنا اليها فويق هذا ، وهدد بالاستقالة من منصبه ، وما لبث ان تقدم بكتاب الاستقالة فعلا في ١٩ كانون الثاني ١٩٤١ واذا بالوصي يضغط على بقية الوزراء لحملهم على تقديم استقالاتهم من مناصبهم هادفا بذلك الى الاخلال بالنصاب القانوني لهيئة مجلس الوزراء ، الامر الذي سيؤدي الى الاستقالة العامة . ولكن رئيس الوزراء كان يداوي الوضع بسابقةٍ دستورية حدثت ايام وزارة حكمت سليمان ( ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦—١٧ آب ١٩٣٧ ) فكان يستصدر ارادة ملكية بقبول استقالة كل وزير على حدة ، ثم استصدار ارادة اخرى بملء الشاغر في الهيئة الوزارية ، وهكذا دواليك . ولما ضاق الوصي ذرعا بالوسائل التي ركن الكيلاني للتغلب على العقبات التي كانت توضع أمامه ، أسرّ الى لفيفٍ من النواب ان يتولوا احراج الوزارة عن طريق مجلس النواب .

وفي جلسة مجلس النواب المنعقدة في الثلاثين من كانون الثاني ١٩٤١ ، أنبرى لفيف من النواب للتحدث عن الازمة التي كانت البلاد تتخبط بها ، باسلوبٍ تستشف منه روائح الوقيعة ، فما كان من السيد الكيلاني الا أن استحصل قرارا من مجلس الوزراء بحل مجلس النواب القائم ، والشروع في انتخاب مجلس جديد ، ثم نظم الارادة الملكية بهذا الحل وحملها بنفسه الى الوصي للتوقيع . ولكن الوصي حاول ان يثني الكيلاني عن الاقدام على مثل هذا العمل . فلما فشل في اقناعه استمهله حتى المساء ليفكر في الامر ملياً . وما لبث أن استقل سيارته وتوجه الى الديوانية ، وحل في دار قائد الفرقة الرابعة آمير اللواء ابراهيم حمدي الراوي للعلاقة المتينة التي تربط هذا القائد بالعائلة الهاشمية . ويقول الدكتور سندرسن طبيب العائلة المالكة في كتابه

انه هو الذي أشار على الوصي بالسفر الى Ten thowsend and one nights خارج بغداد حتى ينكشف الوضع .

واستدعى الوصي لفيفا من الاعيان والنواب والساسة والوزراء الى الديوانية لدراسة الوضع ، ودهش للموقف الغريب غير المنتظر الذي وقفه القائد الراوي حين قال له : « ان من مبدأ كل جندي أن لا يتدخل الجيش في السياسة ... وأنا أحد الجنود الذين حافظوا على هذا المبدأ فواجبي يقضي علي بالاتصال بمرجعي الرسمي وهو رئيس اركان الجيش في بغداد »[١٢] .

وفي بغداد اجتمع مجلس الوزراء في مساء الخميس الموافق ٣٠ كانون الثاني ١٩٤١ ، ودرس الحالة التي نشأت عن التجاء الوصي الى الديوانية ، واحتمال حدوث انشقاق في صفوف الجيش يعرض البلاد الى خطرٍ جسيم . واستقر الرأي على ان تقدم الوزارة استقالتها ، وتنقذ البلاد من هذا الخطر ، فنظمت هذه البرقية .

صاحب السمو الوصي المعظم ـ الديوانية في ٣١ كانون الثاني ١٩٤١

سيدي : لقد حاولت أن أسير بالبلاد نحو مثلها العليا منتهجا سياسة تتفق ومصلحتها العامة ، ولم أشك في ان سموكم كان يرغب في ازالة العقبات التي تعترض طريق المخلصين . غير ان الايدي والمصالح الاجنبية التي لا يروقها أن تسود الثقة المتبادلة بينكم وبين حكومة اعتزمت المضيّ في خدمة البلاد بصدق واخلاص وفق خطتها المرسومة ، حملت سموكم على عدم الارتياح منها . وقد ظهر ذلك في ترك سموكم البلاط الملكي ، وانعكافكم في قصركم العامر . الامر الذي اثر على حرية سير الوزارة في أعمالها . ثم استمر عدم ارتياح سموكم في ابتعادكم عن عاصمة المملكة ، وايقاف الارادات المعروضة على سموكم ، سيما الارادة المتعلقة بحل مجلس النواب ، اذ أن الوزارة التي

---

(١٢) اللواء ابراهيم الراوي في كتابه « من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث » ص٢٠٣

أخذت على عاتقها تحمل مسؤولية البلاد وادارة شؤونها في هذه الظروف العصيبة ، رأت ضرورة أستفتاء الرأي العام عن خطتها السياسية لتأمين تعاون أوثـق بين السلطتين ، التشريعية والتنفيذية ، مما تقتضيه الظـروف العالمية الحاضرة • وعليه فاني أعتذر عن الاستمرار في تحمل المسؤولية راجيا من سموكم قبول استقالتي من رئاسة الوزارة ، والله اسأل انيمدّ سموكـم بتوفيقاته •

رئيس الوزراء : رشيد عالي

لقد ارتاح الوصي ارتياحا عظيما لتسلمه برقية استقالة الوزارة ، لانها أنقذت البلاد من شر عظيم ، وفسحت المجال للاتيان بوزارة جديدة قد تستطيع أن تعيد الثقة بين الجانبين العراقي والبريطاني ، وتسير بسفينة الدولة الى برّ السلامة وسط تلك الامـواج المتلاطمة ، فقبل الاستقالة فورا ، وبعث الى الرئيس المستقيل ببرقية شكره فيها على « انهاء هذه الازمـة التي لم تكن مرغوبة من الجميع » وعهد الى الفريق الركن طه الهاشمي ، وزير الدفاع في الوزارة المستقيلة ، بتأليف الوزارة الجديدة فألفها في الرابع من شباط ١٩٤١

**بدء الزوبعة**

لم تنتهِ الازمة التي حدثت بين السفارة البريطانية والوزارة الكيلانية باستقالة الوزارة الكيلانية ، لأن الكيلاني نفسه لم يكن غير منفذٍ للسياسة التي انفقت عليها قوى الامة اثر اعلان الحرب العامة ، ويرى المتتبعون للسياسة العامة أن أيام وزارة الفريق الهاشمي كانت فترة سادها الهدوء والسكون في الظاهر ، ولكن عوامل الانتقاض كانت تتهيأ في الخفاء ، وعناصر العاصفة كانت تتجمع وتتكاثف في الفضاء ، وكانت الاحداث المنذرة بالخطر تمر سراعاً ولكن بعد أن تترك أثرها في الاوساط العامة • فان قادة الجيش شعروا بما كان القدر يبيته لهم ولبلادهم ، وادركوا ان الانكليز يحاولون احتلال العراق من

جديد ، واقامة حكومة محلية تنفذ طلباتهم ، وتحقق رغباتهم ، دون أن يسفكوا دماء أبناء بلدنهم في سبيل ذلك • أجل أدرك قادة الجيش ذلك كله فصاروا يرقبون الحوادث عن كثبٍ ويتخذون للحوادث اهبتها •

آما طه الهاشمي فقد بذل أقصى جهدٍ ممكن للجمع بين الوصي والقادة المتنفذين ليسير الجميع في الاتجاه الصحيح ، ولكن الانكليز كانوا يفسدون ــ بواسطة أعوانهم وأذنابهم ــ كل محاولة من هذا القبيل • كما ان الهاشمي حاول الالتجاء الى قطع علاقات العراق الدبلوماسية بالطليان اذا أمّن العراق مكاسب ومنافع كثيرة فلم يوفّق •

وفي مساء اليوم الثامن من شباط ١٩٤١ اجتمع في دار الحاج محمد آمين الحسيني ، مفتي فلسطين ، القريبة من البلاط الملكي ، سبعة من كبار الساسة والقادة استتروا خلف أسماءٍ مستعارة فكان « مصطفى » الاسم المستعار للمفتي الحسيني ، و « عبد العزيز » لرشيد عالي الكيلاني ، و « أحمد » لناجي شوكت ، و « رضوان » للعقيد صلاح الدين الصباغ ، و « نجم » للعقيد فهمي سعيد ، و « فارس » للعقيد محمود سلمان ، و « فرهود » للسياسي الثائر يونس السبعاوي ، وأقسموا على ان يعملوا ما في وسعهم لانقاذ العراق والبلاد القريبة من براثن الاستعمار ، ثم اتخذوا هذه المقررات :

**القرارات الخطيرة**

لما كان الانكليز قد أقدموا ، بتشجيع أذنابهم ، على فرض مطاليب مجحفة تتوخى زج العراق في الحرب ، وارغام باقي الاقطار العربية على السكوت وعدم المطالبة بحقوقها ، فان عزم طه على قطع العلاقات السياسية مع ايطالية بصورة فجائية ، وبدون استشارة المجلس النيابي أو الجيش ، لن يرضي الانكليز ولن يقعدهم عن تحقيق غاياتهم كاملة • لذلك فان الانكليز سيعملون على اقصاء قادة الجيش المخلصين ليسيطروا عليه ، ومن ثم ينقاد العراق لهم

كما يتساءون • على ان قطع العلاقات السياسية مع ايطالية لم يعد في حد ذاته خطوة كبيرة نحو ما يريده الانكليز من اخضاع العراق والامة العربية ، ومن شق الجيش العراقي على نفسه ، والحط من قوة طه الهاشمي وسمعته ، ويصبح طه بعد قطع العلاقات مع أمرين : ان يرضخ للانكليز ويلبي مطاليبهم كامله أو ان يرغمه الوصي على الاستقالة كما ارغم الكيلاني من قبل • ولما كانت المسالمة من طبع طه ، فانه من المستبعد ان يقاوم الوصي مهما عبث بحقوق الامة والدستور — اذا كان للعراق دستور — وهكذا لا يبقى أمام طه الا اختيار الطريق الثاني ، وتفضيل الاستقالة ، بعد ان يكون قد وقع في الخطأ ، كما كان شأنه مع بكر صدقي ، ويتنحى عن الحكم لوزارة مؤلفة على نحو ما يريده الانكليز ، فتقوم تلك الوزارة قبل كل شيء بتصفية قادة الجيش بحسب ما تقتضي مصالح الانكليز ، فتحيل البعض على التقاعد ، وتلقى البعض الاخر في غيابة السجن أو تبعدهم • يتم ذلك كله فجأة وفي ليلةٍ ليلاء ، والجيش والشعب بعطان في نومٍ عميق • ولما كان انتظار ذلك اليـوم المحتوم يعني الخضوع للأمر الواقع والاستسلام للانكليز ، ويؤدي الى قيام ثورات داخلية ، ويقضي على وحدة الجيش فيتحقق للانكليز وأذنابهم ما يتمنون، لذلك يجب اتخاذ التدابير التالية :

١ — المحافظة على الوضع الراهن ، والتمسك بالمعاهدة العراقية — الانكليزية التي قررت ما لنا وما علينا حتى يتوفر الوقت لدراسة الموقف العالمي ، وانتظار تطور الأحداث في المستقبل القريب ، لذلك كان لابد من الروية والتبصر في الامور •

٢ — التوسل بجميع الحجج المقنعة لحمل طه الهاشمي على العدول عن رأيه والانتظار ثلاثة اشهر اخرى ينجلي بعدها الموقف العالمي وتبين الحالة السوفية •

٣ — اذا كان لابد من قطع العلاقات السياسية مع ايطالية ، والموافقة على مطاليب الانكليز فورا ، فليوافق على ذلك مجلس نيابي حر ، يمثـل

رأي الامة الصحيح ، لا الاستناد الى رغبة الوصي وقرار مجلس الوزراء فحسب •

٤ ـ لما كانت الاكثرية في مجلس النواب الحالي لا تمثل الامة ، ولما كان أغلب اعضائه من المرتزقة الذين عينهم نوري وجميل وجودة تعييناً ، فمن الواجب حل المجلس ، وفسح المجال لانتخاب مجلس نيابي جديد يمثل الامة تمثيلا صادقا ثم تعرض عليه طلبات الانكليز •

٥ ـ لما كان نوري وجميل وجودة هم دائما وأبدا سبب الخلاف واراقة الدماء فمن الواجب تعيين نوري سفيرا للعراق في أمريكا وجميل في مصر . وجودة في سفارةٍ غيرها ، انقاذا للبلاد من عبثهم ابان الحرب الحاضرة ، وتحقيقا لسلامة الانتخابات النيابية •

٦ ـ لما كان الوصي غير مسؤول أمام القانون ، وهو مع ذلك يواصل القيام بنشاط مخالف للدستور ، ويأتي بتصرفات دكتاتورية ـ على غــــرار تصرفاته التي أودت بوزارة الكيلاني ـ ولما كانت التجربة قد أثبتت ضعف المجالس النيابية في العراق ، وعدم تمرسها في استعمال صلاحيتها في إيقاف الوصي « أو الجالس على العرش » عند حده ، وفي كبح جماح ميوله الاستبدادية أو الشخصية ، فمن الواجب أن تدوّن في الدستور مادة تنص على طريقة معالجة هذا الأمر ، والسلطة التي تكلف بتنفيذها •

٧ ـ التوسل بكل الوسائل لاستمالة الوصي ليرضي على قادة الجيش •

٨ ـ يكلّف الهاشمي بالاستقالة اذا فشل في تحقيق ما ورد أعلاه او امتنع عنه ، وذلك صوناً لسمعته واستباقا للاحداث الخطيرة التي ينتظر وقوعها بعد أن تتم التمهيدات اليها • ويعوّل على أخلاق طه الحميدة في الموافقة على هذا الرجاء فور التقدم به •

٩ ـ بعد استقالة طه ، يقصد الوصي وفد من كرام رجالات العراق والعرب ، ومن قادة الجيش ، فيعرضون عليه توسلاتهم ليوافق على اسناد رئاسة

الوزارة الى رشيد عالي الكيلاني ، وليوافق على حل المجلس النيابي وانتخاب مجلس جديد فورا ليقول كلمته في طلبات الانكليز التي تخرج على المعاهدة العراقية ـ الانكليزية ، والاقتراع على الثقة بوزارة الكيلاني فيقرر بقاءها أو استقالتها وفق أحكام الدستور •

١٠ـ يقطع الجيش على نفسه عهدا صارما أن لا يتدخل في شؤون الحكومة القائمة ، اذا توثق من سلامة الانتخابات النيابية ، وتأكد لديه ان السلطة التشريعية تمارس كل ما لديها من صلاحيات ، وانها ليست آلة بيد الوزارة أو الوصي أو الجالس على العرش ، وان ما من وزارة تتولى الحكم بتأثير الاجنبي أو بدسائسه [١٣] •

**موقف الهاشمي**

ما كاد الفريق الركن طه الهاشمي يحاط علما بمقررات اللجنة السباعية السرية حتى انتفض غيضاً وقال « لابد من الموافقة على ما يريده الانكليز • وأما رضى الوصي على قادة الجيش فمستحيل » ولم يكن هذا القول من طه اعتباطا ، بل أن الرجل بعد أن لمس اصرار الانكليز على وجوب قطع علاقات العراق السياسية بايطالية كما سبق ان قطعها مع المانيا من قبل • فكر في أمر قطع العلاقات مع ايطالية مقابل ربح يربحه العراق •• فلو حصل الجيش العراقي على ما يحتاج اليه من السلاح والعتاد والتجهيزات ، وحصل على قرض بدون فائدة ••• لأقدم على قطع العلاقات بالرغم مما يحدثه من سوء تأثير في الرأي العام »[١٤] • واما بصدد رضى الوصي عن القادة ، فقد سبق للمفتي الحسيني أن قال لصاحب البحث : ان وزير الخارجية في وزارة الهاشمي السيد توفيق السويدي زاره في بيته ـ بعيد تأليف

---

(١٣) العقيد صلاح الدين الصباغ « فرسان العروبة في العراق » ص٢١٨

(١٤) مذكرات طه الهاشمي ٤١١ـ٤١٣ من الجزء الاول •

الوزارة ــ ورجاه بالحاح أن يقنع قادة الجيش بضرورة زيارة الوصي وعرض ولائهم له ، وان سماحته وفق توفيقا كبيرا في هذا الشأن ، ولكن السفير البريطاني أحبط هذه المحاولة في آخر لحظة » ، الأمر الذي جعل الهاشمي يعتقد بأن الوصي لم يكن حراً في تصرفاته •

وعلى هذا الاساس قرّ قرار العقداء المتضامنين الأربعة وهم : صلاح الدين الصباغ ، ومحمد فهمي سعيد ، ومحمود سلمان ، وكامل شبيب ، أن يضعوا أيديهم في أيدي السادة : رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي وناجي شوكت وعلي محمود الشيخ علي ومحمد يونس السبعاوي ، وكذا المفتي الحسيني وغيرهم من رجالات العرب الذين كانوا في بغداد يومئذٍ وأن يجابهوا الوضع المتردي بحزم ونشاط •

في ٢٦ آذار ١٩٤١ أصدرت وزارة الدفاع أمرا بنقل العقيد كامل شبيب من بغداد الى قيادة الفرقة الرابعة في الديوانية ، وان يكون مقر العقيد صلاح الدين الصباغ في جلولاء بلواء ديالى بدلا من بغداد فساورت العقداء فكرة خطرة هي ان هذا النقل بمثابة مقدمة لنقل بقية العقداء والتخلص منهم ، وانه جاء تنفيذا لرغبة الوصي المبنية على طلب الانكليز ، فأنذروا قطعاتهم ، واتخذوا التدابير اللازمة لمجابهة الطوارىء منذ غسق ليلة الحادي والثلاثين من شهر آذار ١٩٤١ فاذا بالأمير عبد الاله ينتقل من قصر الرحاب بجانب الكرخ الى دار عمته الاميرة صالحة القائمة على ضفة دجلة اليسرى في الرصافة « بجوار فندق بغداد » ثم « هيأ نفسه للتنكر بمساعدة عمته ، وذلك باستعارة عباءة نسائية وفستان وحذاء نسائي من العائلة ، وركب عربة تجرها الخيول الى المفوضية الامريكية • ومن هناك ركب سيارة الوزير المفوض التي كانت تحمل علم المفوضية الامريكية • وكان الوصي مختبئا تحت سجادة السيارة بين أرجل نابن شو الوزير الامريكي المفوض وزوجته ، وكانت سيارة للقوة الجوية البريطانية تحمل مرافق الوصي عبيد بن عبد الله متنكرا ببزة عسكرية بريطانية ، في مقدمة سيارة الوزير المفوض الامريكي ، فعبر عبد الاله ومرافقه

الجسر بهذه الطريقة ووصلا بالسلامة الى الحبانية ، ومنها ركب الوصي طائرة بريطانية حربية فوصل البصرة ، ثم التجأ الى باخرة بريطانية حربية » كانت راسية في شط العرب تدعى « كوك شبير » حيث نصبت له الحكومة البريطانية محطة اذاعة خاصة كان يبث منها أحاديثه وبياناته . فلما فشلت جميع المحاولات التي بذلت لاستقدام الهاشمي ووزرائه الى البصرة ، لتأليف حكومة انقاذ فيها ، وفشلت الاستعدادات لشق الجيش على نفسه ، اضطر الوصي الامير عبد الاله ان يترك العراق الى عمه الامير عبد الله في عمان .

بعد ان اكتشف قادة الجيش لجوء الوصي الى الدارعة البريطانية الراسية في شط العرب ، وتشغيل الانكليز له اذاعة خاصة نصبت في هذه الدارعة ، وبعد فشل كل المحاولات التي بذلت لرتق هذا الفتق الكبير ، قرر هؤلاء القادة اقامة حكومة عسكرية برئاسة السيد رشيد عالي الكيلاني سموها « حكومة الدفاع الوطني » بغية تمشية امور الدولة الحسابية والادارية حتى يتقرر البديل . وقد دعت هذه الحكومة مجلس الامة الى عقد اجتماع طارىء للنظر في أمر غياب الوصي عن العاصمة وارتمائه في أحضان الانكليز في البصرة ، ومحاولته تحدي شعور البلاد ، فاجتمع المجلس المذكور في يوم الخميس العاشر من نيسان ١٩٤١ ، وبناء على ترشيح رئيس حكومة الدفاع الوطني ، نودي بالشريف شرف ــ ابن عم الملك فيصل الاول ــ وصيا على الملك فيصل الثاني ، عازلاً بذلك خاله الأمير عبد الاله عن منصب الوصاية ، وكان السيد الكيلاني قد افتتح هذه الجلسة بخطاب مطول استعرض فيه التطورات السياسية في البلاد ، وشرح الأزمة التي حدثت بين الحكومتين العراقية والبريطانية منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية في الثالث من ايلول سنة ١٩٣٩ ، والصعوبات التي ظهرت في التوفيق بين وجهات النظر المختلفة . ثم تلاه الفقيه الدستوري ناجي السويدي بخطاب قانوني رصين ، ذكر فيه المجتمعين بكيفية انتخاب الملك فيصل الاول ملكا على العراق في آب ١٩٢١ بواسطة المضابط الشعبية ، بدل أن يكون هناك مجلس تأسيسي يقوم بهذه المهمة .

وبعد الفراغ من هذه العملية الجريئة ، عهد الوصي الجديد الشريف شرف الى السيد رشيد عالي الكيلاني بتأليف الوزارة الجديدة ، فألفها في الثاني عشر من نيسان ١٩٤١ ، منهياً بذلك عهد « حكومة الدفاع الوطني » .

**تدابير الحكومة البريطانية**

كانت الحكومة البريطانية قد استنتجت من سير هذه الاحداث « أن سفيرها في العراق يجب أن يكون من الملمين بعادات البلاد ولغتها ، وممن لهم صلة بشخصيات الحكم فيها ، وعلى هذا أعلن في ١٣ شباط سنة ١٩٤١ ان السر كنهان كورنواليس قد تعين سفيرا لبريطانية في العراق »(١٥) خلفا للسر بازل نيوتن الذي حدثت هذه الأمور في أيامه . وكان كورنواليس هذا قد صحب الملك فيصل الاول في أول مجيئه الى العراق في حزيران ١٩٢١ ، ثم أصبح مستشارا لوزارة الداخلية العراقية حتى عام ١٩٣٥ ، حيث لم يجدد عقد استخدامه . فلما تسلم منصبه الجديد ، اتخذ موقفا حذرا تجاه الوزارة الكيلانية الجديدة فهو لم يعادها ولم يؤيدها ، وصار يمنّي الوزارة بقرب تقديم أوراق اعتماده . كما كان يوافي حكومته بتقارير مطولة حتى اذا أتم اطلاع الخارجية البريطانية على كل شيء أبرق السر ونستن تشرتشل رئيس الوزارة البريطانيه البرقية التالية في الثامن من نيسان ١٩٤١ :

من رئيس الوزراء الى وزير الهند(١٦)

كنتم قبل مدة ذكرتم انه قد يمكن أن يكون في استطاعتكم الاستغناء عن فرقة أخرى من جيش الحدود للشرق الاوسط . لقد ساءت الحالة في العراق ، وعلينا أن نتأكد من سلامة البصرة لأن الامريكيين يزدادون اهتماما بأمر انشاء قاعدة جوية كبرى هناك فيجري التسليم فيا دون واسطة . يظهر ان

---

(١٥)

لهذه الخطة أهميتها العظمى نظرا لاتجاه الحرب اتجاها شرقيا ، وهو مما لا شك فيه . وسأبين لرؤساء الأركان انكم تدرسون هذه الاحتمالات كما ان الجنرال أوكلنك يفكر في امكان الاستعاضة عن قوة اضافية[١٧] .

وبعد يومين من تأريخ هذه البرقية ، وعلى وجه التحقيق في اليوم العاشر من نيسان ، زار القنصل البريطاني في البصرة مقر المتصرفية ، واعلن بأن فرقة من الجيش الهندي ، وبضمنها فوج واحد من الجيش البريطاني ، تحملها قافلة مؤلفة من ثلاث بواخر حربية ، ويحرسها طرادان مع ثلاث طائرات مائية ، ستدخل المياه العراقية خلال ٤٨ ساعة ، وهو يرجو السماح لها بالنزول الى بر البصرة . فلم يرَ مجلس الدفاع الاعلى مناصا من اعطاء هذه الموافقة ، على أساس أن القوة في طريقها الى فلسطين ، كما كان متفقا عليه من قبل .

وفي ٢٨ نيسان أيضا ، فاجأ مستشار السفارة البريطانية في بغداد وزارة الخارجية العراقية ، بأن قوة جديدة تحملها ثلاث بواخر آخرى ستصل في التاسع والعشرين من هذا الشهر ، وطلب الموافقة على نزولها . فبهتت الوزارة لهذا الطلب . أو هذه المفاجأة . ولا سيما وان القوة الاولى كانت ما تزال في العراق . ولم يبد عليها آثار سفر قريب . لهذا قرر مجلس الدفاع الاعلى في جلسة مستعجلة عدم السماح بنزول القوة الجديدة ، ما لم تكن القوة الاولى قد غادرت أرض العراق ، فيسوء هذا القرار وقعاً لدى الانكليز .

**تدابير الحكومة البريطانية**

كان الجنرال ويفل ( WAVILL ) قائد القوة البريطانية في الشرق الاوسط متبرما بسير الامور في منطقته ، وكان ينبه الجهات المختصة الى وجوب معالجة الأمور بالحكمة والحنكة . فلما طولب بالتهيؤ للتدخل . أبرق الى حكومة لندن يقول :

---

(١٧) وهو يومئذ المستر ايمري . وقد كان للهند ـ قبل استقلالها ـ وزير خاص في كل وزارة تؤلف في العاصمة البريطانية .

لقد نبهتكم مرارا عديدة الى آنه لا يمكن مساعدة العراق من فلسطين في الظروف الحاضرة ، وألححت عليكم بوجوب تحاشي الارتباك في العراق • ان قواتي موزعة الى اقصى حد في كل مكان ، ولا أستطيع بالمرة المجازفة بقسم منها فيما لا يمكن أن يعود علينا بفائدة[١٨] •

لكن رئيس الوزارة البريطانية كان مصمما على تفجير الدملة فرد على برقية الجنرال ويفل قائلاً :

الجنرال ويفل

لم يكن في الامكان تجنب التدخل في العراق • كان علينا ان تؤسس قاعدة في البصرة ، وأن نراقب هذا الميناء بقصد المحافظة على نفط ايران عند اللزوم •

ويقول تقرير رسمي ما نصه :

« لا يسوغ لمن عنده ذرة من الفطنة أن يدعي ان بريطانية قبلت المسؤولية في العراق حباً لمصلحة الغير حسب ، اذ سبق أن أعلن ان لبريطانية في الشرق الاوسط مصلحة دائمة وهي رئيسة ؛ بل ان لها هدفا أساسيا ضحت في سبيله أرواحا كثيرة خلال حرب ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ويقوم هذا المبدأ على أساس عدم فسح المجال لأية دولة معادية بتهديد المواصلات الامبراطورية • هذا الى ان لبريطانية منافع اقتصادية واسعة جدا أهمها حقول النفط في كركوك • وقد اعترف العراق بهذه المصالح بصورة عامة »[١٩] •

كانت وزارة الدفاع قد استعدت للطوارىء ، فأرسلت بعض قطعاتها الى الفلوجة والرمادي في محاولة لحمل الحكومة البريطانية على الاعتراف بالوضع الجديد الذي قام في العراق ، وكانت الحكومة البريطانية منهمكة في اعداد وسائل الاعتداء على العراق ، فاتخذت من وجود حامية عراقية كانت تشغل

التلول المحيطه بسن الذبان ، سببا مباشرا لفتح النار على هذه الحامية ، وكان لابد من الرد بالنار ، على النار ، وهكذا بدأ الاصطدام المسلح في الساعة الخامسة زوالية من فجر يوم الجمعة الموافق ٢ مايس ١٩٤١ واجتمع مجلس الوزراء في دار وزير المالية السيد ناجي السويدي في الحال . وبعد أن درس الوضع الذي نشأ عن فتح النار . وقرأ ما توفر لديه من وثائق وبلاغات ، اتخذ هذه القرارات :

أ ــ طلب ممثل سياسي ألماني الى بغداد بأسرع ما يمكن .

ب ــ تأسيس علاقات سياسية مع روسية السوفياتية .

ج ــ نشر بيان من قبل رئيس الوزراء يتضمن ايضاح الاعتداء البريطاني على القطعات العراقية في الحبانية .

د ــ الرد على مذكرة وجهتها السفارة البريطانية الى وزير الخارجية العراقي على الشكل الآتي :

بالاشارة الى مذكرة السفارة المؤرخة في ٢ مايس ١٩٤١ تبدي الوزارة ما يلي :

١ ــ ان الحكومة البريطانية هي التي بدأت بخرق المعاهدة ، وقامت بأعمال معادية ، واستعدادات أضطرت العراق الى اتخاذ استعدادات للاحتياط لسلامته .

٢ ــ من واجب الحكومة وشرفها المحافظة على الأجانب ، ولم يحدث أي شيء حتى الآن مما ورد في مذكرة السفارة . والحكومة العراقية ليس من واجبها محافظة السفارة البريطانية والامريكية فقط ، انما محافظة جميع السفارات والمفوضيات . من أجل ذلك تستغرب الوزارة ما لوحظ في مذكرة السفارة من انها خصت بذلك المفوضية الامريكية التي طالما كانت علاقات الحكومة العراقيه معها ودية . يلاحظ ان الحكومة البريطانية تطلب عدم اثارة الرأي العام ، ولكن الوزارة تستغرب كل الاستغراب أن يقوم شخص يدعي بأنه سفير بمخاطبة الشعب ، وبالطعن بزعماء

البلاد ورئيس حكومتها وقادة جيشها ، ولا شك في ان هذا عمل عدائي منير . ومن شأنه ان يحدث هياجا واضطرابا في الرأي العام •

٣ ــ ومما يستوجب الأسف الشديد انه في الوقت الذي أصدرت الحكومة العراقية تعليمات الى القوات المرابطة في جوار الحبانية بتجنب الاصطدام ، اذا بقائد المطار في الحبانية يبادر بالاعمال العدائية صباح هذا اليوم ، فيطلق النار على تلك القــوة ويقصفها من الجــو ، فكان عمله سببا للاصطدام بين القوتين ، وهو الاصطدام الذي بذلت الحكومة العراقية ولا تزال تبذل مسعاها لتحاشيه ، وأظهرت استعدادها الى الوصول الى التفاهم كما أشير الى ذلك في مذكرة الوزارة المؤرخة في ٣٠ نيسان ١٩٤١ •

٤ ــ تلفت الوزارة النظر الى أن الحكومة العراقية ليست في وضع تستطيع معه صيانة الاجانب المعادين ، في حالة ما اذا جرى قصف جوي من جانب الطائرات البريطانية على بغداد أو أية مدينة من مدن العراق •

وفي النهاية تعتبر الحكومة العراقية العمل الذي قام به قائد المطار في الحبانية عملاً عدائيا صريحا ، وهي من اجل ذلك تسجل اسفها الشديد لعدم ائتلافه مع المعاهدة العراقية البريطانية . وحسن الصلاة الموجودة بين الطرفين ، وكما انه تعدٍ صريح على حقــوق البلاد وسلامتها • وان الحكومة العراقية تسجل احتجاجها الشديد عليه ، وتضع مسؤولية كل ما يحدث من نتائجه على الجانب البريطاني • إ هـ

**وساطات دولية**

بعد أن اندلعت الحرب بين الجيشين : العراقي والبريطاني في فجر يوم الجمعة الثاني من أيار سنة ١٩٤١ ، واتضح للانكليز مدى أستعداد العراقيين للتضحية والبذل في سبيل الدفاع عن بلادهم ، على الرغم من عظم الجهود التي بذلوها في احداث البلبلة في صفوف العراقيين ، أسرّوا الى تركية أن تقوم

بدور الوساطة بين الطرفين لانهاء المشكلة التي قامت بين الجهتين ، وكان من مصلحة تركية القيام بذلك لابعاد الحرب عن بلادها .

ففي يوم الاحد الموافق ٤ أيار ١٩٤١ ، زار وزير تركية المفوض في بغداد ، وزير الخارجية العراقية ، وعرض وساطة حكومته لفض النزاع ، فقبلت الحكومة العراقية هذه الوساطة . وندبت وزير دفاعها ناجي شوكت للسفر الى انقرة ، ومفاوضة حكومتها في الشروط التي يمكن للطرفين المتخاصمين قبولها . وعلى الرغم من قيام الوزير بهذه المهمة قياما حسنا فان الوساطة فشلت لأسباب يطول شرحها[٢٠] .

وتقدمت الحكومة المصرية بوساطة أخرى ، لا نشك في انها كانت بوحي من الحكومة البريطانية أيضا فلم تنجح ، على الرغم من ان الملك فاروق بارك الحركة العراقية الجبارة وتمنى نجاحها .

وكانت الحكومة العراقية تحاول الاستفادة من المعاهدات الاخوية القائمة بينها وبين المملكة العربية السعودية فأوفدت وزير ماليتها ناجي السويدي الى المملكة المشار اليها للتباحث في الموضوع فلم يسفر ذلك عن شيء .

وكانت الحكومة البريطانية قد جردت حملة عسكرية قوية تحركت من فلسطين الى العراق ، مضافا الى القوات الانكليزية التي نزلت في البصرة ، وقررت الزحف على بغداد ، ومضافا الى الطائرات المعادية التي كانت تحلق فوق مدن عديدة ، وتلقي بحممها على الاهالي المسالمين وعلى دورهم لارهاب الوضع العسكري ، فكان لابد للتفوق البريطاني من تغليب القوة على الحق مما أدى الى نزوح المسؤولين العراقيين الى ايران .

---

(٢٠) على من اراد الاحاطة بهذه الاسباب ، الرجوع الى كتابنا « الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية » في طبعته السادسة .

ولما اخترق الجيشان ، البريطاني والروسي حياد ايران في العشرة الثالثة من حزيران ١٩٤١ ، قبضت السلطات الايرانية على لفيف من العراقيين النازحين اليها وسلموهم الى السلطة البريطانية العسكرية ، بينما التجأ لفيف آخر الى تركية فاوربا لمواصلة الجهاد . ولما جيء بالمقبوض عليهم الى العراق ، جرت محاكمتهم امام مجلس عرفي قضى باعدام البعض ، وحبس البعض الآخر مدداً مختلفة .

ففي الرابع من آيار سنة ١٩٤٢ أصدر المجلس المذكور حكمه بالاعدام على كلٍ من :

العقيد محمد فهمي سعيد ، العقيد محمود سلمان ، والوزير محمد يونس السبعاوي .

فنفذ هذا الحكم شنقاً في فجر الخامس من أيار في الذوات الثلاثة ، على الرغم من الرتبتين العسكريتين اللتين يحملهما المحكومان الأولان حيث تقضي الاصول أن يعدما رمياً بالرصاص .

كذلك حكم على الوزير علي محمود الشيخ علي بالحبس الشديد لمدة سبع سنوات . وعلى و . رئيس آركان الجيش الفريق آمين زكي بالحبس الشديد لمدة خمس سنوات ، وبرأت مدير الدعاية العام محمد صديق شنشل لكنه أبعد الى المعتقل .

وقد رثى الشاعر الكبير معروف الرصافي المعدومين بهذه الابيات المحجلة :

| | |
|---|---|
| أيها الأنجم التي قد رأينا | عِبراً في أفولها كالشموس |
| ان هذا الأفول كان شروقاً | في دياجير طالعٍ منحوسِ |
| وسيأتي الزمان منه بسعدٍ | تتجلّى من داجيات النحوس |
| شنقوكم ليلاً على غير مهلٍ | ثم دَسّوا جسومكم في الرموسِ |
| برئت ذمة المروءة منّا | إن نسي يوم شنقكم أو تنوسي |

وفي ١٦ آب ١٩٤٤ جيء بالوجبة الثانية فصدرت بحقهم هذه الأحكام :
العقيد كامل شبيب بالاعدام شنقا • وقد نفذ فيه الحكم فورا[٢١] •
وحكم على كلٍ من الوزيـرين محمد علي محمود وموسى الشابندر بالحبس الشديد لمدة خمس سنوات ، وعلى الوزير رؤوف البحراني بالحبس الشديد لمدة سنتين ، وعلى رئيس الديوان الملكي السيد عبد القادر الكيلاني بالحبس لمدة ثلاثة أشهر ، وعلى الوصي الشريف شرف بالحبس الشديد لمدة ثلاث سنوات •

أما رابع العقداء ، ونعني به صلاح الدين الصباغ ، فكان قد غادر الى طهران ، ثم هرب الى تركية لاجئا ، فبـذل الامير عبد الاله جهـودا مضنية لاسترداده واعدامه ، فلم تقر الحكومة التركية طلبه « لأن محكمة سيواس بتركية اعتبرت التهمة الموجهة اليه غير واردة ولا ثابتة » فلما زار الأمير تركية زيارة رسمية في أيلول من عام ١٩٤٥ ، طلب تدخل الرئيس عصمت اينونو لتحقيق طلبه ، وهكذا تم جلبه واعدامه في ١٦ تشرين الاول ١٩٤٥ •

شهادة للتاريخ

قاتل الجيش العراقي ، الجيش البريطاني ، ببسالة فائقة ، وقاتلت معـه قوات الشرطة والمتطوعون ، فالحالة المعنوية كانت عالية جدا ولا سيما في أوساط الشعب • غير ان المفاجأة التي تعرض الجيش اليها بهجوم القوات البريطانية ، ولا سيما الجوية منها ، وعدم توافر السلاح الكافي لهذا الجيش العراقي ، وعدم وصول امدادات كافية للسلاح من الخارج ، كل ذلك لعب دوره في النهاية المحزنة •

---

(٢١) كان العقيد شاكر الوادي وزير العراق المفوض في طهران قد اغرى قريبه العقيد كامل شبيب فكتب رسائل الى بغداد يتنصل فيها من مشاركته في الاعمال التي تمت ، ويطعن في القائمين بها على أمل الخلاص من النتائج التي لقيها زملاؤه ولهذا تأخرت محاكمته حتى عام ١٩٤٤ . ولم يكن في الامكان تخليصه من الاعدام •

آما الروح السائدة في جميع أوساط الشعب فقد بقيت عالية جدا . لقد توحدت الصفوف في الداخل ضد العدوان ، وبرئت النفوس من روح الشقاق والنفاق ، وبلغ الأمر حد امتناع المجرمـين عن ممارسة أعمالهم الاجرامية المألوفة ، فلم تقع حوادث مخلة بالأمن ، ولم يسمع الناس بأن احدا ما قد سرق أو نهب أو قتل ، بل لقد ذهب الناس الى أكثر من ذلك فنبذوا العداوة والخصام ، وتوجهوا بكليتهم يحاربون من أجل استقلالهم ، وانصرفت القوات النظامية الى مقاتلة العدو . وفي مثل هذا الجو كان من الميسور ان تنتظم حركات المقاومة الشعبية لو أن الحكومة كانت قائمة على أسس ثورية كما أسلفنا ، ولكنها قامت ووجهت بروح نظامية اعتيادية ، فيها شجاعة واقدام ، وفيها صدق واخلاص . فلما تبين الخطر على بغداد ، تغلب الرأي القائل بوجوب اخلائها وعدم تعريضها لحرب الشوارع .

وقبل ان نختتم هذا البحث التأريخي الصرف ، لابد من أن نقول ان الحرب العراقية البريطانية عام ١٩٤١ ، أو حركة مايس ١٩٤١ الجبارة ، قد بذرت روح الثورة في البلاد العربية الاخرى ، فأحسنت كل من سورية ولبنان الانتفاع من الظرف الملائم للظفر بالاستقلال ، كما انها كانت حافزا قويا للثورة في مصر عام ١٩٥٢ وانما امتازت ثورة مصر بالاعتبار بجميع أسباب فشل حركة مايس ١٩٤١ وعواملها ، كما امتازت بالطابع الثوري العميق في نفوس قادة الثورة المصرية ثم بعدها الثورة الجزائرية .

وشهد شاهد من أهلها ...

# حدث تارخي كبير

## الاطاحة بمعاهدة بورتسموث

**تمهيـــد**

لما انتصر الحلفاء في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤/١٩١٨ ـــ وجاء عهد توزيع غنائمها واسلاب الامم المغلوبة فيها ، آراد المنتصرون من البريطانيين والفرنسيين وحلفائهم ان يوفقوا بين تصريحات لقادتهم كانوا قد اعلنوها ابان تلك الحرب ليحملوا الامم الصغيرة على الانضمام الى صفوفهم ، وأدعوا انهم انما يقاتلون اعداءهم في سبيل تحرير الشعوب المضطهدة من الرقّ والعبودية ومنحها « حق تقرير مصيرها » واذا بهم يصطدمون بقاعدة « حق الفتح » التي درجوا عليها في حروبهم السابقة .ولأجل التوفيق بين نظرية « حق الفتح » و « حق تقرير المصير » ابتدع الجنرال البويري جان سمطس فكرة تأسيس عصبة اممية تتولى الانتداب على البلدان التي انسلخت عن الامبراطوريـة العثمانية حربا لتصبح « وديعة مقدسة من ودائع المدنية ... الى الامم الراقية التي تستطيع بفضل ثروتها او اختبارها او موقعها الجغرافي ان تتحمل هذه المسؤولية ... على ان تستمد الارشاد والمساعدة من دول اخرى حتى يأتي الزمن الذي تصبح فيه قادرة على الوقوف بمفردها »[١] .

---

(١) الفقرة الرابعة من المادة ( ٢٢ ) من عهد عصبة الامم .

لقد لقي اقتراح سمطس هذا استحسان الدول المنتصرة لعلمها ان ستكون لها الكلمة المسموعة في العصبة المنوي تأسيسها فتعمل في البلدان التي احتلتها ما تريد ان تعمله متسترة باشراف عصبة الامم وتأييدها . وهكذا تأسست « عصبة الامم » في ٢٨ حزيران ١٩١٩ وفي ٢٤ نيسان ١٩٢٠ اجتمع مجلس الحلفاء الاعلى في سان ريمو وقرر فرض الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين . والانتداب الفرنسي على سورية ولبنان بعد ان جزأ سورية االكبرى الى ثلاثة اقسام هي : سورية ولبنان وفلسطين .

**خيبة أمل**

لم يكن العراقيون يتوقعون ظهور حاكم أجنبي في بلادهم ، بعد ان تحرروا من الحكم العثماني . ولهذا ثاروا في وجوه البريطانيين ثورتهم المعروفة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠م . وكان الملك فيصل ابن جلالة الملك حسين قد فَقَدَ في سورية ، وأجبرته السلطات الفرنسية على مغادرة الاراضي السورية ، فاستدعى الى لندن لمفاوضته في أمر اسناد عرش العراق اليه ، على ان يكون تحت الانتداب البريطاني . وفقا للقرار الذي اتخذ في سان ريمو في الرابع والعشرين من نيسان سنة ١٩٢٠ . ولما وجد المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية يومذاك ترددا في موقف الملك فيصل في أمر الانتداب ، وعده باستبدال هذا الانتداب بمعاهدة تعقد بين العراق وبريطانيا بشرط ان ترضي بنودها عصبة الامم ، صاحبة الانتداب موضوع البحث . وهكذا جاء الملك فيصل الى العراق ، ونودي به ملكا في الثالث والعشرين من آب سنة ١٩٢١ ، وبوشر في المفاوضات اللازمة لوضع صيغة المعاهدة التي وعد بها المستر تشرشل . وانتهى الامر الى أقرارها في العاشر من تشرين الاول سنة ١٩٢٢م . وقد استبدلت هذه المعاهدة بمعاهدة جديدة في ١٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٦ ، ثم بمعاهدة اخرى في ١٤ كانون الاول سنة ١٩٢٧ ، ولما لم ترض

هذه المعاهدات العراقيين . ولم تحقق طموحهم في الحرية والانعتاق ، عقدت معاهدة جديدة في الثلاثين من حزيران سنة ١٩٣٠ على ان تنفذ بعد دخـول العراق عضوا في عصبة الامم في خريف عام ١٩٣٢ اذ بدخول العراق في هذه العصبة يكون قد تحرر من الانتداب البريطاني على صورةٍ رسمية •

**ما يؤخذ على هذه المعاهدة**

شعر العراقيون بأن المعاهدة العراقية البريطانية الجديدة لا تخلو من مغامز ومآخذ كثيرة بحيث ان المشرفين على صيغ المعاهدات في عصبة الامم ، شعروا بمثل شعورهم هذا ، ولهذا قابلوها بالسخط وعدم الارتياح ، واخذ الشعب العراقي يطالب باستبدالها بـين الفينة والفينة حتى لا تثلم السيادة العراقية ولا تشوّه معاني الاستقلال التام • فقد :

١ ـ نصت المادة الاولى من المعاهدة ، موضوعة البحث ، على ان تجري بين الفريقين المتعاقدين « مشاورة تامة وصريحة في جميع الشؤون السياسية الخارجية ، مما قد يكون له مساس بمصالحهما المشتركة » اهـ

٢ ـ ونصت المـادة الثانية منها على ان « يمثل كلاً من الفريقين الساميين المتعاقدين ، لدى بلاط الفريق الثاني المتعاقد الآخـر ، ممثل سياسي دبلوماسي يعتمد وفقاً للاصول المرعية ، على ان يمنح سفراء بريطانية الذين يمثلون جلالته البريطانية • الاول امتياز التقدم « على ممثلي باقـي الدول » كما جاء في الكتاب الاول الملحق بالمعاهدة » •

٣ ـ ونصت المادة الخامسة من المعاهـدة على ان يكون « من المفهوم بين الفريقين الساميين المتعاقدين : ان مسؤولية حفظ الامـن الداخلي في العراق ، وايضا ـ بشرط مراعاة احكام المادة الرابعة اعلاه ـ مسؤولية الدفاع عن العراق ازاء الاعتداء الخارجي ، تنحصران في صاحب الجلالة ملك العراق • ومع ذلك يعترف جلالة ملك العراق بأن حفظ وحماية

مواصلات صاحب الجلالة البريطانية الاساسية بصورة دائمة في جميع الاحوال ، هما من صالح الفريقين الساميين المتعاقدين المشترك • فمن أجل ذلك وتسهيلا للقيام بتعهدات صاحب الجلالة البريطانية وفقا للمادة الرابعة اعلاه[٢] يتعهد جلالة ملك العراق بأن يمنح صاحب الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف . موقعين لقاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب الجلاله البريطانية في البصرة او في جوارها ، وموقعا واحدا لقاعدة جوية ينتقيها صاحب الجلالة البريطانية في غرب نهر الفرات • وكذلك يأذن جلالة ملك العراق لصاحب الجلالة البريطانية في ان يقيم قوات في الاراضي العراقية في الاماكن الآنفة الذكر وفقا لأحكام ملحق هذه المعاهدة ، على ان يكون مفهوما ان وجود هذه القوات ، لن يعتبر بوجه من الوجوه احتلالاً ، ولن يمس على الاطلاق حقوق سيادة العراق » •

### مبادىء جديدة

لقد انهارت « عصبة الامم » عندما شبت نيران الحرب العالمية الثانية ( حرب ١٩٣٩/١٩٤٥ ) في الثالث من ايلول ١٩٣٩ ، وانهار ـ بانهيارها ـ نظام الانتداب الذي ابتدعه الجنرال البويري سمطس ، وفرض على الاقطار

---

(٢) هذا هو نص المادة الرابعة من معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ العراقية ـ البريطانية :

« اذا اشتبك أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في حرب ، رغم احكام المادة الثالثة اعلاه ، يبادر حينئذ الفريق السامي المتعاقد الآخر فورا الى معاونته بصفة كونه حليفا ، وذلك دائما وفق احكام المادة التاسعة ادناه • وفي حالة خطر حرب يبادر الفريقان الساميان المتعاقدان فورا الى توحيد المساعي في اتخاذ تدابير الدفاع المقتضية • ان معونة صاحب الجلالة ملك العراق في حالة حرب او خطر حرب محدق ، تنحصر في ان يقدم الى صاحب الجلالة البريطانية في الاراضي العراقية جميع ما في وسعه ان يقدمه من التسهيلات والمساعدات ، ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والانهر والموانيء والمطارات ووسائل المواصلات » •

العربية المنسلخة من الامبراطورية العثمانية . وقامت مقام العصبة ، هيأة الامم المتحدة تكانت العوبة بيد الامريكان . كما كانت « عصبة الامم » العوبة بيد الانكليز من قبل ، وبذلك فقدت هاتان المؤسستان العالميتان الاهمية التي كان العالم يعلقه عليهما في انصاف الامم المظلومة والشعوب الرازحة تحت ظلم الاجانب . وعلى الرغم من ذلك فقد تضمن ميثاق هيأة الامم احكاما هي على جانب كبير من الاهمية ، ومن ذلك ما نصت عليه المادة (١٠٣) وهو :

« اذا تعارضت الالتزامات التي يرتبط بها ، اعضاء الامم المتحدة وفقا لاحكام هذا الميثاق ، مع أي التزام دولي آخر يرتبطون به ، فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق » .

وكان من احكام هذا الميثاق أيضا ما نصت عليه الفقرة الثانية من المادة الاولى منه وهو :

« انماء العلاقات الودية بين الامم المتحدة على أساس احترام المبدأ الذي يقضي للشعوب بحقوق متساوية ، ويجعل لها تقرير مصيرها ، واتخاذ التدابير الاخرى الملائمة لتعزيز السلم العام » .

وكذا الفقرة الاولى من المادة الثانية وهي :

« تقوم الهيأة — أي هيأة الامم المتحدة — على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع اعضائها » .

كما نصت الفقرة الاولى من المادة ( ٤٣ ) من هذا الميثاق على ان :

« يتعهد جميع اعضاء الامم المتحدة ، في سبيل المساهمة في حفظ السلم والامن الدولي ، ان يضعوا تحت تصرف مجلس الامن — التابع للامم المتحدة — بناء على طلبه ، وطبقا لاتفاق او اتفاقات خاصة ، ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات الضرورية لحفظ السلم والامن الدولي ، ومن ذلك حق المرور » .

فيتضح من نص الفقرة الثانية من المادة الاولى من ميثاق هيأة الامم

المتحدة . ومن الفقرة الاولى من المادة الثانية منه ، ان الدول الداخلة في هذه الهيأة الدولية تتمتع كلها بحقوق متساوية فلا سيد ولا مسود • اما المادة ٤٣ من الميثاق فتنص على ان القوات المسلحة وأماكنها وعددها لا توضع في أية بقعة من بقاع الاعضاء الا بقرار صادر من مجلس الامن الدولي ، فلا يجوز والحالة هذه ان تكون قواعد وأماكن عسكرية لهذه القوات في أرض دولةٍ من دول الامم المتحدة لمصلحة دولةٍ اخرى من هذه الدول •

**التباين في الموقفين**

ولما كان العراق وبريطانيا من جملة اعضاء الامم المتحدة ، وكانت معاهدة ٣٠ حزيران سنة ١٩٣٠ العراقية ــ البريطانية التي استنفدت أغراضها ، لا تضمن التساوي في الحقوق والواجبات ، وانها تثلم السيادة العراقية ولا سيما في موادها الاولى والثانية والخامسة ، وقد اثبتنا نصوصها آنفاً ، فقد كان موضوع العلاقات الحلفية بين العراق وبريطانية موضوع بحثٍ ومناقشة بين الطرفين في أثناء الحرب العالمية الثانية وبعد انتهائها حتى استقر الرأي على وجوب ابدال المعاهدة ، موضوعة البحث ، بغيرها تحقيقا لنص المادة ١٠٣ من ميثاق هيأة الامم القائلة : « اذا تعارضت الالتزامات التي يرتبط بها اعضاء الامم المتحدة . وفقا لأحكام هذا الميثاق ، مع اي التزام دولي آخر يرتبطون به ، فالعبرة بالالتزامات المترتبة على هذا الميثاق » •

**محاولة عراقية جادة**

بعد ان خضع العراق الى ظروف الحرب الصعبة ، وعانى ما عاناه من ضيق في العيش ، وكبتٍ للحرية ، قامت وزارة توفيق السويدي ( الثانية ) في ٢٣ شباط سنة ١٩٤٦ لتصفية مخلفات الحرب ، واعادة الامور الى مجاريها الطبيعية . فألغت الاحكام العرفية المعلنة في البلاد منذ أوائل الحرب ، وسدّت

المعتقلات التي انشئت بعد فشل حركة أيار ١٩٤١م[٣] والغت الرقابة التي كانت قد فرضت على الصحف والمراسلات ، واستصدرت الارادة الملكية المرقمة ١١٦ لسنة ١٩٤٦ بـ ( انهاء حالة خطر الحرب ) ثم التفتت الى الحلف العراقي ــ ــ البريطاني فسجلت في الفقرة (آ) من منهاجها الوزاري هذا النص :

« ان علاقاتنا الودية مع حليفتنا بريطانيا العظمى ترتكز على معاهدة التحالف العراقية ــ البريطانية • ولما كان قد مرّ على عقد هذه المعاهدة مدة ستة عشر عاما[٤] قطع فيها العراق شوطا بعيدا في سبيل التقدم والانشاء ، مسايرا في ذلك مواكب الامم الناهضة ، فقد أصبح من الضروري تعديلها لجعل الحلف القائم متناسبا مع تقدمه ، ومتسقا مع التطورات العالمية ، ضمن روح ميثاق الامم المتحدة • لذلك ستقوم الوزارة بمفاوضة الحليفة بريطانية العظمى بهذا الشأن »[٥] •

وقد تألفت لجنة وزارية من السادة : توفيق السويدي رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، واسماعيل نامق وزير الدفاع ، وعلي ممتاز وزير المواصلات والاشغال ، وسعد صالح وزير الداخلية ، لمفاتحة الجهة البريطانية في موضوع تعديل هذه المعاهدة لا الغائها • وبعد ان درست هذه اللجنة ظروف عقد تلك المعاهدة ، والاحوال التي اسفرت عنها الحرب العالمية ، وضعت التعديلات والمقترحات في مذكرة مطولة ، وما كادت تشرع في المفاوضات حتى جوبهت بمعارضةٍ كان يغذّيها الذوات الذين وجدوا في منهاج الوزارة خطرا على مصالحهم • وتحديا لنفوذهم ، واذا بسبعة من اعضاء مجلس الاعيان هم :

---

(٣) أي الحرب العراقية ــ البريطانية التي اصطلح عليها بـ ( حركة رشيد عالي الكيلاني ) •

(٤) كانت مدة المعاهدة ( ٢٥ ) سنة تبدأ من تاريخ دخول العراق عضوا في عصبة الامم في ٣ تشرين الاول ١٩٣٢ •

(٥) تجد منهاج الوزارة السويدية الثانية كاملا في « تاريخ الوزارات العراقية » ص٧ ج٧ الطبعة السابعة •

السادة : مصطفى العمري ، وحمدي الباچەچي ، ويوسف غنيمة ، وأرشد العمري ، والشيخ احمد الداوود ، والسيد عبد المهدي ، وصادق البصام يقاطعون جلسات مجلس الاعيان ويرغمون الوزارة على الاستقالة في ٣٠ مايس ١٩٤٦ ولم يكن قد مرّ على تأليفها اكثر من ثلاثة أشهر وبضعة ايام . وقد دلت كافة التحقيقات التي اجريناها في هذا الصدد ، ان الوصي الامير عبد الله كان وراء هذا العمل .

ثم قامت في البلاد وزارتان رأس اولاهما السيد ارشد العمري ( ١ ـ حزيران ـ ١٦ تشرن الثاني ١٩٤٦ ـ ٢٩ آذار ١٩٤٧ ) وفي ايام وزارة ارشد جرت حوادث ومضايقات كثيرة ليس لهذا البحث علاقة بها ، وتولى نوري وزارته ( التاسعة ) فحل مجلس النواب القائم وأجرى انتخابات عامة لمجلس جديد يكون مهيئا لتأليف وزارة جديدة يرأسها السيد صالح جبر وتكون اولى مهامها عقد معاهدة جديدة تحل محل المعاهدة العراقية ـ البريطانية لسنة ١٩٣٠ .

**التمهيد لعقد المعاهدة الجديدة**

الف السيد صالح جبر وزارته الوحيدة في ٢٩ آذار ١٩٤٧ فجاء في منهاج وزارته :

« العمل على تعديل المعاهدة العراقية ـ البريطانية على أساس ضمان المصالح المتبادلة بين الندّ والندّ ، وعلى ضوء مبادىء ونصوص ميثاق الامم المتحدة ، وتعزيزا للصداقة التقيدية القائمة بين العراق وبريطانية العظمى[٦] » .

« وصالح جبر عصامي شق طريقه بما عرف عنه من كفاءة وصلابة واعتزاز بالنفس ، وهكذا انتقل من الحاكمية الى النيابة الى الادارة ، فالوزارة وعضوية

(٦) النص الكامل لمنهاج وزارة السيد صالح جبر في « تاريخ الوزارات العراقية » ص١٦٦ من الجزء السابع .

مجلس الاعيان ورئاستهم ليصبح في نهاية المطاف رئيسا للوزارة[7] » وكان « قد شاع في الاوساط ان معاهدة جديدة قد وضعت أسسها بين الحكومة العراقية وبعض من تسلل خفية الى العراق من ممثلي الحكومة البريطانية بأسماء شتى حتى وصل الطرفان الى نوعٍ من التفاهم على النصوص[8] .

« بدأت المفاوضات التمهيدية بين ممثلي الحكومتين العراقية والبريطانية بصورة سرية ، واستمرت من ٨ الى ١٧ مايس ١٩٤٧م . وفي غضون هذه المدة عقدت في قصر الرحاب العامر ، وتحت اشراف صاحب السمو الملكي المعظم ثلاثة اجتماعات بتاريخ ٨ و١٥ و١٧ من الشهر المذكور ، حضرها كامل اعضاء الفريقين المفاوضين ، وثلاثة اجتماعات في ١٠ و١١ مايس ١٩٤٧ حضرها اعضاء الفريقين المناوضين ، وثلاثة اجتماعات بتاريخ ٨ و١٠ و١٧ من الشهر المذكور حضرها أعضاء اللجنة الفرعية العسكرية التي تألفت خصيصا للنظر في شؤون الجيش العراقي بغية اعادة تنظيمه »[9] .

وشعر الوصي عبد الآله ان المفاوضات التمهيدية الجارية في بغداد بين ممثلي الحكومتين : العراقية والبريطانية لا يمكن ان تسفر عن نتائج ايجابية وحاسمة ، بالنظر الى الظروف السائدة يومئذٍ ، فسافر الى لندن في الخامس عشر من تموز ١٩٤٧ ، وفاتح وزير الخارجية البريطانية في مساء اليوم الثامن عشر من آب في أمر تعديل المعاهدة . وكان مهتما اهتماما زائدا بهذا الأمر ، ومتحمسا لتحقيق هذا التعديـل لأنه لم ينس الدور الذي لعبته الحليفة لأرجاعه الى العراق على أسنّة حراب جنودها ، بعد فشل حركة أيار ١٩٤١ ، حتى اذا شعر برغبة الحكومة البريطانية وتصميمها على عقد المعاهدة الجديدة أبرق الى بغداد هذه البرقية :

---

(٧) العراق أمسه وغده للسيد خليل كنه ص٨١ .

(٨) مذكرات توفيق السويدي « نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية » ص ٤٥٩ .

(٩) مذكرات صالح جبر المخطوطة .

عزيزي صالح جبر لندن ١٨ آب ١٩٤٧

تمنياتي الطيبة لكم راجيا من المولى تعالى ان يمتعكم جميعا بالصحة التامة •

لقد وصلنا لندن ظهر يوم ١٤ الجاري ، وكانت السفرة ولله الحمد مريحة ، ولم نجد خلالها أية صعوبة ، ولا ريب في انكم قد اطلعتم في حينه على أخبار تنقلاتنا منذ سفرنا من العراق •

« لقد حضر الجنرال رتتن رئيس البعثة العسكرية البريطانية الاستشارية لمواجهتي غداة يوم وصولي الى لندن ، ورفع التقرير الذي أرسله اليكم في طيه ، والذي أرغب في ان تعرضوه على وزير الدفاع لدرسه ، وانني أشارك الجنرال الموما اليه في ضرورة حضور هيأة عسكرية برئاسة شخصية كبيرة الى لندن لأعطاء قرار نهائي بصدد التجهيزات المطلوبة ، وأرى من الأنسب حضور وزير الدفاع كرئيس لهذه الهيأة ، خاصة وان وزارة الحربية البريطانية مستعدة الآن لتزويد الهيأة ، عند حضورها الى هنا ، بخبراء عسكريين بريطانيين ليبدو لها المساعدات المقتضية ، كما ان وجودي هنا الآن سيسهل للهيأة عملها ، وستتمكن من الحصول على التجهيزات بصورة أسهل • واجهت عصر الامس المستر بيفن والسكرتير الدائم لوزارة الخارجية البريطانية مواجهة قصيرة ، وتباحثنا بصورة مبدئية عن المعاهدة • وقد رغب في ان يجري البحث عن ذلك خلال مدة وجودي هنا • ولاحظت في هذا الاجتماع وجود الرغبة لحل القضية واجراء المفاوضات قبل موعد اجتماع مجلس الامة العراقي • وقد ذكر لي بيفن بهذا الخصوص العبارة التالية :

WE ARE PREPARED TO HAVE AN HONORABE LONG TERM AGREEMENT

وترجمتها :

ــ نحن مستعدون لعقد اتفاقية ( يقصد بها معاهدة ) شريفة طويلة الامد ــ كما يرغب بيفن في ان يطلع منذ الآن على مطالبنا بصورة تمهيدية • وعليه

فسيحضر السكرتير الدائم لمواجهتي لهذا الغرض قبل الشروع بالمفاوضات نفسها ، والتي سوف لا يتمكن بيفن من الشروع فيها خلال شهر ايلول لأنشغاله . وهو لذلك يرى ان تاتي الى لندن في أواخر شهر ايلول ، او في الاسبوع الاول من شهر تشرين الاول ، كما انه يرغب ــ كرغبتنا ــ في كتمان كل ما يتعلق باجراء المفاوضات . ولهذا اقترح أنا ان لا تسافرو الى انكلترة مباشرة ، بل الافضل ــ كما سبق ان اخبرتني ــ ان تذهب الى سويسرا او غيرها لمدة اسبوع او اسبوعين تتوجه بعدها لمواجهتي في لندن ، فتصل في خلال الاسبوع الاول من تشرين الاول ، وتبدأ بأذن الله بالمفاوضات مع بيفن خلال الاسبوع الثاني والاسبوع الثالث من الشهر المذكور . كان قد رفع اليّ وزير الاقتصاد ــ قبل سفري من بغداد ــ قوائم بأسماء الخبراء الذين طلبناهم من الحكومة البريطانية ، بواسطة السفارة البريطانية في بغداد ، وبضمنها قائمة باللغة الانكليزية مرقمة أوراقها ، ولم أجد معها الصفحتين ٥و٦ والتي تختص بوزارة الاقتصاد ، وأرغب في ان يرسلوا لي هاتين الصفحتين او يرسلوا الينا قائمة كاملة جديدة منعا للالتباس . أود ان تبلغوا تحياتي الى كافة زملائكم راجيا من الله تعالى ان يسدد خطواتنا ، وأن يوفقنا جميعا الى ما فيه الخير ودمتم »[١٠] .

والذي يظهر من هذه البرقية ، ان الوصي الامير عبد الاله كان يشاطر وزير خارجية بريطانية بيفن رغبته في اجراء المفاوضات اللازمة لعقد المعاهدة الجديدة في لندن وبحضوره ، كما ان الحكومة البريطانية كانت قد شعرت بالثغرات التي ظهرت في بعض مواد المعاهدة وسببت لها بعض المضايقات فقررت ان تسدّ هذه الثغرات في صيغة الحلف الجديد . وفي الوقت نفسه كان الوطن العربي مشغولا بقضية فلسطين ، فقررت بريطانية صرف العراقيين عن الاهتمام

---

(١٠) عن مذكرات صالح جبر المخطوطة .

بهذه القضية الحساسة ، وحصر جهودهم في قضيتهم المصرية واذا بالوصي يفاجيء رئيس وزرائه في الثامن من تشرين الاول ١٩٤٧ بهذه البرقية :

« في أثناء المذاكرة مع المستر بيقن ومعاون وزير الخارجية للشرق الاوسط حول تعديل المعاهدة والغاء القواعد الجوية البريطانية في العراق ، ظهر ان لديهم مقترحات بهذا الخصوص • طلب مني بيقن أول امس التريث في اخباركم بمقترحاته حتى يتم تأييدها من رؤساء اركان القوات المحاربة ومجلس الوزراء البريطاني • علمنا ان رؤساء اركان القـوات المتحاربة قد أيدوا مقترحات الخارجية وأرسلوها الى مجلس الوزراء ، وقد تأخر بحثها فيه لأنشغالهم في التبدلات الوزارية • أخبرني بيقن أول أمس ٧ تشرين الاول بأنها ستعرض يوم ٩ تشرين الاول على مجلس الوزراء وسنبلغكم بعد ذلك بقرارهم • موعد عودتي الى بغداد يتوقف على معرفة رأيكم في ان أرسل هذه المقترحات اليكم بالبريد لتبحثوها خلال وجودي في انكلترا ، او في ان أجلبها معي الى العراق لتبحثوها وأنا في بغداد • انني أفضل الحل الاول لأنني أرى من المفيد ان اكون في لندن ، بعد دراستكم لمقترحاتهم ، كي اذلل الصعوبات التي قد تظهر بين المقترحات البريطانية ورأيكم فيها ، ففي حالة اشتراككم معي في هـــذه الرأي • أرغب في تمديد مدة بقائي في خارج العراق الى آخر هذا الشهر »•إ هـ

وبعد مرور سويعات على هذه البرقية ، وافت البرقية الآتية من الوصي نفسه الى رئيس الوزراء :

« قابلت المستر بيقن الساعة الحادية عشرة والنصف اليوم ، وبعد مقدمة عن المعاهدة الحالية ، وعدم انتهاء مدتها ، ورغبتهم في اجابة طلباتنا ، وأهمية العراق الدولية الآن وفي المستقبل ، ذكر لي ما يأتي :

اولا : عدم الغاء القواعد نهائيا •

ثانيا : ابقاء مطاري الحبانية والشعيبة تحت سيطرتهم •

ثالثا : اشتراكنا والانكليز في استعمال واشغال المطارين في وقتٍ واحد• أي وجود قوات الطرفين فيها بوقت واحد •

رابعا : ينظر في بحث التفاصيل عند موافقة الحكومة العراقية على الدخول في مفاوضاتٍ على هــذا الاساس من قبل السلطات العسكرية العراقية ،وبعثة بريطانية مشابهة للبعثة التي وصلت بغداد في شهر مايس الماضي .

عندما سألته حول ترك القيادة في المطارين للعراق ، مع اشتراك القطعات البريطانية في الاشغال ، بين لي ما يأتي :

اولا : من الضروري ان يدار المطاران بكفاءة تامة .

ثانيا : في حالة ترك القيادة للعراق ، يخشى حدوث اهمال من الجانب البريطاني في حالة ترك المسؤولية لأن ذلك من الطبيعة البشرية .

ثالثا : ان خطتنا اليوم هي عدم اذاعة أسرارنا الفنية العسكرية لأحدٍ سوى لأصدقائنا الذين نعتبرهم الآن من العائلة ، ولكننا نعتبركم ــ رغم انكم مستقلون ــ من العائلة ، وان اشتراككم معنا في اشغال المطارات سيتيح لكم الاطلاع على هذه الاســرار ، وان تكونوا في المستوى الفني الذي نحن فيه الآن .

رابعا : آرغب ان أوضح لكم شيئا اعتقد انكم تعلمونه وهو : اننا لا نرغب في البقاء في المطارين للسيطرة عليكم ، ولكن نرغب بالبقاء للدفاع عنكم وعن أنفسنا في وقتٍ واحد . ولو كان بأمكاننا الخروج لخرجنا الآن . المصلحة الدولية تنطلب بقاء القواعد هنا وادارتها بأيد أمينة ، ولا أقصد بالأيدي الامينة اننا لا نأمن جانبكم ، بل الأمينة من وجهة الكفاءة الفنية .

خامسا : لقد قررنا من جهة التسليح والتدريب ان تكونوا في مستوانا .

سألني اخيرا عن رأيي في هذا الصدد فأخبرته بعدم امكاني الجزم بشيء ما لم أعرف رأي الحكومة في بغداد . وبعد ذلك جرى بحث مواضيع اخرى سأذكرها لكم في بغداد . قبل انتهاء الاجتماع . سألني عن موعد عودتــي

فاجبته في آخر الشهر الحالي . وقد رغب في ان يأخذ الجواب على مقترحاتهم المذكورة اعلاه قبل عودتي الى بغداد فاخبروني رأيكم سريعا »[11] .

**رد رئيس الوزراء**

بعد ان اتخذ مجلس الوزراء قرارا بتمديد مدة بقاء الوصي في لندن الى نهاية تشرين الاول ، ردّ رئس الوزراء صالح جبر على برقيتي الوصي بما يأتي :

« تعلمون سموكم ان المباحثات التي أجريناها مع البعثة العسكرية البريطانية في شهر مايس الماضي ، كانت تدور حول ضرورة تخلي الحكومة البريطانية عن مطاري الحبانية والشعيبة ، وضرورة تسليمهما الى السلطات العسكرية العراقية ، على ان تقوم هذه السلطات بصيانتهما وجعلهما صالحين للاستعمال في جميع الاوقات ، الامر الذي يضمن استفادة القوات البريطانية منهما في حالة الدفاع المشترك ضد العدو المشترك . وقد بينّا بأسهاب الاسباب السياسية والادبية التي تبرر طلبنا . ولهذا ارى ان ما بيّنه المستر بيفن لسموكم من ضرورة الاحتفاظ بالمطارين وادارتهما ادارة مشتركة ، أمر لايمكن الموافقة عليه ، والاسباب التي ذكرها لا تبرر ذلك مطلقا ، ولهذا فلا يسعنا الدخول في المفاوضة على هذه الاسس ، لأن هذا ليس من مصلحتنا في شيء ، بل يلحق بنا أضرارا بليغة ، خاصة والوضع في مصر وفي البلاد العربية المجاورة كما تعلمون ، الامر الذي كنا نتوقع ان تتدبره الحكومة البريطانية وتساعدنا لأن نكون بوضع ليس أقل من هؤلاء الجيران على الاقل . أما اذا ارادت ان تتجاهل اخلاصنا في صداقتنا لها ، ذلك الاخلاص الذي كلفّنا تضحيات كثيرة ، تعلمها هي قبل غيرها ، مع العلم بأننا غير نادمين على ذلك ، أقول اذا تريد ان تتجاهل كل هذا وتضعنا في وضع حرجٍ جدا تضرب به عزّتنا وكرامتنا

(١١) جاءت البعثة البريطانية الى بغداد للدخول في المفاوضات في آيار ١٩٤٧ .

في الداخل والخارج ، وخاصة بين الاقطار العربية ، فهذا ليس من الوفاء في شيء ، ولا يمكن ان نرضاه لأنفسنا . هذا رأيي أعرضه على سموكم المعظم بكل اخلاص وصراحة »(١٢) .

**وقد عزز رئيس الوزراء صالح جبر هذه البرقية ، ببرقية ثانية في ١٧ تشرين الاول ١٩٤٧ هذا نصها :**

« لا شك ان سموكم تشعرون قبل كل احدٍ ان تعديل المعاهدة بأقرب وقت ممكن اصبح ضروره مبرمة . وليس هذا شعور العراقيين فحسب ، ولكن هذا أيضا شعور المحبين للعراق من آبناء البلاد العربية . وقد سألني الكثيرون عن المرحلة التي وصلنا اليها ، فأجبتهم جوابا يدعو الى التفاؤل . ويستغرب الكثيرون من ان العراق الذي كان سباقا ، ويجب ان يكون سباقا ، بقي كما هو . وقد تقدمته أقطار مجاورة كانت تستمد منه المعونة ، وتستنجد به لبناء كيانها واستقلالها . فأرجو من سموكم افهام الحكومة البريطانية بأنه ليس بالمستطاع الانتظار اكثر من ذلك ، وتستخدمون جميع الوسائل للضغط عليها بقبول التعديل على الاساس الذي عرضته على سموكم ببرقيتي المشار اليها ، منتهزين فرصة وجود سموكم قريبين من المسؤولين في لندن . أسأل الله ان يوفقكم في مسعاكم ويحفظكم ذخرا للبلاد »(١٣) .

**أجد أم تمويه ؟**

قلنا ان الوصي سافر الى لندن في الخامس عشر من تموز ١٩٤٧ واجتمع بالمستر بيفن وزير خارجية بريطانية ، وببعض الجهات العسكرية والمدنية فيها ، وتسلم من الجنرال رنتن رئيس البعثة العسكرية البريطانية تقريرا يتعلق

---

(١٢) و (١٣) نقلنا هاتين البرقيتين اللتين أبرقهما الوصي ونشرناهما فوق هذا من أرشيف صاحب البحث .

بالمعاهدة المنوي عقدها بين العراق وبريطانية ، لتحل محل معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ العراقية ــ البريطانية التي تعتبر باطلة بحكم المادة (١٠٣) من عهد هيأة الامم المتحدة[١٤] وقد وافى رئيس الوزراء في العراق بكل ذلك ، ولما لم يجد في أجوبة الرئيس المومإ اليه ما يزيل الالتباس ، قَفَلَ راجعا الى بغداد فبلغها في ٢٩ تشرين الاول ، واذا بالحكومة البريطانية توفد بعض عسكرييها الى العراق مع احد موظفي وزارة الخارجية ، لمفاوضة الجهات العراقية في موضوع المعاهدة ، وتم الاتفاق على « ان تجري المفاوضات في السفارة البريطانية حرصا على الاحتفاظ بسريتها ، واستمرت من ٢٢ تشرين الثاني الى ٤ كانون الاول ١٩٤٧ عقدت خلالها خمسة اجتماعات •••• وقد تقدم الجانب البريطاني بمسودات متعددة للمعاهدة الجديدة على ضوء ملاحظات الجانب العراقي ومقترحاته الى ان تم الاتفاق على كثير من المباديء والنصوص »[١٥] وكان رئيس الوزراء قد هدّد بالاستقالة من منصبه لتليين المفاوضات •

**فورة في بغداد**

كان وزير خارجية العراق الدكتور محمد فاضل الجمالي قد سافر الى ليك سكسس ، ومعه نوري السعيد ، ليمثلا العراق في اجتماعات هيأة الامم المتحدة ، عند النظر في مأساة فلسطين • فلما انتهت هذه المأساة على النحو الذي جرح الكرامة العربية ، وطعن الوحدة الاسلامية ، وتسبب في تشريد نحو مليون عربي ، واحتلال اعزّ جزءٍ من الوطن العربي الكبير من قبل الصهاينة ، قرر الجمالي العودة الى العراق مارا بالعاصمة البريطانية ، واذا به

---

(١٤) اذا تعارضت الالتزامات التي يرتبط بها اعضاء الامم المتحدة ، وفقا لاحكام هذا الميثاق ، مع اي التزام آخر يرتبطون به ، فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق •

ــ المادة ١٠٣ من ميثاق الامم المتحدة ــ

(١٥) عن مذكرات السيد صالح جبر المخطوطة •

يجتمع بوزير الخارجية بيفن ويستمع الى المراحل التي مرت بها المعاهدة ، ويسمع منه ما يعرب عن رغبة الحكومة البريطانية في مجيء رئيس الوزراء صالح جبر الى لندن للاطلاع على وجهة نظرها : وتذليل ما يمكن تذليله من صعوبات •

وقد قبل صالح بالسفر الى لندن لهذا الغرض • ولما فاتح الوصي بذلك ، نصحه ان يصطحب معه كلاً من نوري السعيد ، وتوفيق السويدي ، مضافا الى وزير الخارجية محمد فاضل الجمالي ، ووزير الدفاع شاكر الوادي ، لتسهيل أمر المفاوضات •

«ان نوري السعيد الذي كان يراقب الوضع السياسي وتجهّمه ، اقترح على الوصي تأجيل التعديل لعدم ملاءمة الموضوع مع الاوضاع الداخلية والعربية ، الا ان الوصي أصرّ على رأيه ، فاقترح نوري السعيد استقالة الوزارة وتأليف غيرها لكسب الساسة الحاقدين على صالح جبر ، الا ان الوصي رفض الاقتراح ايضا ، ثم عاود الكرة نوري السعيد باقتراح تعديل الوزارة بأن تضم اليها عناصر جديدة ، فلم يلق قبولاً عند الوصي »(١٦) فاقترح نوري ان يطلع رئيس الوزراء بعض المؤازرين من الاعيان والنواب على مراحل المفاوضات التي أجراها لتعديل المعاهدة ، وان يستشيرهم في الامور الثلاثة الآتية :

١ ــ هل العراق بحاجة لمعاهدة تحالف مع دولةٍ أجنبية أم لا ؟
٢ ــ اذا كان في حاجةٍ الى ذلك فمن هي الدولة الاجنبية ؟
٣ ــ ما هي الاسس التي يعتبرونها صالحة لهذا التحالف ؟

وكان غرض نوري من اقتراحه هذا ، مناورة سياسية أراد بها ان يسجّل رئيس الوفد المفاوض على باقي الساسة العراقيين موقفهم مسبقا ، ليقطع الطريق على الذين قد يثيرون المتاعب والصعوبات في وجهه أثناء عرض المعاهدة المنوي عقدها على البرلمان العراقي للحصول على موافقة عليها •

ففي يوم ٢٨ كانون الاول ١٩٤٧ اجتمع في قصر الرحاب ، قصر سمو

---

(١٦) العراق : أمسه وغده ص٨٢ •

الوصي الامير عبد الاله ، عشرون سياسيا من ساسة البلد المشهورين ، وعرضت الاسئلة التي اقترحها نوري السعيد وطلب اليهم ابداء آرائهم فيها بكل صراحة .
ويقول رئيس الوزراء في مذكراته المخطوطة : ان الجواب على السؤال الاول كان اجماعيا ، وعلى الثاني ان الدولة الاجنبية يجب أن تكون بريطانيا . اما على السؤال الثالث فهذه بعض أقوال المتكلمين :

قال حمدي الباچهچي : الجهة البريطانية الفنية تبقى في المطار ، والجيش العراقي هو الذي يحرسها ، ولا لزوم لبقاء الجيوش الانكليزية تحتل البلاد ، واذا احتاج الانكليز الى مطارات فيمكنهم استعمال حتى سطوح دورنا .

وقال السيد عبد المهدي : نحن اذا شعرنا بخطورة الوضع العالمي ... وادركنا الخطر مثلهم ، فالعراق كله يكون مطارا لبريطانيا .

اما الاستاذان الشيخ محمد رضا الشبيبي ونصرة الفارسي فقالا أنهما لا يستطيعان ابداء أي رأي في موضوع المعاهدة ما لم يطلعا على الاسس المراد ادخالها أو تعديلها ...

وقال السيد نوري السعيد : يجب ان لا تعقد معاهدة لمدة اكثر من عشر سنوات ؛ واذا حصلنا على شيء افضل من المعاهدة الحاضرة فهو بصالحنا ويجب ان نوافق عليه(١٧) .

ويضيف صالح جبر في مخطوطته الى ما تقدم قوله :

ان السيد نوري السعيد ، الذي كان العامل الاول في عقد هذا الاجتماع، قال لي في ختام الاجتماع : لماذا كنت مترددا من عقد هذا الاجتماع ؟ أسمعت كيف ان هؤلاء الساسة لم يطلبوا اكثر مما سبق ان حصلت عليه من الانكليز وحققته فعلاً في مفاوضاتك معهم ؟ ألم يكن من المصلحة بل ومن مصلحتك أنت ان يسجل هذا عليهم ؟

---

(١٧) مذكرات صالح جبر المخطوطة .

« لم يكن القصد من هذا الاجتماع هو دراسة الاسس التي يجب ان يستند اليها المفاوض العراقي لعقد المعاهدة العراقية ــ البريطانية الجديدة ، كما قد يتبادر الى الذهن ، فقد ثبت ان وفد المعاهدة العراقي كان قد اتفق على تلك الأسس مع الجانب البريطاني اتفاقا نهائيا في مداولات سرية سابقة تمت في لندن وبغداد ، مهّد لها وشارك فيها الوصي نفسه مشاركة فعالة . والارجح ان صالح جبر رئيس الوزراء كان قد حمل ، قبل الاجتماع وبعد عودته من لندن ، مسودة لائحة المعاهدة لعرضها على الوصي بشكلها الاخير ، وذلك قبل ابرامها من قبل الوفدين المتفاوضين بصورة رسمية[١٨] .

ويقول توفيق السويدي : بعد ان انفض الاجتماع الذي عقد في قصر الرحاب انه قال للوصي :

« ان وزارة صالح جبر وزارة ضعيفة ولا تقوى على احتمال مسؤولية المفاوضات ، وان المفاوضات تستلزم جهودا واستعدادات واسعة فيجب ان تنظروا في وزارة مفاوضات »[١٩] ثم يقول : انه اخبر نوري السعيد بما عرضه على الوصي ، وطلب اليه ان يؤيده فيما عرض ، ولكن نوري رد عليه بأنه لا يؤيد هذا الرأي ، وبأنه يرى ان وزارة صالح جبر التي فاوضت في المعاهدة ، تكمل مهمتها بعقد المعاهدة وحينئذٍ تستقيل وتذهب » .

ويستمر توفيق السويدي في كلامه فيقول : ان الوصي طلبه بعد يومين وكلفه ان يسافر مع صالح الى لندن ويدعم مفاوضاته ، فرفض هذا التكليف وقال : اني لا أوافق على هذا التكليف ، ولا أتعاون مع رئيس الوزراء ، فردّ الوصي قائلا : لست متعاونا مع رئيس الوزراء اذا ذهبت معه بل انك رقيب

---

(١٨) آفاق عربية العدد ٥ كانون الثاني ١٩٧٧ .
(١٩) مذكرات السويدي ص٤٦٢ .

من قبلي على المفاوضات وموجّه له ، وأعلم جيدا ضعف قابليته في هـذا الامر[٢٠] .

بعد المقدمات والتمهيدات واطلاق البيانات ( العنترية ) عقد اجتماع في قصر الرحاب مساء اليوم الثالث من كانون الثاني ١٩٤٨ حضره السادة : نوري السعيد وتوفيق السويدي وصالح جبر ، كما حضره رئيس الديوان الملكي أحمد مختار بابان ليسجل ما يدور في الاجتماع من مذاكرات . وقد فاتح الوصي المجتمعين قائلاً انه يود ان يثبت الاسس اللازمة لتعديل المعاهدة .. ويقول السويدي في ص ؟٦؟ من مذكراته :

« ولما اكتمل عقدنا وشربنا الشاي ، وزّعت على كل منا مسوّدة معاهدة باللغة الانكليزية . ولما طالبتهم بنسخة عربيــة ، قالوا انهـم لم يستعدوا لاتمامها ... وبعد أخذٍ ورد بين الحاضرين ، لم اجد في المعاهدة ما يستوجب الاعتراض الشديد .. ولما اتينا الى الموضوع العسكري ، قلت اني لم أجده واضحا فأجابني صالح جبر : ان هذا الامر مدروس من قبل ومتفق عليه بهذا الشكل وليس فيه ما يوجب الاعتراض » .إ هـ

الامر الذي يدل بوضوح على ان المعاهدة وضعت قبل هذا الاجتماع ، واتفق على موادها سلفاً ، ثم اتخذت الاجتماعات وسيلةً لأضفاء شرعية التفاوض عليها . ومع هذا فأن نوري السعيد يذكر في رسالة له بعنوان « حقيقة تعديل المعاهدة العراقيه » ص ١٣ـ١٥ ان المجتمعين في القصر اقروا ما يأتي :

١ ـ مقدمة المعاهدة . رفع بحث خطط المواصلات منها .

٢ ـ رفع قيد المشاورات في الامور السياسية الخارجية ، والاكتفاء بالنص على ان لا ينتهج أحد الفريقين المتعاقدين سياسة معادية للفريق الآخر .

٣ ـ تسلّم العراق للقاعدتين الجويتين في الحبانية والشعيبة ، عندما يتم

---

(٢٠) مقررات مجلس الوزراء لشهر كانون الثاني ١٩٤٨ .

ابرام معاهـدات الصلح بين الدول التي اشتركت في الحـرب العظمى .

٤ ـ عدم السماح في ابقاء قوات مسلحة بريطانية في العراق في زمن السلم .

٥ ـ الغاء حصر استخدام الاخصائيين في الحكومة العراقية بالبريطانيين.

٦ ـ الغاء الاتفاقيات الخاصة بالسكك الحديدية والميناء ، وتسلّم العراق لهذين المرفقين الهامين .

٧ ـ ضرورة تسليح الجيش العراقي والقوة الجوية الملكية العراقية بعين الاسلحة التي تسلح بها الوحدات البريطانية وفي عين الوقت الذي يجري فيه تسليحها .

٨ ـ رفع القيود الموجودة فيما يتعلق بالتمثيل السياسي في المعاهدة الحاضرة .

وفي اليوم الرابع من الشهر نفسه « كانون الثاني » اتخذ مجلس الوزراء هذا القرار :

« عقد مجلس الوزراء جلسة خاصـة استمع فيها الى الايضاحات التي بسطها فخامة رئيس الوزراء ووكيل وزير الخارجية حول تعديل معاهـدة التحالف المنعقدة بين العراق وبريطانية ، الموقع عليها في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ وكذلك استمع الى اقتراح فخامته المتضمن وجوب انتداب وفد يمثل العراق للقيام بهذه المهمة . وبعد المداولة وافق المجلس على ما بيّنه فخامة الرئيس من المباديء والايضاحات ، ووافق على تشكيل وفد يمثل العراق برئاسة فخامة رئيس الوزراء ، وعضوية كل من : معالي السيد فاضل الجمالي وزير الخارجية، ومعالي السيد شاكر الوادي وزير الدفاع ، وصاحب الفخامة السيد نوري السعيد رئيس مجلس الاعيان ، وتخويل المشار اليهم صلاحية المفاوضة والتعديل حسب الاسس التي أوضحها فخامة رئيس الوزراء ، وكذلك تخويل المشار اليهم ايضا صلاحية التوقيع على تعديل المعاهدة . وكذلك قررّ منح المشار

اليهم مخصصات السفر والايفـاد حسب المـادة السادسة المعدلة من نظام مخصصات السفر والايفاد »[٢١] •

**بدء الزوبعة**

قلنا ان وزير خاالجية العراق الدكتور محمد فاضل الجمالي كان قد وصل الى لندن من ليكسكس ، واتصل بالمستر بيفن وزير خارجية بريطانية ، وسمع منه رغبة الحكومة البريطانية في مجيء السيد صالح جبر رئيس الوزارة العراقية الى لندن لتيسير أمر المعاهدة • وبينما كانت الاستعدادات تجـري للسيد جبر ، أدلى الدكتور الجمالي بتصريح لأحدى الوكالات مفاده ان معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ المراد تعديلها أو ابدالها بغيرها كانت قد قوبلت في حينه بالنقد الشديد لأسباب حزبية لا تمت الى الحق بنصيب[٢٢] فلما نقل هـذا التصريح الى الصحف العراقية قوبل بالرفض والاستنكار ، وقام طلاب الكليات والمعاهد العالية بمظاهرات صاخبة أدت الى الاصطدام بقوات الشرطة ، وأدت الى وقوع اصابات كثيرة ومختلفة مما اضطر رئيس الوزراء الى ان يحمل مجلسه على اتخاذ قرار في الخامس من كانون الثاني ١٩٤٨ بتعطيل الدراسة في كلية الحقوق الى أجل غير مسمى والايعاز الى وزارة العدلية للقيـام بالتحقيقات القانونية فورا للوقوف على الاسباب التي دعت الى التصادم الواقع بين الطلاب والشرطة •••• الخ[٢٣] ثم شرعت السلطة في توقيف عدد من المتظاهرين ، وغلق الاقسام الداخلية مـع مطاعمها في وجوه الطـلاب الخارجيين ، وغادر العاصمة ومعه الوفد المفاوض وهو مطمئن البال الى هذه الاجراءات •

ولكن الذي حدث ان الوضع في اليوم الثاني انفجر بالغضب الشديد ، وانبرت الصحف الحزبية الى التنديد بالاجراءات الحكومية ، وأضربت الكليات والمدارس العليا تضامنا مع طلاب الحقوق ، واحتجاجا على توقيف زملاء لهم •

---

(٢١) و (٢٢) نص القرار في « تاريخ الوزارات العراقية » ٧/٢٣٥ •
(٢٣) مقررات مجلس الوزراء لشهر كانون الثاني ١٩٤٨ •

وبدلاً من أن يداري وكيل رئيس الوزراء وزير العدلية السيد جمال بابان ، الوضع بالحسنى ، فانه نشر بيانا أغضب الطلاب فحملهم على الاستمرار في الاضراب وفي التظاهر ، وساروا الى بناية مجلس الامة يولولون ويستغيثون، مما حمل نفيفا من الاعيان والنواب على التدخل في الامر ، واقناع وكيل رئيس الوزراء باعادة النظر فيما اتخذ من اجراءات ، فاتخذ مجلس الوزراء القرار التالي في الثامن من كانون الثاني ١٩٤٨ :

« ان مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة بتاريخ ٩٤٨/١/٥ قرر تعطيل الدراسة في كلية الحقوق الى اجلٍ غير مسمى ، بالنظر للمبررات المذكورة في قراره المشار اليه ، وانه في الوقت نفسه نسب اعادة النظر في ذلك القرار ، عندما يتقدم وزير المعارف بتقرير يبين فيه عودة الحالة في الكلية الى مجراها الطبيعي • وحيث قد فهم من التقرير المقدم من قبل معالي وزير المعارف أن الحالة قد رجعت الى طورها الطبيعي ، لهذا قرر مجلس الوزراء الموافقة على فتح الدراسة في كلية الحقوق »[٢٤] •

**الاجتماع في قصر الرحاب**

على اثر استئناف الدراسة في كلية الحقوق ، أجرت السلطات المختصة بعض التنقلات بين بعض الاساتذة فيها ، اعتقادا منها بان الذين شملتهم هذه التنقلات كانوا وراء حركة الاضراب •ولم يتحرك أحد من الطلاب محتجا ، وسادت السكينة ارجاء العاصمة وأطرافها ، ووصل الوفد المفاوض الى عاصمة الضباب فوجد كل شيء مهيئاً • وبعد عقد عدة اجتماعات في مقر وزارة الخارجية البريطانية في اليومين التاسع والعاشر من كانون الثاني ١٩٤٨ ، تم التوقيع على النص الاخير للمعاهدة بالأحرف الاولى •

ودعا رئيس الوفد البريطاني أعضاء الوفد العراقي ليكونوا ضيوفا على

---

(٢٤) في حوزتنا نسخة من كل من النصين الاول والثاني •

البحرية البريطانية في ميناء پورتسموث ، حيث يتم التوقيع النهائي على المعاهدة. وقال لنا الدكتور محمد فاضل الجمالي : أن وزير الخارجية البريطانية وزّع على الاعضاء نسخا من هذه المعاهدة ،وهم في عرض البحر ، فلاحظ انها موقعة من قبل رئيسي الوفدين : العراقي والبريطاني فقط ، فلفت نظر الوزير البريطاني الى وجوب جعل التوقيع شاملا لأعضاء الوفدين كافة ، فاستحسن هذا الوزير هذه الملاحظة ، وأمر بتهيئة نسخ جديدة بالشكل المقترح[٢٥] وتم التوقيع الكامل في مساء اليوم الخامس عشر من الشهر المذكور ، وتبودلت خطب المجاملة بين المختصين .

وبعث رئيس الوزراء ، وهو في لدن الى وكيله في بغداد ، المسوّدة النهائية من المعاهدة بالنص الانكليزي ، قبل التوقيع عليها ، وطلب اليه ترجمتها واعادتها اليه للتأكد من صحة الترجمة ، مع أنها نشرت في الصحف اللندنية فعلا ، ولكن وكيل الرئيس الموما اليه أخذ على عاتقه نشر هذه المسودة في الصحف العراقية ، بعد نقلها الى اللغة العربية ، على أساس ان السفارة البريطانية في بغداد كتبت الى وزارة الخارجية العراقية أن هذه المعاهدة يجب أن تنشر في بغداد في اليوم الذي ستنشر في لندن ، وهو يوم ١٦ كانون الثاني ١٩٤٨ ، وأن ضيق الوقت يحول دون ارسال هذه الترجمة الى لندن للتأكد من صحتها. وعلى كل فقد كان نشر المعاهدة في اليوم المذكوا بداية للتحرك الجماهيري ، بعد آن درستها الاحزاب السياسية المجازة ، ونشرت ملاحظاتها واحتجاجاتها حولها في الصحف ، ولا سيما وان الوضع العام الذي كان متوترا ،وكانت احداث الايام الاولى من الشهر طرية ماثلة للعيون ، وزاد الطين بلّة ان المنورين في بغداد اعتقدوا ان المعاهدة الجديدة لا تختلف ، من حيث الجوهر ، عن معاهدة ٣٠ حزيران ، وان المفاوض العراقي لم ينجح في ادخال أي تغيير أساسي على طبيعة السياسة البريطانية تجاه العراق .

---

(٢٥) نص البيان في « تاريخ الوزارات العراقية » ص٢٦١ من المجلد السابع من الطبعة السابعة .

شرع طلاب الكليات والمعاهد العالية في توحيد صفوفهم ، واعـلان سخطهم على المعاهدة ، متأثرين ببيانات الاحزاب السياسية ، ولا سيما بيان حزب الاستقلال ، وتحريض اقطابه الشباب على التظاهر • وهكذا أصبح الجو مشحونا بالخطر ، مؤذنا بالانفجار • وأعلن الطلاب الاضراب العام عن الدراسة لمدة ثلاثة ايام ، والقيام بمظاهرات سلمية ، فرأت الحكومة أن تترك الطلاب وشأنهم فلم يقع في يومي ١٧ و١٨ كانون الثاني أي حادث يخلّ بالأمن العام • فلما كان اليوم الثالث . وهو يوم ١٩ ، توجه المتظاهرون الى بناية مجلس الامة . واطلقوا بعض العبارات ، ثم توجهوا نحو « الباب الشرقي » وتفرقوا بكل هدوءٍ وسكينة على أمل ان يستأنفوا الدراسة في اليوم التالي •

وتأبى الصدف الا ّ أن يذيع وكيل رئيس الوزراء في مساء اليوم الثالث للاضراب . بيانا استعرض فيه أحداث الاضراب ، وموقف الحكومة السلمي منها ، وختمه بعبارة استفزّت الطلاب والطالبات فقرروا الاستمرار في اضرابهم قال الوكيل الموما اليه :

ان الحكومة قد أصدرت أوامرها ضمن سلطتها القانونية « الى السلطات المختصة كافة بمنع أية مظاهرةٍ أو اضراب مهما كان نوعه وصبغته ، وأنها عازمة على قمع كل حركة من هذا القبيل بشدة »[٣٦] •

واصبحت العاصمة يوم الثلاثاء الموافق ١٩ كانون الثاني ، وهي متوترة توترا شديدا ، وبدأت طلائع الطلاب والمتظاهرين تظهر في الشوارع وهي تهتف بسقوط الوزارة القائمة وسقوط العهد ، وجماهير الشعب تردد هتافاتها ، واذا بقوات الشرطة تصطدم بالمتظاهرين ، ويلعلع الرصاص ، ويسقط عدد من القتلى والجرحى ، ولما نقل الطلاب أحد قتلاهم الى المستشفى التعليمي ، أضرب طلاب الكلية الطبيـة عن دروسهم ، واخـذوا يعملون على تضميد

(٣٦) بيان بابان في « تاريخ لوزارات العراقية » ٢٦٢/٧ ٠

الجرحى . وأدركت الحكومة حراجة الموقف فدخل وزير الداخلية ، ومعه لفيف من رجال الامن المسؤولين لدى وكيل رئيس الوزراء وهو في مكتبه الرسمي وطلبوا اليه الاستجابة الى احد الحلول الاربعة الاتية :

اولا ــ اعلان حالة الطوارىء

ثانيا ــ الاستعانة بالجيش

ثالثا ــ استعمال السلاح في الهواء

رابعا فسح المجال للمتظاهرين

ويقول وكيل رئيس الوزراء السيد جمال بابان في بيانٍ مطبوع له تاريخه ١٨ نيسان ١٩٤٨ :

« فأجبتهم بعدم امكاني اعلان حالة الطوارىء ، لعدم وجود سلطة قانونية للقيام بمثل هذا العمل ، كما لايمكن بأي حالٍ من الاحوال اشراك الجيش بمثل هذه الامور ، ولا اوافق مطلقا على استعمال السلاح حتى ولو ادى ذلك الى التخويف باطلاق الرصاص في الهواء . وهكذا استمرت المظاهرات وانتهت في مساء ذلك اليوم المصادف ١٨/١/١٩٤٨ بعد ان وقع مع الاسف اربعة قتلى منهم تلميذ واحد »[٢٧] .

وعلى هذا أصدر وزير الداخلية توفيق النائب بلاغا حذّر فيه من القيام بالمظاهرات . وقال في بلاغه « ان السلطات المختصة سوف تقوم بما يلزم لتفريق المتظاهرين أو المشتركين بالتجمع بالقوة » .

وشعر وكيل رئيس الوزراء بوجود حركة تمرّد في معسكر الرشيد فاتصل برئيس أركان الجيش ، وسأله عما شعر به ، فنفى هذا صحة ما يقال في هذا الصدد ووضع في الانذار سرية في معسكر الرشيد ، واخرى في معسكر الوشاش ، وفصيلاً في مقر وزارة الدفاع في القلعة على سبيل الاحتياط .

---

(٢٧) رئيس حزب الاستقلال محمد مهدي كبة في كتابه ( مذكراتي في صميم الاحداث ) ص٢٢٩ .

وقد أكد لنا السيد جمال بابان وكيل رئيس الوزراء ، بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، أن الوصي الامير عبد الاله أصر عليه بوجوب استعمال الشدة مع المتظاهرين وحصدهم حصداً ، وكان بابان ينكر ذلك في بياناته وأحاديثه في العهد الملكي الزائل •

ذهب الطلاب الى المستشفى الملكي في صباح يوم الاربعاء ٢١ من الشهر المذكور لتسلم جثث القتلى الذين سقطوا في اليوم السابق ، فطاردتهم قوات الشرطة حتى داخل بناية المستشفى المذكور ، وفتحت النار عليهم ، وأصابت مقتلاً من طالبين آخرين ، كان أحدهما تلميذا في كلية الصيدلة ، وقد أطار الرصاص دماغه ، فحمله اخوانه الطلبة ودخلوا به الى غرفة العميد ، فلم يسع هذا الا تقديم استقالته من منصبه ، واذا ببقية رؤساء الاقسام العلمية يحذون حذوه حتى بلغ عدد المستقيلين مئة وعشرة من الاطباء وغيرهم • وشعرت مديرية الشرطة العامة بالخطأ الذي ارتكبته قواتها فوجهت رسالة اعتذار الى عميد الكلية الطبية ، ووعدت باجراء التحقيق ومعاقبة الفاعلين •

وكانت الشرطة قد طوقت الدارسين في الكلية الطبية لمنع خروجهم وتظاهرهم ، فاتصل عميد الكلية المذكورة برئيسي مجلسي الاعيان والنواب لتدارك الامر ورتق الفتق قبل أن يتسع • ويقول رئيس مجلس النواب السيد عبد العزيز القصاب في ص٣١٦ من مذكراته :

« ورأينا هيأة الوزارة مجتمعة وطلبنا منهم فك الحصار عن كلية الطب ، أو تكليفنا نحن بأن نذهب اليها ونتوسط بين الطلاب والشرطة ونحسم القضية بالتي هي أحسن ، فلم يوافق وكيل الرئيس ولا الوزراء • وقال رئيس الوزراء انهم مسيطرون على الوضع • ثم وجه الينا سؤلاً عما اذا كنا نوافق على اعلان الادارة العرفية اذا قررناها ؟ فأجبته بأن ذلك ليس من شأننا بل هو من صلاحية الوزارة فأنتم تقدرون الوضع وتسألون عنه أمام المجلس ، فذهبوا جميعا الى البلاط ورجعنا نحن الى المجلس » •

وعرض وكيل رئيس الـوزراء على الوصي أن يدعو بعض البارزين في مجلسي الاعيان والنواب ، مع رؤساء الاحزاب والوزارات وبعض الشخصيات المعروفة ، الى اجماع يعقد برئاسته لدرس الوضع المتأزم . وكان الوصي ملماً كل الالمام بأسباب التذمر في البـلاد ، وكان يدرك مدى اتهـام الشعب له بسؤوليته عن تردي الاوضاع وكثرة التذمر ، فاراد أن يتظاهر بحياده ازاء الاحداث بين الحكومة والشعب ، وبين الحكومة والمعارضة ، وان الامة صاحبة الشأن الأول في تقرير ما تريد ، فوافق على عقد الاجتماع الذي اقترحه وكيل رئيس الوزراء ، ليشهد من يحضره على براءة ذمته من تبعة الدماء التي أريقت أو ستراق في سبيل المعاهدة .

وعقد الاجتماع المأمول في مساء الأربعاء الحادي والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٨ ، وحضره اكثر من خمسة وعشرين سياسيا بين رئيس وزراء سابق، وعميد حزب قائم ، ووزير مرموق ، وآخر بارز . وافتتح الوصي الاجتماع قائلا :

« اننا والحكومة كنا نعتقد بأن مشروع المعاهدة هو في مصلحة الشعب . وقد رأيتم ما وقع في البلاد من أحداث مؤلمة حول هذه المعاهدة . وقد دعوتكم لأخذ رأيكم ، وأنتم أصحاب الرأي في البلاد في هذه المعاهدة وفي الاحداث التي وقعت »[٢٨] .

ثم أوعز الى السيد جمال بابان أن يدلي بما عنده من معلومات ، وأن يذكر الاسباب التي أدت الى ما أدت اليه ، فبسط وكيل رئيس الوزراء كل ذلك باسهاب . ثم تكلم المعارضون بصراحة « وجميعهم انتقدوا المعاهـدة وطلبوا رفضها عدا أحد الحاضرين السيد عبد المهدي الذي تكلم باسهاب ، واسند هذه المظاهرات الى الحزب الشيوعي الموجود في البلاد ، فاستنكر كامل الجادرجي وقسم آخر من الحاضرين ذلك ، واكدوا كون المظاهرات كانت

(٢٨) رئيس مجلس النواب عبد العزيز القصاب في كتابه ( من ذكرياتي ) ص٣١٧.

وطنيه وقوميه »[29] ثم أعقبهم الموالــون فأخذوا يتسترون وراء الالفاظ الغامضة ؛ واذا بالوصي يوعز بوجوب الاتصال برئيس الوزراء في لندن وطلب عودته الى العراق فورا • واقترح حمدي الباچه چي أن يعلن الوصي بانه لن يوافق على هذه المعاهدة ما دام الشعب لا يرضاها • وقد أيد هذا الاقتراح معظم الحاضرين واذا بالوصي يأمر باذاعة البيان الآتي :

**البيان الاميري بالنص**

« بناء على اهتمام حضرة صاحب السمو الملكي الوصي وولي العهد المعظم بشؤون البلاد العامة والاوضاح الحاضرة ، ونظرا لرغبة سموه الملكي في الاستئناس بآراء بعض أهل الرأي ، فقد تفضل سموه الملكي بدعوة رؤساء الوزارات السابقين ، ونائب رئيس مجلس الاعيان ، ورئيس مجلس النواب ، وقسم من الاعيان والنواب من الوزراء السابقين ، وممثلي الاحزاب السياسية فاجتمعوا في البلاط الملكي في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم بحضور هيأة الوزارة • وقد عرض المجتمعون آراءهم بخصوص مسودة لائحة معاهــدة پورتسموث ( العراقية ــ الانكليزية ) وقد أجمعت آراؤهم على أنها لا تحقق أماني البلاد ، وليست أداة صالحة لتوطيد دعائم الصداقة بين البلدين ، سيما وأن مجلس الوزراء لم يقر بعد تصديق المعاهدة المذكورة • ولهذا فان صاحب السمو الملكي الوصي وولي العهد المعظم ، يعد الشعب العراقي بأنه سوف لا تبرم اية معاهدة لا تضمن حقوق البلاد وأمانيها الوطنية » انتهى •

لقد جنّ جنون الانكليز لصدور هذا البيان بهذه الصورة المفاجئة ، وحملت صحافتهم على العراق وحكومته حملات قاسية ، زاعمة أن العراق هو الذي طلب تعديل المعاهدة • وقال لي وكيل رئيس الوزراء جمال بابان

(٢٩) مذكرات توفيق السويدي ص٤٧٤ •

أن السفير البريطاني في بغداد سأله عما اذا كان هذا البيان يعد رفضا رسميا للمعاهدة فرد عليه بالنفي •

**عودة الوفد الى العراق**

ما كاد رئيس الوزراء السيد صالح جبر يحاط علماً ــ وهو في لندن ــ بالاجتماع الذي عقد في البلاط الملكي عصر اليوم الحادي والعشرين ، ويسمع عن البيان الرسمي الصادر مساء اليوم المذكور حتى صرح بما يلي :

انه موقن بأن البرلمان العراقي والشعب العراق سيجدان في المعاهدة ــ الجديدة ــ ما يحقق الاماني القومية تحقيقا كاملا ، وأن بعض العناصر الهدامة من الشيوعلين والنازيين ــ كذا ــ التي اعتقلها عام ١٩٤١ استغلت فرصة غيابه وأحدثت القلاقل في البلاد ، وانه سيعود الى العراق فورا وسيسحق رؤوس هذه العناصر الفوضوية حتماً •

ويقول السيد توفيق السويدي في ص٤٧٤ من مذكراته التي أشرنا اليها في مواضع اخرى من هذا البحث • « ان السيد صالح جبر بعث الى وزير خارجيه بريطانية المستر بيفن بورقة قال فيها : انه يعتقد بأن ما ورد في أخبار بغداد مبالغ فيه ، وأن الرأي العام لم يطلع على حقيقة الموقف ، وانه مدفوع بتحريض الكثيرين من الموتورين والفوضويين والهدامين » وكان غرض السيد صالح جبر من هذه الحركة تمكين بيفن من تخفيف حملة مجلس العموم البريطاني عليه بسبب الاحداث الجارية في العراق ، واضطراره الى الالحاح على الوفد العراقي بوجوب العودة الى العراق فورا لتنوير الرأي العام فيه بمحاسن المعاهدة ووجوب قبولها • وقد هيأت الحكومة البريطانية طائرة خاصة لهذا الغرض غادرت لندن في ٢٥ من الشهر ووصلت الى بغداد في السادس والعشرين منه ، حيث هبطت في الحبانية ، وأخذ صالح يتصل منها بالمسؤولين لمعرفة الوضع الراهن « ففهم ان الهياج كان عظيما يأخذ تدريجيا صفة الثورة ،

وأن السلطات المحلية تخشى أن يقابل الوفد بمظاهرة صاخبة قد تؤدي الى ما لا تحمد عقباه اذا هو وصل بغداد في وقت وساعة معلومتين »[٣٠] .

وقد ضمنت قوات الامن ايصال السيد صالح جبر الى قصر الوصي سالما ، وكان نائبه جمال بابان قد سبقه الى القصر المذكور ، واذا بصالح يعنف جمالاً ويحمله مسؤولية تردي الوضع العام . ثم حضر السيدان : نوري السعيد وتوفيق السويدي فهزأ الاول من الاضطرابات الجارية ، وحمّل الثاني جمالاً مسؤوليتها . وقال رئيس الوزراء ان بأمكانه ان يتغلب على هذه الازمة ، اذا منح حرية التصرف أربعا وعشرين ساعة ، فرد عليه نائبه بأستحالة ذلك ، وتقدم بكتاب استقالته من منصبه كوزير للعدلية ، كما استقال السيد جميل عبد الوهاب من منصبه كوزير للشؤون الاجتماعية ، ويوسف غنيمة من وزارة المالية ، فاقتنع صالح بوجوب التنحي عن رئاسة الوزراء ، وهيأ كتاب استقالته . ولكن بعض الجهات العليا اخذت تشيّعه وتحثه على الصمود بما عرف عنه من صلابة ومضي عزيمة فعدل عن الاستقالة .

**الاصطدام المسلح**

تشجع السيد صالح جبر ، أو اغترّ بالتشجيع الذي سمعه ، فهيأ خطابا تحذيريا أذاعه بالراديو مساء السادس والعشرين من هذا الشهر مرارا ، وطبع آلاف النسخ منه لتوزيعها على الأهلين الغاضبين ، كما أبرق بنصه الى المتصرفيات كافة . وقد تضمن التحذير شرح كيفية تأليفه الوزارة ، وما جاء في منهاج وزارته عن تبديل المعاهدة بمعاهدة جديدة تضمن للبلاد حقوقها ، وكيفية الشروع في المفاوضات اللازمة لعقد هذه المعاهدة ، وتأليف الوفد الذي سافر الى لندن لهذا الغرض ، وتوصل الطرفين الى عقد المعاهدة المنشودة ، وما لقيمة

---

(٣٠) نص التحذير في « تاريخ الوزارات العراقية » ٧/٢٧٤ .

نشرها من هياج في الرأي العام وصدور بيان التشريفات الملكية بصددها وختمه بقوله :

« وبعد بيان ما تقدم ، أرجو من اخواني أبناء الشعب العراقي الكريم أن يخلدوا الى الهدوء والسكينة ، ويتركوا كل ما من شأنه الاخلال بالامن والنظام ، ومخالفة القوانين الواجبة الرعاية والاحترام من قبل الجميع »[٣١] .

لم يستجب أحد لهذا التحذير فنامت بغداد ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من كانون الثاني ١٩٤٨ على فوّهة بركان • فلما اصبح الصباح ، كانت بغداد مطوقة بالقوات المسلحة ، واحتلت آلياتها مداخل الطرق الرئيسة ، كما نصبت المدافع الرشاشة فوق البنايات الشامخة والمساجد المطلة على النهر ، وما أزفت الساعة التاسعة حتى بدأ الرصاص يسمع في كل مكان ، كانّ الناس في ساحة حرب ضروس • فقد خرج المتظاهرون من طالبات وطلاب وجماهير من الشعب مختلفة الصنوف والاعمار والهويات خرجت من الاعظمية وجانبي الرصافة والكرخ ، ومن مواضع اخرى للتجمعات ، وآخذت تجد في السير لتلتقي ببعضها ، ولما وصلت المظاهرة التي خرجت من الاعظمية الى البلاط الملكي في منتصف طريق بغداد ــ الاعظمية ، توقفت عند البلاط ، ودخل ثلاثة من الطلاب على رئيس الديوان الملكي السيد احمد مختار بابان فأفزعوه وأفزعوا كل من كان في البلاط ، واذا بالشرطة تفتح النار وتصيب مقتلاً من أربعة من المتظاهرين ، واذا بكتلتين من الطلاب تزحف احداهما من جوار وزارة الدفاع والاخرى من الاعظمية فتجد قوات الامن نفسها وقد حوصرت بين هاتين القوتين فتشق طريقهما الى شارع غازي المحاذي لشارع الرشيد فينطلق المتظاهرون يشعلون النار في سيارات الشرطة ، ويندفعون الى شارع الرشيد ، ويحرقون دراجتين الشرطة كانتا تقفان على مدخل شرطة العبخانة ، واذا بمظاهرة اخرى تأتي من جانب الكرخ وتحاول العبور الى جانب الرصافة فتفتح الشرطة نارها على العابرين وتوقع فيهم خسائر كبيرة وتستمر المعركة

نصف الساعة وتنتهي بقهر قوات الامن وعبور المتظاهرين الى صوب الرصافة ، واذا برئيس الوزراء يذيع هذا البيان :

**الى الشعب العراقي الكريم**

لقد تضمن البيان الذي أذعته في الليلة الماضية على الشعب العراقي الكريم ، ان يخلد الى الهدوء والسكينة ، ويترك كل ما من شأنه الاخلال بالامن والنظام ، ومخالفة القوانين الواجبة الرعاية والاحترام من قبل الجميع. وقد اذيع هذا البيان مرات عديدة ، ووزعت منه عدة الاف من النشرات . ولكن يظهر ان المحرضين على المظاهرات كانوا مستمرين على تحريضاتهم ، الامر الذي أدى الى حدوث المظاهرات في هذا الصباح ايضا . فرأيت ان من المفيد ان اكرر رجائي الى ضرورة ترك المظاهرات والخلود الى السكينة ، ومحافظة النظام ، خاصة من طلاب الكليات والمدارس ، والطلب الى أوليائهم ان يمنعوهم من الانخراط في المظاهرات التي قد يؤدي انخراطهم فيها الى ان تتعرض ارواحهم الى الخطر ، اذ ان من أهم واجبات الحكومة ضمان استتباب الامن ، وفي سبيل ذلك لا مفر من ان تستعمل الحكومة كل الوسائل الفعالة لتحقيق هذا الغرض ، اذ ان فقدان الامن يؤدي الى تعريض الناس الى المخاطر والمهالك ، وهذا لايمكن لحكومة مسؤولة ان تسمح به بشكل من الاشكال إ هـ

لقد أفقد هذا الانذار الاهلين رشدهم ، وألهب مشاعر الطلاب والمتظاهرين على اختلاف نزعاتهم واعمارهم فاندفعوا الى شارع الرشيد واحرقوا مقر جريدة التايمز الانكليزية وكل ماله علاقة بالانكليز ، وصوبوا النار على صور الحاكمين فأصدر متصرف لواء بغداد أوامره الى قوات الشرطة باطلاق النار على المتظاهرين وأن يحصدوا الارواح حصدا حتى يستتاد النظام ، ولكن قوات الشرطة كانت تطلق النار في الهواء للتخويف دون التصويب فطلب الى وزارة الداخلية ان تفاتح وزارة الدفاع في أمر تعزيز قوات الشرطة بفوج من

الجيش . ولما طلبت وزارة الدفاع الى رئاسة أركان الجيش اجابة الطلب المذكور تحايلت هذه وترددت في الامر حتى كانت استقالة الوزارة .

وفي غمرة هذه الاحداث ، تقدم لفيف من اعضاء مجلس النواب باستقالاتهم من العضوية في المجلس المذكور احتجاجا على ما يجري في البلد ، واعقبهم رئيس مجلس النواب السيد عبد العزيز القصاب فاستقال من رئاسة المجلس ومن العضوية فيه ، واستقال وزير المالية السيد يوسف غنيمة من منصبه ـ كما قدمنا ـ

وكان لدى لوصي آنئذٍ السيدان : نوري السعيد ومحمد الصدر وكان الاول يرى وجوب صيانة كرامة الحكومة مهما بلغت الضحايا في سبيل هذه الصيانة ، بينما كان الثاني يقول ان الشعب فقد رشده ، وأن زمام الامور قد أفلت من يد الحكومة فلا مناص من حقن الدماء ، واذا برئيس الديوان الملكي يتصل برئيس الوزراء ويلفت نظره الى الخلل الذي أصاب النصاب القانوني للوزارة ، وان الوصي متعب للغاية ، فأدرك رئيس الوزراء ان الساعة قد حلت ولا ريب فيها ، وأن الحركة التي تمر البلاد بها أقوى حركة شعبية تشهدها البلاد خلال حكمها الوطني ، ولا سيما بعد ان ظهرت عليها آثار التنظيم والتوعية والتضحية فأسرع الى تقديم استقالة وزارته بالنص الآتي :

سيدي صاحب السمو المعظم

لقد ظهر من البيانات التي أدلى بها وزير العدلية ووكيل رئيس الوزراء في جلسة صباح أمس ، التي عقدها مجلس الوزراء بمحضر من سموكم في قصر الرحاب العامر ، ان أخطاء متعددة قد وقعت فأدت الى الوضع الحاضر ، وقد عينت هذه الاخطاء ولا حاجة لتكرار عرضها الآن . هذا ولما شعرت ان البعض من الزملاء المحترمين يميل الى عدم الاستمرار بتحمّل المسؤولية ، رأيت من واجبي ان أفسح المجال لسموكم المعظم معالجة الوضع ، وذلك باختيار من ترونه لتحمل المسؤولية . وبينما كنت اريد تقديم استقالتي ، وكانت

مهيأة ، أمرتموني سموكم في مساء البارحة بضرورة الاستمرار بغية توطيد الامن ، ومحافظة النظام بالدرجة الاولى ، فامتثلت أمر سموكم ، وباشرت من فوري باتخاذ الاجراءات التي اعتقد انها تؤدي بالنتيجة الى القضاء على الاضطراب والفوضى ، ولكني تناولت في ليلة البارحة استقالة وزير العدلية ، وفي صباح اليوم استقالة وزيري الشؤون الاجتماعية والمالية ، وهذا ما توقعته ونوهت به لسموكم ليلة البارحة ايضا • فأرى الآن ان لا مناص من ان اتقدم باستقالتي راجيا قبولها • ولابد لي بهذه المناسبة ان اتقدم لسموكم المعظم بجزيل الشكر للثقة الغالية التي اوليتمونا اياها ، وللمساعدات الجمة التي شملتمونا بها زملائي وأنا خلال المدة التي تولينا فيها المسؤولية ، وثقوا يا سيدي بأني سأبقى ذلك العبد المخلص •

بغداد ١٩٤٨/١/٢٧ رئيس الوزراء ــ صالح جبر

وأسرع الوصي الى قبول هذه الاستقالة ، أو الاقالة بالمعنى الصحيح، وأمر باصدار هذا البيان :

شعبي العزيز

من المؤلم حقاً ان تحدث بين اخواني أبناء الشعب الواحد حوادث مؤسفة أدت الى اراقة الدماء • ولا أشك بأن كل واحد منكم يشاركني ألمي هذا • والآن وقد استقالت الوزارة القائمة وقررنا قبول استقالتها ، فأني أطلب من جميع أفراد الشعب على اختلاف طبقاته ، التعاون معي بالخلود الى السكينة والهدوء ، وتجنب كل ما هو مؤدٍ الى الاخلال بالامن والنظام والقانون للوصول الى ما فيه خير البلاد ، والنتائج الحسنة التي يتوخاها الجميع ، كما ادعو جميعكم الى الانصراف الى اعمالكم الاعتيادية ومن الله التوفيق •

عبد الاله

ويقول حمدي الباچه‌چي ، أحد رؤساء الوزارات ، ان الوصي « حقود وانه اخبره سرا انه في ايام الحوادث هذه كان قلقا حتى انه كان يحقن بأبرٍ لتحمّل

الصدمة » على ما ينقله الفريق طه الهاشمي في ص٢٠٥ من الجزء الثاني من مذكراته . أما الميجر لونكريك فيقول في كتابه .IRAQ 170 196

لم تثمر شيئا عودة رئيس الوزراء الى بغداد ، الذي كان ما يزال مقتنعا بأن كل ذلك من صنع المحرضين ، ومن صنع الجمهور الذي أسيء توجيهه . على ان ملازمته الشخصية لم تؤمن الا بأرسال ثلة من الحرس الى سطح منزله للمحافظة على حياته . وكانت الصحف والجمهور تشن حملات عنيفة على رئيس الوزراء ، حيث لم تستطع نار بنادق الشرطة ان تخمدها ، كما ان القبض على مثيري القلاقل والاضطرابات من الشيوعيين لم يقلل من حدّة الامر ، كما ان بيانه الذي ألقاه بنبرة الثقة والاطمئنان لم يلق غير آذان صماء . وبلغت الاضطرابات ذروتها في السابع والعشرين من كانون الثاني ، وحصلت بعض الوفيات والاصابات بالجروح . وقد طلب الجمهور من البلاط استقالة الوزارة ، او حتى اعدام رئيسها . وهكذا رضخ صالح جبر وترك الحكم ثم هرب بحيانه الى ريفه الواقع على نهر الفرات ــ في مزرعة أصهاره آل جريان بجوار الحنة الفيحاء ــ ومن هناك ذهب الى شرق الاردن وبعدها الى انكلترا .

### الاطاحة بالمعاهدة

بعد الاطاحة بوزارة السيد صالح جبر على النحو الذي ذكرناه ، تألفت وزارة محايدة برئاسة السيد محمد الصدر لتنقل البلاد من حالة الفوضى الى حالة الاستقرار ، وتحقيق مطالب الشعب ، وكانت هذه المطالب تنحصر في :

١ ــ ابطال معاهدة پورتسموث الجائرة واعلان ذلك دون ابطاء .

٢ ــ اجراء التحقيق عن اطلاق النار ضد ابناء الشعب ، وتعيين المسؤولين عنه .

٣ ــ حلّ المجلس النيابي القائم ، واجراء انتخابات حرة .

٤ ــ احترام الحريات الدستورية .

٥ ــ افساح المجال للنشاط الحزبي ٠

٦ ــ حلّ مشكلة الغذاء بشكل يوفر للشعب قوته ٠

وقد تبنّت الاحزاب السياسية القائمة ملاحقة الوزارة الجديدة لتحقيق هذه المطالب فتقرا :

١ ــ عدم الموافقة على المعاهدة ، بعد ان درسها مجلس الوزراء دراسة دقيقة في جلساته المنعقدة في ٣١ كانــون الثانــي و١ و٢ شباط ١٩٤٨ ، لأنها « بعيدة عن تحقيق الغاية المتوخاة من تنظيم التحالف بين المملكتين على اسسٍ تتساوى فيها الحقوق وتتعادل الواجبات والمصالح » إ هـ

٢ ــ حلّ مجلس النواب القائم بموجب قرار اتخذه مجلس الوزراء في ٢٢ شباط ١٩٤٨ على أساس « أن الرأي العام والصحف لا تزال تطالب بحل المجلس ، وتنسب التدخل والتزوير الى الانتخابات التي انبثق عنها » ٠ ا هـ

٣ ــ قرّر مجلس الوزراء اعادة النظر في القرارات التي اتخذتها الوزارة السابقة المستقيلة ، فيما يتعلق بتعطيل الصحف وسوق أصحابها الى المحاكم ، واعتقال عدد من الطالبات والطلاب وبعض الشباب ، والسماح للصحف والمجلات المعطلة باستئناف عملها ، وتسريح الموقوفين كافة ، ورفع الرقابة المفروضة على المراسلات والاشخاص، واستئناف الدراسة في المدارس الحكومية والاهلية ٠

٤ ــ اتصّل مجلس الوزراء بمجلس الطعام الدولي ، وطلب تمويــن العراق بثلاثين الف طن من الحنطة حالاً ٠

٥ ــ اما ما يتعلق بالتحقيق في قضايا فتح النار ، فقد قرر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة في أول شباط ١٩٤٨ تأليف لجنة قضائية تتولى :

أ ــ جمع المعلومات حول ما حدث خلال المظاهرات التي حصلت

بين تاريخي ١٩٤٨/١/٥ و ١٩٤٨/١/٣٠ وكيفية اطلاق النار على المتظاهرين ، وتعيين المسؤولين عن ذلك .

ب ـ التحقيق عن صدور الاوامر بشأن اطلاق النار ، والجهة التي أصدرتها .

ج ـ التثبّت من عدد القتلى والمجروحين خلال تلك المظاهرات وبسببها .

وليس من شأن هذا البحث التعرض لما جاء في الفقرتين أ وب . أما ما يتعلق بالفقرة ج فتقول اللجنة :

« لم يكن لها سوى الاعتماد على ما وصلها من التقارير الطبية عن القتلى والجرحى من وزارة الشؤون الاجتماعية فبلغ عدد القتلى من الاهلين خمسة وعشرين قتيلا ، وعدد الجرحى من الاهلين سبعة وسبعين جريحا . اما عن اصابات الشرطة فلم يقع قتيل بينهم . وأما عدد الجرحى فكان مئة وستة وثلاثون جريحا . على ان اللجنة تبين بهذه المناسبة ان عدد الجرحى من الاهلين لا يمثل العدد الحقيقي نظرا لعدم مراجعة الكثير منهم المستشفيات الحكومية ، وتفاهة جروح بعضهم . كما ان قسما من هؤلاء الجرحى ... كانت تضمد جروحهم في المستشفى دون ان يعطوا مجالا لتسجيلهم لخشيتهم من تعقيبات الشرطة ». آنذاك .

وتقول اللجنة القضائية أيضا في ختام تقريرها :

« من الاوفق ان تقوم الحكومة في تعويض الجرحى وذوي القتلى بصورةٍ عامة ووفق اسسٍ عادلة واستصدار التشريع اللازم لذلك » .

ولم نسمع حتى الآن عن أي اجراء اتخذ بحق المسؤولين عن هذه الحوادث . أو أي تشريع وضع للتعويض للجرحى وذوي القتلى ، ولذلك رأينا الناس يمثلون بقتلى الشرطة في انتفاضة ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ تمثيلاً تأباه الشهامة والمروءة والانسانية .

طبلّت الاوساط الحكومية وزمرت لمعاهدة پورتسموث ، التي عقدتها وزارة صالح جبر مع الحكومة البريطانية في العشرة الثانية من كانون الثاني ١٩٤٨ ، وزعمت بأن الحكومة البريطانية كانت ستقرر تمكين العرب من احتلال فلسطين واقامة حكومتهم المأمولة فيها ، وأن للمعاهدة المذكورة ملحقا سريا ينص على ذلك . وما تزال بعض الاوساط التي تعطف على العهد الملكي الزائل تؤكد هذه المقولة كلما توسعت اسرائيل على حساب العرب ، وتمادت في البطش بالفلسطينيين المشردين منهم والباقين تحت احتلالهم . وقد حاولنا عبثاً ان نعثر على هذا الملحق السري للمعاهدة ، موضوعة البحث ، سواء اكان هذا البحث في دائرة الوثائق البريطانية في لندن ، او في ملفات وزارة الخارجية العراقية . واخيرا اتصلنا بالدكتور محمد فاضل الجمالـي وزير الخارجية العراقية في وزارة السيد صالح جبر لأستجلاء الحقيقة فتفضل علينا مشكورا بالخطاب الآتي وهو فصل الخطاب على ما نعتقد :

بغداد ٢٠ ايلول سنة ١٩٥٧

عزيزي الاستاذ عبد الرزاق الحسني المحترم

بارك الله فيكم وفي مجهوداتكم القيمة في سبيل حفظ تاريخنا المعاصر ..

جوابا على ما ورد في كتابكم المؤرخ ٣ ايلول ١٩٥٧ فيما يتعلق بخطاب دولة الاستاذ عادل عسيران في تأبين فخامة الاخ المرحوم صالح جبر ، واعلانه ان الحكومة البريطانية كانت على استعداد لتجهيز سلاح يكفي لخمسين الف مقاتل عربي في فلسطين ، اقول ليست لدي وثيقة تحوي المعلومات التي وردت في ذلك الخطاب ، بل لدي تقرير كنت قد كتبته حول اجتماع حصل في غرفتي في أوتيل كلارج في لندن مع المستر بيفن وجماعته من جهةٍ ، وانا ورئيس الوزارة آنذاك المرحوم السيد صالح جبر وفخامة السيد نوري السعيد من جهةٍ اخـرى . لبحث موضـوع فلسطين . وكان ذلك قبل توقيـع معاهدة

بورتسموث • ومما تم التفاهم عليه في ذلك الاجتماع ولم يدوّن ولم أشر اليه في تقريري الآنف الذكر ، النقاط التالية :

١ ــ الاسراع بتزويد الجيش العراقي فورا بالسلاح والاعتدة التي كانت قد طلبت من الحكومة البريطانية •

٢ ــ تزويد الشرطة العراقية بما يكفي لتزويد خمسين الف شرطي بالاسلحة الاوتوماتيكية • وكان القصد من ذلك تسليح المجاهدين الفلسطينيين بهده الاسلحة لتمكينهم من المساهمة في تحرير فلسطين •

٣ ــ وقد تم التفاهم أيضا على ان تدخل القوات العراقية في كل جزء تنسحب منه القوات البريطانية بحيث يشمل ذلك فلسطين كلها ، وذلك بالتعاون مع المجاهدين الفلسطينيين بحيث لا تؤسس دولة يهودية •

هذا مما تم التفاهم عليه ، وهذا ما اهمل تماما ، بعد ان رفضت معاهدة بورتسموث •

ارجو ان تجدوا في هذا ما يكفي لأقرار حقيقة تاريخية وارجو لكم التوفيق في مساعيكم العلمية الثمينة •

المخلص ــ محمد فاضل الجمالي[٣١]

---

(٣١) اصل الكتاب في تاريخ الوزارات العراقية ٧/٢٨٦ الطبعة السابعة •

# القشة

## التي قضمت ظهر البعير في انتفاضة

## تشرين الثاني ١٩٥٢

**تمهيـــد**

هزت نكبة فلسطين كيان الامة العربية ، وهزت ضمائر ابنائها وعقائدهم على اختلافها هزا عنيفا ، فكان على ملوك العـــرب ورؤساء الجمهوريات في بلادهم ، والمسؤولين عن الحكم فيها ، أن يعيروا هذه الحالة النفسية أعظم الاهتمام فيتلافوا ما فات ، ويعملوا على النهوض بالشعب في الداخل ، وعلى انتهاج سياسة عربية تهدف الى توحيد اجزاء الوطن العربي ، وتعد قضية الحرية والاستقلال في جميع هذه الاجزاء قضية واحدة ، وتعبىء جميع القوى لمجابهة الاخطار ، والتحرر من الاستعمار بكل اشكاله وألوانه حتى يتم تحرير فلسطين لتندمج في وطنٍ مستقل موحد . ولكن الحكومات العربية سارت في وادٍ ، وسارت شعوبها في وادٍ آخر ، فتسلسلت الحوادث المؤسفة ، وهوت العروش الشامخة ، وكثرت الاغتيالات السياسية المؤسفة « وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » ـ صدق الله العظيم ـ

ففي ٣٠ آذار من عام ١٩٤٩ ، قام الزعيم السوري حسني الزعيم ، بانقلاب عسكري في دمشق طوّح بالسيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية وأجلاه عن البلاد • ويقول رئيس الوزارة السورية يومئذٍ ، وهو السيد خالد العظم في ص١٨١ من الجزء الاول من مذكراته ذات الاجزاء الثلاثة :

« ان حسني الزعيم أراد حماية نفسه من العزل والاحالة على المحاكمة بتهمة الاشتراك في صفقات مريبة وخاسرة تعاقدت عليها مصلحة التموين في الجيش مع بعض الملتزمين الذين قدّموا بضاعةً فاسدة وقبضوا ثمنها مضاعفا » إهـ

وفي ١٤ آب من السنة نفسها تزعّم اللواء سامي الحناوي الانقلاب العسكري الثاني في دمشق ، وهو الانقلاب الذي أدى الى اعدام حسني الزعيم ، واعدام رئيس وزرائه محسن البرازي بعد محاكمة صورية مستعجلة • وكان العراق وراء هذا الانقلاب الثاني ، وكان الهدف منه الاتحاد بين العراق وسورية •

وفي ١٩ كانون الاول من هذه السنة أيضا « أي سنة ١٩٤٩ » قام العقيد الجوي أديب الشيشكلي بانقلاب عسكري أطاح باللواء سامي الحناوي واخراجه من سورية ، ثم اغتياله في بيروت بعد أمدٍ قصير ، انتقاما لاعدامه حسني الزعيم ومحسن البرازي في الرابع عشر من آب • وكانت المبررات لهذا الانقلاب الثالث •

« ان رئيس الاركان العامة اللواء سامي الحناوي ، وعديله السيد أسعد طلس ، وبعض ممتهني السياسة في البلاد ، يتآمرون على سلامة الجيش وكيان البلاد ونظامها الجمهوري مع بعض الجهات الاجنبية » اهـ

وفي ١٦ تموز من عام ١٩٥١ قتل السيد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان ، بعد الانتهاء من زيارة كان قد اداها الى العاهل الاردني الملك عبدالله ،

قتله أحد اعضاء الحزب القومي السوري انتقاما لاعدام رئيس الحزب المذكور السيد انطوان سعادة ، من قبل السيد الصلح في التاسع من تموز ١٩٤٩ وقد صرع القاتل على الفور •

وبعد أربعة ايام من هذا الحادث المفجع ، وعلى التحقيق في العشرين من تموز ١٩٥١ ، بينما كان الملك عبد الله يهم في الدخول الى المسجد الاقصى بالقدس لاداء فريضة الجمعة ، اطلقت النار عليه وتوفي في الحال • وقد شنق بسبب ذلك بعض الابرياء من خصوم الانكليز •

وفي ٢٣ تموز من العام التالي « ١٩٥٢ » كان الانقلاب العسكري الكبير في مصر ، وهو الانقلاب الذي عصف بعرش الملك فاروق ، وأجلاه عن أرض الكنانة ، وادى الى اعلان الحكم الجمهوري في هذا البلد الامين • وقد برّر القائمون بهذا الانقلاب :

« بتظافر عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش ، وتولى أمره اما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش »•

وفي ١٨ ايلول من السنة نفسها « ١٩٥٢ » كان الانقلاب اللبناني الذي أطاح بحكم الشيخ بشارة الخوري ، واضطره الى التخلي عن رئاسة الجمهورية اللبنانية ، لأن الاوضاع في لبنان بلغت « أسوأ درجة من الانحطاط والفساد والرشوة والمحسوبية والمنسوبية واستغلال النفوذ والاثراء غير الشرعي » — على حدّ اقوال المعارضة —

## الموقف في العراق

وتلفتت الاحزاب السياسية في العراق في هذا الركام الهائل من الأسواء ، فوجدت ان المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقها في هذا الظرف الدقيق ، وفي هذه المرحلة الحاسمة ، تحتم عليها — وهي تعمل في صفوف الشعب — ان تتقدم الى المقام الاعلى في البلاد ، بمذكرات ٍ توضح فيها ما يجول في خواطر أبناء الشعب ، وما يتحدث به الناس من « وجوب وضع حد ٍ لأوجه السوء

والتردي في أحوال البلاد العامة ، وتحقيق الاصلاحات السياسية والاقتصادية، وتعديل القانون الاساسي بما يضمن في نصوصه سيادة الشعب ضمانا تاما ، ويوقف كل سلطة من سلطات الدولة عند الحدّ الذي يجب أن تقف عنده ، وانهاء النصوص التي تخول الملك اقالة الوزارة وتجعل قرارات مجلس الوزراء متوقفة على موافقته عليها ، والاخذ بالانتخاب المباشر ، واجراء انتخابات حرة لمجلس يمثل الشعب ، وتنبثق عنه حكومة وطنية ترتضيها اكثرية الشعب ، وكذلك اطلاق الحريات السياسية ، بما فيها حرية تأليف النقابات العمالية ، وازالة القوانين الرجعية ، ووضع تشريع يضمن استقلال القضاء ، وتأليف مجلس دولة لحماية حقوق المواطنين ، واعلان العفو العام عن المحكومين السياسيين ، وتطهير جهاز الدولة من المرتشين والعناصر الفاسدة ، والضرب على أيدي المستغلّين والمحتكرين ، والغاء الاقطاع وتوزيع الاراضي المستملكة والاراضي الاميرية على الفلاحين ... »[1] .

**نصوص من المذكرات**

كانت في العراق في عام ١٩٥٢ أربعة احزاب سياسية مجازة ، وحزبان سياسيان سريان . اما الاحزاب المجازة فكانت :

١ ــ حزب الاستقلال .
٢ ــ حزب الجبهة الشعبية المتحدة .
٣ ــ الحزب الوطني الديمقراطي .
٤ ــ حزب الامة الاشتراكي .

واما الحزبان السريان فكانا :

١ ــ حزب البعث العربي الاشتراكي .
٢ ــ الحزب الشيوعي العراقي .

---

(١) جريدة الاهالي العدد ٥٨٥ الصادر بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٥٢ .

وقد جرت محاولة مخلصة لأن تقدّم هذه الاحـزاب الستة مذكرةً مشتركة بلغة قاسية الى المقام الاعلى ، تحمّله فيها كل ما كانت تشكو البلاد منه من حياة نيابية مزيفة ، وانظمة رجعية فاسدة ، واصول انتخابية بالية ، مضافا الى كبت الحريات ، وانتشار الفساد ، واستغلال النفوذ ، ومضافا الى المحسوبية والمنسوبية وعرقلة اعمـال الناس ، ولكن فكرة تقديم المذكرة المشتركة استبعدت الى حين ، وارتؤى أن يقدم كل حزب مذكرته الخاصة ، باللغة التي يرتضيها ، والاسلوب الذي يختاره . وقد تم تقديم هذه المذكرات في الثامن والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٥٢ على النحو الآتي :

قال حزب الاستقلال في مذكرته :

تأسس — في العراق — حكم برلماني صوري كان العبث بانتخاب نوابه علياً ، والتحيز في اختيار اعضائه واضحاً ، واختير الوزراء من طبقة معينة ، محدودة معروفة الميول والاتجاهات المضادة لمصالح الشعب ، وابقيت القوانين البالية على الوضع الذي كانت عليه زمن الحكم العثماني والاحتلال البريطاني ، بل زيدت عليها نصوص أضعفت من الحريات الشعبية وقيدتها ، وأصبحت جرائم تزوير الانتخابات اعمالاً مشروعة لا يتردد الموظفون ، ولا الوزراء أنفسهم ، عن ارتكابها ، وفقد العدل بين الناس حتى اصبح الفرد موضعا للمساومة العلنية في ساحات القضاء ... وأنصرف أغلب من وصل الى المناصب الوزارية الى احتجان الاموال ، وامتـلاك الممتلكات ، واشتغل اكثرهم وهم في مناصب المسؤولية بالتجارة ، والزراعة ، والشركات ، وتفشت الرشوة ، وأصبح قبول الهدايا من اصحاب المصالح شيئا طبيعيا ومألوفا من المسؤولين »[٢] .

وكان مما جاء في مذكرة « حزب الجبهة الشعبية المتحدة » قولها :

« فالوزرات في كثير من الاحيان تتنصل من تبعات أعمالها ، زاعمة أن

(٢) نجد نص المذكرة باكمله في ص (٢٩٤) من الجزء الثامن من ( تاريـخ الوزارات العراقية ) في طبعته السابعة .

المقام الاعلى لا ينثني عن التدخل والتوجيه في الامور ، كبيرها وصغيرها ، مدعية انها لم تعد تملك حق البت فيها قبل الرجوع الى المقام الاعلى ، أما السلطة التشريعية فقد فقدت فعلاً سلطتها في الاشراف على شؤون الدولة ، وقدرتها على القيام بواجباتها في محاسبة المسؤولين » •

وتختم « الجبهة الشعبة المتحدة » مذكرتها بتحذير قلّما تجرأ حزب علني أو سري على النطق به وهو •

« وقد أصبح لنا في الانتفاضات الاخيرة ، وفي الاحداث الخطيرة التي حدثت في مختلف أقطار هذا الشرق القريب ، وخصوصا في مصر ولبنان ، عبرةً بالغة لا مناص لنا من الاتعاظ بها ، لأن الاسباب المتشابهة تؤدي الى نتائج متشابهة ، واننا لنخشى فيما اذا بقيت هذه الاوضاع على ما هي عليه الان من الفساد ، ان تعصف بالبلاد عواصف تهدد كيانها الذي قام على دعائم التضحية . ومفاداة الشعب العراقي الذي اشترط في البيعة ان يكون نظام الحكم في الدولة نظاما ديمقراطيا وشكله نيابيا »[٣] •

وكانت مذكرة « الحزب الوطني الديمقراطي » صريحة في اتهام الوصي بـ

: « عدم التقيد بالقانون الاساسي في ناحيتي حقوق الملك وواجباته في الحدود المعينة له ، مما كان سبباً مهماً لخرق سائر مواده من قبل السلطة التنفيذية ، وجعله معطّلاً من حيث الواقع • ولذا فاننا لا يسعنا — والحالة هذه — أن نتجاهل واقع الحال الذي جعل من سموكم مسؤولاً عن هذا الوضع الشاذ • ونستطيع ان نؤكد ان التردي في الحالة بدأ يأخذ شكلا واضحا منذ ان تم اخضاع البلاد للسلطات الانكليزية عقب حركة ١٩٤١م ، اذ رافق الاحتلال البريطاني الثاني دور ارهابي ركز فيه النفوذ البريطاني ، والحكم العرفي ، والادارة البوليسية ، وظهرت فيه الروح الانتقامية بأعلى مظاهرها ،

---

(٣) المصدر المذكور ص (٢٩٨) •

سواء في الاعتقالات الادارية ، او المحاكمات التي جرت على يد السلطات العسكرية العراقية »[٤] .

اما رابع الاحزاب السياسية المجازة ، ونعني به « حزب الامة الاشتراكي » فقد ارتأى ان يرفع شكواه الى رئيس مجلس الوزراء ، بدلاً من ان يرفعها الى المقام المسؤول ، كما فعلت بقية الاحزاب ، وقد جاء في مذكرته :

« لم يعد خافٍ على أحدٍ كون البلاد باوضاعها الراهنة ، وما يكتنفها من فساد ، وما يحف بها من مساوىء وفوضى ، وتسيب شمل الكثير من نواحيها ، باتت أحوج ما تكون الى اصلاح يعالج ما افسد من امورها ، ويدفع عنها غوائل الفوضى وعواقبها السيئة . ان الهوة التي انحدرت اليها الامور ، وبخاصة خلال الفترة الاخيرة ، أمست تهددها بشتى المحاذير والاخطار ، الامر الذي استفز الشعب ، وأثار سخطه وتذمره واستياءه ، وحمله على المطالبة بالاصلاح الشامل السريع قبل ان يستشري الداء ، ويعز الدواء . ومما ضاعف نقمة الشعب العراقي الكريم على اوضاعه القائمة ، وما بات يعانيه من جرائها من مصاعب ومتاعب ، انه انطلق يجأر بالشكوى تلو الشكوى ولا من سامع له من المسؤولين ، حتى أوشك اليأس ان يطغى على نفسه لأصدامه باعراض المسؤولين عنه ، وتمسكهم بالأستخفاف به ، واصرارهم على تحدي شعوره ، وامعانهم في تجاوز ارادته ومضيّهم في العبث بحقوقه على نحو ما هو قائم الآن »[٥] .

اما الحزب الشيوعي السري فقد طالب باطلاق بنود الدستور والحريات الديمقراطية للشعب ، وتعديل قانون الانتخاب وجعله مباشرا ، والغاء دفع

---

(٤) نفس المصدر ص ( ٢٩٩ ) .
(٥) نص المذكرة في « تاريخ الوزارات العراقية » ص٣٠٣ من الطبعة السابعة .

المئة دينار من قبل من يرشح نفسه للنيابة ، واشراف حكومة وطنية مخلصة على الانتخابات ، ومنح المرأة حقها في الانتخابات [٦] .

وأصدر حزب البعث العربي الاشتراكي نداءً الى الجماهير العربية طالب فيها الغاء معاهدة ١٩٣٠ ، وتوحيد الجهود للنضال من اجل التخلص من شروطها ، وأدان تعاون السلطة الحاكمة مع الاستعمار ، ودعا الشبيبة العربية للنضال في سبيل وحدة العرب وحريتهم ، وفي سبيل تحقيق المجتمع العربي الاشتراكي الجديد[٧] .

**الجواب الأميري**

لقيت المذكرات التي رفعتها الاحزاب السياسية الى مقام الوصاية على العرش في ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٢م ، تجاوبا سريعا من قبل المنظمات السرية ، وقطاعات الشعب المختلفة . وكان المفروض في الوصي وفي مستشاريه ، ان يتدارسوا ما جاء في هذه المذكرات من اتهامات خطيرة ، وتهديدات صريحة ، ولا سيما ما جاء في مذكرة الجبهة الشعبية المتحدة من « ان الاسباب المتشابهة تؤدي الى نتائج متشابهة » أي ان الحزب يشير الى ما وقع في سورية ولبنان ومصر ، ويحذّر من ان يقع في العراق ما وقع في تلك ، فيما اذا بقيت هذه الاوضاع على ماهي عليه من الفساد ، وان تعصف بالبلاد عواصف تهدد كيانها . ولكن الوصي ومستشاريه كانوا في وادٍ ، وكانت الاحزاب السياسية في وادٍ آخر ، فقد أبى غرور الوصي ونزقه الا ان يأمر بالرد على هذه المذكرات في الساعة التي تسلّم المذكرات ، وان يكون الرد قاسيا وحاسما على قدر

(٦) جريدة « القاعدة » لسان حال الحزب الشيوعي العدد ١٠ الصادر بتاريخ آذار ١٩٥٢ .

(٧) جريدة الجبهة الشعبية العدد ٣٩٤ الصادر بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٢ .

الامكان • وقد تولى السيد احمد مختار بابان رئيس الديوان الملكي اعداد الجواب فكان مما جاء فيه :

« تشكلت الحكومات العراقية منذ تأسيس الحكم الوطني حتى اليوم، وجميع رؤساء الاحزاب . وقسم كبير من رجال البلد البارزين على اختلاف عقائدهم ومبادئهم قد ساهموا في ادارة هذه المملكة ، واشتركوا في تكوينها ، وتحملوا مصاعب الحكم فيها ، وعرفوا دخائلها ، وذاقوا نتائج اكثر الحوادث الماضية على اختلاف انواعها سواء كانت مفيدة أو مضرة بالبلاد ، كما ان الخير والرفاه والتقدم الذي حصل عليه العراق هو من ثمرة جهودهم ، سواء أكانوا في المسؤولية او خارجها ، او في عضوية مجلس الامة ، واذا كان هناك تقصير او خطأ قد وقع ، فانهم مساهمون فيه كل على قدر نصيبه من المسؤولية • واذا كان بعض هؤلاء السادة او وزرائهم الذين اختاروهم ليزاملوهم في الحكم قد تنصلوا امام بعض الاحزاب من مسؤولياتهم بحجة وقوع تأثير عليهم من المقام الاعلى ، فان المقام الاعلى لا يستطيع معرفة هؤلاء الذوات وما تنصلوا منه ، الامر الذي لايمكن التعليق عليه »[٨] •

**تاثير الرد الاميري**

ولقد تحمل الساسة الحزبيون مرارة الموقف الذي وقفه الوصي والسائرون في ركابه من مذكراتهم ، وثبت لديهم ان الرغبة في الاصلاح الذي ينشده الشعب بعيدة عن أذهان القائمين على الحكم ، بعد السماء عن الارض ، فانتهزوا فرصة حل مجلس النواب في ٢٧ تشرين الاول ١٩٥٢ ليعلنوا مقاطعة الاحزاب للانتخابات اللازمة لمجلس النواب الجديد ، ودعوة الاهلين الى مقاطعتها ، والعمل على احباطها ، والحيلولة دون اكمالها بكل ما يتيسر له من

---

(٨) كامل الجواب الاميري في ص ٣٠٦ من الجزء الثامن من تاريخ الوزارات في طبعته السابعة •

سبل ووسائل ، على حد تعبير حزب الاستقلال في بيانه للمقاطعة الصادر في الثاني من تشرين الثاني ١٩٣٢ ، لأن الحكومة لم تعمد الى تعديل قانون انتخاب النواب تعديلا يجيز اجراء الانتخابات بصورة مباشرة ، كما سبق للحزب ان طالب بذلك اثناء انعقاد جلسات المجلس المنحل • وقد أربك بيان المقاطعة هذا وزارة السيد مصطفى العمري القائمة ، كما أربكها بيانان مماثلان اصدرهما : « حزب الجبهة الشعبية المتحدة » و « الحزب الوطني الديمقراطي » فأسرعت الى اصدار بيان رسمي قالت فيه :

« ان للشعب النجيب رغبات هي على جانب كبير من الوجاهة ، والوزارة تشاركه فيها ، وفي ضرورة تحقيقها ••• والوزارة لا تتردد في تحقيق الاصلاح الناجز الذي تسمح به القوانين المرعية ، وانها لا تتردد قطعاً في اعداد اللوائح القانونية اللازمة لتحقيق هــذا الغرض النبيل » ثم ألمحت الوزارة الى انها « تتبنى مبدأ الانتخاب المباشر ، وان مجلس الوزراء قرر تأليف لجنة تضم فريقا من كبار علماء القانون والادارة ، على ان يساهم فيها ممثلون من الاحزاب لتقوم بانجاز لائحة هذا القانون ، وان الوزارة تعطي عهدا بالمصادقة على هذه اللائحة لتكون بين أيدي ممثلي الشعب في البرلمان القادم » أي البرلمان الذي ستجري الوزارة القائمة انتخاباته على اساس القانون القديم •

### صافـرة الانذار

تجاهلت الاحزاب السياسية القائمة بيان الوزارة الذي أوجزنا خلاصته فويق هذا ، وأصرّت على وجوب « استصدار مرسوم بتعديل قانون الانتخاب ، وجعله على أساس الانتخاب المباشر ، مع جميع الضمانات لحرية الانتخابات ، وليكون اجراء الانتخاب بمقتضاه بمثابة استفتاء للشعب» وأصرت على مقاطعة كل انتخاب يتم بموجب القانون القائم •

وشعرت الوزراة بأن جواب الوصي المتسرّع على مذكرات الاحزاب السياسية ، خلق بُعدا سحيقا بين البلاط الملكي وساسة الاحزاب ، وان البلاد

مقبلة على حركة قد تطوح بنظام الحكم القائـم اذا استمر هـذا البُعد في الاتساع • فاستعان رئيس الوزراء السيد مصطفى العمري بزملائه الرؤساء القدامى نوري السعيد ، وجميل المدفعي ، وعلي جودة ، وحكمة سليمان ، ليقنعوا الوصي الامير عبد الاله على وجوب الاجتماع برؤساء الاحزاب ، ورؤساء الوزارات السابقة ، وبعدد من الساسة المخضرمين ، والاستماع الى آرائهم ومقترحاتهم في الوضع الراهن ، فلم يوافق الامير على هذ االطلب الا بعد جهدٍ جهيد والحاح شدد ، ولكن نتيجة الاجتماع جاءت على العكس مما كان ينتظر لها من النصائح المخلصة •

ففي مساء الاثنين الموافق ٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ حضر الاجتماع المقرر من رؤساء الوزراء السابقين : نوري السعيد ، وجميل المدفعي ، وعلي جودة ، وحكمة سليمان ، وطه الهاشمي ، وأرشد العمري ، وصالح جبر ، ومحمد الصدر ، ومن رؤساء الاحزاب محمد مهدي كبة ، وكامل الچادرچي • كما حضره رئيس الديوان الملكي أحمد مختار بابان ليتولى ضبط المحضر •

وافتتح الوصي الاجتماع ـ وآثار الرعب والانفعال متجلية في وجهه ـ قائلا : انه تلقى مذكرات الاحزاب وقرأ ما فيها من اتهامات وغيرها ، وانه اراد المداولة حولها في هذا الاجتماع • وبعد ان عرض أمر الانقلابات التي توالت على العراق ، ولا سيما في عهد وصايته ، تساءل عما اذا كان هو المسؤول عن كل ذلك ؟ ثم طلب الى الحاضرين ان يتكلموا بما عندهم ، فتكلم البعض ، وسكت البعض الآخر ، واذا بالامير الوصي ينفجر ويتساءل قائلا :

هل أنا عملت هذه الاشياء أم انتم عملتموها ؟ انتم كذابون •••

ثم صار يتحدّث عما وقع في عهده ، وينفي عن نفسه تهمة التدخل في امور الوزارات ، وأخذ يستعرض الامور واحدةً بعد اخرى مما دل على انه قد املي عليه ، او انه استكتبه بورقة ، حتى اذا قارب الانتهاء من حديثه ، وجه خطابه الى رئيس حزب الجبهة الشعبية المتحدة طه الهاشمي قائلا : انت

كذاب ! وعدتني بأن لا يقع شيء من الضباط فوقع انت كذاب • تقول انه سيقع في العراق مثل ما وقع في مصر • أنا لا أخاف ذلك لأن باستطاعتي ان أكون حمالا • انا لا أهتم بهذه الامور • انت تكذب انت كذاب •

جرى كل ذلك ولم يتفوه أحد من الحاضرين بكلمة واحدة الا جميل المدفعي فانه قال بصوت خافت ولين جدا : سيدي كان القصد من هـذا الاجتماع بحث قضايا سياسية مهمة لا البحث في امور تاريخية ماضية •

وبينما كان الامير مستمرا في توجيه هذه الاهانات الى طه ، والرؤساء الحاضرون يبتلعون الاهانات بصبر ومرارة ، نهض الهاشمي وقال : أنا شريف أنا شريف وخرج ، وتبعه رئيس الحزب الوطني الديمقراطي كامل الجادرچي فخرج ، فصرخ الامير في وجهه وقال له : انت ايضا اخرج فخرج مع طـه سوية وهو « يلعن ويسب ويقول أما هذا أدبسز ، سرسري »[9] •

كان مصطفى العمري قد بذل جهدا جهيدا لعقد الاجتماع ، موضوع البحث ، على أمل ان ينقذ الوضع من التردي ، فاذا بالنتيجة تأتي على العكس من ذلك ، واذا بأعضاء وزارته يتسللون من مناصبهم الواحد تلو الآخر ، واسرع رئيس الديوان احمد مختار بابان ، ورئيس التشريفات تحسين قدري ، الى الى دار طه الهاشمي ليهوّنا عليه ألم الاهانة التي لقيها من الوصي ، وحاول رئيس الوزراء العمري ان يقنع الوصي بضرورة تلطيف الهاشمي واسترضائه ففشل في هذه المحاولة[10] الا ان الوصي طاف على دور الذوات الذين حضروا الاجتماع في اليوم التالي ، ووضع بطاقته في كلٍ منها ، ولم يمر على داري طه الهاشمي وكامل الجادرچي ولم يضع بطاقته في كل منهما •

**انفجار فتلمير**

بينما كانت الاحوال السياسية في البلاد تسير من سيء الى أسوأ ، وبينما

---

(٩) مذكرات الفريق طه الهاشمي ٢/٣٧٠ •

(١٠) من حديث للسيد العمري مع صاحب البحث •

الحالة العامة تنذر بخطر عظيم ، ارتأت « كلية الصيدلة والكيمياء » ، في بغداد أن تدخل تعديلا على نظامها الداخلي يجعل الطالب المعيد في بعض الدروس ، معيدا في مواضيع صفّه ، فنص تعديل الفقرة ( ج ) من المادة ( ٣٤ ) من هذا النظام « على الطالب المعيد اعادة كافة مواضيع الصف الذي يرسب فيه » فعدّ طلاب الكلية المذكورة هذا التعديل محاولة لتضييق فرص النجاح امامهم ، واجحافا في حقوقهم ، فاحتجوا عليه ، وأعلنوا الاضـراب عن الدروس منذ السادس والعشرين من تشرين الاول ١٩٥٢ وقد لقي اضرابهم هذا تجاوبا ومساندة من قبل الطلاب في بقية الكليات والمعاهد العالية •

وقد هزأت الوزارة التي تتبعها هذه الكلية ، وهي وزارة الصحة ، بهذا الاضراب ، ولم تعره اهتماما يذكر في بادىء الامر ، فلما استمر وطال أمده ، ولقي مساندة من بقية الطلاب ، أوعزت الوزارة المذكورة الى هيأة الكلية بان تعلن عن هذا التعديل بانه لا يشمل الصفوف الاخيرة في الكلية ولكن المضربين استمروا في اضرابهم ، وأعلنت كليات الطب والحقوق والتجارة وغيرها تضامنها مع طلاب كلية الصيدلة والكيمياء حتى يلغى التعديل ، وشعرت وزارة الصحة بحراجة الموقف وتطوره ، فلم تر مناصا من اختلاق الاسباب للحد من غضبة الطلاب المعصومين ، فاصدرت نظاما جديدا في ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٢ بالغاء التعديل الذي تسبب في هذا الهياج وحملهم على الاضراب ، فقرر الطلاب انهاء اضرابهم ، والعودة الى كلياتهم اعتبارا من يوم ١٩ من الشهر المذكور ، وثمنوا التضامن بين طلاب الكليات والمعاهد العالية « وكفى الله المؤمنين القتال » ـ صدق الله العظيم ـ

### حادث إجرامي

ويلوح لنا ان التدبير الحكيم الذي لجأت اليه وزارة الصحة ، بايعاز من رئيس الوزراء ، أو بوحي منها ، لم يرق لعمادة كلية الصيدلة والكيمياء ، فحدث

ما لم يكن في الحسبان • اذ دخل حـرم الكلية المذكورة في يوم استئناف الدراسة : أربعة اشخاص مجهولو الهوية ، وأخذو يوسعون الطلاب ضربا ولكماً من دون تمييز ، مما ادى الى جرح اربعة منهم ونقلهم الى المستشفى للعلاج • ولما خفت الشرطة الى محل الحادث قبضت على ثلاثـة منهم ، ولاذ الرابع بالفرار ، فأعلن الطلاب أن هذا الاعتداء كان مدبرا ومبيّتاً ، وان الذي دبره وأوعز به هو عميد كلية الصيدلة والكيمياء الدكتور يحيى عوني صافي ومعه بعض أساتذة الكلية • وعلى هذا فان الطلبة يعلنون الاضراب العام حتى يأخذ العدل مجراه ، ويقصى العميد ومن ساعده من الكلية • وأسرع الطلاب في كافة الكليات الى نجدة اخوانهم في كلية الصيدله واعلنوا تضامنهم معهم حتى تستجاب مطالب الطلاب •

وحاولت الحكومة أن تخفف من حرج الموقف فأوقفت المعتدين ، وعهدت الى احد الاساتذة بوكالة عمادة الكلية المذكورة ، وأمرت باجـراء التحقيق الدقيق للكشف عن أستار هذه الجريمة • وفي الوقت نفسه أرادت ان تنقذ سمعة الدوله فأصدرت بيانـا رسميا زعمت فيه « أن احدى الطالبـات لم تشترك في الاضراب الذي جرى أخيرا في تلك الكلية فلما انتهى الاضراب ، أخذ بعض الطلاب في الكلية المذكورة يؤنبون تلك الطالبة على عدم اشتراكها في الاضراب ، مما حفز أخاها مع رفيقين على المجيء الى كلية الصيدلة والكيمياء ، والتشاجر مع اولئك الطلاب » !

وعلى الرغم من كل هذه التدابير والاجراءات فان اضراب الطلاب قد استمر ، والمظاهرات أخذت تتلاحق ، الامر الذي أدى الى الاصطدام بين الطلاب والشرطة ، ووقوع عدد من القتلى والجرحى ، فلم تر وزارة المعارف مناصا من « ايقاف الدراسة في جميع مدارس العاصمة على اختلاف درجاتها : الرسمية كانت أم اجنبية الى اشعار آخر » وقد استغلت الاحزاب السياسية ومنظمات الطلبة وغيرهم هذه الاحداث المؤسفة في الحال وأخذت تحرض بقية طلاب

الكليات والمعاهد العالية على تصعيد الموقف والاستمرار في التظاهر .

والظاهر ان حادث كلية الصيدلة كان كالقشة التي قصمت ظهر البعير ، فقد تطور الحادث من الجانب العلمي الى الجانب السياسي ،واذا بشعارات الطلبة تحدد المطالب بالاصلاحات الداخلية ، وتصدر رابطة الشباب القومي هذا البيان .

ان تنكّر الفئة الحاكمة للمطاليب الوطنية لدليل قاطع على الذهنية الرجعية المسيطرة على عقلية المسؤولين ، وهي محاربة كل ما من شأنه اصلاح الاوضاع القائمة والقضاء على الفساد المخيّم على الشعب بوحي من مصلحة الاستعمار ، لذا فاننا طلبة المعاهد العالية نعلن اضرابنا عن الدوام بصفتنا الطليعة الواعية في الوطن العربي حتى تستجاب مطاليبنا التي تنحصر في الامور التالية :

١ ـ وجوب الأخذ بالانتخاب المباشر كأساس للانتخابات القادمة .

٢ ـ القيام بالاصلاحات الداخلية الآنية اللازمة لصيانة الحريات العامة ومواكبة التطور العالمي .

٣ ـ معاقبة المسؤولين عن الاعتداء على الطلبة .

وفي حالة عدم استجابة المسؤولين ، سنلجأ الى الاساليب التي تفهمها الفئة الحاكمة .

بغداد ٢٢ تشرين الثاني ١٩٥٢ رابطة الشباب القومي[١١]

**تطور المظاهرات**

قامت مظاهرات صاخبة في يوم الجمعة الموافق ٢١ تشرين الثاني احتجاجا على حادث الاعتداء الذي وقــع على طلاب كلية الصيدلة والكيمياء في يوم الخميس النائت ، فلما كان صباح السبت الموافق ٢٢ من هذا الشهر « صحت بغداد على طليعتها الواعية الممثلة في شباب العراق الجامعي ، الناقم على الاوضاع

---

(١١) العدد ( ١٥٨١ ) من جريدة اليقظة الصادر في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ .

الشاذة . الكاره للحكم العسوف . وهو يردد الهتافات المعبرة عما يختلج في نفوس الشعب ، وما يتفاعل في أوساطهم • وكانت الكليات ومختلف المدارس الثانوية على ميعاد في اعلان الاضراب ، وتجمع طلابها في معاهدهم ، وترديدهم الهتافات الوطنية ، ثم خروجهم على شكل مظاهرات كانت الساحة المقابلة لمبنى كلية العلوم والآداب ملتقاها ، حيث تجمعت قوات الشرطة وحدث الاشتباك الاول ••• وجمعت الشرطة فلولها من كل مكان • وكانت الشوارع الرئيسية تعج بسيارات الباص ، الملأى بالشرطة ، ممن يرتدون الخوذ الحديدية ، فحدث اشتباك كانت اسلحة الصراع فيه العصي الغليظة والحجارة ، وقد انتهى بتفريق المتظاهرين بعد ان اصيب عدد من الجانبين بجراح مختلفة • وجاءت الانباء بعد ذلك تشير الى التحام المتظاهرين بالشرطة في المنطقة الممتدة بين ساحة زبيدة ، ومحلة الفضل من شارع غازي ••• وبعد الالتحام الذي حدث بين الجانبين ، ثارت الطلقات النارية ، وسقط عدد من المتظاهرين جرحى ومصابين باصابات خطيرة[١٢] فأعلنت الحكومة ان الحادث أسفر عن جرح ٣٨ من الشرطة و١٤ من الاهلين بينهم قتيل •

وكان لحزب الاتحاد الدستوري ــ حزب نوري السعيد وخليل كنه وجماعتهما ــ لوحة معلقة على مقره تحمل اسم الحزب ، فاذا بالمتظاهرين يرفعونها ويعلقونها على مدخل المبغى العام ، امعانا في التشهير برجال الحكومة والمنتسبين لحزبها •

**الاستعانة بالقوة السيارة**

بعد ان عجزت قوات الشرطة المحلية عن تفريق المظاهرات وانهاء اضرابهم ، طلب وزير الداخلية الى آمرية القوة السيارة المرتبطة بها ان تهيء قوة كافية لتتولى معالجة الموقف المتأزم ، فوضعت الآمرية المذكورة هذه الخطة :

(١٢) جريدة اليقظة العدد ١٥٨١ الصادر في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ •

أ ـ يكون الفوج الاول ـ ناقصا فصيل الاسناد ـ بامرة متصرف لواء بغداد ويتلقى الاوامر منه ، ويجري توزيع سراياه كما يأتي •
١ ـ السرية الاولى مع مفرزة الغاز للفوج الرابع ، الى معاونية شرطة الكرخ
٢ ـ السرية الثانية الى معاونية شرطة السراي
٣ ـ السرية الثالثة الى معاونية شرطة المبخانة
٤ ـ يكون مقر الفوج السادس في مركز شرطة السراي ، ويتلقى الاوامر بواسطة مدير شرطة بغداد من المتصرف
ب ـ يتسلح الافراد بالسلاح مع الخوذ الحديدية
ج ـ ينقل الافراد بالسيارات اللوري التي هيئت من قبل آمرية السرية النقلية الآلية
د ـ اتخذت رياسة الصحة التدابير الصحية اللازمة للاسعاف ـ انتهى ـ

هذه هي الخطة التي وضعتها آمرية القوة السيارة برقم ٦٢٤ وتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٥٢ ولما اطلع عليها وزير الداخلية ، وهو من المتمرسين في القضايا الادارية ، أمر بتعديل الفقرة ( ب ) وأن يتسلح أفـراد الشرطة بالهراوات بدلا من السلاح •

### تدهور الوضع

واستؤنفت المظاهرات في صباح يوم الاحد ٢٣ من هذا الشهر ، نعم استؤنفت المظاهرات ولكن على مقياس تضاءلت معه مظاهرات الايام السابقة ، وخـرج طلاب المعاهد العاليـة ، وطلاب المدارس المختلفة ، ومعهم الكسبة والعمال ، يحملون الواحا كتبت عليها عبارات استفزازية ، وسمعت هتافات : تسقط الملكية وتحيا الجمهورية ، وفقدت الاحـزاب سيطرتها على جماهير المتظاهرين ، كما انخذلت قوات الشرطة امام المتظاهرين ، واضطرت الى استعمال القنابر المسيلة للدموع ، فاذا بأحد الطلاب يتلقف احداها ويقذف

بها على الشرطة ، واذا بالمتظاهرين يحرقون مكتب الاستعلامات الامريكي في شارع الرشيد .

واذا بجماعة اخرى تحاصر مخفر الشرطة الكائن في باب الشيخ « وان امرأة من الجنس المعبّر عنه باللطيف تنتزع خرقتها وتشبعها بالنفط وتحرق بها المخفر الذي حوصر به افراد الشرطة وانقطعت النجدات عنهم »[١٣] واذا بالناس يعتدون « على شرطي مكلف بمحافظة الامن فيجتمعون عليه وهو أعزل من السلاح ، وتتكاثر عليه الخناجر والسكاكين ، ويسحق ويهشم رأسه، ويمثل به ويسحب في شوارع بغداد ، ثم تلقى عليه المواد الملتهبة ويحرق »[١٤] الامر الذي دل على انه كانت هناك هوة بين الشعب وحكومته سحيقة تمثلت في التمثيل بهذا الشرطي عنوان هيبة الحكومة وعزها وشرفها .

وفي الوقت الذي كانت تجري هذه الامور التدميرية ، كانت اذاعة الحكومة تعلن نبأ استقالة الوزارة التي عجزت قواتها وتدابيرها عن انقاذ الموقف ، وتكليف رئيس اركان الجيش اللواء نور الدين محمود بتأليف وزارة انقاذ ، بعد ان كلف الوصي السيد حكمة سليمان بتأليف الوزارة الجديدة فاعتذر ، ثم كلف السيد جميل المدفعي بذلك ففشل ، وبعد ان بلغ عدد القتلى ٢٧ بينهم اربعة من افراد الشرطة ، وتجاوز عدد الجرحى الحد المعقول .

**وزارة انقاذ**

كان الوصي يمنّي نفسه بتأليف وزارة عسكرية تتولى اخماد انفاس الاحزاب السياسية ، وتفتك بكل معارض للسلطات الحكومية . ولما كان في لندن في صيف ١٩٥٢ وزاره الدكتور محمد فاضل الجمالي ــ وكان في طريقه الى نيويورك لحضور جلسات هيئة الامم ــ وسمع منه ما يجري في بغداد من

---

(١٣) و (١٤) محاضر مجلس النواب لسنة ١٩٥٣ ص٧٦ .

مشاغبات ـ على حد تعبيره ـ ومظاهرات ، وقال للدكتور الجمالي : اذا استقالت وزارة مصطفى العمري فساكلف رئيس أركان الجيش بتأليف الوزارة[١٥]

وهذا ما وقع فعلا ، فما كاد العمري يتخلى عن المسؤولية حتى استدعى الوصي اللواء نور الدين محمود ، وكلفه بتأليف وزارة جديدة على « أن يختار زملاءه الوزراء من ضباط الجيش دون غيرهم ، فاعتذر الرئيس عن ذلك اعتقادا منه بأن واجبات الوزارة يجب ان تقتصر على اعادة الامن الى نصابه ، وتسليم الحكم الى المدنيين »[١٦] ومع هذا فقد رشح الوصي أعضاء الوزارة الجديدة ، ولم يرشح الرئيس المكلف غير الدكتور عبد المجيد القصاب وزيرا للصحة ، والسيد قاسم خليل وزيرا للمعارف ، وتم تكوين الوزارة على الوجه الآتي :

١ ـ السيد نور الدين محمود رئيسا للوزراء ، ووزيرا للدفاع ، ووزيرا للداخلية بالوكالة
٢ ـ السيد علي محمود الشيخ علي وزيرا للمالية
٣ ـ السيد ماجد مصطفى وزيرا للشؤون الاجتماعية ، ووزيرا للاقتصاد بالوكالة
٤ ـ السيد عبد الرسول الخالصي وزيرا للعدلية ، ووزيرا للمواصلات والاشغال بالوكالة
٥ ـ السيد قاسم خليل وزيرا للمعارف
٦ ـ الحاج رايح العطية وزيرا للزراعة

---

(١٥) من حديث للدكتور محمد فاضل الجمالي مع صاحب البحث •
(١٦) هذا ما قاله لنا اللواء نور الدين بالحرف ، واضاف الى ذلك : ان الوصي كلفه بنصب المشانق على طول شارع الرشيد من الباب المعظم الى الباب الشرقي ، وتعليق رؤساء الاحزاب المعارضة واصحاب الصحف الناطقة بلسانها • وقد نشرنا اقوال الرجل في طبعات الكتاب السابقة وهو على قيد الحياة ـ رحمه الله ـ

٧ ـ الدكتور عبد المجيد القصاب وزيرا للصحة

٨ ـ الدكتور محمد فاضل الجمالي وزيرا للخارجية

وكان اول عمل قام به رئيس الوزراء الجديد أنه اصدر التحذير الاتي :

بناء على حدوث اضطرابات تعرض امن البلاد وسلامتها الى الخطر ، فقد كلفني صاحب السمو وولي العهد المعظم بتشكيل الوزارة واستلام مسؤولية الادارة وحفظ الامن في البلاد . وعليه فانني ادعو الشعب العراقي الى مؤازرة الجيش في القيام بالواجب ، وذلك عن طريق الخلود الى السكينه ، والتزام جانب الهدوء ، وعدم القيام بما يعكر صفو الامن في البلاد . وادعو الله خالصا ان يوفقني والجيش الى خدمه البلاد واسعادها والوصول بها الى أهدافها السامية ، والله ولي التوفيق ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢

وفي الساعه السادسه والدقيقه العشرين من مساء اليوم المذكور ، نزلت مصفحات الجيش وقطعاته الى شوارع العاصمه فاحتلت البنايات المرتفعة ، وامسكت بمداخل الطرق الرئيسيه ، ولكن المتظاهرين فرحوا بنزول الجيش ، وفرحوا لظهوره في الشوارع ، فاعتلوا مصفحاته ، وهتفوا بحياته ، الامر الذي دل دلالة قاطعة على وجود تعاطف صميمي بين الجنود والمتظاهرين . ثم صدرت الاوامر بمنع التجول ، وقمع المظاهرات ، ومنع حمل السلاح ، وان كان مجازا ، وما لبثت الوزارة ان اعلنت الاحكام العرفية في لواء بغداد ، وعندها اصدر الزعيم عبد المطلب امين قائد القوات العسكرية للادارة العرفية امرا بغلق الاحزاب السياسية « حزب الاتحاد الدستوري ، وحزب الامة الاشتراكي ، وحزب الاستقلال ، وحزب الجبهة الشعبية المتحدة ، والحزب الوطني الديمقراطي » وكذلك بسد الصحف الناطقة بلسان هذه الاحزاب « الاتحاد الدستوري ، والقبس ، والامة ، والنبأ ، وصوت الاهالي ، ولواء الاستقلال ، واليقظة ، والجبهة الشعبية ، وكذلك جرائد صوت الشعب ، والسجل ، والحصون ، والافكار ، والوادي ، والآراء ، والعالم العربي ، وعراق اليوم ، والجهاد » .

وعلى الرغم من قسوة الاجراءات التي ركنت الوزارة اليها للتغلب على هذا الهياج ، الذي لم يقتصر على بغداد وأطرافها حسب ، وانما شمل جهات مختلفة من العراق ، فان مظاهرات الطلبة لم تنقطع بل ازدادت عنفا وشدة ، فقام الجيش بتصويب النار على الجماهير ، فسقط في محلة باب الشيخ وحدها ثمانية عشر قتيلا وبلغ عدد المعتقلين ( ٢٢٠ ) ذاتاً بين وزير ورئيس حـزب وصحفي ومشتبه في سلوكه . اما عدد الموقوفين بسبب المظاهرات واعمال الشغب فقد بلغ عددهم ٢٩٩٩ شخصا قدموا جميعهم الى المحاكمة ، بعـد تحميلهم مسؤولية تردي الاوضـــاع ، فحكم المجلس العرفي على شخصين بالاعدام ، وعلى ( ٩٥٨ ) بالسجن مددا مختلفة ، وعلى ( ٥٨٣ ) بالغرامة ، وعلى ( ٢٩٤ ) بالكفالة ، وأفرج عن ( ١١٦٦ ) موقوفا .

**الشروع في الانتخاب المباشر**

كانت هذه حكاية « القشة التي قصمت ظهر البعير » في انتفاضة تشرين الثاني عام ١٩٥٢ التي اصطلح عليها في العهد الجمهوري ، الذي خلف العهد الملكي ، بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بـ « يوم الطالب » حيث يحتفل بذكراها في كل عام ، والتي كانت حصيلتها الآنية استشهاد ( ٢٧ ) شخصا بينهم اربعة من افراد الشرطة ، وجرح عدد كبير حيث تعذر احصاءه ، واعلان العـــداء السافر لنظام الحكم القائم وللأمير عبد الاله بالذات .

وهي الحركة التي اضطرت وزارة نور الدين محمود الى الاخذ بمبدأ « الانتخاب المباشر » الذي طالبت الاحزاب به مرارا دون ان يستجيب الحكم لها ، بحجة عدم وجود مجلس لأقراره ، فاصدرت وزارة رئيس اركان الجيش مرسوما بالانتخاب المباشر . ولكن ظهر ان التزوير الذي لابس الانتخابات السابقة لم تكن له علاقة مباشرة بالاسلوب القديم للانتخابات ، او اسلوب « الانتخاب المباشر » الذي طالبت الاحزاب به مرارا دون ان يستجيب الحكم

كانت تتبع في التزوير ، ولا أدل على ذلك من قول العين جميل المدفعي ــ أحد رؤساء الوزراء السابقين ــ « أنا أعتقد ان بعض الانتخابات غير المباشرة جرت احسن من الانتخابات المباشرة »[17] وقول العين الآخر صالح جبر من رؤساء الوزراء السابقين ايضا :

« ما أن بدأت طلائع الانتخابات حتى بدأت المداخلات الحكومية . وقد لفتنا نظر المسؤولين الى ذلك عدة مرات ولكن بدون جدوى ، الى ان أخذت هذه المداخلات شكلا سافرا ، وذلك بدعوة المتصرفين الى بغداد ، وتزويدهم بالقوائم التي تتضمن اسماء النواب الذين يجب ان يعينوا بالذات وبالتخصيص »[18] .

وقد قاطع حزب الاستقلال الانتخاب المباشر الذي أجرته وزارة نور الدين محمود . كما قاطعه الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الامة الاشتراكي . اما نور الدين محمود رئيس الوزراء الذي أجرى الانتخاب المذكور فقال :

« اطمئن المجلس العالي بان الانتخابات التي جرت كانت الحكومة القائمة آنذاك محايدة بكل معنى الكلمة للحياد ولم نشعر بأي ضغط عليها ولذلك أكرر وأقول مرة ثانية بان الانتخابات لم تكن مزيفة ولا مكيفة قطعاً »[19] .

---

(١٧) محاضر مجلس الاعيان : الاجتماع العادي السادس والعشرون لسنة ١٩٥٣ ص١١ .

(١٨) المصدر السابق ص١١٧ .

(١٩) المصدر نفسه ص١٣١ .

# حلف بغداد

**توطئـــــة**

ظهرت الولايات المتحدة الامريكية على مســـرح السياسة الدولية بعيد اشتراكها في الحرب العالمية الثانية ( حرب ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ ) وبعد دخول الاتحاد السوفياتي فيها مضطرا ، وما كادت هذه الحرب تلفظ آنفاسها الاخيرة حتى اصبحت الدولتان الكبيرتان تتنازعان السلطان على مختلف أنحاء العالم ، فتزعم الامريكان كتلة الدول الغربية . وتزعم الروس كتلة الدول الشرقية . ولما كانت دول العالم الثالث مفتقرة الى الخبرات الفنية والمساعدات العسكرية بسبب تخلفها العلمي والاقتصادي ، انقسمت الى قسمين : اعتمد الاول على كتلة الدول الغربية ، واعتمد الثاني على كتلة الدول الشرقية . وقد تعرضت الاقطار العربية الى ضغط الدول الغربية ابتغاء جرها الى مشـــروعات الدفاع الانكلو ــ آمريكية الرامية الى عزل الاتحاد السوفياتي ، والحد من نشاطه وتوسيع نفوذه في الشرق الاوسط . واستطاعت امريكا أن تتغلغل في بلدان هذا الشـــرق عن طريق بنك الانشاء والتعمير ، ومشروعات النقطة الرابعة وفولبرايت وما شاكلها .

وفي ١٤ تشرين الاول ١٩٥١ أصدرت كل من امريكا وانكلترا وفرنسة بيانا حول قيادة الشرق الاوسط . دعت فيه حكومات الاقطار العربية والكيان

الصهيوني واستراليا ونيوزلندة للاشتراك فيها ، على ان يكون مقر القيادة في مصر ، وان تضع الدول المذكورة قواتهـا المسلحة وقواعدها العسكرية وموانئها وطرق مواصلاتها تحت تصرف القائد العام للمنطقة • وفي ١٠ تشرين الثاني من هذه السنة ، أعلنت الدول المذكورة « ان الدفاع عن الشرق الاوسط أمر حيوي للعالم الحر ، وان من شأن انشاء هذه القيادة ان يجلب التقدم الاجتماعي والاقتصادي لسكان المنطقة » ولكن المشروع قوبل بمقاومة عنيفة من قبل الشعب العربي ، على أساس ان الوطن العربي سيصبح محطات للقوات الامريكية والفرنسية ، مضافا الى القوات البريطانية الرابضة فيه ، وان اشراك الكيان الصهيوني في القيادة ، معناه الاعتراف بوجودها وقيام دولتها ومد يد المصالحة لها ، وان الاتحاد السوفياتي لا يوافق على اتخاذ الوطن العربي مركز اعتداء على بلاده[1] وعلى هذا ركنت الدول الثلاث المذكورة الى اسلوب آخر يوصلها الى أهدافها فابتدعت فكرة عقد المعاهدات الثنائية بين دول المنطقة على ان تمد امريكا المعونة العسكرية المجدية في سبيل تقوية أساليب الدفـاع المتشابكة فيها •

### جولات مريبة

وفي عام ١٩٥٣ قام جون فوستر دالس وزير خارجية امريكا بجولة في الشرق الاوسط لدراسة التطورات السياسية في هذه المنطقة ، وكان يحمل فكرة انشاء منظمة دفاعية تشترك فيها تركية وايران والعراق وباكستان ، واذا أمكن فالافغـانستان ، ويطلق عليهـا « الحزام الشمالي » • وقـد أختيرت هذه الدول لوجود حدود مشتركة بينها وبين الاتحاد السوفياتي ، ولما وصل الى بغداد في ١٧ مايس ١٩٥٣ قابل الملك فيصل الثاني ، وولي عهده الامير عبد الاله ، ورئيس وزرائه جميل المدفعي ، ووزير خارجيته توفيق السويدي ،

(١) عبد المنعم أبو السعود في رسالته « حلف بغداد » ص٩ •

وآخرين من الساسة الذين هم خارج الحكم ، وتحدث اليهم حول النشاط الشيوعي وخطره في المنطقة ، ووجوب الاعتراف بقيام الكيان الصهيوني كدولة ، وألمح الى ان الولايات المتحدة الامريكية مستعدة لتقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية الى دول المنطقة لتقوية دفاعاتها ، وترقية احوال شعوبها، ولما لم يصل الى اية نتيجة ، اعلن عن ظهور الحلف التركي ـ الباكستاني في نيسان ، والدعوة الى وجوب الانضمام اليه .

وكان ساسة العراق القدامى قد اعلنوا بيانا خطيرا في ١٩ آذار ١٩٥١ عن الحياد ، حذروا فيه من الانحياز الى اية كتلة من الكتلتين المتنازعتين سواء أكان ذلك في الحرب الباردة القائمة بينهما ، أم الاصطدام المسلح الذي يحتمل ان يقوم . مما يعرض الاقطار العربية عامة والعراق خاصة الى اخطار الكوارث والدمار[٢] . وقد تنبهت الدوائر المسؤولة عن الأمن العام الى شدة المعارضة لفكرة انضمام العراق الى الحلف ، موضوع البحث ، فجاء في تقريرها السري المرقم ١٩١٧ والمؤرخ ١٨ ايار ١٩٥٤م :

« يبدو من أحاديث الجمهور ، وآخص منهم الطبقة المثقفة في البلد ، ان الرأي العام غير مهيأ لتقبّل فكرة دخول العراق في الحلف الباكستاني التركي ، وان السير بالمشروع سيؤدي الى خلق جو من الفوضى والشغب قد يكرّر حوادث پورتسموث » ذلك لان أقطار المنطقة ، ولا سيما العربية منها ، كانت تشعر بخيبة أمل تجاه الغرب ، وتجاه الولايات المتحدة الامريكية بعد الجريمة الكبرى التي ارتكبت ضدها باقتطاع فلسطين من جسم الوطن العربي ، واقامة دولة مصطنعة لشذاذ الآفاق فيها .

**العلاقات العراقية ـ البريطانية**

فرض الانتداب البريطاني على العراق في الرابع والعشرين من شهر

---

(٢) عن « الحياد الايجابي » يراجع « تاريخ الوزارات العراقية » في طبعته السابعة ٨/٢١٠ .

نيسان سنة ١٩٢٠ فلم يحظ هذا النوع من الاستعمار الاوربي المبطن بترحيب العراقيين ولا برضاهم . فقاوموه مقاومة عنيفة بلغت حد اشهار السلاح في ثورتهم الكبرى في ٣٠ حزيران من السنة نفسها . وقد رأى الساسة البريطانيون أن يستروا انتدابهم هذا بثوب فضفاض فابتدعوا فكرة عقد معاهدة بين العراق وبريطانية تستوعب نظام الانتداب بكامله دون ان يذكر اسم الانتداب في بنود المعاهدة ، فكانت معاهدة ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ فمعاهدة ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦ فمعاهدة ١٤ كانون الاول ١٩٢٧ . واخيرا معاهدة ٣٠ حزيران لعام ١٩٣٠ التي اشترط لتنفيذها دخول العراق عضوا في عصبة الامم ، وكانت مدتها ٢٥ سنة تبدأ من ٣ تشرين الثاني ١٩٣٢ ، وهو تاريخ قبول العراق في العصبة المذكورة ، وتنتهي في عام ١٩٥٧ . وكانت عصبة الامم قد ذابت في ختام الحرب العالمية الثانية وحلت محلها « هيئة الامم المتحدة » فجاء في المادة ١٠٣ من ميثاق الهيئة الجديدة :

« اذا تعارضت الالتزامات التي يرتبط بها اعضاء الامم المتحدة وفقا لاحكام هذا الميثاق مع أي التزام دولي آخر يرتبطون به ، فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق .

وحيث ان معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ كانت تتعارض مع احكام هيئة الامم ، وكان أجل انتهائها قد قرب ، تألفت لجنة وزارية في عهد « الوزارة المدفعية السادسة » قوامها السادة : توفيق السويدي ونوري السعيد وعلي جودت وأحمد مختار بابان لدراسة مستقبل العلاقات بين بريطانية والعراق ، وما يجب اتخاذه من تدابير لايجاد نوع من التعاقد يحل محل المعاهدة المذكورة . وقد والت هذه اللجنة الوزارية اجتماعاتها ، ودرست ميثاق هيئة الامم المتحدة وأحكام المعاهدة العراقية ــ البريطانية لسنة ١٩٣٠ درسا دقيقا ، ووضعت تقريرا خطيرا لابد من اثبات نصه ليرجع اليه الراغبون في معرفة طرق التحايل على العلاقات بين العراق وبريطانيا .

## تقرير وزاري خطير

عندما عقدت معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيه في سنه ١٩٣٠ ، كانت الظروف الدوليه آنئذٍ تستلزم نوعا من الاتساق والتوافق لمقتضياتها مما ادى الى تحمل العراق بعض الوجائب مدة من الزمن ، ولما كانت الظروف والاحوال الدوليه قد تبدلت تبدلا عميقا في خلال الربع قرن ، وكانت هيئه الامم المتحدة قد اقامت مبادىء جديدة لتامين السلم العالمـي ، وبالنظر لوضع العـراق الجغرافي واهميه موارده النفطيه في تموين الجيوش الحديثه ، مما يجعله من البلاد المنتجه لهذه المادة مطمح انظار الدول الطامعه فيه ، ويضطره الى ايجاد وسائل خاصه لحفظ كيانه ، فقد رأت اللجنه انه من المفيد تصور ثلاثة اشكال غاية كل منها تأمين العراق على سلامته ومساعدته على دفع الاخطار عنه . وفيما يلي نوضح الاشكال الثلاثة التي وردت على الخاطر لاول وهلة .

### الشكل الاول

(أ) ان يقرر العراق ان الدفاع عن استقلاله وأراضيه واجب طبيعي يترتب على عاتقه بالدرجة الاولى فتنحصر واجباته ومسؤولياته في هذا الشأن ضمن حدوده ، ولا يتحمل أية مسؤولية اخرى سوى ما جاء في معاهدة الدفاع المشترك بين الاقطار العربية النافذة المفعول في الوقت الحاضر .

(ب) وللقيام بواجباته هذه ، يتحتم عليه ان يضمن الحصول في حالة السلم والحرب على ما يلزمه من عتاد وسلاح وذخيرة ومؤونة عسكرية مع تدريب ودراسة فنية .

(ج) وبالنظر لعدم انشاء ما تضمنته المادة ٤٣ من ميثاق الامم المتحدة من قوة دولية مسلحة ، ونظرا لما جاء في المادة ٥١ من الميثاق بشأن الحـق الطبيعي للدول فرادى وجماعات في الدفاع ، فمن الضروري ايجاد الوسائل

المشرة لتأمين حاجياته المذكورة اعلاه من دول الامم المتحدة الاعضاء ، واحدة كانت ام اكثر •

**الشكل الثاني**

(آ) ان يتوسع العراق في كيفية الدفاع المشترك ما بين الاقطار العربية ، وذلك بالسعي المتواصل مع تلك الدول لتنظيم جهاز دفاعي عربي كامل ، وجعله منطبقا على المادة ٥١ من الميثاق بشأن الدفاع الاقليمي •

(ب) وتنظيم هذا الجهاز الدفاعي العربي يتطلب بطبيعته وسائل كثيرة لايمكن تجهيزها من قبل الاقطار العربية وحدها ، لذلك واعتمادا على المادة ٥١ المذكورة ، يعرض ميثاق الدفاع المشترك ما بين الاقطار العربية على الدول ذات العلاقة ، عدا الاقطار العربيــة لالتحاقه به وللمساعدة على جعله جهازا يستطيع تحقيق الغاية المتوخاة منه ، وفي هذه الحالة تشترك في الدفاع المشترك العربي الدول الداخلة في المنطقة المحدودة ، والدول المحاددة لها ، وعند الاقتضاء الدول الاخرى التي يكون لاشتراكها منافع بينة تساعد على استكمال الوسائل الدفاعية المطلوبة •

(ج) واذا وجدت طريقة الالتحاق بميثاق الدفاع المشترك العربي صعبة ، فمن الممكن ايجاد نوع من التعاون بين جماعة الميثاق العربي وجماعة ثانية ذات علاقة في المنطقة المطلوب الدفاع عنها فتحدد شروط هذا التعاون بشكل ثابت واضح • وفي حالة الأخذ بالشكل الاول او الثاني ، يكون من الضـــروري الاستغناء عن المعاهدة العراقية البريطانية النافذة المفعول والمنتهية في تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ •

**الشكل الثالث**

لما كان قد حصلت تعديلات كثيرة في المعاهدة العراقية خلال المدة التي

مضت منذ عقدها ولم يبق جوهريا فيها سوى القواعد الجوية وبعض المواد الاخرى المتعلقة بالصيانات والامتيازات للقوات البريطانية ، فمن الممكن ـ والحالة هذه ـ السعي لدى الحكومة البريطانية لتتنازل للعراق عما يخصها في القاعدتين الجويتين ، والامور الاخرى المذكورة ، بقدر ما يتناسب مع ضرورة استبقاء أحكامها المتعلقة بالدفاع عن العراق ، والاستمرار عليها ، حتى انتهاء مدتها . وفي هذه الحالة من المحتمل أن تشترط الحكومة البريطانية على العراق بان يحفظ ضمن القاعدتين المذكورتين المستودعات الخاصة بالذخائر الحربية وبعض اللوازم المهمة التي يحتاجها الطرفان في مقاصدهما الدفاعية ، وكذلك السماح للطائرات الحربية بالمرور من القاعدتين او التموين منهما عند مرورها من الشرق الى الغرب وبالعكس ، وغير ذلك من الامور الطفيفة التي تؤكد التآزر والاتصال المفيد بين الطرفين .

ان اختيار اي شكل من الاشكال الموضحة اعلاه ، والسعي لتحقيق ما يقع عليه الاختيار ، امر يعود لمجلس الوزراء الموقر ـ انتهى ـ .

وزير الدفاع : نوري السعيد

وزير العدلية : احمد مختار بابان

وزير الخارجية : توفيق السويدي

نائب رئيس الوزراء : علي جودت

هذا هو نص تقرير اللجنة الوزارية التي ألفتها « الوزارة المدفعية السادسة » المؤلفة في ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٣ والتي استقالت في ٥ مايس ١٩٥٣م . وعلى الرغم من ان « الوزارة المدفعية السابعة » تألفت في السابع من مايس ١٩٥٣ من الذوات الذين كانوا في الوزارة المستقيلة فان تقرير لجنتها الوزارية اهمل ولم يتخذ اي اجراء عليه .

عرف عن نوري السعيد ـ منذ اصبح رئيسا للوزراء لاول مرة[٣] في ٢٣ آذار ١٩٣٠ ـ انه كان يرى نفسه صاحب الرأي المسموع في اختيار معظم الوزراء في المملكة ، وفي اختيار بعض رؤساء الوزارات احيانا ، ولا سيما بعد اندلاع لهب الحرب العالمية الثانية في الثالث من ايلول سنة ١٩٣٩ ، وخلو الساحة من الساسة المخضرمين الذين كانوا ينافسونه على السلطان . ولما ألف الدكتور محمد فاضل الجمالي وزراته في ١٧ ايلول ١٩٥٣ أعلن نوري انه لم يستشر في تأليف هذه الوزارة[٤] وعرف عنه أنه سافر الى العاصمة البريطانية غاضبا ، وشاع في حينه انه استطاع ان يقنع بعض الشخصيات الانكليزية في لندن بان المصالح البريطانية في العراق ستفقد الحماية اللازمة لها بعد ان تكتلت الفئات المعارضة في جبهةٍ واحدة ودخلت في المجلس النيابي الذي اجرت وزارة ارشد العمري انتخاباته في ٩ حزيران ١٩٥٤ فتذكر المسؤولون في لندن قولاً لنوري السعيد : لا غنىً للعرب عن بريطانية ، ولا يمكنهم العيش بدونها . وان عدواً نعرفه خير من صديق نجهله[٥] واسروا الى سفيرهم في بغداد ان يقابل ولي العهد الامير عبد الاله ويلح عليه بوجوب السفر الى اوربا لاسترضاء نوري السعيد والرجوع به الى العراق[٦] ثم تكليفه بتأليف وزارة يكون حرا في اختيار اعضائها ، وفي انتهاج اية سياسة يراها صالحة لانتشال البلاد من وهدتها . وكان الامير عبد الاله قد طلب الى عمه الامير زيد سفير

---

(٣) الف نوري السعيد أربع عشرة وزارة عدا « وزارة الاتحاد العربي » التي تالفت في ١٩ مايس ١٩٥٨ وكان رئيسها .

(٤) « لم اكن من ضمن الذوات الذين جرت استشارتهم عند تاليف الوزارة الجمالية لا في سرسنك ، حيث كنت في القاهرة ، ولا في الاستشارات التي جرت في بغداد » ـ هذا هو الكلام الذي نطق به نوري السعيد ـ

(٥) أبو السعود في رسالته « حلف بغداد » ص٢٥ .

(٦) النشاشيبي في كتابه « ماذا جرى في الشرق الاوسط » ص٢٥٢ .

العراق في لندن حمل نوري على مقابلة عبد الاله فلما فشل السفير في تحقيق هذا الطلب ، وافق نوري على الاجتماع بولي العهد في العاصمة الفرنسية . فسافر[7] عبد الاله الى باريس في الثالث من تموز ١٩٥٤ ، وتم اللقاء المنشود بحضور احمد مختار بابان . وبعد عتاب ودغدغة حصل التراضي المبيت ، وعاد الامير عبد الاله الى العراق في ١٨ من هذا الشهر ليعقبه نوري السعيد فيؤلف وزارته الثانيه عشرة في الثالث من آب سنة ١٩٥٤ ويبقى في الحكم حتى ٨ حزيران ١٩٥٧ .

**بعث تقرير سابق**

وتذكر نوري تقرير اللجنةالوزارية الذي اشترك هو في وضعه معالسادة : توفيق السويدي وعلي جودت واحمد مختار بابان ايـام الوزارة المدفعية السادسة فبعثه من مرقده ، وقرر اتباع طرق ملتوية لاقامة حلف بين العراق وبريطانية يحل محل معاهدة ٣٠ حزيران العراقية ــ البريطانية ، مستفيذا من المادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة وهي :

« ليس في هذا الميثاق ما يرد او ينتقص الحق الطبيعي للدول ــ فرادى او جماعات ــ في الدفاع عن انفسهم اذا اعتدت قوة مسلحة على أحد اعضاء هذه الهيأة وذلك الى ان يتخذ مجلس الامن التدابير اللازمة لحفظ السلم والامن الدولي ... »[8] وكان العراق احد اعضاء الهيأة المذكورة .

ولأجل ان ينهض « نوري » بهذه المهمة في جو من الحرية المطلقة ، استصدر ارادة ملكية سلفا في الثالث من آب ١٩٥٤ بحل مجلس النواب الذي اجرت انتخاباته وزارة ارشد العمري في ٧ حيزران ١٩٥٤ ولم يجتمع الا بجلسة

(٧) السفير الامريكي كولمان في كتابه « عراق نوري السعيد » ص٢٠ .
(٨) يراجع ميثاق الامم المتحدة كاملا في ص٢٦٢/٢٨٢ من المجلد السادس من « تاريخ الوزارات العراقية » .

الافتتاح فقط . والمجيء بمجلس جديد « حتى يمكّن العناصر الموالية للسياسة من دخول المجلس الجديد بدون تكتلات حزبية »[٩] ثم ركن الى اصدار سلسلة من المراسيم التي كان يراها ضرورية لبلوغ اهدافه . وكان من جملة هذه المراسيم :

١ ــ المرسوم رقم ١٧ لسنة ١٩٥٤ وهو يقضي باسقاط الجنسية العراقية عمن يدان باعتناق الشيوعية او الترويج لها ، ومن ثم ابعاده عن العراق[١٠] .

٢ ــ المرسوم رقم ١٨ لسنة ١٩٥٤ وهو يجيز لوزارة الداخلية غلق اية نقابة تسلك سلوكا يشك في استقامته .

٣ ــ المرسوم رقم ١٩ لسنة ١٩٥٤ وهو يقضي بحل جميع الاحزاب السياسية، وسائر الجمعيات ، وتكوينها من جديد .

٤ ــ المرسوم رقم ٢٤ لسنة ١٩٥٤ القاضي بالغاء امتيازات الصحف والمجلات كافة ، سياسية كانت ام غير سياسية ، ومن ثم منح امتيازات جديدة يجري تزكية طلابها سلفا .

٥ ــ المرسوم رقم ٢٥ لسنة ١٩٥٤ الخاص بتنظيم المظاهرات والاجتماعات العامة وكيفية تفريقها ومنعها .

وكانت عقيدة نوري ، ان المفوضية السوفيتية في العراق اصبحت وكرا لتمويل الشيوعيين والفوضويين فاتخذ قرارا في الثالث من كانون الثاني ١٩٥٥ « بتعطيل التمثيل الدبلوماسي بين العراق والاتحاد السوفياتي » . ويقول الضابط البريطاني DE GAURY في ص١٧١ من كتابه THREE Kings in Baghdad

---

(٩) اللورد BIIRD WOOD في ص٤٣ من كتابه NURI AL-SAID

(١٠) كان التنظيم الشيوعي قد أقلق الولايات المتحدة الامريكية فحملها على وضع تشريع يقضي باخراج الشيوعيين من بلادها ، ولكن الكونغرس الامريكي لم يقر هذه السياسة لتعارضها مع حقوق الانسان فتبنى العراق هذه السياسة .

« ان العراق اصبح مصدر احترام بريطانية والدول الغربية ، واصبحت بغداد العاصمة العراقية الوحيدة بين عواصم الدول العربية التي ليس لهـا علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي . فقد كانت هناك علاقات سياسية اقتصادية بين الدول الاشتراكية واكثر الاقطار العربية ، ولكن العراق هو البلد الوحيد الذي رفض هذه العلاقات » .

**واول الغيث قطر**

لما فشلت الحكومتان : الامريكية والبريطانية في حمل الاقطار العربية و « اسرائيل » على الاسهام في « قيادة الشرق الاوسط » ثم فشلت في انشاء منظمة دفاعية تشترك فيها تركية وايران والعـراق وباكستان ، واذا امكن فالافغان ، للوقوف في وجه الطغيان الشيوعي . ركنتا الى المعاهدات الثنائية لتحقيق اهدافهما الاستعمارية . فشاع في الاوساط السياسية ان حلفاً جديداً سيعقد بين تركية وباكستان ثم يدعى العراق وايران للانضمام اليه . وصادف ان سافر رئيس الوزراء الدكتور محمد فاضل الجمالي الى القاهرة في كانون الثاني ١٩٥٤ لحضور اجتماعات مجلس الجامعة العربية ، واجتمع باقطاب الجمهورية المصرية ، وجرى الحديث حول ما يشاع عن الحلف المنوي عقده بين تركية وباكستان واحتمال انضمام العراق وايران اليه ، واجاب الجمالي بما لديه من معلومات .

ولم يكد نوري السعيد يؤلف وزارته الثانية عشرة في الثالث من آب ١٩٥٤ حتى وصل الى العراق وزير الارشاد القومي الصاغ صلاح سالم في ١٧ من هذا الشهر ، ومعه رهط من الموظفين والمراسلين والمصورين . وكان الملك يصطاف في سرسنك ، فاجتمع به وبرئيس وزرائه ، واعرب عن وجهة نظر القيادة المصرية في وجوب عدم تسرع العراق للانضمام الى حلف ثنائي او جماعي حتى تنتهي مصر من مفاوضاتها مع بريطانية حول جلاء قواتها عن

قاعدتها في فايد بالسويس ، فرد عليه نوري السعيد شارحا وضع العراق الراهن وعلاقاته مع بريطانية وصلاته الطبيعية بجارتيه تركية وايران ، ومعاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ العراقية ـ البريطانية التي اصبحت شبه معطلة بعد قيام منظمة الامم المتحدة وما يجب ان يحل محلها من تدبير ، كما جرى الحديث حول « ضرورة اعادة النظر في ميثاق الضمان الجماعي ، وذلك للعمل على تقويته وجعله اداة قوية فعالة تمكن البلاد العربية من مواجهة اي خطر يهددها ، ويجعلها تستطيع الدفاع عن بلادها بقوة وكفاءة . على ان يقوم كل طرف بدراسة هذا الموضوع . والقيام بالاتصالات اللازمة مع امريكا وانكلترا بهذا الشأن »[١١] .

ولما عاد الصاغ صلاح سالم الى القاهرة وعرض نتائج مفاوضاته في سرسنك على زملائه اعضاء مجلس الثورة ، ظهر ان هناك ضرورة لمجيء نوري الى مصر لايضاح ما غمض من الامور ، فطار اليها في ١٤ ايلول وشرح لاعضاء المجلس « موقع العراق الجغرافي والسوقي ومشاكله الخاصة ، والعلاقات التاريخية التي تربطه بجارتيه تركية وايران ، والاخطار التي تهدد المنطقة برمتها من جراء المطامع الشيوعية التوسعية ، فضلاً عن الاعمال التي يقوم بها الشيوعيون في داخل البلاد ، كما اوضح لهم الفوائد العظيمة التي تجنيها الاقطار العربية من جراء انضمام البلاد الاسلامية اليها ، والوقوف معها لمجابهة الخطر الصهيوني . وحل قضية فلسطين حلاً عادلاً يضمن للعرب حقوقهم المشروعة »[١٢] واضاف الى ذلك قوله : ان العراق ينوي عقد ميثاق للتعاون المتبادل بينه وبين جارته المسلمة تركية ، على ان تنضم اليه ايران وباكستان ، ثم تلتحق به بريطانية بشكل من الاشكال لانهاء معاهدتها مع العراق[١٣] واقترح نوري ضرورة تطوير ميثاق جامعة الدول العربية الى منظمة

---

(١١) محضر متفق عليه بين الوفدين : العراقي والمصري . ونص المحضر في « تاريخ الوزارات العرقية » ٩/٢١٤ .

(١٢) و (١٣) خطاب نوري السعيد في ١٦ الاول ١٩٥٦ ص١١ .

دفاعية تسمح بانضمام بريطانية واميركا اليه لغرض تسليح الاقطار العربية ولم يعترض المصريون على ما نطق به رئيس الوزارة العراقية لكنهم طلبوا تأجيل البحث في هذا الموضوع حتى تنهي مصر مشكلاتها الخاصة مع الانكليز، وسرعان ما انفجر الوضع السياسي بين مصر والعراق .

**بين لندن وتركية**

لم يكد نوري السعيد ينتهي من مهمته في ارض الكنانة حتى طار الى لندن بدعوى الاستشفاء والاستشارات الطبية فاجتمع بمعارفه في وزارة الخارجية البريطانية ، واطلعهم على ما دار بينه وبين المصريين من احاديث ، واستمع الى آرائهم ونصائحهم ، ثم توجه الى تركية وشرع في الاتصال مع رجالاتها والمسؤولين فيها ، واقترح عقد اتفاق بين العراق وتركية لكسب صداقة الولايات المتحدة الامريكية التي تعتمد هذه الدول عليها في تأمين الاستراتيجية الغربية في الشرق الاوسط ، بعد ان ارتبطت تركية بالولاياة المتحدة وقبلت مشروع ترومان بمساعدة تركية واليونان . وهناك من يعتقد ان امريكا أسرّت الى المسؤولين الاتراك بوجوب السير في الخطة التي يحملها نوري السعيد ، واذا ببيان مشترك يصدر في العراق وتركية في ١٨ تشرين الاول ١٩٥٤ جاء فيه :

« لقد تم الاتفاق على أنه لا يمكن اقرار الامن والسلم العام في الظروف الراهنة ، ولا يمكن تأمين الاستقرار الا عن طريق ايجاد تفاهم كامل بين الشعوب المتمسكة بكل اخلاص بالمبادىء العليا للامم المتحدة ، وتأسيس جبهة امن مشتركة ومتماسكة فيما بينها ، خالية من كل ثغرة ضد اولئك الذين يهدفون الى الاستيلاء عليها والتحكم بشؤونها ومن ثم ابادتها . كما تم التوصل الى

النتيجة القائلة بانه ينبغي العمل يدا واحدة دون اي تأخر لتكوين جبهة مشتركة كالجبهة الموجودة في الشرق الاوسط ضمن شروط المساومات التامة »[١٥] .

وغادر نوري تركية في ١٩ تشرين الاول ١٩٥٤ عائدا الى العراق بعد أن وجه دعوة رسمية الى رئيس وزراء تركية السيد عدنان مندريس لزيارة العراق . وفي السادس من كانون الثاني ١٩٥٥ وصل الى بغداد وفد تركي برئاسة مندريس ، ونيه وزيرا الخارجية والمواصلات ، وستة من اعضاء المجلس الوطني الكبير ، فعينت الحكومة العراقية وفداً مقابلاً ضم نائب رئيس الوزراء احمد مختار بابان ، والوزير بلا وزارة برهان الدين باش اعيان ، وسفير العراق في تركية الدكتور ابراهيم عاكف الالوسي ، وبعض كبار موظفي وزارة الخارجية . وما كادت الكتل الوطنية تحاط علما بما وراء هذه الزيارة حتى كانت المظاهرات العدائية تستفز الحكومة فتضطرها الى اتخاذ التدابير الصارمة ، بداعي حفظ الامن وفرض سيطرتها ، بعد القاء البيض الفاسد على موكب الوفد التركي ، وانفجار قنبلتين موقوتتين احداهما بالقرب من كلية الحقوق ، والثانية في مبنى السفارة التركية اثناء الحفلة التكريمية التي اقامتها السفارة مساء الثاني عشر من كانون الثاني ، والى عثور رجال الامن على عبوات ناسفة عند جسر الصرافية الحديدي في الباب المعظم .

ويقول السيد احمد مختار بابان في رسالة بعث بها الى صاحب البحث في الثاني من آب ١٩٧٤ ، ان نوري طلب الى عدنان تأجيل عقد الميثاق المقترح الى وقت آخر حتى تهدأ الامور في مصر ، حيث شرعت محطة اذاعتها اللاسلكية تكهرب جو هذه المفاوضات ، واخذت تتهم العراق بالسعي لطعن الاقطار العربية والسير في ركاب المستعمرين فرد عليه مندريس بغضب قائلا انه لم يأت الى بغداد للاستجداء ، وتساءل بأي وجه سوف يقابل الشعب التركي اذا ما عاد صفر اليدين ؟ مما حمل نوري السعيد على ان يستدعي الى ديوان

---

(١٥) من آرشيف « حلف بغداد » .

مجلس الوزراء جميع رؤساء الوزراء وبعض الوزراء السابقين ، وعرض عليهم الموضوع بالتفصيل مع صورة البيان المشترك المعد للاذاعة فاتفقوا جميعا على اختلاف مبادئهم على نشره وهذا نصه :

**نص البيان المشترك**

« استجابة لدعوة الحكومة العراقية ، قام فخامة رئيس وزراء تركية السيد عدنان مندريس . ووزير خارجيتها البروفسور فؤاد كوبرللو ، والهيأة المرافقة لهما ، بزيارة رسميةللعراق بدأت في ٦ كانون الثاني ١٩٥٥ وبنتيجة المباحثات التي دارت خلال هذه الزيارة بين رجال الحكومة التركية ومساعديهم، وبين فخامة رئيس الوزارة العراقية ورجال الحكومة العراقية ومساعديهم ، في جو مشبع بالثقة الصميمية ، توصل الطرفان الى توافق تام في وجهات النظر لا سيما في الشؤون التالية :

عندما كان رئيس الوزارة العراقية في اسطنبول في تشرين الاول الماضي ، جرت مباحثات حول وجوب ايجاد تعاون لتأمين استقرار منطقة الشرق الاوسط وسلامتها اعلن عنها ببيان مشترك سابق . وقد قـررت الحكومتان التركية والعراقية الان عقد اتفاق يرمي الى تحقيق وتوسيع التعاون المذكور بأقرب وقت مستطاع . وسيحوي هذا الاتفاق على تعهد بالتعاون لصد أي اعتداء يقع عليهما من داخلهذا الاتفاق داخل المنطقه او من خارجهـا اي من ايةجهة كانت وذلكاستنادا الىحق الدفاع الشرعي الذيقررته المادة ٥١ من ميثاقالامم المتحدة. ان هذا الاتفاقسيكتسب شكلهالنهائيويتمالتوقيععليه فيزمنقريب جدا وبدون اضاعة اي وقت . ان الحكومتين : التركية والعراقية تعتقدان ان عقد مثل هذا الاتفاق في الشرق الاوسط يخدم مبادىء الامم المتحدة ويحقق استقرارا يستند الى تلك المبادىء والى المقررات المتخذة بموجبها ، ويعمل على تقوية الامن وذلك

للحيلولة دون ما قد يظهر من نوايا عدوانية بأي شكل من الاشكال ، كما انه يعمل على حماية السلم ولذلك فانهما تعتبران من الضروري والمفيد ان ينضم الى هذا الاتفاق غيرهما من الدول التي تثبت عزمها على العمل لتحقيق اهدافه او التي تستطيع ان تعمل على ذلك بحكم موقعها الجغرافي او امكانياتها . وعلى هذا فانهما ـ خلال المدة القصيرة التي ستسبق عقد هذا الاتفاق ـ ستكونان على اتصال وثيق بالدول التي تبدي رغبتها في العمل معهما في هذا السبيل ، كما ستسعيان لأن يتم التوقيع على هذا الاتفاق مع الدول المذكورة في وقت واحد ان امكن وعلى اي حال فانهما ستواليان بذل الجهود نفسها بعد التوقيع عليه ايضا » انتهى[١٦] .

١٢ كانون الثاني ١٩٥٥

**ردود الفعل المختلفة**

لقد قوبل هذا البيان بردود فعل كبيرة في الاوساط المعارضة ، وقامت اضرابات في بعض الكليات والمعاهد العالية ، ووزعت منشورات تحث الناس على التصدي للمؤامرات ، وجرى توقيف بعض الحزبيين والشبان والقياديين في الاحزاب غير المجازة .

وسافر الوفد التركي الى دمشق على امل حمل الحكومة السورية على الانضمام الى الاتفاق المنوي عقده بين العراق وتركية ، فقوبل بوجوم كبير اعقبته تظاهرات عدائية صاخبة قامت في حمص وحماه وحلب ودمشق نفسها ، وسببت اضرارا في الارواح والممتلكات ، على الرغم من الايضاح الذي اعلنه رئيس الوزارة السورية من ان زيارة الوفد التركي لسورية كانت زيارة مجاملة ، وان سوريا لا يمكن ان تنضم الى احدى الكتلتين الشرقية او الغربية .

---

(١٦) من آرشيف « حلف بغداد » .

ولما وصل الوفد المذكــور الى بيروت واطلع المسؤولين اللبنانيين على المشروع العراقي التركي ، اكد ان تركية ستقف الى جانب العرب في قضاياهم الدولية كما دعا رئيس جمهورية لبنان الى زيارة تركيا زيارة رسمية ، فقبل الرئيس اللبناني هذه الدعوة ونفذها فعلا . وابدى الاردن اهتماما بالغا بالموضوع ، واوفد رئيس وزرائه الى بيروت للوقوف على جلية الامر . اما مصر والسعودية فقد اعلنتا معارضتهما للاتفاق ، وادعتا ان هذه المعارضة ليست ناجمة عن رغبة في معارضة الدول الغربية[١٧] واعلن الامين العام المساعد لجامعة الدول العربية في القاهرة ان المعاهدة المنوي عقدها بين العراق وتركية ، معاهدة دفاعية فقط ، اما المعاهدة التركية الباكستانية فحلف دفاعي هجومي .

**اختلاف وجهات النظر**

تتفق دول الجامعة العربية كافة على ضرورة تكوين جهاز دفاعي موحد للدفاع عن الكيان العربي العام ، وضمان استقلال كل دولة عربية من دول الجامعة ، فكان « ميثاق الضمان الجماعي العربي » حصيلة هذا الاتفاق ، وتختلف هذه الدول في كيفية دعم هــذا الجهــاز وجعله قادرا على تحقيق اغراضه . فترى الجمهورية المصرية ان يكون الجهاز العربي مستقلا بذاته ، غير مرتبط بأية جهة كانت حتى وان كانت هذه الدول الشرقية والاسلامية في منطقة الشرق الاوسط ، الا ان هذا لا يمنع قيام تعاون ما بين الجهاز العربي والدول الغربية على قدر ما تنص عليه المعاهدة الانكليزية المصرية التي تسمح بعودة

---

(١٧) « اذ ان الامير عبد الاله ما انفك يطالب بالحجاز مما يزيد في غيظ الملك سعود ، وأقسم سعود بدوره ء محاربة حلف بغداد . ومن المؤسف القول ان طبيعة الخلاف بين الوهابيين والهاشميين لم تتبدل . وتجدر الاشارة الى ان السعودية انفقت في لبنان حوالي عشرين مليون ليرة ــ لبنانية ــ لمحاربة حلف بغداد » انتهى .

مذكرات سامي الصلح رئيس وزراء لبنان ص ١٠٩ .

القوات البريطانية الى قناة السويس ، عندما تتعرض تركية او أحد الاقطار العربية الى خطر الهجوم • وعلى هذا طلبت مصر من العراق ان يعقد مع انكلترا معاهدة على غرار معاهدتها هي معها ، وان تقتصر صلات تركية بالعراق من الناحية الدفاعية على ما تستلزمه معاهدة العراق مع بريطانية ، وان لا يرتبط لبنان او سورية بأي ارتباط مع تركية •

اما العراق فيرى ان ميثاق الضمان الجماعي العربي اساس سياسته الدفاعية ، ولكن تحقيق اهداف هذا الميثاق ودعمه بالقوة يقتضيان مراعاة الوضع الدولي القائم والقوى المؤثرة في هذا الجزء من العالم وكذلك العوامل السوفية فيه • وفي رأيه ان تركية دولة قوية تجاور قطرين عربيين ، وتؤلف حصنا منيعا بين هذين القطرين وبين الاتحاد السوفياتي فمن واجب الجهاز العربي الدفاعي ان يتعاون مع تركية للدفاع عن السلامة المشتركة ، وان يوحد مساعيه معها ضد « اسرائيل » وان يستفيد في الوقت نفسه من تعاونه مع الغرب ليوفر للعرب مجال التسلح الواسع وفق المستوى الغربي فيزيد ذلك من قوة العرب ويساعدهم على تحقيق اهدافهم القومية ويربك مواقف الصهيونية العالمية فيحرمها مناوراتها بين المعسكرين الشرقي والغربي •

لقد استمرت معارضة مصر للاتفاق المنوي عقده بين العراق وتركية ، واشتدت هذه المعارضة عندما وقفت المملكة العربية السعودية بكل امكانياتها الى جانبها ، ودهشت الحكومتان البريطانية والامريكية لموقف السعودية المؤيد لمصر ، وازدادت دهشتهما لانضمام ممثلي ليبيا والمغرب والسودان حتى اليمن والاردن لهذا الموقف • واستمرت مصر في موقفها العدائي ، ودعت رؤساء وزارات الاقطار العربية الى مؤتمر يعقد في القاهرة في منتصف كانون الثاني ١٩٥٥ لبحث الموقف العربي العام ، ورفض نوري السعيد هذا المؤتمر وقال السفير الامريكي انه لا يريد الذهاب الى هناك كيلا يقدم الى المحاكمة[١٨]

---

(١٨) كولمان سفير امريكا في كتابه « عراق نوري السعيد » ص٧٦ •

ونصح المستر ايدن وزير خارجية بريطانيا نوري السعيد بوجوب حضوره المؤتمر ، وعرض وجهة نظره والدفاع عنها فلا تضعف وفود سورية ولبنان والاردن امام مصر بغياب العراق[19] وعبثا حاول نوري تأجيل المؤتمر الى وقت تسمح فيه صحته بحضوره واضطر لتاليف وفد من السادة : فاضل الجمالي وبرهان الدين باش اعيان وخليل ابراهيم للسفر الى القاهرة وشرح وجهة نظر العراق في الموضوع ، واندفع الجمالي بعاطفته فقال : ان الحكومة العراقية مصممة على توقيع اتفاقها مع تركيه رغم معارضة الاقطار العربيه • فيسوء هذا القول وقعا في النفوس ، وتقترح مصر إخراج العراق من جامعة الدول العربية ، ولكن المؤتمر الف لجنة للتوفيق توجهت الى العراق في ٣١ كانون الثاني ، وكانت مؤلفه من رئيس وزراء لبنان سامي الصلح ، ووزير خارجية سورية فيضي الاتاسي ، ووزير خارجيه الاردن وليد صلاح ، ووزير الارشاد القومي المصري الصاغ صلاح سالم فألف نوري لجنة مقابلة من توفيق السويدي ، وصالح جبر ، واحمد مختار بابان ، وبرهان الدين باش اعيان ، وخليل ابراهيم ، والفريق رفيق عارف •

ادركت لجنة جامعة الدول العربية ان العراق لا يمكن ان ينثني عن السير بشروعه فعادت الى القاهرة في الثالث من شباط بخفي حنين ــ كما يقول المثل العربي ــ واذا بالملك حسين ملك الاردن يصل الى بغداد فجأة في ١٤ شباط ، وبعد ان سكث فيها ثلاثة ايام وأجرى مباحثات مطولة ، عاد الى عمان ثم ما لبث ان توجه الى مصر واعلن انضمامه الى مصر والسعودية في موقفهما من « حلف بغداد » واذا برئيس جمهورية لبنان السيد كميل شمعون يتقدم باقتراحين مهمين هما :

١ ــ تأجيل توقيع الميثاق العراقي ــ التركي المقترح لمدة اربعة اشهر تتدارس الاقطار العربية خلالها الموقف •

---

(١٩) برقية من الدكتور فاضل الجمالي بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٩٥٥ •

٢ ــ تأجيل اجتماع رؤساء حكومات الاقطار العربية عشرة ايام على ان ينقل محل الاجتماع من القاهرة الى بيروت •

وقد رفض العراق الاقتراح الاول بينما رفضت القاهرة الاقتراح الثاني ، واستمر التوتر بين بغداد والقاهرة ، واذا بنوري السعيد يعلن ان الخلاف ينحصر بين مصر والعراق . وان الاقطار العربية الاخرى ليست طرفا في الموضوع • وهكذافشلت المعارضة في الحيلولة دون عقد الاتفاق بين العراق وتركية ، ولم تستطع اسقاطه كما كان موقفهما من معاهدة پورتسموث ، بفضل الاجراءات الصارمة التي ركنت اليها وزارة نوري الثانية عشرة من نزع الجنسية العراقية عن البعض ، واعتقال البعض الآخر ، وابطال امتيازات الصحف ، وسد الاحزاب السياسية ••• الخ

**توقيع الاتفاق**

وفي الثالث والعشرين من شباط ١٩٥٥ هبطت في مطار بغداد الطائرة التي نقل رئيس وزراء تركيه السيد عدنان مندريس ، ونائبه السيد فطين زورلو ، ووزير خارجيته البروفسور فؤاد كوبرولو ، وخمسه من النواب الترك ، وقد احيط وصولهم بكتمان شديد ولكن دلت عليه تحوطات للشرطة شديدة من التزامات دولية ، والخامسة على دعوة اية دولة من دول الجامعة العربية وغيرها وهناك • وفي اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر وقع الاتفاق كل من مندريس وكوپروللو بالنيابة عن حكومتهما ، ووقعه عن الحكومة العراقية رئيس الوزراء نوري السعيد والوزير بلا وزارة برهان الدين باش اعيان وما لبث الوفد التركي ان عاد في اليوم التالي الى انقرة •

ويتألف الاتفاق من ثماني مواد نصت الاولى على تعاون الطرفين المتعاقدين لغرض صيانة سلامتهما والدفاع عن كيانهما ، ونصت الثانية على تحديد التدابير التي ينبغي اتخاذها ، والثالثة على امتناع كل من الطرفين عن التدخل في

الشؤون الداخلية لكل منهما والرابعة على احتفاظ كل منهما بما يرتبط من التزامات دولية . والخامسة على دعوة اية دولة من دول الجامعة العربية وغيرها من الدول التي يهمها امر السلم والامن في المنطقة للانضمام الى الاتفاق ، والسادسة على تشكيل مجلس دائم للعمل ضمن نطاق الاتفاق ، والسابعة على اعتبار مدة الاتفاق خمس سنوات قابلة التمديد • اما المادة الثامنة فتنص على تبادل وثائق الابرام في انقرة باسرع ما يمكن • ومن اراد الاطلاع على النص الكامل للاتفاق فليرجع الى « تاريخ الوزارات العراقية » ٩/٢٤٩ وقد صادق المجلس الوطني التركي الكبير على هذا الاتفاق بالاجماع ، وكان عدد الحاضرين ٤٤٩ مندوبا • اما في العراق فقد صادق مجلس النواب في جلسته المنعقدة في ٢٦ شباط ١٩٥٥ على الاتفاق بأكثرية ساحقة تمثلت في ١١٢ نائبا وعارضه اربعة نواب فقط • وصادق عليه مجلس الاعيان في مساء اليوم المذكور بالاجماع ولم يخالفه الا العين الشيخ محمد رضا الشبيبي •

لقد ألحق بالاتفاق العراقي ـ التركي كتاب وجهه نوري السعيد الى عدنان مندريس في ٢٤ شباط ١٩٥٥ مآله اتفاق الطرفين « على العمل متعاونين تعاونا وثيقا من أجل وضع مقررات الامم المتحدة بشأن فلسطين موضع التنفيذ » وكان من جملة هذه المقررات « قيام دولة اسرائيل في فلسطين » وقد رد مندريس على كتاب نوري في التاريخ نفسه مؤيدا هذا الاتفاق • وكان القصد من هذا الكتاب « ذر الرماد في العيون » اذ يقول سفير امريكا في العراق گالمان IRAQ under J.NURI . في كتابه « عراق نوري السعيد » انه ابلغ حكومتي تركيه والعراق تعليمات حكومته الامريكية بان لا يشار في وثائق الاتفاق الى « اسرائيل » مطلقا ولكن الجانب التركي قال ان هذا النص ضروري لدعم مركز نوري السعيد في العراق ، ولتخفيف الحملة العربية عليه فعاد السفير يطلب ان لا تنشر الخطابات بعد التوقيع على الاتفاق مباشرة ولكن الوزير التركي اكد حاجة نوري الماسة الى هذا النص ولا يمكن اغفاله تماما •

اما المستر انطوني ايدن وزير خارجية بريطانيا الذي انضمت حكومته الى الاتفاق التركي العراقي في الرابع من نيسان ١٩٥٥ ، فقد اعلن في مجلس العموم البريطاني في اليوم المذكور ما نصه :

« ان الكتب المتبادلة ـ بين نوري ومندريس ـ لا تؤلف قسما من الاتفاق ولكنها تبودلت بصورة مستقلة تماما . وقد جعلت نفسي في حلّ من جميعها بطريقة ـ اذا سمح لي باستعمال عبارة معالي النائب المحترم ـ فك التعاقد » ويضيف ايدن الى ذلك قوله في ص ٢٢٠ من المجلد الاول من مذكراته :

« وكان اعتراض المعارضة الرئيسي على الميثاق يقوم على تأثيره على « اسرائيل » وكنت معتقدا ومدركا لهذا ، لكني وثقت ان هذا الميثاق اذا اتى بضمانة للشرق الاوسط فستستفيد منها « اسرائيل » ايضا . وعلى كل حال لايمكن ان يوصف اي حلف تشترك فيه بانه موجه ضد « اسرائيل » .

**بريطانيا والاتفاق**

كان الهدف الرئيسي لعقد ما سمي بـ « ميثاق التعاون المتبادل بين العراق وتركية » تمهيد الطريق لبريطانية للانضمام الى هذا الاتفاق على صورة تؤمن استمرار مصالحها وامتيازاتها في معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ البريطانية ـ العراقية التي اقتربت نهايتها فيكون مثابة الحلقة الاخيرة لربط العراق بعجلة الاستعمار البريطاني . فقد وصل الى بغداد في الثالث من شهر آذار ١٩٥٥ أنطوني ايدن وزير خارجية بريطانية تصحبه قرينته وعدد من موظفي وموظفات وزارة الخارجية لبحث الامور التالية مع المسؤولين العراقيين :

١ ـ تصفية معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ العراقية ـ البريطانية .

٢ ـ بحث قضية الدفاع بعد انقضاء اجل المعاهدة المذكورة .

٣ ــ بحث انضمام بريطانية الى الاتفاق العراقي التركي الموقع عليه في ٢٤ شباط ١٩٥٥ ٠

٤ ــ دراسة الوضع العام في الشرق الاوسط ٠

ويقول ايدن في ص ٣١٦ من المجلد الثاني من مذكراته ما نصه :

« وسبب آخر يدفعنا الى تأييد هذا الميثاق ، بل وربما الاشتراك فيه ٠ فالمعاهدة العراقية البريطانية التي وقعّت في عــام ١٩٣٠ ، ينتهي اجلها في عام ، ١٩٥٧ ، وكان علينا ان نحسب حسابا للشعور القومي حتى في اكثر البلاد صداقة لنا ٠ ومن المهم ان نتخلص من صيغة المعلم والتلميذ ٠ وقد انتهت المحاولة التي قامت بها حكومة العمال للتفاوض لعقد معاهدة جديدة[٢٠] الى اضطرابات وخيمة ، واصبحت على ثقة من ان الدفاع بيننا وبين العراقيين ، وهي لمصلحتينا معاً ، من الخير ان توضع في اتفاقية اهم بين فرقاء متساوين » اهـ

ثم سافر ــ ايدن ــ وصحبه الى بلاده ، وفي الثالث من نيسان ١٩٥٥ وصل الى بغداد وكيل وزارة الخارجية البريطانية المستر ترنن يحمل مقترحات انطوني ايدن للمفاوضة حول عقد اتفاق خاص يسمح بالانضمام الى الاتفاق العراقي ــ التركي فيحل محل معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ ولم يكن امام الطرفين اي عائــق يحــول دون ذلك اذ صــرح ايدن في جلسة مجلس العمــــوم البريطاني المنعقدة في ٤ نيسان ١٩٥٥ ٠

« كانت السياسة البريطانية ترمي منذ امدٍ طويل الى تأسيس وسائل فعالة دفاعية لمنطقة الشرق الاوسط والمحافظة عليها ، وكانت هذه الحاجة تقررها في الماضي الحقائق الجغرافية البسيطة والاعتبارات الاستراتيجية فقط ، اما الآن فان استثمار منابع النفط قد اضاف عاملاً مهماً الى ضرورة تأمين وسائل

---

(٢٠) يريد معاهدة بورتسموث التي عقدها صالح جبر مع بيفن في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٨ واطاح بها الشعب في وثبته الوطنية في السابع والعشرين من هذا الشهر ٠

دفاعية كافية وفعالة في هذه المنطقة . وقد تبدلت في الوقت نفسه الصورة الاستراتيجية والسياسية تبدلاً عظيماً فظهرت في ميدان الشرق الاوسط الحركات القومية ، كما ظهرت الاسلحة الذرية وينبغي ان نحسب لهذين العاملين حسابا ، وان نكيف بموجبهما خططنا ، وهذا ما فعلناه في اتفاقنا الجديد مع العراق وانضمامنا الى الميثاق التركي العراقي . ان حاجتنا الاستراتيجية اليوم تدور حول محافظة وتعزيز الجناح الأيمن المتطرف لمنظمة حلف شمالي الاطلسي هذا من ناحية ، اما من الناحية الثانية فان تبدل الاوضاع السياسية يتطلب قيام تنظيماتنا الدفاعية على اساس المشاركة مع دول ذات سيادة وعلى قدم المساواة . وكما هو معلوم لدى المجلس ان معاهدة سنة ١٩٣٠ على وشك الانتهاء ، وان مفعولها سينتهي بعد مضي ثمانية عشر شهراً ، وبدلاً من انتظار موعد انتهائها ، قررت حكومة صاحبة الجلالة ان تستغل الفرصة التي اتاحها الميثاق التركي ــ العراقي لنقيم علاقاتنا مع العراق على نطاق اوسع ، وآمل ان يدرك المجلس الحكمة المتأنية من اتخاذ هذه الخطوة ــ انتهى ــ .

ويقول گلمن وزير امريكا المفوض في العراق في كتابه « ادرك الانكليز ان انضمامهم الى الميثاق العراقي ــ التركي يضع علاقاتهم مع العراق على اسس اكثر واقعية واكثر قبولاً من الشعب ، الامر الذي يزيد في نفوذهم لذا كان اهتمامهم به اكثر من اعتيادي » .

أجل ! لقد انضمت بريطانية الى الاتفاق العراقي ــ التركي في الرابع من نيسان ١٩٥٥ بعد مفاوضات صورية لم يطل امدها ، واعتبر يوم ٦ نيسان عطلة رسمية للتعبير عن ابتهاج الحكومة والشعب بهذا اليوم الذي رفع العراق عنه آخر شائبة من شوائب الاستقلال التام . وصدر البيان الآتي :

قدم معالي السر مايكل رايت سفير صاحبة الجلالة البريطانية في العراق ، الى معالي السيد موسى الشابندر وزير الخارجية في الساعة الحادية عشرة صباح

يوم الثلاثاء الموافق ٥ نيسان ١٩٥٥ في ديوان وزارة الخارجية وثيقة انضمام حكومة المملكة المتحدة البريطانية العظمى وايرلندا الشمالية الى ميثاق التعاون المتبادل المعقود بين العراق وتركية الموقع عليه في بغداد في ٢٤ شباط وفقا للفقرة الخامسة من الميثاق وقد أصبحت المملكة المتحدة البريطانية العظمى وايرلندا الشمالية فريقا ساميا في الميثاق اعتبارا من التاريخ المذكور .

و . مدير التوجيه والاذاعة العام[٢١]

**خلاصة الاتفاق الخاص**

ويتكون الاتفاق الخاص بين العراق وبريطانية من تسع مواد نصت المادة الاولى على ادامة وتنمية السلم والصداقة بين بلديهما ... والدفاع عن كيانهما ، ونصت المادة الثانية على اعتبار معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ مع ملاحقها والكتب المتبادلة منتهية من تاريخ نفاذ الاتفاق ، والثالثة عدم تحمل العراق مسؤوليات خارج حدوده ، والرابعة اضطلاع الحكومة العراقية بمسؤولية الدفاع التامة عن العراق ، والخامسة قيام تعاون وثيق بين سلطات الطرفين للدفاع عن العراق . والسادسة قيام انكلترا بتقديم المساعدة للعراق لتأسيس وادامة قوة جوية عراقية فعالة ، وادارة المطارات التي يتفق على ضرورتها ، وتأسيس جهاز فعال للانذار وتدريب وتجهيز القوات العراقية للدفاع عن بلادها . اما المادة السابعة فتنص على تمتع طائرات الطرفين بتسهيلات المرور والترحيل داخل بلديهما ، والثامنة تقديم بريطانية للعراق ـ عند الطلب ـ المساعدة العسكرية في حالة هجوم او تهديد مسلح على العراق . واما المادة التاسعة فتنص على اعتبار الاتفاق نافذا منذ توقيعه .

وللاتفاق البريطاني ـ العراقي ملاحق سرية وعلنية تتعلق بانتقال القيادة البريطانية في الحبانية والشعيبة والمعقل الى الحكومة العراقية ، ولكن قيادة

(٢١) جريدة الزمان العدد ٥٠٣٧ نيسان ١٩٥٥ .

وادارة الاشخاص والتأسيسات البريطانية تكون من مسؤولية بريطانية • وعلى تسليم الممتلكات البريطانية غير المنقولة الى الحكومة العراقية بثمن يتفق عليه ، ولعل اهم هذه الملاحق السرية خطورة ، الملحق الخاص بتسوية الديون المتقابلة للطرفين بشكل يجعلها في حل من الالتزام بهما • وتتناول هذه الديون القوائم الخاصة بالمعدات المجهزة للجيش والشرطة ، وبعض الاموال غير المنقولة المتروكة في العراق ، يقابلها طلبات للعراق تتعلق باجور السكك الحديدية وضريبة الدخل على مبيعات الذهب التي تمت خلال سني الحرب ونحو ذلك • ولم تنشر هذه الملاحق للرأي العام مع الاتفاق الخاص • ولم تعرض على الهيأة التشريعية كما عرضت على مجلس العموم البريطاني ، واكتفى رئيس الوزراء بدعوة مجلسي الأعيان والنواب الى عقد جلسة مشتركة عرض فيها الرئيس كيفية انضمام بريطانية الى الاتفاق العراقي ـ التركي • وبما ان هذا الاتفاق سبق ان عرض على المجلس وحظي بالتأييد فانه لا يرى لزوما لعرض الاتفاق المبرم بين بريطانيا والعراق عليه ، لا سميا وان هذا الاتفاق لا يلزم العراق بشيء • وسارع احد النواب الى تقديم اقتراح طلب فيه الاكتفاء بالمذاكرة وتأييد سياسة الحكومة فصوت الحاضرون على الطلب فورا وهل كان في مقدور احد أن يعترض على ما يقرره نوري السعيد ؟

ويقول المراسل الصحفي البريطاني المستتر تحت لقب « كاراكتاكوس » في ص ٩٨ من كتابه « ثورة العراق » :

« وكانت الغاية من حلف بغداد ايجاد الطريقة المثلى للمحافظة على ما امكن على علاقات بريطانية القديمة بالدولة التي كانت منتدبة عليها • ولما كان من الواجب عدم تعقيد الامور بالنسبة للصديق نوري ، وعدم وضع العراقيل في طريق سيطرته واشرافه ، لا سيما وان شعور المقاومة قد اشتهر في الوطن العربي ، فقد وجد من الافضل اخفاء الغاية من حلف بغداد في نطاقٍ أوسع • أما اعمال الميثاق الاخرى فهي اقامة حلف مشابه لحلف الاطلسي على الحدود

الجنوبية لروسية ، وهذا يحصر نشاطها داخل حدودها طبقاً لسياسة الحلفاء بعد انتهاء الحرب • وهكذا ضمن الحلف لبريطانية المحافظة على مصالحها الاقتصادية وعلاقاتها التقليدية بالباكستان وايران والعراق ، وفرض هذه العلاقات على تركية ، الدولة العضو في حلف الأطلنطي ••• وعلى العموم حفظ « حلف بغداد » مركز بريطانية في منطقة تعد تقليدياً منطقة نفوذها وحدّ من خطر دخول امريكا الى المنطقة لتسلم المسؤولية منها • وهكذا حققت بريطانية في نصرٍ دبلوماسي عظيم لها ، حصر روسية وكبح جماح امريكا والحفاظ على علاقاتها بأصدقائها القدامى • وكان حلف بغداد تنفيذا جديدا لسياسة توازن القوى التي عرفها القرن التاسع عشر • والعيب الوحيد الذي فيه ، وهو عيب جعل المشروع كله فيما بعد عديم الفائدة ، وانه لقي في العراق كراهية عنيفة جاءت عن طريق تجاهل الرأي العام » ـ انتهى ـ

**الباكستان والاتفاق**

كان الجنرال أيوب خان ، وزير خارجية الباكستان ، قد شعر برغبة أمريكا وبريطانيا الشديدة في دخول بلاده في الاتفاق العراقي ـ التركي ، وعندما كان في أنقرة في أول تموز ١٩٥٥ اجتمع مع المسؤولين الاتراك والعراقيين الذين صدف وجودهم في تركية وفهم منهم عن الرغبة الانكلو ـ امريكية ، ووافق على الدخول في الحلف موضوع البحث بمجرد دخول بريطانية فيه • فلما التحقت بريطانيا به ، تمت المراسيم الاصولية لدخول باكستان في ٢٣ ايلول ١٩٥٥ وصدر البيان التالي :

في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم ـ الجمعة الموافق ٢٣ ايلول ١٩٥٥ ـ قدم معالي السيد شعيب قريشي ، السفير فوق العادة والمفوض لباكستان في العراق الى معالي السيد برهان الدين باش أعيان وزير الخارجية، في ديوان وزارة الخارجية وثيقة انضمام حكومة باكستان الى ميثاق التعاون

المتبادل بين العراق وتركية الموقع عليه في بغداد في ٢٤ شباط ١٩٥٥ وفقا للمادة الخامسة من الميثاق • وقد أصبحت حكومة باكستان فريقا ساميا في ميثاق التعاون المتبادل بين العراق وتركية اعتبارا من تاريخ الانضمام المذكور ، وبذلك يكون عدد دول الميثاق العراقي ـ التركي قد بلغ الاربعة ، وهو العدد اللازم لتأليف المجلس الوزاري المنصوص عليه في المادة السادسة من الميثاق •

و • مدير التوجيه والاذاعة العام

وتقول جريدة المانشستر غارديان :

لقد حقق الحلف هدفا كبيرا من اهدافه المهمة بانضمام باكستان اليه ، فان هذه الدولة تعد من الدول المهمة التي تشكل جهاز تنظيم القسم الشمالي من الشرقين الادنى والاوسط •

**ايران والاتفاق**

لاشك في ان دخول ايران في الاتفاق العراقي ـ التركي كان مقـررا ومفروغا منه منذ جرى التفكير في صنعه • وكان حسين علاء رئيس وزراء ايران مترددا بين الانضمام وعدمه الى هذا الاتفاق • وكانت روسية قد حذرت ايران من مغبة التفكير في الانضمام الى اي من الاحلاف التي تهدد الاتحاد السوفياتي وفي الوقت نفسه كانت الحكومة الايرانية قد طلبت من الولايات المتحدة الامريكية بعض المساعدات العسكرية فردت هذه انها ستنظر في هذا الطلب بجدٍ واعتبار اذا انضمت ايران الى الاتفاق المذكور فاضطرت الحكومة الايرانية ان تصون مصالحها ولا تلتفت الى تحذيرات جارتها فانضمت اليه في ٣ تشرين الثاني ١٩٥٥ وصدر هذا البيان :

في الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس الموافق ٣ تشرين الثاني ١٩٥٥ قدم معالي السيد حسين قدس نخعي ، السفير فوق العادة والمفوض للدولة

الايرانية الامبراطورية في العراق ، الى معالي السيد برهان الدين باش اعيان وزير الخارجيه في ديوان وزارة الخارجية ، وثيقة انضمام الحكومة الايرانية الامبراطورية الى ميثاق التعاون المتبادل المعقود بين العراق وتركية ، الموقع عليه في بغداد في اليوم الرابع والعشرين من شهر شباط ١٩٥٥ وفقا للمادة الخامسة من الميثاق المذكور •

بغداد ٣ تشرين الثاني ١٩٥٥

مدير التوجيه والاذاعة العام

ويقول الاستاذ جان جاك برسي في ص٩٣ من كتابه « الخليج العربي » ما نصه :

« وعندما انضمت ايران الى حلف بغداد المشؤوم في تشرين الاول سنة ١٩٥٥ ، ربطت مصيرها بمصير الغرب نهائيا • ان ايــران تمتلك زهاء الفي كيلو متر من الحدود المشتركة بينها وبين الاتحاد السوفياتي فهل من مصلحتها ان تعادي هذه الدولة الكبرى التي بدأت تلعب دورها الخطير في السياسة الدولية ؟ أليس انضمامها الى هذا الحلف يعد عملاً انتحاريا كان يجب تجنبه ؟ لاريب في ذلك ولا شك • لولا الموقف الصلب الذي وقفته الدول الغربية في مساندة ايران لكانت الجيوش السوفياتية اجتاحت هذه الاراضي في طريقها الى الخليج العربي دون أن يعيقها سوى صعوبة المسلك »•

**الاردن والاتفاق**

كانت فكرة نوري السعيد ان الاقطار العربيــة ستنظم الى الاتفــاق العراقي ــ التركي ، انضمام الدول الاسلامية المجاورة اليه ، وقد زاد عقيدته حرص وسعي بريطانية لتحقيق هذا الانضمام • وقد سبق للسيد توفيق ابو الهدى رئيس الوزارة الايرانية ان سافر الى لندن في كانون الاول ١٩٥٤ للقيام بمباحثات استطلاعية حول تعديل المعاهد الاردنية ، البريطانية المنصوص عليها

في المعاهدة الى اجور محددة تعادل المعونة القائمة[٢٢] ولما زار عدنان مندريس رئيس وزراء تركية بغداد « كان هو ونوري قد اجتمعا بوزير الاردن في العراق فرحان شبيلات وبحثا معه امكان اشتراك الاردن في ميثاق بغداد .. وان الاردن اذا اشترك في الميثاق فان تركية والعراق ستساعدانها بالاسلحة والمعونة الاقتصادية »[٢٣] ولما زار رئيس الجمهورية التركية الاردن في ٢ تشرين الاول ١٩٥٥ ــ في محاولة لجره للانضمام الى الميثاق ــ زار مدينة القدس أيضا واعلن قائلا « انه لا يستبعد ان يأتي يوم يقاتل فيه الجنود الاتراك في المدينة المقدسة الى جانب الجيش العربي »[٢٤] في سبيل تحريرها .

ثم اجرى محادثات مع الملك حسين ومع سعيد المفتي اسفرت عن موافقتهما على انضمام الاردن الى الاتفاق موضوع البحث . وعلى اثر ذلك توجه وفد اردني الى بغداد في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٥ ، واجرى محادثات مع المسؤولين العراقيين حول المساعدة التي يمكن للعراق ان يقدمها الى الاردن في حالة انضمامه الى الميثاق ، أبان عنها هذا البلاغ :

« جرت محادثات أولية بين الجانبين : العراقي والاردني لتبادل وجهات النظر حول تمويل المشاريع الاردنية . وقد اتفق الجانبان نتيجة المحادثات على ما يلي :

١ ــ يتعهد العراق بدفع حصته البالغة ٦٢٥ر٠٠٠ دينار في تمويل مشروع البوتاس الاردني وفق ما اتفق عليه في مجلس وزراء المال والاقتصاد العربي ، وذلك عند تأليف الشركة وطرح اسهمها .

٢ ــ يتعهد العراق بدفع مليون دينار كسلفة لتمويل مشروع السوبر فوسفات الاردني .

---

(٢٢) عزاع المجالي « قصة محادثات تمبلر » .
(٢٣) كولمان « عراق نوري السعيد » ص١٢٦ـ١٢٧ .
(٢٤) تاريخ الاردن في القرن العشرين للاستاذين سليمان موسى ومنيب الماضي .

٣ ـ يتشاور الطرفان في الخطوات اللازمة من أجل ايجاد المال اللازم لتمويل المشاريع الاردنية الاقتصادية .

٤ ـ تتخذ الحكومة العراقية الخطوات اللازمة لفتح فرعي المصرفين الصناعي والزراعي في الاردن بأقرب فرصة ممكنة .

٥ ـ يتبرع العراق بمبلغ مئة الف دينار للحرس الوطني »[٢٥]

وفي الوقت الذي كان الوفد الاردني يفاوض المسؤولين العراقيين في الامور المدرجة اعلاه ، اوعزت الحكومة البريطانية الى رئيس اركان الجيش البريطاني الجنرال جيرالد تمپلر ان يتوجه الى عمان ويعرض على الحكومة الاردنية شروط حكومته لدخول الاردن في « حلف بغداد » وكانت الشروط المذكورة كالاتي :

اولا ـ تجهيز الجيش الاردني بالاسلحة الثقيلة والمتوسطة بسعر ستة ملايين ونصف المليون استرليني .

ثانيا ـ الغاء معاهدة السنة ١٩٤٨ الاردنية ـ الانكليزية على ان تحل محلها اتفاقية خاصة شبيهة بالاتفاقية العراقية البريطانية الملحقة بميثاق بغداد .

ثالثا ـ التعاون في بناء وصيانة القوة الجوية الاردنية .

رابعا ـ نجدة بريطانيا للاردن في حالة تعرضه لخطر خارجي[٢٦]

لقد سرّ الوفد الرسمي الاردني للعرض البريطاني كما سرّ للعرض العراقي .

ولكن المظاهرات قامت في طول البلاد وعرضها احتجاجا على اعتزام الاردن الانضمام الى الحلف ، وقد ادى ذلك الى استقالة وزارة سعيد المفتي وقامت مقامها وزارة برئاسة هزاع المجالي كانت باكورة اعمالها انها طلبت الى الجنرال تمپلر ان يغادر الاردن حالاً كي يتاح للوزارة الجديدة ان تعمل في جو من

(٢٥) جريدة الزمان العدد ٥٥١٤ بتاريخ ١١ كانون الاول ١٩٥٥ .
(٢٦) تاريخ الوزارات العراقية ص٢٤٨ من الجزء التاسع .

الهدوء ، ولكن المظاهرات استمرت على شدتها ، وتعرضت الممتلكات الاجنبية الى التلف ويقول انطوني تتنك في ص٢٩٤ من كتابه « سقوط ايدن » ان تمبلر اراد الضغط على الاردن لحمل زعمائه على الدخول في حلف بغداد ففشل ، وان الاضرار التي لحقت الممتلكات البريطانية نتيجة الاضطرابات الاخيرة في الاردن لا يتوقع ان تزيد على الف استرليني ، وان بريطانية تحتفظ بحقها في طلب التعويضات عن هذه الاضرار .

واضطرت الوزارة الجددة الى استصدار ارادة ملكية . بحل مجلس النواب القائم ، والشروع في انتخاب مجلس جديد ليقرر الانضمام المنشود . ولما كانت المادة ٧٤ من الدستور الاردني لا تجيز للوزارة التي تحل مجلس النواب ، ان تتولى القيام بانتخاب المجلس الجديد ، استقالت وزارة المجالي وقامت مقامها وزارة اخرى برئاسة السيد ابراهيم هاشم . ثم ظهر ان رئيس الوزراء المستقيل لم يستشر وزير داخليته يوم اقدم على استصدار الارادة الملكية بحل المجلس الامر الذي يخالف دستور البلاد . قرر المجلس الاردني العالي عدم شرعية الحل فعاد المجلس الى مزاولة اعماله « ولما كان القصد من تأليف وزارة السيد ابراهيم هاشم قد انتفى ببقاء مجلس النواب قائما فقد رفع رئيس الوزراء استقالة وزارته يوم ٧ كانون الثاني ١٩٥٦ »[٢٧] وقامت مقامها وزارة برئاسة السيد سمير الرفاعي في الثامن من كانون الثاني فصرح الرئيس الجديد أن ليس من سياسة الاردن الارتباط بأية احلاف اجنبية وذلك وفقا للتوجيهات والارشادات الملكية السامية[٢٨] وكفى الله المؤمنين القتال[٢٩] .

« وعندما تبين ان مجلس النواب سيبقى قائما ، ثارت في أماكن مختلفة مظاهرات عنيفة يوم ٨ كانون الثاني وقد لجأ المتظاهرون في بعض الاماكن

---

(٢٧) تاريخ الاردن في القرن العشرين .

(٢٨) كتاب الحسين بن طلال .

(٢٩) سورة الاحزاب : الآية ٣٤ .

الى التخريب والتدمير • ففي عمان احرق المتظاهرون عددا من دوائر الحكومة ، منها مبنى وزارة الزراعة ودوائر البيطرة وعندما جاءت سيارة الاطفاء لاخماد النار ، أحرقها المتظاهرون كذلك ، وحدث اعتداء على فندق فيديفلايا • وفي عجلون احرق المتظاهرون احد المستشفيات الخيرية » وهكذا هزم النفـوذ البريطاني في الاردن في شخص الجنـرال تمپلر الذي جاء ليفرض الارادة البريطانية عليه بضم الاردن الى الحلف ففشل ، ودق الاردنيون اسفيناً في حلف بغداد ووزع الثغرة لانهيار الحلف بعد حين • وعلى اثر ذلك اسـرت بريطانية الى « اسرائيل » فأخذت تتحرش بالاردن فكانت موسان والرهوة وغرندل وقلقيلية وغيرها من الاعتداءات اليهودية التي صمد الاردن ازاءها صمودا عجيبا • ولم تنجح محاولة جر الاردن الى « حلف بغداد » ولم تنجح بريطانيا في حملة على هذا الانضمام ، كما لم تنجح المساعي التي بذلت لحمل مصر على الوقوف على الحياد • وكذلك فشلت انكلترا في جر المشيخات في الخليج العربي للانضمام الى الحلف •

### امريكا والاتفاق

بذل العراق وتركية جهودا مضنية لحمل الولايات المتحدة الامريكية على الانضمام الى « حلف بغداد » بغية الاستفادة من امكانياتها العسكرية والمالية ومن مقامها الدولي المرموق ،فأبت امريكا قبول هذا الانضمام مع انها كانت صاحبة الفكرة الاولى لعقده ولكنها تجاه الحاح بريطانية وسائر دول الحلف ، وافقت على الانضمام الى بعض اللجان المنبثقة عنه • ويقول الدكتور الجمالي في ص ٦٥ من كتابه « ذكريات وعبر » :

من اجل القضية الفلسطينية لم تدخل امريكا ميثاق بغداد اذ ان الكونغرس الامريكي كان يطلب ضمان حدود « اسرائيل » الحالية في حالة انضمام امريكا للميثاق وكان المستر دالس يرفض ذلك •

والذي عندنا ان السبب الحقيقي الذي كان يكمن وراء عدم دخول الولايات المتحدة الامريكية في حلف بغداد دخولا علنيا ، هو رغبة امريكا في الظهور بمظهر الحياد وحفظ التوازن بين الاقطار العربية • ولا سيما بين السعوديين والهاشميين يدلنا على ذلك ان نوري السعيد اقترح على امريكا مرارا ان تحجب شركة ارامكو الامريكية عائدات النفط عن السعودية ولو لمدة ستة اشهر على الاقل ، واعلن رأيه في ان لو حدث هذا فان الوضع كله سيتغير في سورية ولبنان والاردن وحتى في مصر نفسها ، وسيصبح في الامكان تحقيق الاهداف التي تبدو الان مستحيلة لايجاد تسوية عربية ــ اسرائيلية كما يؤيد ذلك انطوني ايدن وزير خارجية بريطانية في مذكراته ٢/١٢٤ •

## نهاية حلف بغداد

اصيب « حلف بغداد » بنكسة قوية على اثر العدوان الثلاثي الذي اشتركت فيه قوات الغزو البريطاني ــ الفرنسي ــ الاسرائيلي على مصر العربية في التاسع والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٩٥٦م ، وشلّ هذا العدان المبيت الحلف المذكور شللاً كبيراً منذ اخفقت المساعي البريطانية في حمل دول الحلف على تعزيز موقفها الآثم تجاه ارض الكنانة ، وثارت موجة السخط التي ثارت عبر الوطن العربي • وزاد الطين بلة ان الامريكيين الذين كانوا يخشون من ان يعزز انتصار بريطانية في هذا العدوان الصارخ مقامهم في الشرق الاوسط تعزيزا كبيرا : وقفوا ضد العدوان ، وحذا الاتحاد السوفياتي حذوهم •

وقد ادى فشل العدوان هذا ، الى تدهور النفوذ الغربي في الشرق الاوسط ، والى نشوء فراغ في المنطقة • وخشية ان يتقدم الاتحاد السوفياتي الى ملء هذا الفراغ ، اسرعت الولايات المتحدة الاميركية الى اعلان مشروع آيزنهاور بتزويد أية دولة من دول الشرق الاوسط بالقوات الاميركية المسلحة

اذا ما تعرضت الى اي هجوم شيوعي يقع عليها . وكان الغرض من هذا المشروع تغطية الضعف الذي لحق بحلف بغداد ، مضافا الى تثبيت النفوذ الأمريكي الذي حلّ محل الهيمنة البريطانية في منطقة الشرق الاوسط ولكن الذي يؤسف له ان الولايات المتحدة الامريكية سرعان ما فقدت كرامتها ومنزلتها في الشرق الاوسط وفي العالمين العربي والاسلامي نتيجة انحيازها السافر الى « اسرائيل » ضد العرب انحيازا فاضحا .

ولما قامت ثورة تموز ١٩٥٨ في العراق ، ارادت الحكومتان الامريكية والبريطانية اجهاضها فانزلت الاولى جيشا عرموما في لبنان ، وانزلت الثانية قواتها المظلية في الاردن . فلما اعلنت حكومة الثورة تمسكها بالعهود والمواثيق المبرمة من قبل ، وشعرت الحكومتان الامريكية والبريطانية ان الشعب العراقي وجيشه الباسل يقفان وراء هذا الحدث العظيم ، اسقط في يديهما فسكتا على مضض ، ورأت الحكومة العراقية ان تتريث في موقفها من « حلف بغداد » فلما استقرت الامور واعترفت حكومات العالم بالجمهورية العراقية ، قررت حكومة الجمهورية الانسحاب من « حلف بغداد » فوجهت وزارة الخارجية العراقيــة الكتاب المرقــم ع/٦٣/١٣ والمؤرخ ٢٤ آذار ١٩٥٩ الى السفارة الباكستانية ، السفارة الايرانية ، السفارة التركية ، وسفارة صاحبة الجلالة البريطانية ببغداد :

« تهدي وزارة الخارجية ( العراقية ) تحياتها الى سفارة .. في بغداد ، وتتشرف بأن تبدي أنه : لا يخفى على السفارة المحترمة ان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ احدثت تبدلاً جوهرياً في كيان العراق الداخلي كان من ابرز مظاهره تغيير نظام الحكم بقيادة الجمهورية في البلاد ، ذلك النظام الذي اصبح يعبر تعبيرا صادقا عن ارادة الشعب بكافة طبقاته ، وعن رغبته بوجوب قيام تعاون وثيق بين حكومته وبين الدول كافة على اساس الصداقة وعلى قدم المساواة وفقاً لمصالحه المتبادلة معها للعمل في سبيل حفظ السلام في العالم تمشيا مع مبادىء ميثاق اي من المعسكرين الشرقي او الغربي . وقد مرت ثمانية اشهر

على تطبيق سياسة عدم الانحياز هذه ، وأصبح واضحا للمجتمع الدولي عزم العراق الاكيد على العمل في إنماء علاقاته على اسس تعكس واقع رغبة الشعب العراقي في البقاء بعيدا عن المنافسات الدولية ومعاملة كافة الدول معاملة اساسها الصداقة والمنفعة المتبادلة . وبناء على ما تقدم ، وبعد تأملٍ دقيق في المعاهدات والاتفاقات الدولية التي تربط العراق باعضاء المجموعة الدولية ، وجدت الحكومة العراقية ان بقاء العراق طرفا في « ميثاق بغداد » لا يتماشى مع سياسة الحياد الايجابي التي اعلنتها وسارت بموجبها فعلاً منذ ١٤ تموز ١٩٥٨ كما انه لا ينسجم مع رغبات الشعب العراقي الذي اعرب عن معارضته للحلف . وعليه وبالنظر الى اعتقادها ان تثبيت العلاقات الخارجية ونموها المطرد على اسس من المودة والمنافع المتبادلة يجب ان يستند الى رغبة الشعب وتأييده ، وينطبق على واقع الحال والتبدل الجوهري الذي طرأ على ظروف العراق وأوضاعه ، فالحكومة العراقية ترى في انسحابها من عضوية ميثاق بغداد وسيلة اساسية لتدعيم وانماء الصداقة والمودة بين العراق وكافة الدول .

لذا تتقدم وزارة الخارجية بابلاغ الدول الاطراف في ميثاق التعاون المتبادل بين العراق وتركية المعقود في بغداد في ٢٤ شباط ١٩٥٥ ( ميثاق بغداد ) بقرار الانسحاب من عضوية الميثاق المذكور اعتبارا من هذا اليوم ، معربة في الوقت نفسه عن رغبتها الاكيدة في استمرار العمل على تدعيم أواصر الصداقة والمودة مع تلك الدول بما يتفق ومباديء ميثاق الامم المتحدة وهي واثقة بانها ستجد من الدول الصديقة ما تأمله من التعاون بروح المودة التي يتحسس بها العراق تجاهها ، لا سيما وان الروابط التاريخية والمنافع المتبادلة التي تربط العراق بهذه الدول عوامل اساسية اثبتت الأيام صلاحها في دوام تعاون مستمر وعلاقات ودية مزدهرة ، كما تؤكد ان انسحاب العراق من الميثاق سوف يكون وسيلة فعالة لانماء المودة والصداقة بين العراق والدول ذات العلاقة على اسس رصينة ومقبولة من الشعب العراقي .

تنتهز الوزارة هذه الفرصة للاعراب عن فائق تقديرها واحترامها » .

# ازمة السويس

## وموقف العراق منها

**أزمة السويس**

ترتقي فكرة ايصال نهر النيل بالبحر الاحمر الى أزمنةٍ واغلةٍ في القدم ، فهي ليست وليدة مائة سنة ولا هي ابنة الف سنة وانما تتصل بعهد الفراعنة • وكان نيخاوس ملك مصر وفرعونها المعروف ، قد شرع في ايصال مياه النيل بالبحر الاحمر المذكور ، وجدد عمله داريوس ملك الفرس العظيم عندما امتلك مصر عام ٥٢٨ ق•م • وفي زمن بطليموس من دولة البطالسةالتي حكمت مصر في القرن الثالث قبل الميلاد ، أوصل النيل بالبحر الاحمر فعلاً بترعةٍ تسمح للسفن بالدخول اليها والخروج منها دون أن يوقفها مد خليج السويس أو جزره[1] ولكن هذه الترعة اهملت مع مرور الزمن • فلما جاء العرب ، وجد عمرو بن العاص ان الضرورة تقضي باحياء هذه القناة فأحياها ، ولكن بعد جهدٍ جهيد ومشقة عظيمة • ولما فتح نابليون بونابارت مصر عام ١٧٩٨م ، قرر ربط البحر الاحمر بالبحر المتوسط ، وعهد الى مهندس جيشه غراتيان لوبير ان يدرس هذا المشروع ويقدّر النفقات المقتضات لتحقيقة ، فوجد المهندس المذكور اختلافا

(١) ميشال سليمان في كتابه ( القناة لنا ) ص٨

بين سطح الماء في البحرين المذكورين يقدّر بنحو عشرة أمتار ، وارتأى جعل القناة ذات سداد لضمان نجاحها •

وبعد مدة ، اطلع نائب القنصل الفرنسي في القاهرة فردينان ديليسبس على تقرير المهندس لوبير ، فأخذ يفكر في ضرورة تنفيذ هذا المشروع الكبير • وكانت لهذا الرجل صلة ود وصداقة مع ولي عهد مصر ، وهو يومئذ سعيد باشا ، فلما تحدث اليه عن المشروع ، لقي منه الدعم على الرغم من الاحتجاجات التي أعلنتها حكومة الاستانة ( اسطنبول ) • فلما توفي الخديوي عباس باشا وارتقى ولي عهده سعيد باشا الملك ، تجدد أمل ديليسبس فحصل على الامتياز اللازم لهذا المشروع الحيوي في ٣ تشرين الثاني ١٨٥٤ وكانت مدة الامتياز تسعة وتسعين عاما تبتدىء من التأريخ الذي يلي افتتاح القناة • وقد نصت المادة الخامسة من الامتياز على ان تستوفي الحكومة المصرية خمسة عشر في المئة من صافي الارباح ، ونصت المادة الرابعــة منه على أن للشركة القائمة بالمشروع حق امتلاك جميع ما يلزمها من الاراضي بدون مقابل ، كما نصت المادة التاسعة على ان للشركة أن تستخرج من المناجم والمحاجر الداخلة في الاملاك والاراضي المذكورة جميع المواد اللازمة لأعمال القناة ، واعفاءها واعفاء ما تستورده من الخارج لفائدة مشروع قناة السويس من الرسوم الكمركية ونحوها •

ولما حل اسماعيل باشا محل الخديوي سعيد باشا في عام ١٨٦٢ ، زار مشروع القناة وأولاه عنايته الخاصة حتى تم افتتاحه في ١٧ تشرين الثاني من عام ١٨٦٩م • وقد حضر حفلة افتتاحه معظم ملوك أوربا وأمرائها ، وجلّ رجال المال والصناعة فيها ، وتجاوزت نفقة الافتتاح كل حد معقول ، فاضطرب الوضع المالي في مصر ، وأرسلت الدول التي يهمها أمره ، بعثة خاصة لفحص مقدرة مصر المالية على تسديد الديون التي ترتبت عليها نتيجة البذخ الذي حصل في حفلة الافتتاح ، وما هي الا بضع سنين حتى أضطر الخديوي الى عرض الاسهم

المصرية في شركة قناة السويس للبيع ، وقد كانت ١٧٢٦٠٢ سهماً ، فابتاعتها الحكومة البريطانية بأربعة ملايين پاون • وكانت بريطانيا تعارض من قبل فكرة حفر هذه القناة وتعد الشروع فيها تهديدا لمصالحها في البحر المتوسط • وقد قدرت قيمة الاسم بثمانية وثلاثين مليونا من الپاونات في عام ١٩٢٩ وبلغت أرباحها في عام ١٩٥٠ ثلاثة وستين مليونا • وتقول الحكومة المصرية في الصفحة السادسة من مذكرتها الايضاحية لقانون تأميم القناة رقم ٢٨٥ لسنة ١٩٥٦م :

« بالدماء المصرية شقت قناة السويس لتخدم الملاحة البحرية • فمن عام ١٨٥٩ حتى عام ١٨٦٤ مضت خمس سنوات سخر فيها المصريون دون أجرٍ أو شكر لحفر القناة ، ستون ألفا من المصريين كانوا يخصصون شهريا لهـذه الخدمة • ولقد مات من هؤلاء العمال تحت الانهيارات الرملية ما يزد على المئة ألف دون دفع أي تعويض عنهم »[٢] •

**سد اسوان**

شعرت الحكومة المصرية في الخمسينات بضرورة تنمية انتاجها الزراعي ومضاعفة دخلها القومي ، ورأت في اقامة السد العالي في أسوان أفضل مشروع يحقق لها هذه التنمية وتلك المضاعفة ، فأعربت عن رغبتها في الاستعانة ببنك الاعمار الدولي للاسهام في تمويل هذا المشروع الجبار • وبعد أن درس البنك المذكور المشروع من الوجوه كافة قرر اجابة الرغبة المصرية لكنه اشترط « أن يتولى البنك بنفسه الرقابة على برنامج الاستثمارات المحلية ، ثم طلب تخفيض المساحة المنزرعة قطناً ، ثم اشترط على مصر أن لا تبحث عن قرضٍ من مصدر آخر • لقد وافق النظام باديء الامر على هذه الشروط ، ولكن البنك لم يكتف بهذا ، ومضى يطالب بضغط برنامج التصنيع »[٣] فرضيت بهذا أيضا رغبة

(٢) وزارة الخارجية المصرية ( الكتاب الابيض في تاميم  ناة السويس ) ص٦ •

(٣) مجلة الطليعة المصرية العدد مارس ١٩٧٦ من السنة ١٨ •

منها في تحقيق المشــروع • وفي الوقت نفسه خصصت الولايــات المتحــدة الامريكية اربعين مليون دولار من المساعدات الخارجية للسد المذكور ، كما خصصت له بريطانيا خمسة ملايين من الجنيهات • ولكن الحكومة المصرية ما كادت تتدارك السلاح اللازم لقواتها الحربية من الاسواق الشرقية ، بعد أن عجزت عن تداركه من الاسواق الغربية ، حتى سحب بنك الاعمار الدولي موافقته المذكورة في ٢٤ تموز ١٩٥٦ وأعقبته الحكومتان الامريكية والبريطانية فسحبت كل منهما ما خصصته للمشروع في اليوم التالي ( ٢٥ تمــوز ) واذا بالحكومة المصرية تعلن في السادس والعشرين من هــذا الشهر تأميم قناة السويس ليتسنى لها تهيئة الاموال اللازمة من واردات القناة لتنشيء سد أسوان بالاموال المصرية • ولأجل أن تفوّت مصر الفرص على خصومها فقد قررت « تعويض المساهمين وحملة أسهم التأسيس عما يملكونه من أسهم وحصص بقيمتها ، مقدرةً بحسب سعر الاقفال السابق على تاريخ العمل بقانون التأميم في بورصة الاوراق المالية بباريس » ــ أي يوم ٢٥ تموز ــ ١٩٥٦ •

### تأثير قرار التاميم

لقد جن جنون الحكومتين : البريطانية والفرنسية لهذه الحركة الجريئة ، واحتجتا عليها لدى الحكومة المصرية ، وعدتا التأميم « عملاً تعسفيا ينطوي على تهديد خطير للملاحة في قناة السويس » واعدت الحكومة الامريكية قرار مصر هذا « خطير النتائج لأنه يؤثر على الدول التي تعتمد اقتصادياتها على المنتجات التي تنقل بطريق السويس » فجمدت الارصدة المصرية في البنوك الامريكية ، وفعلت مثل ذلك الحكومتان البريطانية والفرنسية ، فردت مصر على هذا التحدي والاستفزاز بأن عدت منطقة القناة منطقة عسكرية ، واعلنت الاحكام العرفية في البلاد ، وقدمت شكوى الى مجلس الامن الدولي ضد وقف بريطانيا المعاملات المصرية بالجنيه الاسترليني ، وضد تجميدها أموال

شركة قناة السويس ، وهما العملان العدائيان اللذان قامت بريطانيا بهما بعد التأميم •

ودعت بريطانيا ٢٤ دولة الى مؤتمر عقد في لندن بتأريخ ١٦ آب ١٩٥٦ لبحث موضوع التأميم ، وتأسيس ادارة دولية للقناة • وكانت مصر والاتحاد السوفياتي من بين الدول المدعوة الى حضور المؤتمر المذكور فرفضت مصر حضوره . واقترح الاتحاد السوفياتي ان لا يتخذ المؤتمر أي قـرار بغياب مصر •

وشعرت الولايات المتحدة الامريكية بخطورة الموقف فأعلنت انها تعارض استخدام القوة لحل هذه الازمة الخطيرة • ولما حضرت المؤتمر الذي اقترحت بريطانيا عقده في عاصمتها ، تقدمت بهذه المقترحات :

أولا ــ الاستمرار على ادارة اعمال القناة لكونها طريقا مائيا حرا مع احترام سيادة مصر •

ثانيا ــ أن تكون خدمة القناة مستقلة عن أي عمل سياسي •

ثالثا ــ أن يضمن لمصر دخل معقول من واردات القناة •

وقد قبلت ثماني عشرة دولة من الدول التي حضرت مؤتمر لندن ، الاقتراح الامريكي المذكور ، وأنهى المؤتمر اعماله في الثالث والعشرين من آب • وبناءً على عدم حضور مصر في المؤتمر ، قرر المؤتمرون ارسال محاضر جلساته الى الحكومة المصرية مع وفد خماسي يرأسه المستر منزيس رئيس وزراء استراليا ، وتشترك فيه أمريكا والسويد وايران وأثيوبيا ليشرح وجهة نظر المؤتمرين • فجاء الوفد الى القاهرة ولبث فيها أياما لم يحقق خلالها أي نصر ، فاقترحت الحكومتان البريطانية والفرنسية اللجوء الى القوة بعد فشل وسائل الضغط المتزايد لزحزحة مصر عن عنادها • وعارضت الولايات المتحدة الامريكية اتخاذ أي تدبير يزيد الازمة تعقيدا ، ونصحت باتباع كل وسيلة دبلوماسية • وأصرت بريطانيا على الزعم بأن الاساليب الدبلوماسية والعقوبات

الاقتصادية قد لا يقدر لها النجاح فيُفلت من اليد امكان استخدام القوة ، ولا سيما ان فصل الشتاء على الابواب حيث تكون الحركات العسكرية أكثر صعوبة .

**مؤتمر آخر**

وفي ١٩ و ٢٠ أيلول ١٩٥٦ عقد في لندن مؤتمر آخر لايجاد الحل المناسب لهذه الازمة ، التي اعترف الجميع بخطورتها ، فقرر المؤتمرون انشاء جمعية للمنتفعين بالقناة ، وراحو يعدون العدة لوضع تفاصيل المشروع . وقد أيدت خمس عشرة دولة من دول المؤتمر هذه الفكرة ولكن مصر لم توافق على انشاء مثل هذه الجمعية .

وكانت الحكومتان البريطانية والفرنسية تدفعان الرسوم المستحقة على البواخر العائدة لهما لعبور قناة السويس في مكتبي الشركة في لندن وباريس ، وتدفع بواخر الدول الاخرى هذه الرسوم الى شركة القناة في مصر ، فلما اعلنت مصر تأميم القناة أوعزت الحكومتان المذكورتان الى البواخر التابعة لها أن تستمر على دفع رسومها في لندن وباريس كالسابق . وقد غضت مصر النظر عن هذا التحدي حباً في عدم تصعيد الازمة . وهكذا مضت سبعة اسابيع على اعلان تأميم شركة قناة السويس دون أن يتخذ أي قرار ضدها .

**موقف العراق من التاميم**

كان رئيس الوزراء نوري السعيد يزور لندن يوم أعلنت الحكومة المصرية تأميم قناة السويس فلما عاد الى الوطن ووجد الرأي العام مضطربا ، أمر باصدار البيان الرسمي الآتي :

« تابعت الحكومة العراقية باهتمام بالغ التطورات والملابسات التي رافقت قيام الحكومة المصرية بتأميم قناة السويس ، كما راقبت الحكومة

العراقية بنشاط زائد نشاط « اسرائيل » بين الحكومات العربية لاستغلال هذا الخلاف اصالحها . والعراق الذي يرى في « اسرائيل » الخطر الاكبر الذي يهدد العرب في مصيرهم ، كان ولا يزال يعمل على الحد من هذا الخطر . ولم يترك العراق فرصة تمر الا وأهاب بالعرب لينتبهوا اليه ويعملوا على افساد خططها الرامية الى استغلال الموقف الحرج الراهن ، ولهذا السبب فان اهتمام الرأي العـام العربي بموضوع هذا الخـلاف يجب أن لا يشغله عن خطر « اسرائيل » كما لا يمكنها من تحقيق مصالحها ومطامعها .

ان الحكومة العراقية ترى ان التأميم حق للدول أصبح مفروغا منه ، كما انها ترجو آن تسود الحكمة لازالة الخلاف . والحكومة العراقية اذ ترجو أن يتحقق ذلك تعلن انها الى جانب مصـر فيما يضمن كرامتهـا وسيادتها واستقلالها والله ولي التوفيق » .

بغداد ٦ آب ١٩٥٦

وتعتقد المعارضة في العراق ــ كما تعتقد الحكومتان المصرية والسورية ــ ان نوري السعيد لم يكن مخلصا في بيانه لاشتداد الخلاف بين الطرفين منذ عقد ميثاق بغداد في ٢٤ شباط ١٩٥٥ وكان نوري يشكو مصر ولا سيما في دوائر لندن . ويقول السير أنطوني ايدن وزير خارجية بريطانية في ص ٢/٢٣٤ من مذكراته :

« في مساء السادس والعشرين من تموز كان الملك ــ فيصل ــ وغيره من زعماء العراق يتناولون العشاء معي في داوننغ ستريت وكنا على المائدة عندما جاءني أحد أمناء سري يحمل النبأ القائل بأن عبد الناصر قد استولى على قناة السويس واغتصب جميع ممتلكات الشركة التي كانت تديرها وفقاً لاتفاقية دولية . فقد اعلن في خطاب ألقاه في الاسكندرية ، ان مصر نفسها ستجد الاموال التي تبني بها سد أسوان ، فالوسيلة متوفرة وفي متناول يده، وفي امكان ناصر ان يستولي على القناة ويسحب من دخلها رأس المال الذي يحتاج

اليه . وابلغت ضيوفي النبأ ورأوا بوضوح ان هناك حدثا غيّر كل المرئيات ، وأدركوا لتوّهم ان كل شيء يتوقف على العزيمة التي سنقابل بها هذا التحدي وانفض المدعوون مبكرين » . ثم كتب الى الرئيس الامريكي آيزنهاور « وقد تحدث الينا كل من وري السعيد وولي العهد اكثر من مرة عن عواقب نجاح عبد الناصر في ضربته . انهما يشعران بضياعهما مع التيار » .اهـ

**القتال ضد مصر**

في الوقت الذي كانت الدبلوماسية الهادئة تعمل عملها لفض مشكلة تأميم قناة السويس بالطرق السلمية ، كانت الحكومتان البريطانية والفرنسية تعدان العدة للقيام بعملٍ عسكري يفسد هذه الدبلوماسية ، ويختلق الذرائع لشن عدوان مبيت على مصر العزيزة . وقد وجدتا في « اسرائيل » مخلب القط . فقد اعلنت « اسرائيل » التعبئة الجزئية في التاسع والعشرين من شهر تشرين الاول لعام ١٩٥٦م ، وشنت هجوما مفاجئا على الاراضي المصرية ، واذا بالحكومتين البريطانية والفرنسية تطلبان من المعتدي والمعتدى عليه « أي من « اسرائيل » ومصر » سحب جيوشها الى مسافة عشرة أميال من قناة السويس ، والسماح للقوات البريطانية والفرنسية بالدخول الى المدن المصرية الثلاث : بور سعيد والاسكندرية والسويس فان رفضت مصر ذلك ، فان القوات المذكورة ستدخلها عنوة خلال اثنتي عشرة ساعة . وقد رفضت الحكومة المصرية هذا الطلب رفضا باتا ، وحذّرت بريطانيا وفرنسا من مغبة هذا الاعتداء الغاشم ، فهاجمت الطائرات البريطانية باخرة مصرية كانت على مقربة من جسر الفردان وأغرقتها فتعطلت الملاحة في هذا الممر المائي العظيم ، ثم شرعت الجيوش الانكليزية والفرنسية والصهيونية بمهاجمة المدن المصرية من البر والبحر والجو ، دون موافقة مسبقة من الولايات المتحدة الامريكية فغضبت الولايات المتحدة « أشد الغضب لاهمالها في أمر حيوي يعرّض السلم

الى الخطر . وشجب الرئيس آيزنهاور الاعتداء الثلاثي ووصفه بأنه تطبيق قانون الغاب ، كما شجب خطوة مصر بالتأميم ، وطالب بالعودة الى الامم المتحدة »[٤] .

وفي الوقت الذي أخذت البواخر الانكليزية والفرنسية تقترب من القناة من الجانبين الشمالي والجنوبي « أُنزلت وحدات من المضليين الصهيونيين في مكانٍ يبعد أربعين ميلاً الى الشرق من القناة لتكون طعما لجذب القوات المصرية الى صحراء سيناء »[٥] ولكن السلطات المصرية كانت قد أدركت خطورة الموقف فسحبت قواتها من منطقة سيناء لتقاتل الغزاة في بور سعيد ، واذا بالعاصمة البريطانية تتظاهر ضد حكومتها ، وتطلب الى وزارة انطوني ايدن أن تنسحب من الحكم فورا . واذا بالمعارضة في مجلس العموم البريطاني تقدم اقتراحا بلوم الحكومة على استخدام القوة المسلحة وخرقها ميثاق الامم المتحدة ، واذا بمجلس الامن الدولي يطلب الى المعتدين وقف اطلاق النار فتقرر الحكومتان البريطانية والفرنسية عدم الاستجابة لهذا الطلب ، فيقترح الاتحاد السوفياتي على الولايات المتحدة الامريكية اتخاذ اجراء مشترك لانهاء القتال في الاراضي المصرية ، فترفض أمريكا هذا الاقتراح ، فيوجه بولغانين رئيس الاتحاد السوفياتي الى الرئيس الامريكي آيزنهاور هذا الانذار :

« ان الحكومة السوفياتية ترى من الضروري لفت أنظاركم الى الحرب العدوانية التي تشنها الآن بريطانيا وفرنسا على مصر . هذه الحرب التي يترتب عليها اخطر النتائج على السلم العالمي . ماذا كان يحدث لو ان بريطانية وجدت نفسها معرضة لهجوم دولٍ أكثر منها قوة ؟ دول تمتلك كل نوع من انواع الاسلحة المدمرة الحديثة ؟ هناك الآن دول ليست بحاجة الى ارسال أساطيل بحرية أو قوات جوية الى السواحل البريطانية ، ولكن في مقدورها استعمال

---

(٤) خليل كنه في كتابه « العراق : أمسه وغده » ص٢١٧ .
(٥) روندولف تشرتشل في كتابه ( سقوط ايدن ) ص١٣٨ .

وسائل أخرى كالصواريخ ! لقد عزمنا عزماً أكيداً على سحق المعتدين واعادة السلام الى الشرق الاوسط عن طريق استعمال القوة ، ونحن نأمل في هذه اللحظة العصيبة أن تظهروا الحكمة اللازمة وتستخلصوا من هذه النتائج المناسبة » •

لقد اضطربت الولايات المتحدة الامريكية للتحدي السوفياتي أيما اضطراب • فحجبت المساعدات المالية العسكرية عن « اسرائيل » فورا ، وعطلت المصالح البريطانية والفرنسية في بلادها ، وركنت الى الضغط على الانكليز والفرنسيين لوقف القتال ، فلم ترَ الحكومتان البريطانية والفرنسية مفراً من الانصياع الى الحق حفاظا على مصالحهما الدولية فأوقفتا النار • ويقول رندولف تشرشل في ص١٥٣ من كتابه « سقوط ايدن » ما نصه :

« لقد تضافرت في الواقع أسباب ثلاثة لاتخاذ مثل هذا القرار • وهذه العوامل هي : التهديد الروسي بالتدخل ، والخلاف الظاهر الذي بدا في داخل مجلس العموم البريطاني « بين صفوف الشعب البريطاني نفسه ، وهبوط قيمة الجنيه الاسترليني الذي كان ينذر باخطار جسيمة • هذه الاسباب مجتمعة أدت الى اتخاذ مجلس الوزراء البريطاني قرار الموافقة على وقف اطلاق النار » واعفاء السير انطوني ايدن رئيس الوزارة البريطانية من منصبه بطريقة لبقة •

أما الكاتب الروسي جالينا نكتينا فيقول في ص١٠٠ من كتابه قناة السويس :

« وهكذا خرجت مصر منتصرة في ذلك النضال المسلح ضد المعتدين الانكليز والفرنسيين والصهيونيين وأصيب المعتدون بهزيمة نكراء في محاولاتهم القضاء السريع على الجيش المصري واستعباد الشعب المصري » •

وعلى كل فقد شل العدوان البريطاني ــ الفرنسي ــ الصهيوني على مصر ، « حلف بغداد » الذي يضم بريطانية والعراق وايران وتركية والباكستان ، ولم تعد له تلك الصولة والجولة •

اضطربت الاقطار العربية برمتها ، وقامت التظاهرات في كل جزء من أجزائهـا ، عندما تعرضت مصـر الى الهجوم الثلاثـي المبيت • فقد نسف السوريون أنابيب النفط العراقي المارة باراضيهم الى ميناء بانياس على البحر المتوسط لئلا ينتفع المعتدون من هذا النفط ، وعبث الاردنيون بالقسم الممتد من هذه الانابيب ببلادهم ، واوقف السعوديون تموين البواخر الانكليزية والفرنسية ــ فضلاً عن البواخر الصهيونية ــ بالنفط السعودي ، واعلن الليبيون انهم يمانعون اتخاذ موانئهم مراكز تجمع عسكري لمهاجمة الاراضي والدفاع عنها بموجب معاهدة الدفاع المشترك ( ميثاق الضمان الجماعي ) وهو الميثاق الذي يلزم الاقطار العربية بأن ترد على كل عدوان يقع على أي منها ، بصرف النظر عن الخلافات القائمة بينها •

وكانت الاوساط الشعبية في العراق قد رحبت ترحيبا قلبيا بمشروع تأميم قناة السويس منذ اعلانه في ٢٦ تموز ١٩٥٦ ، وأبرق الاطباء والمحامون ورؤساء الاحزاب الى الرئيس جمال عبد الناصر برقيات التأييد المطلق لهذه الحركة الجبارة • وفي الوقت نفسه اضطربت الامور الاقتصادية في البلاد ، وارتفعت الاسعار ارتفاعا مخيفا ،وامتنع التجار عن البيع بالجملة ، وصـار الناس يتهافتون على شراء المواد وخزنها ، فأنذرت وزارة المالية المحتكرين وهددتهم بالضرب على أيديهم « وجمعت الوزارة مجلسا استشاريا للملك في بلاطه ، وبحثت الوضع في مصر ، وكانت تعتقد ان نظام مصر قد آن اوان زواله ، وكانت تنتظر الاخبار من ساعة لأخرى عن انتهاء الحركات الحربيـة واستسلام مصر للقوة • على انه تطمينا للرأي العام وتسكينا لهذه الانتفاضة ، قررت تجميد العلاقات السياسية مع انكلترا ، وقطع العلاقات السياسية مع فرنسا ، وتأييد حقوق مصر • وقد طلب بعض الحاضرين في المجلس الاستشاري هذا ، قطع العلاقات السياسية مع انكلترا فأجابت الحكومة ان هذا القطع

سيكون كارثة على العراق بالنظر لارتباطه الاقتصادي وتشابك علاقاته المالية والنقدية والتجارية ببريطانيا ... وبالرغم من هذه الاجراءات واظهار أقوى الشعور الاخوي من الحكومة العراقية نحو مصر ، فان الدعاية المسمومة لم تنقطع عن توجيــه اللوم الشديد للعــراق على تقاعسه عن انجــاد شقيقته الكبرى »[٦] ولهذا فاجأت الرأي العام بهذا البيان :

**بيان رسمي**

« بناء على الاعتداء الاسرائيلي الاخير على مصر ، وقيامها بعمل لا يتفق مع العدل ومباديء هيئة الامم المتحدة ، والاجراءات ــ كذا ــ التي اتخذتها حكومتا انكلترا وفرنسا بخصوص ذلك ، عقد مجلس الوزراء اجتماعا فوق العادة استعرض فيه فخامة رئيس الوزراء الاحداث التي وقعت هناك ، والاعمال التي قامت بها « اسرائيل » والمخالفة لمبــاديء هيئة الامم المتحدة وقواعد العــدل ، وعرض وزيــر الخارجية ما وصل اليه من المعلومات المتعلقة بتلك الحوادث ، ثم بعد مداولة الآراء ودرس الحالة درسا دقيقا ، وجد المجلس ان أعمال « اسرائيل » تتنافى مع العــدل ومبادىء هيئة الامم المتحدة ، وان الاجراءات ــ كذا ــ التي اتخذتها حكومتا انكلترا وفرنسا لا تتفق مــع المبادىء الصحيحة المعروفة دوليا فقرر ما يلي :

١ ــ الاحتجاج على كل من حكومتي انكلترا وفرنسا على ما قامتا به من الاجراءات ــ كذا ــ بخصوص الاعتداء المذكور .

٢ ــ لزوم مبادرة وزارة الدفاع الى استكمال جميع الاستعدادات العسكرية التحشدية والسوقية اللازمة لغرض مساعدة الاردن عند طلب الحكومة الاردنية المساعدة لدرء خطر الاعتداء الاسرائيلي على الاردن .

---

(٦) توفيق السويدي في مذكراته ــ نصف قرن من تاريخ العــراق والقضية العربية ) ص٥٥٢ .

٣ ـ اعلان الادارة العرفية تطمينا للحالة ودفعا لكل احتمال » •

وقد كان وصف الاعتداء البريطاني والفرنسي « بالاجراءات » موضع نقد الساسة والمعارضة ، كما كانت لهجة الاحتجاج موضع نقد الساسه والمعارضة . كما كانت لهجة الاحتجاج موضع الهزء والسخرية ، وبناء على طلب الحكومة الاردنية من الحكومة العراقية تقديم المساعدة العسكرية اللازمة للقوات الاردنية لدرء اخطار الاعتداء الصهيوني المحتمل ، قرر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ٢٢ تشرين الاول ١٩٥٦ تقديم المساعدات العسكرية اللازمة استنادا الى المعاهدة العراقية ـ الاردنية النافذة بين العراق والاردن •

وفي الوقت نفسه أجرت الحكومة العراقية اتصالات سريعة بحكومتي لندن وواشنطن لافهام « اسرائيل » أن ليست لدى العراق أية نية للتحرش بها أو الاعتداء على حدودها بوجود القوات العراقية على مقربة منا • وقد سرت الحكومتان البريطانية والامريكية لهذه البادرة العراقية كما سرت « اسرائيل » نفسها[٧] كما ان مجلس الوزراء قرر اعلان الادارة العرفية بصورة مؤقتة في جميع أنحاء العراق ، وقسّم البلاد الى أربع مناطق عسكرية وجعل لكل منطقة حكامها العسكريين والمدنيين الذين يديرون المناطق المذكورة •

وفي ص ٥٨٧ من كتاب « سيرة وذكريات ثمانين عاما » للسيد ناجي شوكت احد رؤساء الوزراء السابقين :

« لقد اعلنت الاحكام العرفية في طول البلاد وعرضها بحجة التدابير العسكرية المنوي اتخاذها لمساعدة الاردن ، في حين ان الاعمى والبصير يعرف الغرض من اعلانها ، وهو حماية الحاكمين من انقضاض الشعب عليهم • والانكى من هذا أن يعقد في بيروت اجتماع يحضره ملوك ورؤساء الاقطار العربية لدرس

---

(٧) من مذكرة للسفارة البريطانية الى وزارة الخارجية العراقية بتاريخ ٢ تشرين الاول ١٩٥٦ •

موضوع الاعتداء الغاشم على مصر دون أن يسفر عن أي شيء هو في صالح مصـر » •

**الاقطار العربية ومأساة مصر**

ارادت « الوزارة السعيدية الثالثة عشرة » ان تبرهن للعالم العربي ، وللعراقيين منهم خاصه ، ان العراق يقف ضد المعتدين على مصر ، فلبى رئيس الوزراء السيد نوري السعيد دعوة شاه ايران ، وسافر الى طهران في ٣ تشرين الثاني لحضور مؤتمر لرؤساء وزارات الدول الاسلاميه في ميثاق بغداد ، أي الباكستان وتركيا وايران والعراق لبحث الوضع الراهن في الشرق الاوسط بعد الاعتداء الثلاثي الغادر على مصر العربية ، وبعد عقد عدة اجتماعات يومية في الصباح وفي المساء . وكان كل اجتماع يستغرق ساعات طويلة ، « تقرر شجب الاعتداء ، وابلاغ بريطانيا اندارا ــ كذا ــ باخراجها من الميثاق اذا هي استمرت في اعتدائها وأبلغ القرار هذا الى الولايات المتحدة الامريكية »[٨] •

« وطالب صائب ســلام ، رئيس وزراء لبنــان السابق بتحريض من عبد الناصر بقطع علاقات لبنان الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا ، على غرار ما قامت به غالبية الاقطار العربية الاخرى • وقد أوحى كميل شمعون ــ رئيس جمهورية لبنان وقتذاك ــ الى صائب سلام أن يقترح عقد اجتماع لرؤساء العرب لمناقشة تلك المسائل • وكان هذا الادعاء حيلةً من شمعون • ثم عقد الاجتماع في بيروت في كانون الاول ١٩٥٦ ولم يسفر عن اي اتفاق حسبما كان شمعون يتوقعه فبادر يعلن ان لبنان حر بأن يتصرف كما يشاء ، ورفض أن يقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا »• وغضب سلام كما هدّد عبد الله اليافي الذي كان آنذاك رئيسا لوزارة لبنان بالاستقالة اذا اصرّ

(٨) العراق أمسه وغده ص٢١٧ ٠

شمعون على موقفه . وكان ان مضى شمعون في موقفه وقبل استقالة اليافي وعين شارل مالك وزيرا للخارجية وهو من أنصار شمعون المتحمسين[٩] .

وكان قد حضر اجتماع بيروت الملك فيصل الثاني ، والملك حسين بن طلال ، والملك سعود بن عبد العزيز ، مضافا الى شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، وكميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية ، والامير محمد البدر ممثلاً لملك اليمن ، والسيد بن حليم ممثلاً لملك ليبيا وعبدالفتاح المغربي رئيس مجلس السيادة في السودان ، وسفير مصر في بيروت ممثلاً لبلاده .

وكان من نتيجة هياج الشعب العربي ، واضطراب الوضع الاقتصادي ، ونسف انابيب النفط المارة بالاراضي السورية ، واحتمال اضطراب الاحوال العامة في منطقة الشرق الاوسط ، ان اعتقدت الدول الاسلامية في ميثاق بغداد ( أي العراق وايران وتركيا وپاكستان ) بضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الموقف داخل بلادها فعقد مؤتمر في بغداد بين ١٩ و٢٢ تشرين الثاني ١٩٥٦ حضره ممثلون عن الدول المذكورة . واتخذوا هذه المقررات :

١ ـ لمعالجة الوضع الخطير السائد في المنطقة ، وعلى ضوء المباحثات هذه ، يجري تنسيق سياسات هذه الدول مع الاخذ بنظر الاعتبار ضمان السلام والاستقرار في المنطقة .

٢ ـ بعد الاخذ بنظر الاعتبار الاهتمام ، التطورات التي حدثت في الشرق الاوسط منذ وقوع العدوان على مصر ، أكدت الدول الاربع على اعتقادها بأن التوصيات التي صدرت عنها في البيان المشترك بطهران عادلة شريفة سلمية لمشاكل الشرق الاوسط .

٣ ـ استعرضت الدول الاربع بقلق ، موجة التخريب المرتفعة في الشرق

---

(٩) أندوتولي في كتابه « الجاسوسية الامريكية » ص١٢١ .

الاوسط • وقررت اتخاذ جميع الاجراءات الضرورية لمواجهة هذا التهديد بالاتفاق مع ميثاق الامم المتحدة •

٤ ــ كانت الدول الاربع مقتنعة بأن من الامور الاساسية استمرار التعاون والاجتهادات المتفقة بينها على ضوء مصالحها الخاصة في الامن والاستقرار في الشرق الاوسط •

**اسطورة غريبة**

كانت الحكومة العراقية تدعو دوما الى تنفيذ قرارات هيئة الامم المتحدة الخاصة بتقسيم فلسطين ، والاعتراف بواقع قيام « اسرائيل » واعادة اللاجئين الى ديارهم • فلما وقع الاعتداء الثلاثي الغادر على ارض الكنانة ، وقامت قيامة الاقطار العربية ، وعم الاضطراب مدن العراق كبيرها وصغيرها ، اراد رئيس الوزراء نوري السعيد أن يصرف أنظار العراقيين عن هذه الجريمة الكبرى التي أعدت لها انكلترا اعدادا حكيما فابتدع فكرة استئصال « اسرائيل » ووجهت الى جميع ممثلي الدول في العراق المذكرة الآتية بالنص :

أولا : لم تأل الحكومة العراقية جهدا منذ ظهر الخطر الصهيوني في البلاد العربية ، ولا تأخرت عن لفت الرأي العام العالمي وتنويره في شتى المناسبات والظروف الى ما تنطوي عليه المبادىء الصهيونية من نوايا توسعية وسياسة اعتدائية لا تلبث أن تعصف بالاستقرار ، وتهدد السلم في هذه المنطقة الحيوية من العالم وتغدو السبب لتهيئة حالات وفرص ، تستغلها حتما بعض الدول لتحقيق مآربها وغاياتها • والجدير بالذكر ان الحكومة العراقية قد سبق لها قبيل حدوث الاصطدام الاخير في مصر أن وجهت الانظار الى ما تبيته « اسرائيل » من خطط عدوانية لاستغلال الخلاف السياسي الناشىء عن ازمة تأميم قناة السويس •

ان الاعتداء الصهيوني السافر على مصر ، الذي تجلت غاياته للعالم كله ،

فضح بصورة لا تقبل الشك نوايا « اسرائيل » وآهدافها العدوانية في الشرق الاوسط تلك التي ستعرض السلم والاستقرار فيه للخطر بصورة مستمرة ما لم يستاصل خطر « اسرائيل » ويعاد الغاصبون من حيث اتوا ، وما لم يرجع المليون لاجىء العربي ، أهل البلاد الى ديارهم وممتلكاتهم في فلسطين •

هذا هو الحل العادل لقضية فلسطين ولمشكلة الاستقرار والسلم في الشرق الاوسط والذي بدونه ستبقى حالة التوتر قائمة تهدد السلم في البلاد العربية • وتحقيقا لذلك يتحتم التعاون بين جميع الشعوب المحبة للسلم تعاونا مقرونا بالعمل الجدي وليس بالاقوال المجردة •

بعد التأمل في كل ذلك ، ترى الحكومة العراقية ان هذه هي الخطة الناجعة لتأمين السلم في البلاد العربية خاصة ، وفي الشرق الاوسط عامة وبغيرها فان « اسرائيل » التي تعتمد في وجودها وبقائها على الاخلال بالسلم والأمن واستغلاله لن تقوى على البقاء دون آن تمعن في اتباع سياستها التوسعية والعدوانيه •

فالعراق يهيب بالدول والشعوب المحبة للسلم جميعا الى التعاون الجدي لحل المشكلة على هذا الاساس الذي تراه كافلا للقضاء على هذا العامل ، العامل الوحيد للاخلال بالامن الدولي لهذه المنطقة ، معيدا لهذا الجزء من العالم حياة الاستقرار والامان •

ثانيا ـ ابلاغ نص المذكرة الآنف ذكرها الى الوفد العراقي في الامم المتحدة للعمل بموجبها •

ثالثا ـ ابلاغ نص المذكرة الى مؤتمر الملوك ورؤساء الدول العربية المنعقد الآن في بيروت •

رابعا ـ التبرع بمئتي ألف دينار الى المنكوبين والمتضررين المصريين من جراء الاعتداءات الأليمة على مصر » •

ويقول رئيس الوفد العراقي الى هيئة الامم المتحدة الدكتور محمد فاضل الجمالي في ص ١٣٦ من كتابه « ذكريات وعبر » :

« وصلتني برقية طويلة تتضمن قرار مجلس الوزراء بأن يقترح الوفد العراقي على الامم المتحدة ازالة « اسرائيل » من الوجود • ولما كان أي اقتراح بهذه الصيغة لا يؤخذ بنظر الاعتبار والجدّ بوجه من الوجوه ، ضمّنت خطابي الصيغة التالية : « ان الحكومة العراقية تطالب بازالة الخطر الاسرائيلي من الوجود » •

اما كولمان سفير الولايات المتحدة الامريكية في العراق فيقول في ص٢٨٣ من كتابه « عراق نوري السعيد » :

« وينبغي أن يقال هنا بأن ملاحظات نوري عن « اسرائيل » في أحاديثه غير العلنية ، كانت تستند على افتراض القبول ببقائها ، ولم يكن هناك كلام عن الاقتلاع » •

**الطلاب العراقيون والماساة المصرية**

كان طلاب الكليات العراقية ، ومعاهدها العالية ، ومدارسها الثانوية والمتوسطة ، حتى الابتدائية ، في طليعة الشبان الذين انتصروا لمصر العزيزة ، سخطهم على الاعتداء الثلاثي الغاشم ، وقاموا بتظاهرات صاخبة في سبيل ذلك • وكانت سلطات الامن تتعرض الى أنواع المشاق في سبيل التغلب على عواطف هؤلاء الطلاب ، وكثيرا ما اصطدمت بهم في سبيل تشتيت شملهم « وتجاوزت الشرطة الحد عندما طلب اليها تفريق المتظاهرين اذ اعتدت على بعض الاساتذة »[١٠] وقد حدثت معارك كبرى بين الطلاب المتظاهرين وقوات الامن في يومي ٢ و٣ تشرين الثاني قتل فيها طالبان ، وماتت بسببها احدى الفتيات ،

---

(١٠) العراق أمسه وغده ص٢١٨ •

وجرح كثيرون ، كما جرح أحد مديري الشرطة وثلاثة من المعاونين ومفوضان اثنان . وأربعة وخمسون شرطيا كما نطق بذلك البيان الحكومي الصادر في بغداد[11] وأخيرا :

« قررت وزارة المعارف تأجيل الدراسة في الكليات والمعاهد العالية كافة حتى اشعار آخر ، وقررت تأجيل الدراسة في المدارس الثانوية والمتوسطة والمدارس الصناعية والتجارية والفنون البيتية ودور المعلمين والمعلمات والدورات التربوية في بغداد ابتداء من تأريخه حتى اشعار آخر » .

« وقد تم القبض على ٣٧٨ طالبا من الاعدادية المركزية وثانوية الكرخ . كما تم طرد ٣٧ طالبا من ثانوية الكرخ وثانوية الكاظمية لاشتراكهم في التظاهرات »[12]

لم يقتصر الاضراب والتظاهر على بغداد وأطرافها « الكاظمية والاعظمية والكرادة الشرقية » حسب ، بل تعداها الى معظم المدن العراقية ، ولذا أصدرت وزارة الداخلية أوامرها بقمع كل حركة في كل لواء أو قضاء . وعلى الرغم من صرامة هذه الاوامر فقد قامت في مدينة النجف في الثالث والعشرين من تشرين الثاني ١٩٥٦ تظاهرة صاخبة اشترك فيها رجال الدين مع الطلاب والاهلين انتصارا لمصر العزيزة . وفي الرابع والعشرين من هذا الشهر زحفت تظاهرة طلابية من مدرستي الخورنق والسدير فتصدت لها قوات الشرطة وحالت دون توسعها ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، فما كاد طلاب مدرسة الخورنق يتهيئون للدخول في صفوفهم الا و « حضر معاون الشرطة مع سيارة فيها رشاش واحتل المدرسة . وكيفية ذلك ان المعاون وبمساعدة شرطته كسروا القفل ودخلوا المدرسة .. وكانوا مسلحين بالهراوات والمسدسات وبالخناجر . كل واحد كان يحمل ثلاثة أشكال من السلاح وأخذوا يرمون الطلاب

---

(١١) البلاغ الرسمي في « تأريخ الوزارات العراقية » ٩/١١٥ .
(١٢) تجربة العمل الجبهوي في العراق ص٢٤٦ .

بالمسدسات ويضربونهم بالخناجر والهراوات ، ومن جراء ذلك جرح أثنان وأربعون طالبا أحد عشر منهم كانت جروحهم بليغة ، وتوفي أحد الطلاب »[١٣] وقتل طالب آخر في مدرسة السدير وخمسة من الاهلين في المدينة فهاجت البلدة وماجت وأغلقت الحوانيت والمتاجر حتى المخابز احتجاجا على هذا التحدي الصريح . وأضرب العلماء عن اداء واجباتهم الدينية فلم يخرجوا لصلاة الجماعة ، ولم يسمحوا لاحد من رجال الحكومة بالدخول الى منازلهم لتقديم الاعتذار عما حدث . واستمر اضراب المدينة أسبوعا كاملا . وانهالت برقيات الاحتجاج من العلماء والمحامين على البلاط الملكي وهي تستنكر ما جرى في المدينة المقدسة . وفي الثامن والعشرين من الشهر نفسه ( تشرين الثاني ١٩٥٦ ) قامت تظاهرة صاخبة في الكوفة سقط فيها عدد من القتلى والجرحى . وغضبت بغداد لما حدث في النجف فعمت موجة الاضطراب أرجاءها كافة ، واقفلت المدينة عن بكرة أبيها فأنذرت قيادة القوات العسكرية المضربين من الأهلين وهددتهم بأقسى العقوبات اذا هم استمروا في اضرابهم .

ورأت الوزارة أن تداوي الوضع المتأزم في النجف فاوفدت السادة : الحاج عبد الهادي الجلبي رئيس مجلس الأعيان ، وعبد الوهاب مرجان رئيس مجلس النواب ، والدكتور ضياء جعفر وزير الاعمار وآخرين غيرهم ، أوفدتهم الى النجف ومعهم خمسة عشر ألف دينار لتوزيعها على العلماء وذوي القتلى والجرحى قاصدة بذلك تهدئة الخواطر وتخفيف الآلام .

وكان الساسة المعارضون للوزارة القائمة يتصدرون التظاهرات ، ويمطرون السلطة بوابل من الاحتجاجات على مواقف الحكومة المتخاذلة تجاه الاحداث الجارية في مصر ، وقد ضاقت الحكومة ذرعا بهم ، وانتهزت اعلان الاحكام

---

(١٣) من افادة حاكم تحقيق النجف أمام المحكمة العسكرية العليا ص٢٩٢٩ من المجلد العاشر .

العرفية في كل أنحاء العراق فساقت رؤوس المعارضة الى المجلس العرفي في بغداد ، واستصدرت احكاما مختلفة ضدهم .

حركة صبيانية

وفي غمرة المهاترات التي كانت تجري بين العراق من جهة ، وبين سورية والاردن ومصر والمملكة العربية السعودية من جهة اخرى ، تقدم خمسة عشر نائبا من النواب العراقيين بهذا العرض :

معالي رئيس مجلس الواب

تمر الامة العربية في أخطر مرحلةٍ من مراحل تاريخها الحديث . وحريّ بالعراق ، وهو الذي واكب النهضة العربية طوال نصف قرن ، وبذل وضحى وناضل في سبيل بلـــوغ الامة العربية أهدافها المرتجاة أن ينتبه الى المصير المحزن الذي تنحدر اليه القومية العربية في أيامنا هذه . وحيث ان أخطارا جسيمة أخذت تهدد مصير الامة العربية وكيانها من جراء التفكك والاضمحلال الذي صار يدبّ في بعض أجزاء الوطن العربي ، فان المصلحة القومية العليا تقتضي باجتناب هذه الاخطار قبل استفحالها وسريانها الى جسم الامة العربية بكاملها . ولما كانت بلاد الاردن قد أصبحت مرتعا خصبا لعوامل الفوضى والهدم والنفاق ، ولما كانت الدولة الاردنية لا تتوافر فيها المقومات اللازمة للدولة بمفهومها الحقيقي الحديث ، وحيث ان تلك الدولة قد غدت عالةً على الامة العربية ، اذ ليس لها من الموارد ما يقوّم أودها ، وأن بقاءها على هذا الوجه مدعاة لاغراء اسرائيل للاستيلاء عليها وتوسعها على حساب الوطن العربي الاكبر ، ونظرا لأن الدولة الاردنية قد أصبحت حصان طراوده ، ويخفى في باطنه عناصر الهدم ، ويبيت بين جنباته جراثيم الفوضى والشقاق بين الامة العربية ، لذلك نتقدم باقتراحنا هذا طالبين من الحكومة اتخاذ الاجراءات الدستورية وغيرها لالحاق المملكة الاردنية بالعراق ، وضمّها اليه ضماً تاماً نهائيـــاً ،

واعتبارها اللواء الخامس عشر من الوية العراق • وقصدنا من ذلك المحافظة على كيان الامة العربية مما يحيق بها من اخطار ويتهددها من شرور من جراء وجود هذه الدويلة عالةً على الامة العربية ، وتسخيرها آلةً للهدم والشقاق والفوضى ، وبقاءها مدعاة لاغراء اسرائيل للتوسع والله من وراء القصد — انتهى —[14] •

ولقد جنّ جنون السيد نوري السعيد رئيس الوزراء لهذه الحركة الصبيانية ، وشاع في الاوساط ان الوزير المدلل خليل كنّه كان وراء هذه الحركة ، وبعد أن زمجر وهدد اصدر التكذيب الآتي

« نشرت بعض الصحف المحلية بعددها الصادر بتاريخ ١٥ كانون الاول ١٩٥٦ خبرا مفاده أن خمسة عشر نائبا عراقيا أعدوا اقتراحا يقضي بالحاق المملكة الاردنية بالعراق • ولقد استغل بعض المغرضين هذا الخبر فذهبوا في التعليق عليه مذاهب شتى لاتمت الى الحقيقة بسبب • وعليه فاني مخول ان اعلن بأن هذا الخبر لا نصيب له من الصحة مطلقا •

« مدير التوجيه والاذاعة العام »[15]

وهكذا أسفرت أزمة السويس عن القضاء التام على النفوذ البريطاني في وادي النيل ، والغاء اتفاقية الجلاء التي عقدت بين مصر وبريطانية قبل بضعة أشهر ، مما أنهى آخر أمل لبريطانية في استخدام قناة السويس كقاعدةٍ حربية لها في حالات الخطر •

ويقول أرسكين تشيلدرز في ص ٣١٢ من كتابه ( الطريق الى السويس ) ما نصه :

لقد نسي الناس في بريطانيا الآن قضية السويس الا قلّة قليلة ، ورفض المسؤولون كل ما قدم من طلبات لاجراء تحقيق رسمي ، وما زال أي فردٍ

---

(١٤) جريدة الحوادث العدد ٤١٨١ التاريخ ١٥ كانون الاول ١٩٥٦ •

(١٥) جريدة الحوادث بتاريخ ٢٥ كانون الاول ١٩٥٦ برقم ٤١٨٩

عاجزا حتى الان من تحمل أي شيء لمواجهة هذا الرفض ، وضاعت أرواح بريطانية ، وتحطمت حقبة من حقب الدبلوماسية البريطانية ، وبلغت تكاليف العملية اكثر من مأتين وخمسين مليونا من الپاونات .

ومن يرجع الى ص١٢٨ـــ١٣٨ من الجزء العاشر من « تاريخ الوزارات العراقية » فسيقرأ نصوص العرائض التي رفعها السياسيون وأساتذة التعليم ورؤساء الوزارات والمحامون الى صاحب الجلالة ملك العراق يحتجون فيها على موقف العراق الشائن من الاعتداء الثلاثي على مصر ، ولم تلغ الاحكام العرفية التي اعلنت في جميع انحاء العراق في الاول من تشرين الثاني ١٩٥٦ بمناسبة كارثة الاعتداء على ارض الكنانة الا في ٢٨ ايار ١٩٥٧ بعد ان طحنت الالاف من شباب العراق ورجالها .

# جبهة الاتحاد الوطني

## والتمهيد لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

**لمحة استطرادية لابد منها**

على اثر فشل الحركة التحررية التي قامت في العراق في شهر ايار من عام ١٩٤١ بقوة السلاح البريطاني ، حاول الانكليز أن يجعلوا الشبان العراقيين الى جانبهم بصورة مباشرة فأسسوا ما أسموه بنادي الحرية في بغداد ، وبمكاتب الارشاد ونحوها في الملحقات ، وعهدوا الى جميل المدفعي أن يؤلف وزارته ( الخامسة ) في الثاني من حزيران ١٩٤١ لامتصاص النقمة المتفجرة ، ونقل البلاد من حالة الحرب الى حالة السلم بأقل التضحيات الممكنة . ولما كان مزاج المدفعي الشخصي لا يميل الى البطش والعنف ، استبدلت وزارته بوزارة نوري السعيد ( السادسة ) في التاسع من تشرين الاول ١٩٤١ فشرعت هذه الوزارة في تنفيذ السياسة المرسومة من اعتقال ، وحبس ، واعدام ، واذا بظاهرة مؤسفة تبرز في تسابق السياسيين من الفئة الحاكمة عن طريق تمكينها من التسلط على امور البلاد الداخلية والخارجية . فقد استحدثت مراكز في

---

(١) اصل الخطاب في تاريخ الوزارات العراقية ص٣١٦ من الجزء السادس من

معظم أنحاء العراق باسم ضباط الارتباط على أساس تنسيق التعاون بين السلطات العراقية والسلطات المحتلة لتأمين ما كان يطلق عليه بـ « المجهود الحربي » في العراق . ولكن مهمة التنسيق هذه تحولت بفضل التسابق لارضاء الانكليز . الى تسليط ضباط الارتباط البريطانيين على امور العراق الداخلية الى حد اعطاء الانطباع للمواطنين في العراق بأنهم هم المرجع النهائي في تصريف امور البلاد ، وأن الموظفين الاداريين من متصرفين وقائمقامين ومديرين عامين ونحوهم ليسوا الا اتباع للموظفين او الضباط البريطانيين .

واستهدفت السياسة البريطانية إضعاف جانب من المجتمع العراقي وهو الطبقة الوسطى ؛ من تجار وملاكين عراقيين ، عدا اليهود الذين تعمدت تلك السياسة تشجيعهم على الاستفادة الى ابعد حد من ظروف الحرب وأرباحها فجعلت لهم وضعا خاصا وممتازا في المعاملات التجارية ، ولا سيما مع الجهات الحكومية كمقاولين وممولين . كما ان المصارف التي كان الانكليز يسيطرون على معظمها ، قدمت مختلف التسهيلات لهؤلاء اليهود ، بينما كانت تتشدد مع غيرهم . فلليهودي أن يفتح اعتمادا ويدفع في المئة عشرة أو ٢٥ الى أبعد حد من قيمة البضاعة المستوردة ، بينما يلزم غير اليهودي بدفع مئة في المئة من قيمة الاعتماد . هذا مضافا الى تسليط اليهود على لي المؤسسات الحيوية في السكك الحديدية ودوائر المحاسبات في مختلف اجهزة الدولة . وهكذا تكونت طبقة رأسمالية من اليهود ، من افرادٍ كان معظمهم ، حين بداية حركة أيار ١٩٤١ من المعدمين . أما الشبان المسلمون ذوو الصلابة وقوة اندفاع الحسّ الوطني ، فلم تنجح أساليب الانكليز في جلب الكثير منهم بطريق الاغراء بالمنافع المادية ، فلجأوا الى محاربة النزعة الوطنية بنشر النزعة الشيوعية بينهم فأصابوا بعض النجاح عن هذا الطريق . ووجد الشيوعيون من تعاون روسية السوفيتية مع الدول الغربية في الحرب مبررا لما كان يسمى بالمجهود الحربي ، وأخذ الناس يشهدون صوراً معلقة في المقاهي والمحلات العامة كدور السينما ، والمراقص ،

والفنادق ، وغيرها ، وفيها صو لستالين والى جانبه تشرشل وروزفلت • ولم يكتفوا بذلك بل عمدوا الى تسليم توجيه المعارف الى عناصر مشهورة بنزعتها الشيوعية . وجيء بسكيف : لاخصائي البريطاني المعروف ، فعهدوا اليه بمكافحة القومية العربية في المعاهد العراقية فشجعت ادارتـه على تدريس الموضوعات الاجتماعية كدرس التاريخ والجغرافية ، فمزقت من كتب التدريس الصفحات المحتوية على الامور القومية •

وكان أهم ما يعني الانكليز حرمان الطلاب العراقيين من الاطلاع على النهضات العلمية في البلدان الاوربية ، والنهضات الالمانية والايطالية واليابانية التي كانت تزخر بها الكتب المطبوعة قبل أيـار من عـام ١٩٤١ وقد أفاد الشيوعيون من كل ذلك فوائد عظيمة وأنتشرت مبادئهم بشكل لم يسبق له مثيل •

### بعث الحياة الحزبية

وبعد انتهاء الحرب العامة في أواسط عام ١٩٤٥م ، انتفت الحاجة الى كل ما تقدم ذكره ، ونظم للامير عبد الاله الوصي على عرش العراق يومئذٍ خطابا ألقاه في السابع والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٩٤٥ كان أهم ما جاء فيه :

« ان الاحزاب والهيئات السياسية الوطنية التي لم يصح بقاء البلاد خالية منها ، ستتقدم الى الامة بخططها ومناهجها في معركة الانتخابات فمن فاز منها على سواه بثقة الشعب وتأييده اضطلع بالحكم ونهض بمسؤولية تنفيذ تلك السياسة الوطنية على طريقته الخاصة » •

وعلى هذا قامت وزارة سلم في العـراق بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٤٦ رأسها السياسي المخضرم توفيق السويدي لتنقل البلاد من حالة الحرب الى حالة السلم فانخرط في عضوية هذه الوزارة بعض الشبان المثقفين ممن لم تدنسهم أوضاع

الحرب المنتهية . فكانت باكورة أعمال الوزارة أنها آذنت بتأليف خمسة احزاب سياسية في الثاني من نيسان وهي .

١ ــ حزب الاستقلال .

٢ ــ حزب الاحرار .

٣ ــ الحزب الوطني الديمقراطي .

٤ ــ حزب الشعب .

٥ ــ حزب الاتحاد لوطني .

وكانت ظروف الحرب الثانية ، وقيام الزعيم الالماني أدولف هتلر بمهاجمة الاتحاد السوفياتي قد دفعا بالشيوعيين ، واليساريين ، وجميع من أطلق عليهم تعبير الديمقراطيين ، الى التعاون مع الحلفاء ، بعد أن كانوا أصدقاء المحـور المهيمن ، ومناصري حركة آيار ١٩٤١ فرأت بريطانية ، بعد انتهاء الحرب ، ان تعوض أصدقائها الجدد بتأسيس احزاب سياسية لاسهامها الفعال في سياسة البلاد ، وهكذا كان أعضاء الاحزاب الثلاثة الاخيرة ممن عرفـوا بميولهم اليسارية مما حمـل وزارة صالح جبر ( ٢٩ اذار ١٩٤٧ ــ ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٨ ) على سحب اجازتي حزب الشعب وحزب الاتحاد الوطني في التاسع من ايلول ١٩٤٧ متهمة اياهما ( بتحبيد المباديء الهدامة وترويجها ... كما وجدت انهما اعتمدا في تلافي قسم من مصروفاتهما من مصادر مجهولة )[٢] كما عمدت وزارة نوري السعيد الثانية عشرة ( ٣ آب ١٩٥٤ ــ ١٧ كانون الاول ١٩٥٥ ) الى سحب امتياز الحزب الوطني الديمقراطي في ٢ ايلول ١٩٥٤ بزعم ( ان تصرفات الحزب تهدف الى الاخلال بالامن واقلاق الراحة العامة ... وتعاون الهيئات غير القانونية التي لم تحترم قوانين البلاد ونظمها ، ولمخالفاته القانونية المتكررة )[٣] .

---

(٢) تاريخ الوزارات ص١٨٠ ج٧ .

(٣) تاريخ الوزارات ج٩ ص١٥٤ .

عزَّ على الجهات المختلفة ان تتمتع البلاد بحياة حزبية نسبية ، وان يقرر ديوان التفسير الخاص ببطلان القرار الذي اتخذته وزارة نور الدين محمود ( ٢٣ تشرين الاول ١٩٥٣ ــ ٢٣ كانون الاول ١٩٥٣ ) الخاص بسد الاحزاب السياسية وتعطيل الصحف اليومية ، وغير ذلك مما استلزمته الادارة العسكرية في حينه ، فجائت وزارة أرشد العمري الثانية في ٢٩ نيسان ١٩٥٤ لتعالج هذه الامور ، فكانت باكورة أعمال هذه الوزارة انها استصدرت ارادة ملكية في يوم تاليفها بحل مجلس النواب القائم والشروع في انتخابات عامة لمجلس جديد .

قوبل تأليف الوزارة العمرية الثانية بعاصفة من الاستنكار من الصحف والمحافل السياسية ، على اساس [ ان تاريخ رئيسها وأقطابها زاخر بالاعمال الاستفزازية ضد الشعب وحرياته ][4] ولهذا تقدمت الاحزاب القائمة ببيانات شديدة اللهجة ضدها ، ولكن الوزارة مضت في سبيلها غير ملتفتة الى الصراخ والعويل . ولا الى الدس والوقيعة . وسرعان ما بادر الحزبان الكبيران : حزب الاستقلال والحزب الديمقراطي الوطني الى التفاهم مع الحــزب الشيوعي السري . وما يضمه من فئات ممثلة في أنصار السلام ، والطلبة ، والشباب ، والعمال ، والفلاحين ، والاطباء ، والمحامين ، وباحثوهم في ضرورة العمل في [ جبهة وطنية ] موحدة سياسيا وتنظيميا ، مــع احتفاظ كل حــزب أو هيأة باستقلاله التنظيمي والعقائدي ، لأن المطالب الوطنية لايمكن تحقيقها الا بالنضال الذي تخوضه أجنحة الحركة الوطنية ، على حد تعبيرهم ، على أن تكون أعمال الجبهة مقتصرة على خوض الانتخاب فقط وفي ١٢ مايس ١٩٥٤ وقّع المجتمعون على الميثاق الآتي نصه :

---

(٤) جريدة لواء الاستقلال العدد ١٨٦٤ تاريخ ٣٠ نيسان ١٩٥٤ .

نص الميثاق

١ ــ اطلاق الحريات الديمقراطيه كحرية الرأي ، والنشر ، والاجتماع ، والتظاهر ، والاضراب ، وتاليف الجمعيات وحــق التنظيم السياسي والنقابي •

٢ ــ الدفاع عن حرية الانتخابات •

٣ ــ الغاء معاهدة ١٩٣٠ والقواعد العسكرية ، وجلاء الجيوش الاجنبية ، ورفض جميع المحالفات العسكرية الاستعمارية بما فيها الحلف التركي ــ الباكستاني أو أي نوع من أنواع الدفاع المشترك •

٤ ــ رفض المساعدات العسكرية الامريكية التي يراد با تقييد سيادة العراق او ربطه بالمحالفات العسكرية الاستعمارية •

٥ ــ العمل على الغاء امتيازات الشركات الاحتكارية ، وعلى تطبيق العدالة الاجتماعية ، وانهاء دور الاقطاع ، وحل المشاكل الاقتصادية القائمة ، ومشكلة البطالة ، وغلاء المعيشة ، ورفــع مستوى معيشة الشعب ، وتشجيع الصناعة الوطنية وحمايتها •

٦ ــ العمل على ازالة الآثار الأليمة التي خلّفها الفيضان ، وذلك باسكان المشردين من ضحايا الكارثه ، وتعويض المتضررين ، وتأليف لجنة نزيهة محايدة لتحديد مسؤولية المقصرين ، واتخاذ كل ما يلزم لدرء اخطار الفيضان في المستقبل •

بغداد في ١٢ مايس ١٩٥٤[٥]

مـــثل حـــزب الاستقلال ــ محمد مهدي كبه ، ممثل الحزب الوطنـــي الديمقراطي ــ محمد حديد ، ممثل الفلاحين ــ نايف الحسن ، ممثل الشباب ــ

---

(٥) الدكتور فاضل حسين في كتابه « تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي » ص ٣٥٤ •

صفاء الحافظ ، ممثل العمال ـ كليبان صالح ، ممثل الاطباء ـ د • أحمد الچلبي ، ممثل المحامين ـ عبد الستار ناجي ، ممثل الطلاب ـ مهدي عبد الكريم •

وقد استغلت الفئة الحاكمة خلو الميثاق « بمواده الست » من ذكر القضايا القومية التي طالما جاهر بها الاستقلاليون ومن يلوذ بهم ، فاضيف البندان الآتيان الى نص الميثاق •

٧ ـ التضامن مع الشعوب العربية ، واستقلال البلاد العربية ، وتحرير فلسطين •

٨ ـ العمل على ابعاد العراق والبلاد العربية من ويلات الحرب[٦] •

« ولما كان التنافس الخفي قويا بين ولي العهد وبين نوري السعيد في شؤون الحكم في البلاد ، وكان كل منهما يريد أن تكون كلمته العليا في ادارة شؤون المملكة »[٧] وحيث ان نتائج الانتخابات التي أجرتها وزارة أرشد أسفرت عن احراز حزب نوري ٥١ مقعدا وحزب صالح جبر ٢١ مقعدا واحراز الجبهة الوطنية عشرة مقاعد وكان ٥٤ مقعدا للمستقلين الذين رشحهم البلاط ، فقد غضب نوري وغادر العراق الى لندن ، ولم يلبث ولي العهد ان سافر لاسترضاء نوري وعاد به الى العراق ليؤلف وزارته الثانية عشرة ويحل المجلس الذي لم يجتمع بعد حفلة افتتاحه قط •

قلنا أن عدد الفائزين في الانتخابات من « الجبهة الوطنية » كان عشرة منهم ثلاثة من حزب الاستقلال وهم ١ ـ محمد مهدي كبه و ٢ ـ محمد صديق شنشل و ٣ ـ عبد الجبار الجومرد ، وسبعة من الحزب الوطني الديمقراطي وأشياعه وهم ٤ ـ كامل الچادرچي ٥ ـ محمد حديد • ٦ ـ حسين جميل • ٧ ـ خدوري خدوري ٨ ـ جعفر البدر • ٩ ـ ذنون أيوب • ١٠ ـ مسعود محمد •

---

(٦) عبد الرزاق الحسني في كتابه « تاريخ الوزارات العراقية » ص١١٨ الجزء التاسع •

ويقول كولمـان ، سفير أمريكا في العراق في ص ١٩ من كتابه IRAQ uno Nury « وفي يوم الانتخابات كان الجو مكهربا واضطرت الحكومة الى ان توزع الشرطة على محلات التصويت المختلفة ، وحين عدّت الاصوات ظهر ان الجبهة الوطنية قد حصلت على ١٤ صوتا وقد استاء البلاط من هذه النتيجة ، وكذلك العناصر المحافظة بصورة عامة ، وبنتيجة ذلك خسر أرشد العمري حظوته . وكما يظهر لأول وهلة أن ١٤ مقعدا من بين ١٣٥ مقعدا عدد تافه لا يوجب الانزعاج ، ولكن هذه الجماعة الصغيرة لديها الوسائل الكثيرة لخلق المشاكل ، ولذا فان اضطراب العناصر المحافظة كانت له أسبابه الوجيهة » إهـ .

ويقول الوزير عبد الكريم الازري في ص٥٢٠ من الجزء الاول من كتابه [ تاريخ في ذكريات العراق ] .

[ ان السفير الامريكي زاره في بيته وقال : لا اكتم عنك نحن في خوفٍ من تكرر المأساة الايرانية في العراق بوجود هذه الحفنة القوية من النواب المعارضين، ولكن الوضع في العراق أضعف منه في ايران ، والنواب المعارضون هنا أقوياء جدا لا يقوى النواب المعتدلون ولا النواب الحكوميون على الوقوف بوجههم والتغلب عليهم . ان الوضع بوجود هذا المجلس وهذه المعارضة القوية نتيجة هذه الانتفاضات الاخيرة خطر جدا والمستقبل مظلم قاتم ]ـ اهـ .

وفي ص٣٧٤ من الجزء العاشر من ( تاريخ الوزارات العراقية ) في طبعته السابعة :

[ وكان من المتفق عليه ان لا تكون هذه الجبهة دائمة ، بل قاصرة على التعاون في الانتخابات . وجرت محاولة لاستمرارها بعد هذه الانتخابات ، فعقدت عدة اجتماعات في دار الاستاذ كامل الچادرچي بين ممثلي الحزبين العلنيين وممثلي الحزب الشيوعي السري الى رفض مطالب لا تأخذ واقع العراق بعين الاعتبار ] إهـ .

## حزب المؤتمر الوطني

ما كادت الوزارة السعيدية الثانية عشرة تستصدر مرسوم الجمعيات رقم ١٩ لسنة ١٩٨٤ القاضي بحل الاحزاب القائمة ، حتى فكّر قادة الحزبين الكبيرين : حزب الاستقلال والحزب الوطني الديمقراطي في وجوب العمل على استئناف نشاطهما الحزبي بصورة من الصور حتى اذا كان الاول من حزيران ١٩٥٦ اقترح السيد محمد صديق شنشل ، أحد أقطاب حزب الاستقلال ، على السيد كامل الچادرچي عميد الحزب الوطني الديمقراطي ، تكوين حزب جديد من حزبيهما باسم [ حزب المؤتمر الوطني ] على غرار [ المؤتمر الوطني الهندي ] ولكن الچادرچي ظل مترددا في قبول الفكرة حتى تبناها وعرضها على السيد محمد حديد ، ووجد ترحيبا بها من جانب حزب الاستقلال . وأخيرا تم الاتفاق على منهاج الحزب المقترح بالصيغة الآتية :

١ ــ تتكون في العراق منظمة باسم ــ حزب المؤتمر الوطني ــ

٢ ــ يعمل المؤتمر على التأليف بين العناصر التي تشترك في الاهداف المبينة في هذا المنهج والتعاون على تحقيقها .

٣ ــ يهدف الحزب في الناحية الخارجية الى ابعاد العراق عن كل نفوذ اجنبي أياً كان ، والعمل على ضمان حياده وابعاده عن التكتلات والمحالفات العسكرية والاجنبية .

٤ ــ لما كان المؤتمر يقرّ حقيقة كون العرب امة واحدة فرّقها الاستعمار وأعاق توحيدها ، فان المؤتمر يهدف في سياسته العربية الى ما يلي :ــ

أ ــ العمل على اقامة اتحاد عربي فدرالي شامل يكون خطوة فعالة لتوحيد الامة العربية في وطنها الواحد .

ب ــ العمل على تحرير فلسطين التي يعتبرها المؤتمر جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي .

ج ــ العمل على تحرير البلاد العربيه الاخرى ، وفي مقدمتها الجزائر وتحقيق استقلالها •

د ــ تطوير جامعة الدول العربية واقامة كيانها على اسس جديدة لتساير أماني الأمة العربيه ولتكون آداة صالحة لجمع شمل الدول العربيه، وربط مصالحها بعضها ببعض ، والانتقال بها الى الاتحاد •

هـ ــ تاييد الخطوات التي تقوم بها الدول العربية لتنظيم تعاون اوسع مما يمكن بلوغه عن طريق جامعه الدول العربيـــه على أن يتفق والاهداف الواردة في هذا الميثاق •

٥ ــ يهدف المؤتمر في الناحية الداخلية الى العمل لايجاد وضع سياسي يضمن تطبيق أحكام القانون الاساسي تطبيقا سليما ، ويكفل سيادة الشعب ، واقامة نظام برلماني ، واحلال سيادة القانون واطلاق الحريات الديمقراطية، وفسح المجال للعمل الحزبي والنظيم النقابي وحرية الصحافة ، وايجاد الوسائل لضمان هذه الحقوق ، وفي مقدمتها الغاء المراسيم والقوانين التي تحول دون ضمان ذلك ، وتشريع ما يقتضي لتحقيقه •

٦ ــ يعمل المؤتمر على تعزيز التعاون بين المواطنين وذلك باحترام حقوقهم وصيانة حرياتهم ، ويعتبر العرب والاكراد شركاء في هذا الوطن ، ويدعو الى احترام حقوقهم القومية ضمن الوحدة العراقية ــ انتهى ــ

وفي السادس عشر من حزيران سنة ١٩٥٦ قدم كل من : محمد مهدي كبه ، ومحمد صديق شنشل ، وفائق السامرائي ، ومحمد أمين الرحماني ، وعبد الشهيد الياسري ( وهــؤلاء الخمسة من حــزب الاستقلال ) وكامل الچادرچي ، ومحمد حديد ، وحسين جميل ، وهديب الحاج حمود ، وجعفر البدر ( من الحزب الوطني الديمقراطي ) قدموا طلبا الى وزارة الداخلية لتأليف حزب سياسي جديد باسم : « حزب المؤتمر الوطني » مرفقا بمنهاجه المثبت نصه فويق هذا •

وكانت الدوائر العليا قد اضطربت للوحدة التي قامت بين الاستقلاليين والديمقراطيين . وعدّت المنهاج الذي تقدم به الطرفان للعمل السياسي المشترك بعيدا كل البعد عن تأمين سياسة عملية ايجابية تخدم مصالح العراق وأهدافه الوطنية وتحفظ كيانه وسلامته في خضم هذا العالم المضطرب ، فبعث وزير الداخلية الكتاب الآتي نصه الى موقعي الطلب :

الرقم ١٠٨٤٥ : التاريخ ١٦ تموز ١٩٥٦

الى طالبي تأسيس « جمعيه حزب المؤتمر الوطني » معالي السيد محمد مهدي كبه ورفاقه المحترمين :
بعد التحية : وبالاشارة الى طلبكم المرفوع الينا بتاريخ ١٦ حزيران ١٩٥٦ نظرا لما تبين لنا من تدقيق المنهاج المرفق بطلبكم المشار اليه أعلاه من أن اتجاه الحزب المراد تأسيسه بعيد عن تأمين سياسة عملية ايجابية تخدم مصالح العراق واهدافه الوطنية ، وتحفظ كيانه واستقلاله ، وبما ان المادة الخامسة من المنهاج المذكور فيها اتهام ضمني لعدم تطبيق القانون الاساسي ، وعدم وجود نظام برلماني في البلد وغير ذلك من المزاعم الوهمية التي لاتتفق والحقيقة ، ولما كانت المادة السادسة منه تفرق بين العناصر التي يتألف منها الشعب العراقي ، وتخلق روح الكراهية بينهم ، فاننا استنادا الى الفقرة (ب) من المادة السابعة من قانون الجمعيات رقم ٦٢ لسنة ١٩٥٥ قررنا رد الطلب المقدم من قبلكم لهذا الغرض وأرجو قبول الاحترام .

وزير الداخلية : سعيد قزاز

ولم يقتنع طالبو تأسيس « حزب المؤتمر الوطني » بالاسباب التي استند وزير الداخلية اليها في رفض طلبهم فتقدموا الى مجلس الوزراء بلائحة تمييزية كان أهم ما يلفت النظر اليها أمران هما :

١ ــ ان انعدام الرقابة على السلطة التنفيذية ،وفقدان الحياة الحزبية ،

والصحافة الحرة ، كل ذلك ادى الى اهتمامهم بطلب تأسيس الحزب استجابة لرغبة الرأي العام .

٢ ـ ان قرار وزير الداخلية برد طلبهم قد خالف الدستور الذي اعترف للعراقيين بحرية ابداء الرأي ، والنشر وتأليف الجمعيات ، والانضمام اليها .

وكان أحد وزراء الوزارة القائمة « خليل كنه » زميلا للاستقلاليين من اصحاب الطلب ، ثم انشق عنهم فحاول ادخال اللائحة التميزية المذكورة في الجلسات المتعاقبة لمجلس الوزراء بغية اتخاذ القرار اللازم لتأكيد قرار وزير الداخلية . ولكن أصحاب العريضة تشبثوا بمختلف الوسائل لعدم ادخال لائحتهم التميزية في مناهج مجلس الوزراء ، وقد نجحت تشبثاتهم وصار اقطاب الحزبين : الاستقلال والوطني الديمقراطي يرفعون العرائض والاعتراضات المختلفة على المقامات العليا ، كما لو كان الحزبان قائمين ، وكانوا يبررون عملهم بأن قضية تأليف « حز المؤتمر الوطني » لم تستكمل مراحلها النهائية .

ولما استقالت الوزارة السعيدية الثالثة عشرة في الثامن من شهر حزيران عام ١٩٥٧ وقامت مقامها وزارة السيد علي جودة الايوبي « الثالثة » راجع السيدان : محمد مهدي كبه ومحمد حديد الرئيس الايوبي وطلبا اليه النظر في اللائحة الموضوعة البحث ، فعلما ان الامر أبعد من ان يكون رهن أمره ، الامر الذي حمل الاستقلاليين والديمقراطيين على الانصراف الى التفكير في تكوين « جبهة الاتحاد الوطني » .

★ ★ ★

ارتأت الحكومة المصرية أن تنمي انتاجها الزراعي ، وتضاعف دخلها القومي ، فلم تر غير اقامة السد العالي في أسوان لتحقيق طموحها ، فطلبت قرضا من البنك الدولي فأقر هذا طلبها بعد أن أرسل لجنة فنية لدراستة ، واذا

بالولايات المتحدة الامريكية تتبرع بأربعين مليونا من الدولارات الامريكية ، وأسرعت بريطانية فتبرعت بخمسة ملايين من الباونات الاسترلينية لتحقيق هذا المشروع الجبار . وقد تقبلت الحكومة المصرية بكل الشروط التي وضعتها الكومتان الامريكية والبريطانية وكذلك البنك الدولي لقبول هذه المساعدات، رغم قسوتها ، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان . فأن مصر كانت بأمس الحاجة الى سلاح يدرأ عنها الخطر الخارجي ، ويساعدها على توطيد أمنها الداخلي ، فأضطرت الى أن تتدارك سلاحها من الاسواق الشرقية بعد أن سدت في وجهها الاسواق الغربية ، واذا بالبنك الدولي يسحب في السادس والعشرين من تموز ١٩٥٦ موافقته على الاقـراض ، كما حذت الحكومتان الامريكية والبريطانية فأعلنتا عن سحب مساعديتهما ، واذا برئيس الجمهورية المصرية السيد جمال عبد الناصر يقرر في اليوم المذكور تأميم قناة السويس العالمية ، ليتسنى له الاستعانة بوارداتها الهائلة للشروع في بناء السد العالي ، ولأجل أن يفوت الفرص على خصومه ، تقرر تعويض المساهمين وحملة أسهم التأسيس عما يملكون من أسهم وحصص ، مقدرة بسعر الاقفال السابق على تاريخ العمل بقانون التأميم في بورصة پاريس .

لقد جن جنون الحكومتين البريطانية والفرنسية لهذا التحـدي ، غير المتصوَّر ، فهاجمتا مع اسرائيل الاراضي المصرية برا وبحرا وجوا ، والظاهر أن الولايات المتحدة الامريكية لم تستشر بهذا الاعتداء الفظيع ، كما ان الاتحاد السوفياتي هدد باستعمال صواريخه المدمرة اذا لم يتوقف الاعتداء الثلاثي المبيّت فاضطر المعتدون الى سحب جيوشهم بفضل التدابـير الخاصة التي اتخذتها امريكا ، وبفضل الموقف الروسي المخيف ... وقد تكهرب العالم العربي كله ، ووقعت في العراق حوادث دامية اضطرت الحكومة الى ان تقاومها بكل قسوة وشدة . وعبث السوريون بأنابيب النفط العراقي المارة ببلادهم فانقطع جريان النفط ، وحرم العراق أهم موارده . ونستطيع أن نقول بكل

تأكيد ان الاعتداء الثلاثي على مصر عجل في تفجير ثورة ١٤ تمــوز ١٩٥٨ الجبارة في العراق .

يقول السيد علي جودة الايوبي في ص ٢٩١ من كتابه [ ذكريات علي جودة ] .

كنت أول من لام نوري السعيد رئيس الوزراء ووزير خارجيتها على موقفها البارد من الهجوم الجائر على الشقيقة مصر ، ولا سيما وان بريطانية احدى الدول الموقعة على ميثاق بغداد ، وهي لم تكتف بما قامت بنفسها ، بل أشركت في التآمر معها اعداء العرب وهما فرنسا واسرائيل في الهجوم بقواتهما المسلحة ، واستنكرت سكوت الحكومة العراقية على هذه الاعمال ... كما بينت ان الرأي العام العراقي يغلي غليانا حقدا على هذه الاعمال الوحشية » .

ويقول السيد ناجي شوكت في ص ٥٨٧ من كتابه [ سيرة وذكريات ثمانين عاما ]

كانت اذاعه بغداد تذيع تسجيلات خليعة . وان نسيتُ فلن أنسى طول عمري ذلك المذيع الوقح الذي كانت آثار الشماته والاستهزاء بكل القيــم الانسانية تنطلق من فمه المسعور ، في الوقت الذي كان الشعب العراقي برمته يغلي كالبركان الثائر طالبا مساعدة مصــر في وحدتها ، ووجوب مساعدتها بالاموال والارواح » إهـ .

ويقول السيد عبد الرحمن البــزاز في ص٢١ من كتابه [ صفحات من الماضي القريب ] : ثم ان موقفها أثناء العدوان الثلاثي ، والاغاني التي كانت تذيعها وكشفت عن روح التشفي بنكبة قطرٍ عربي شقيق ، وطريقة عرض الاخبار التي كانت واضحة التحيز ، حتى قبل ان تنشره اية دولة محايــدة تحترم نفسها ، كل ذلك خلق شعورا عدائيا عميقا تجاه الحكومة العراقية في

---

(٧) محمد مهدي كبه رئيس حزب الاستقلال في كتابه « مذكراتــي في صميم الاحداث » ص٣٥٨ .

نفوس أبناء العراق • وقد حطم كثير من ابناء الشعب اجهزة الراديو بسبب حنقهم على الاخبار التي تبثها الاذاعة العراقية » إهـ •

وقد رفعت الى السدة الملكية عدة عرائض وقع فيها المتميزون من الاعيان والنواب والوزراء ورؤسائهم والمحامين والاطباء وسائر الطبقات ، يستنكرون الموقف العراقي الحكومي تجاه احداث مصر ، ويزمجرون ويتوعدون • وكان الاستنكار في الصفوف المسلحة أعمق مما هو في صفوف المدنيين • وعلى هذا عقدت الاحزاب الاربعة « المنحلة قانونا » وهي حزب الاستقلال ، والحزب الوطني الديمقراطي ، وحزب البعث الاشتراكي ، والحزب الشيوعي السري ، اجتماعات متعددة ، مثلها محمد مهدي كبه عن حزب الاستقلال ، ومحمد حديد عن الحزب الوطني الديمقراطي ، وفؤاد الركابي عن حزب البعث فلما أوقف ، حل محله شمس الدين كاظم ، ومثل عزيز الشيخ الحزب الشيوعي ، فلما أوقف ، حل محله كمال عمر نظمي • وكانت اجتماعات هؤلاء الذوات تتم في دار محمد مهدي كبه رئيس حزب الاستقلال وفي دور بعض أعضاء هذا الحزب • وقد تدارس هؤلاء الذوات الموقف من نواحيه ، وانتهوا الى تأليف قيادة ميدان مشتركة للقيام بتظاهرات طلابية اقلقت السلطة فحملتها على تعطيل الدراسة في الكليات والمعاهد العلمية ، والىاتخاذ التدابير الصارمه ضد المتظاهرين اينما كانوا وحيثما اتجهوا فكانت حوادث النجف المدوية وعصيان الحي المسلح ••• التي ادت الى اعدام عضوين من الحزب الشيوعي •

وهكذا تكونت « جبهة الاتحاد الوطني » من حزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي ومن حزب البعث العربي الاستراكي ، والحزب الشيوعي السري ، وبعض المستقلين في اوائل عام ١٩٥٧ وقد تقرر ان تكون فعالة بقيادتها العليا وركائزها التنظيمية وسائر أجهزتها ، وأن تقيم لها صلاة وثيقة مع القوى العسكرية الوطنية ومع حركة التحرر في الخارج • وتم الاتفاق على استخدام

المطبعة السرية التي كان الحزب الشيوعي السري قد هيأها بكل عدتها وطباعيها .

وتألفت « لجبهة الاتحاد الوطني » في شباط ١٩٥٧ « اللجنة الوطنية العليا » و « واللجنة التنفيذية العليا » وتتشعب من هذه اللجنة لجان رئيسية في معظم الالوية ، ثم تليها لجان فرعية في معظم الاطراف ، فانتشرت هذه الشبكة وتوسعت . وتمسكت بمبدأ اجماع ممثلي الاحزاب على قراراتها حتى تصبح ملزمة ، وعززت اتصالاتها بالعسكريين من الضباط الاحرار حتى حملتهم على تأليف « اللجنة العسكرية العليا » في أواسط عام ١٩٥٧ وقد قبلت هذه اللجنة وتبنت ميثاق جبهة الاتحاد الوطني فساندته . وكان واسطة الاتصال رجلان معروفان هما العقيد رجب عبد المجيد الذي كان يتصل بالاستقلاليين ، والسيد رشيد مطلك الذي كان يتصل بالديمقراطيين . فعملت الجهات المختلفة على التنظيم والتدريب حتى تم تفجير ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الخالدة .

لقد تبنت « جبهة الاتحاد الوطني » المنهاج الذي أعدته « الجبهة الوطنية الانتخابية » المنبثقة عن جبهة الاتحاد الوطني وقررت ان تضع ميثاقا مفصلا بأهدافها ومطالبها الانية فاصدرت كراسا مكونا من اثنتي عشرة صفحة في التاسع من آذار ١٩٥٧ شرحت فيه مواد الميثاق الخمس شرحا مفصلا ، ورأينا أن ننشر فيما يلي المواد المذكورة ، ولمن اراد ان يقف على شروحها مفصلة فليرجع الى الجزء العاشر من [ تاريخ الوزارات العراقية ] في طبعته السابعة :

١ ــ تنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي ( الذي أجرت انتخاباته ) .

٢ ــ الخروج من حلف بغداد وتوحيد سياسة العراق مع سياسة الدول العربيه المتحررة .

٣ ــ مقاومة التدخل الاستعماري بشتى أشكاله ومصادره ، وانتهاج سياسة عربية مستقلة أساسها الحياد الايجابي .

٤ ــ اطلاق الحريات الديمقراطية الدستورية .

٥ ــ الغاء ادارة الاحكام العرفية ، وأطلاق سراح السجناء والمعتقلين والموقوفين السياسيين ، واعادة المدرسين والموظفين والمستخدمين والطلاب المفصولين لاسباب سياسية .

لقد تحققت هذه المواد الخمس بعد اعلان الثورة في ١٤ تموز ١٩٥٨ ثم بعد ثورة ١٧ــ٣٠ تموز ١٩٦٨ الواحدة بعد الاخرى ، فقد انتهت وزارة نوري السعيد ، وحل مجلس الواب الذي جاءت به ، واعلنت الجمهورية العراقية انسحابها من ميثاق بغداد ، واصبحت الجمهورية حرّة لا أثر للاستعمار فيها ولا في شؤونها ، والغيت الاحكام العرفية ، واطلقت الحريات الدستورية .

# الأمير عبد الاله

## كيف أصبح وصيا للعرش ؟ وكيف قتل ؟

**توطئـــــة**

انتقل الملك علي اكبر أنجال الملك حسين شريف مكة المكرمة ، انتقل الى دار البقاء في الثالث عشر من شهر شباط سنة ١٩٣٥[١] عن ولد واحد هو الامير عبد الاله وأربع بنات هن الاميرات عالية وبديعة وجليلة وعابدية ، وكان الملك غازي نجل الملك فيصل الاول قد استلطف الآنسة نعمة كريمة ياسين الهاشمي بحكم اتصالها بأخواته الاميرات واراد ان يتزوجها فجن جنون نوري السعيد وصاح في جلسة لمجلس الــوزراء [ هاي عايــزة ياسين يصبح عم الملك ][٢] ثم راح وصهره جعفر العسكري الى الامير عبدالله امير شرق الاردن يومذاك يتملقانه ويتوسطانه حتى استطاع الثلاثة أن يحملوا الملك غازي على الزواج من الاميرة عالية كريمة عمه الملك علي وشقيقة الامير عبد الاله فأنجبت له ولدا واحدا سماه فيصلا ولم يرزق غيره على الرغم من أن ولادة فيصل كانت في الثاني من شهر مايس سنة ١٩٣٥ والمعروف عن زواج الملك غازي من الاميرة عاليه انه كان على كره منه .

---

(١) تاريخ الوزارات العراقية ص٣٤ من الجزء الرابع من الطبعة السابعة .

(٢) ناجي شوكة في كتابه « سيرة وذكريات ثمانين عاما » ص٢٤٨ من الطبعة الرابعة .

ولما اطاح الانقلاب العسكري الذي دبره حكمة سليمان ونفذه الفريق بكر صدقي بالوزارة الهاشمية الثانية في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٣٦م وهو الانقلاب الذي قتل فيه جعفر العسكري وزير الدفاع في تلك الوزارة وعضيد نوري السعيد وصهره ، طلب بكر صدقي من حكمة سليمان الذي الف الوزارة الجديدة ، أن يتعشى وثلاثة من ضباطه المعتمدين عنده في مساء يوم الانقلاب فلبى حكمة هذا الطلب ممتنا ، وبعد أن اكل الذوات ما لذ وطاب من شراب وطعام ، التفت بكر صدقي الى حكمة سليمان وقال له : ان هؤلاء : الضباط الثلاثة سيتولون قتل الوزراء الثلاثة ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني ونوري السعيد فنخلص الوطن من أوضارهم لأنهم كانوا دوما السبب في دمار البلاد وخرابها .. فبهت حكمة سليمان لهذه المفاجأة وقال لبكر صدقي انه سيستصدر ارادة ملكية بتعيينه رئيسا للوزراء وله ان يعتمل ما يريد[٣] فرد عليه بكر صدقي ان هؤلاء الوزراء سيلاحقوننا فخير لنا ان تتغدى بهم قبل أن يتعشوا بنا ولكن حكمة أصر على استبعاد فكرة كل قتل ، ولما احيط السفير البريطاني علما بهذه الاقصوصة ، بعث أدمونس مستشار وزارة الداخلية الى حكمة ليقول له : ان السفير وأركان سفارته سيتركون السفارة الى قاعدتهم العسكرية في الحبانية اذا وقع اي اعتداء على اي عراقي[٤] فما كان من الملك غازي الا ان بعث السيد احمد التشريفاتي الى الوزراء المشار اليهم لينقل رغبة صاحب الجلالة بتركهم العراق الى بلد ما .. ثم صدر البلاغ الرسمي الاتي :

لما كان الواجب يقضي على الحكومة ان تعمل كل ما من شأنه استتباب الأمن وتأمين راحة ابناء البلاد وسكانها ، ولأجل أن يسود الاستقرار والسكون ، فقد فارق العراق كل من : ياسين الهاشمي ونوري سعيد ورشيد

---

(٣) رواه لنا حكمة سليمان واثبتناه في ص ٢٣٣ من الجزء الرابع من الوزارات .

عالي الكيلاني وتوصي الحكومة بأن يكون رائد الجميع المصلحة العامة وفي سبيلها تفنى مصلحة الاشخاص !

وقد توفي ياسين الهاشمي في بيروت بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩٣٧ ودفن جثمانه في دمشق الشام بجوار بطل المسلمين صلاح الدين الايوبي . بعد ان تعذر نقل رفاته الى العراق ليدفن فيه ، واختار رشيدعالي الاقامة في اسطنبول، أما نوري السعيد فقد نقلته طائرة بريطانية الى ارض الكنانة وصار يتنقل بين الاسكندرية والقاهرة بين الفينة والفينة .

وكان الامير عبد الاله يدرس في كلية فكتوريا بالاسكندرية وقد عرف بين اقرانه بضعف الذاكرة وقلة الذكاء وفي الوقت نفسه كان عبد الاله يبدي تذمره من بكر صدقي الذي كان [ يريد الاقتران باحدى الاميرات من اخوات عبد الاله بعد أن هجر زوجته النساوية ][٤] وهو لا يريد هذه المصاهرة . وفي الوقت نفسه كان عبد الاله يشعر في قرارة نفسه انه مظلوم ومهان حيث يرى الملك غازي ــ ابن عمه ــ ينعم بمظاهر الملك وسعة الثراء أما هو فيعيش عيشه ضنك ووهم بقرب عودته الى الحجاز ليتبوأ عرشه .

وكان نوري السعيد كثير الاتصال بالامير عبد الاله ، وكان يمنيه بمستقبل زاهر وعهد سعيد . وفي الوقت نفسه كان يواصل السعي في الليل والنهار لتقويض وزارة حكمة سليمان والقضاء على ديكتاتورية بكر صدقي . الذي كان يعده المسؤول الاول عن مقتل صهره جعفر العسكري وتشريد اخته السيدة فخرية زوجة العسكري وفي الوقت نفسه كان رشيد عالي الكيلاني المقيم في اسطنبول يسعى السعي نفسه وتأبى الصدف الا ان تنشر مذكرات ناجي شوكت « سيرة وذكريات ثمانين عاما » وفي ص٣١٢ منها كلمة « الاساس » التي ترمز الى وجوب التخلص من الملك غازي في المراسلات التي

(٤) من مذكرة لمستشار وزارة الداخلية في تاريخ الوزارات ٤/٢٣٤

كانت تجري بين نوري السعيد وناجي شوكت ورشيد عالي الكيلاني وكان مما يعزز هذه الفكرة رغبة الانكليز في التخلص من الملك غازي ، يدلنا على ذلك قول السفير البريطاني في العراق موريس باترسن في ص ١٤٣ من كتابه

وقد اصبح واضحا للعيان ان الملك غازي اما يجب ان يسيطر عليه او ان يخلع « عن العرش » وقد لمحت الى ذلك وبهذا المقدار في زيارتي الوداعية للامير عبد الاله .

وفي اليوم الحادي عشر من شهر اب سنة ١٩٣٧ قتل الفريق بكر صدقي في مطعم للجيش في مطار الموصل . وقتل معه قائد القوات الجوية المقدم محمد علي جواد . وكان بكر في طريقه الى اوربـا فانهارت وزارة حكمة سليمان ، واستدعى جميل المدفعي من لبنان فألف وزارة جديدة في السابع عشر من هذا الشهر . وعاد الى العراق نوري السعيد ورشيد عالي الكيلاني وبقية المبعدين والمغضوب عليهم فتذكر نوري عمروا بن العاص يخاطب حمامة الفسطاط بأرض الكنانة :

صفا لك الجـو فبيضي واصفـري

ونقـري ما شـئت أن تنقـري

وسرعان ما اطيح بوزارة جميل المدفعي ( الرابعة ) وتولى نوري السعيد تأليف وزارته الثالثة في ٢٥ كانون الاول سنة ١٩٣٨ فأدخل معه الفريق طه الهاشمي شقيق المغفور له ياسين الهاشمي كوزير للدفاع ، وجيء بناجي شوكت وزير العراق المفوض في انقـرة ليكون وزيرا للداخلية . اما رشيد عالـي الكيلاني فقد اسند اليه منصب رئيس الديوان الملكي .

## مصرع الملك غازي

لما سافر الملك فيصل الاول الى لندن في الخامس من حزيران سنة ١٩٣٣ تلبية للدعوة الرسمية التي وجهها اليه الملك جورج الخامس بمناسبة دخول

العراق عضوا في عصبة الامم في الثاني من تشرين الاول ١٩٣٢ عهد الى نجله وولي عهده الامير غازي بتولي نيابة الملك عنه فكان غازي يتولى هذه النيابة لاول مرة ، وصادف وقوع تمرد النياريين في اب من عام ١٩٣٣ فاذا بنائب الملك يقف الى جانب الاجراءات التي رأت الحكومة ان تركن اليها لقمع هذا التمرد . ناكبر الشعب موقفه وشهامته ، وأولاه حبه وثقته حتى ان الاستقبال الذي جرى للملك المؤسس بعد عودته من اوربه الى العراق في الثاني من شهر اب سنة ١٩٣٣ كان دون الاستقبال العظيم الذي لقيه ولده وولي عهده في الثلاثين من هذا الشهر بدرجات ، وكان غازي قد سافر الى الموصل لبعض المهام ، ولما انتقل فيصل الى جوار ربه في ليلة الثامن من شهر ايلول ١٩٣٣ وارتقى ولي عهده سدة العرش بحكم المادة ٢٠ من القانون الاساسي العراقي ، لعب هذا دورا بارزا في مسايرة الحركة الوطنية ، وبمقدار ما كان يقرب الوطنيين اليه ويسعى الى تحقيق طموحاتهم ، كان يبتعد عن الموالين للانكليز ويقلم اظفارهم .وفي الوقت نفسه كان يقوم ببعض الحركات التي لا تتلائم مع مقامه الملكي كما كان يصرف على اموره الخاصة بلا حساب الامر الذي اضطر ياسين الهاشمي رئيس الوزراء يومئذ الى ان يحد من تصرفاته ( وياسين يحب الضبط ويسعى الى تحقيق سياسة لا يستسيغها الملك في امور الدولة ، اي انه كان يحاول دائما ان يجعل من الملك رمزا لا عنصرا مشتركا فعالا وقد اوغرت سياسة الهاشمي هذه صدر الملك غازي اما لأنه شعر بما يحدد حرية اعماله او لانه قد اوغر صدره بدسائس سياسية قامت بها عناصر مختلفة ) فاذا به يتورط في الحركة التي دبرها حكمة سليمان ونفذها بكر صدقي في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦ وسرعان ما قتل الملك غازي في ليلة ٤/٥ ـ نيسان ـ ١٩٣٩ بموجب الخطط البريطانية ، وعلل القتل بحادث سيارة لكن الجيش والشعب لم يصدقا هذا التلفيق ، واتضح ان للوصي ضلعا في الموضوع . وكان الملك غازي يمقت نوري بن سعيد كما ان نوري بن سعيد كان يبادل

الملك غازي مقتا بينت . وكان الملك معروفا بعدائه للانكليز قبل ان يكون ملكا(٥) .

## وصاية الامير عبد الاله

بعد فراغنا من تسجيل اسطورة مصرع الملك غازي في ليلة الثلاثاء الرابع من نيسان ١٩٣٩ نشرع في تسجيل اسطورة اختيار الامير عبد الاله نجل الملك علي وصيا على ابن الملك غازي الامير فيصل .

على اثر مصرع الملك غازي اجتمع مجلس الوزراء اجتماعا عابرا في قصر الزهور وحضر اجتماعه هذا السيدان محمد الصدر رئيس مجلس الاعيان ورشيد عالي الكيلاني رئيس الديوان الملكي ، وقرر المناداة بولي عهد المملكة الامير فيصل ملكا على العراق ، ولصغر سنه سمي الامير عبد الاله وصيا عليه حتى يبلغ سن الرشد القانونية ، ويقول الدكتور سندرسن طبيب العائلة المالكة : في ص ١٧٠ من كتابه TEN THousAND ond one NiGHTS P. 156

١ ــ في خلال عشرين دقيقة من وفاة الملك ، طلب الي رستم حيدر ان اعلن بان الملك قبل ان يموت قد عبر عن رغبته بأن يتولى عبد الاله السلطة على العرش ، غير اني رفضت ان افعل ذلك لان الملك لم يستعد لحظة واحدة من وعيه .

٢ ــ ويقول الدكتور صائب شوكة في ص ٨١ من الجزء الخامس من تاريخ الوزارات العراقية :

اني كنت اول من حضر قصر الزهور وفحصت الملك وشاهدت الامير عبد الاله وتحسين قدري يمشيان في ( الكوريدور ) واذا بتحسين يقول له ان الامير يرجوك ان تقول بان الملك اوصاك بان يكون عبد الاله وصيا على ولده الصغير

---

(٥) العقيد صلاح الدين الصباغ ( فرسان العروبة في العراق ) ص٨٩

فيصل اذا كنت يائسا من نجاته من الموت فرفضت اقرار هذه الرغبة على اساس ان الملك كان فاقد الوعي من اول الحادث ، فغضب عبد الاله وقال اذن ان اخته ستشهد بذلك .

٣ ــ ويقول وزير الدولة الشيخ علي الشرقي في ص ١٧٠ من كتابه ( الاحلام ) :

اوعز نوري الى عاليه ان ترفع كتابا الى مجلس الوزراء المنعقد للنظر في اقامة وصي على العرش تشهد فيه ان الملك غازي قد اوصى اليها فيما اذا وقع امر على حياته فالوصي على العرش عبد الاله .

٤ ــ وكان الفريق طه الهاشمي قد لعب دورا رئيسا في جعل الامير عبد الاله وصيا فلما قتل عبد الاله في ١٤ تموز عام ١٩٥٨ وحل النظام الجمهوري محل النظام الملكي قال في ص ٢٤١ من الجزء الثاني من مذكراته « ان الوصيه التي عزيت لغازي قبل موته كانت مزيفه دون شك » اهـ

٥ ــ وقال ناجي شوكة في ص٣٥٦ في كتابه ( سيرة وذكريات ثمانين عاما ) وقد حضر مجلس الوزراء كوزير : كان نوري السعيد مالكا اعصابه ولكن دلائل التوتر باديه عليه ، كما كانت علائم الارتياح بادية على وجوه رشيد عالي وطه الهاشمي ورستم حيدر ، وقد رفض الجميع اقتراحي بدعوة مولود مخلص ورؤساء الوزارات السابقين .

ثم عقد مجلس الوزراء جلسة خاصة حضرها رئيس الوزراء ووزراء الداخلية والمالية والدفاع ورئيس الديـوان الملكي ورئيسا مجلسي الاعيان والنواب ، ورؤساء الوزراء السابقون للنظر في امر تعيين وصـي على الملك الصغير حتى يبلغ سن الرشد القانونية فتقرر حصر الوصاية في احد افراد الاسرة الهاشمية ثم استعرضت اسماء الامير عبد الله امير شرق الاردن ، والامير زيد بن الملك حسين ، والامير عبد الاله نجل الملك علي ، وقد استبعد الاول لانشغاله بامارة شرق الاردن كما استبعد الثاني لزواجه من سيدة تركية مطلقة ،

*فلم يبق في الميدان الا عبد الاله وكان السيدان علي جودة وجميل المدفعي من جملة الحاضرين وقد جاء في « ص٢٢ » من مذكرات علي جودة قوله :*

اعترضت على وصاية عبد الاله وقلت للحاضرين بانه ليس من الحكمة ولا من المصلحة ان يكون رجل بسن هذا العمر وقلة التجربة ، ولا سيما في مثل تلك الظروف وصيا على الملك مدة طويلة قد تقع خلالها ازمات واحداث خطيرة تستوجب معالجتها جمع زعماء البلاد وترؤسهم من قبله والتحدث اليهم فيما تقتضيه مصلحة البلاد ولذا رجحت ان يعهد بهذه المهمة الخطيرة الى رجل ذي حنكة ومرونة ليتمكن من انفاذ الموقف في المدلهمات من الاحداث ، قال رستم حيدر ان الملك عبد الله مشغول في شرق الاردن فلا يمكن تكليفه بمنصب الوصاية ، وان الامير زيدا متزوج بامرأة تركية فلا يستحسن ان يمارس واجبات الوصاية ، وتكلم اخرون واظهروا تأييدهم لوصاية عبد الاله ، فشعرت بدوري ان الذوات المحترمين ميالون جميعهم الى اسناد منصب الوصاية الى الامير عبد الاله فيما عدا جميل المدفعي الذي كان ميالا الى تولية الامير زيد ولكنه كان متحفظا في تصريحاته . ويقول توفيق السويدي في ص ٣٢٧ من كتابه ( نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية ) ابرقت الى رئيس الوزراء في بغداد وانا على ظهر الباخرة ( باريت باشا ) ما يأتي : « المفهوم ان مجلس الامة سينظر في الوصاية على العرش ، أو رجح بقوة ان يكون مجلس وصاية لا وصيا واحدا »(٦) .

وجاء في ص ٢٣٣ من مذكرات وزير المانية المفوض في بغداد الدكتور كروبا « مراكز وقوى في بلاد الشرق » راودت الحكومة العراقية فكرة تأليف لجنة للعرش تكون واجبها اسداء المشورة للملك الشاب وكان يرى تأليفها

---

(٦) توفيق السويدي في مذكراته ( نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية ) ص٢٧٠/٢٧١ .

من اربعة اعضاء فتدخلت بريطانية لجعل احدهم بريطانيا لكن الحكومة العراقية اقلعت عن الفكرة » وكان معروفا ان الانكليز يميلون الى الامير عبد الاله أكثر من ميلهم الى الملك غازي بدليل ما كتبه السر بازل نيوتن السفير البريطاني في بغداد في « ص١٥٠ » من كتابه Both sides of the Currtain P. 151
« وقد اصبح واضحا للعيان ان الملك غازي اما يجب ان يسيطر عليه او ان يخلع عن العرش ، وقد لمحت الى ذلك وبهذا القدر خلال زيارتي الوداعية للامير عبد الاله » إ ه

وكانت الارادة الملكية المرقمة ٩١ والمؤرخة ٢٢ شباط ١٩٣٩ قد صدرت بحل مجلس النواب ، والشروع في انتخاب مجلس جديد ، وبناء على وفاة الملك دعي المجلس المنحل الى عقد جلسة خاصة في يوم الخميس الموافق ٦ نيسان ١٩٣٩ فاجتمع مجلسا الاعيان والنواب في جلسة مشتركة جرى فيها التصويت على انتخاب الامير عبد الاله وصيا على الملك فيصل الثاني وكان عدد الحاضرين ١٣٢ فصوت كلهم للامير عبد الاله ثم دعي سموه الى منصة الرئاسة وادى اليمين القانونية ، وانفضت الجلسة فابرق السفير البريطاني في بغداد برقية الى حكومته في لندن برقم E 281 / 23207 / f.0.371 وتاريخ ٦/٢/٣٩ قال فيها ، « ان من المفرح ان يعين ابن عمه عبد الاله وصيا على العرش »

ويقول رئيس حزب الاستقلال الشيخ محمد مهدي كبه في ص٩٧ من مذكراته « في صميم الاحداث » وكان عهد وصايته عهد شؤم ونحس على البلاد وابنائها ، وعلى الملك القاصر الذي تولى الوصاية عليه وعلى عرشه ، فقد تعمد عدم تنشئته نشأة وطنية وقومية ، وترك أمر تربيته للحواضن الاجنبيات ، ثم ارسله الى بعض المدارس الانكليزية في لندن ليعيش في اجوائها الارستقراطية عيشة العبث أو اللهو واللعب ، فنشأ عديم الشخصية فاقد الارادة ، وهذا ما كان يريده له عبد الاله ليستمر في سطوته عليه ، عند

ممارسته لسلطاته الدستورية وهكذا كان ، فانــه بقي المنفذ والمسيطر على سياسة البلاط بعد انتهاء عهد وصايته ، ولم يكن البائس سوى دمية من دمى البلاط . لا حول له ولا قوة ولا ارادة ، وكان كالببغاء يردد في المناسبات ما يلقنه الوصي اليه .. اهـ

وسنحاول في الصفحات الاتية ان نذكر الادوار التي لعبها الامير عبد الاله في كيمية ادارة المملكة وما تعرضت اليه من مصائب ومحن على ما جاء في الاسانيد الرسمية .

**عهد الامير عبد الاله**

كان الامير عبد الاله وسيم الطلعه طويل الرقبة كثير الخجل ، قليل المعرفة، وكان ملتزما بالفرائض الدينية ولا سيما في شهر رمضان ، على نحو ما كان ابوه الملك علي رحمه الله ، فلما تولى الوصاية على ابن اخته الملك فيصل ، صار يتودد الى قادة الجيش العراقي الباسل ، ولا سيما العقداء الاربعة منهم صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمي سعيد ، ومحمود سلمان ، وكامل شبيب ، وكان هؤلاء اعضاء بارزين في الكتلة العسكرية ويتصلون بالقوميين اتصالا عميقا . وقد سارت الامور سيرا طبيعيا في اول ايام وصايته حتى اذا ما اعلنت الحرب العالمية الثانية في الثالث من ايلول سنة ١٩٣٩ ابرق الى ملك بريطانيا برقية لم يرض عنها القوميون لانها عرضت استعداد العراق على بذل كــل ما في الوسع للسير بعين الرضا مع الحليفة العظمىحتى ينتصر الحق وتسود المبادىء السامية .. في حين كان الشعب حانقا على الانكليز لغدرهم بالعرب ، وتمزيق بلادهم وبترهم أعز جزء واقدسه من الوطن العربي الكبير وتقديمه هدية لمتشردي الآفاق من اليهود ولامتناعهم عن تمويل الجيش العراقي بالسلاح الذي كان في أمس الحاجة اليه ، وكان لابد له ان يتدارك هذا السلاح من

المصانع الانكليزية دون غيرها بسوجب معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ الانكليزية ــ العراقية ولكن سرعان ما ارتمى الوصي في أحضان الانكليز وصار يلبي طلباتهم المشروعة وغير المشروعة .

وكان السيد رشيد عالي الكيلاني قد ولي رئاسة الوزراء للمرة الثالثة في ٣٠اذار من عام ١٩٤٠ ، أي بعد اقل من سنة من تولي الامــير عبد الاله منصب الوصاية ، وكان الكيلاني معروفا بمواقفه الوطنية والقومية فكان يماشي رغبات الوصي حيثما تكون هذه التمشية ممكنة ، كما كان يحــاول اقناعه بالعدول عن اصراره وعناده في الامور التي يعتقد ان الاصــرار عليها يؤدي الى الاضرار بالمصلحة العامة ، وكانت بوادر الحرب تدل على رجحان كفة المحور بالقياس الى الانكليز وحلفائهم فاصبح هؤلاء يضغطون على الوصي لتمشية رغباتهم والسير في ركابهم . ولما شعروا بصعوبة التعاون مع الرئيس الكيلاني اوعزوا الى سفيرهم في بغداد ان يقول للوصي بمحضر من وزيــر الخارجية نوري السعيد [ ان الحكومة البريطانية لا تثق بالوزارة الكيلانية القائمة وعلى العراق ان يختار احد حلــين اما الاحتفــاظ برشيد عالي رئيسا لحكومته ، واما الاحتفاظ بصداقة بريطانيا العظمى ]. ولما علم الوزراء امر هذا الاجتماع كلفوا رئيسهم الكيلاني ان يتصل بالسفير البريطاني ويستعلم منه عما اذا كان بين العراق وحليفته بريطانية خلاف صــريح محدود ؟ فلما اجتمع الرئيس الكيلاني بالسفير البريطاني ، سمع القول عينه[٨] .

**ازدياد الخلاف**

واشتد الخلاف بين الوصي والوزارة وبينها وبين الانكليز ، وأخــذ الوصي ينقطع عن البلاط حينا ويؤخر التوقيع على القوانين والانظمة والارادات

(٧) مذكرات صلاح الدين الصباغ ( فرسان العروبة في العراق ) ص٢٧٥
(٨) تاريخ الوزارات العراقية ٥/ ١٧٠

الملكيه المعروضة عليه حينا اخر ، الامر الذي شل اعمال الحكومة ثم اخذ ( الوصي ) يوعز الى النواب بمهاجمة الوزارة في مجلسهم ، كما صار يوعز الى بعض الوزراء بتقديم استقالاتهم من مناصبهم الوزارية احراجا لرئيسهم • ولما شعر بأن الوزارة راسخة كالطود ، وبعد ان ضاق ذرعا بها ، سافر الى الديوانية خلسة في عصر يوم الخميس الموافق ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٤١ ليستعين بالفرقة الرابعة فتقوم بما يلزم للتخلص من الكيلاني وصحبه ، أما الكيلاني فقد شعر بما يبيت له وبالخطر الذي يهدد كيان الدولة فأبرق هذه البرقية في ٣١ كانون ١٩٤١ :

صاحب السمو الوصي المعظم ـ ديوانية

سيدي : لقد حاولت أن أسير بالبلاد نحو مثلها العليا ، منتهجا سياسة تتفق ومصلحتها العامة ولم أشك في ان سموكم كان يرغب في ازالة العقبات التي تعترض طريق المخلصين غير ان الايدي والمصالح الاجنبية التي لا يروقها ان تسود الثقة المتبادلة بين سموكم وبين حكومة اعتزمت المضي في خدمة البلاد بصدق واخلاص وفق خطتها المرسومة حملت سموكم على عدم الارتياح منها • وقد ظهر ذلك في ترك سموكم البلاط واعتكافكم في قصركم العامر ، الامر الذي أثر على حرية سير الوزارة في اعمالها ثم استمر عدم ارتياح سموكم في ابتعادكم عن عاصمة المملكة وايقاف الارادات المعروضة على سموكم ، لا سيما الارادة المتعلقةبحل مجلس النواب ، اذ ان الوزارةالتي اخذت على عاتقها تحمل مسؤولية البلاد وادارة شؤونها في هذه الظروف العصيبة ، ترى ضرورة استفتاء الرأي العام عن خطتها السياسية لتأمين تعاون اكثر بين السلطتين التشريعية والتنفيذية مما تقتضيه الظروف العالمية الحالية • وعليه فاني اعتذر عن الاستمرار في تحمل المسؤولية راجيا من سموكم قبول استقالتي من رئاسة

الوزراء والله اسأل ان يمد سموكم بتوفيقاته • ٣١ كانون الثاني ١٩٤١ •

رئيس الوزراء : رشيد عالي

كان طبيعيا ان يقبل الوصي هذه الاستقالة ، وان يعهد الى الفريق طه الهاشمي وزير الدفاع في وزارة الكيلاني المستقيلة بتأليف وزارة جديدة على امل ان يوفق بين المصالح العراقية والمصالح البريطانية ، وان يسير بالبلاد نحو أهدافها السامية • ولكن سرعان ما ظهر ان ايام وزارة الهاشمي لم تكن الا فترة سادها السكون والهدوء في الظاهر ، ولكن عوامل الانتفاض كانت تتهيأ في الخفاء وعناصر العاصفة كانت تتجمع وتتكاثف في الفضاء لأن الكيلاني لم يكن غير منفذ للسياسة التي اتفقت عليها القوى القومية المهيمنة •

**عزل الوصي**

يقول الدكتور سندرسن باشا طبيب العائلة المالكة في ( ص ٢٢٥ ) من كتابه ( Ten Thousond and one night ) أن الوصي استدعاه ذات يوم واحاطه علما بأنه اصبح ضجرا من العقيد صلاح الدين الصباغ وزمرته فدبر له لقاء بالسفير حيث تم تخصيص بعض المخصصات لتعزيز احتياطاته الأمنية . ولكن الوضع السياسي استمر في التردي • وفي مساء يوم الثلاثاء الموافق اول نيسان ١٩٤١ لجأ الوصي الى دار المفوضية الامريكية فألبسه الوزير المفوض رداء نسائيا واوصله بسيارة المفوضية الى القاعدة البريطانية في الحبانية فنقلته هذه الى البصرة جوا ثم الى الدارعة البريطانية ( كوك شبير ) الراسية في الخليج العربي ، ونصبت له اذاعة خاصة ليذيع منها بياناته ، كما عينت له سفيرا خاصا هو الميجر ديكوري • وما كادت الكتلة العسكرية تلم بهذه التطورات حتى الفت للسيد الكيلاني حكومة مؤقتة باسم « حكومة الدفاع الوطني » فاذاع كل من الكيلاني ومحمد امين زكي وكيل رئيس الاركان للجيش بيانا مطولا عما حدث ودعي مجلس الامة الى عقد جلسة خاصة في

يوم الخميس العاشـر من نيسان لدرس الموقف فقرر المجلس عـزل الامير عبد الاله من منصب الوصاية ، والمناداة بالشريف شرف بن الشريف راجـح وصيا على الملك فيصل الثاني وفي يوم السبت الموافق ١٢ نيسان ١٩٤١ عهد الوصي الجديد الى السيد رشيد عالي الكيلاني تأليف الوزارة الجديدة بعد ان قبل استقاله الفريق طه الاشمي •

وشعر الامير عبد الاله بزوال حكمه . ونقلته الحكومة البريطانية الى فلسطين فالاردن ونقلت معه بعض الساسة العراقيين الذين سبق ان التحقوا به في البصرة • وكانت الحكومة المذكورة تعد العدة لارسال حملة عسكرية الى العراق لطرد خصومه واجلائهم من أرض الرافدين ، وكان بين هذه الحملة فريق من الجيش الاردني الذي يتولى أمره الجنرال كلوب ، فما كاد الفريق يبتعد عن عمان ويعلم انه مكلف بقتال الجيش العراقي حتى تمرد وهدد رئيسه بفتح النار عليه ما لم يعده الى ثكنته في عمان[٩] فاعيد اليها واستعين بفريق من الصهاينة بدلهم • وقد حرصت الجهات المختصة على عدم اذاعة خبر هذا التمرد[١٠] ونشب القتال بين الجيشين العراقي والبريطاني بجوار الحبانية واستمر طوال شهر ايار ١٩٤١ ولما كانت امكانيات الجيش العراقي دون امكانيات الجيش البريطاني وتدفق السلاح والعتاد والطائـرات من مصـر وفلسطين والهند باستمرار . اضطر الكيلاني وضباطه ووزراؤه وكذا الشريف شرف اضطروا للنزوح الى ايران ، وعاد الامير وشرع في التنكيل بخصومه وبمن آزروهم كما اخذ يضايق الذين لا يقرون سياسته . واسرت السفارة البريطانية الى وزارة نوري السعيد التي اعقبت وزارة التهدئة التي ألفها جميل ولم تبق في الحكم مدة تذكر ، اسرت اليها ان تتخذ من الدور الحديثة التي انشأتها مديرية الميناء في الفاو لسكن عمالها . معتقلا يزج فيه كل من لا يرضى عن الحكومتين البريطانية والعراقية ، أو يشك في سلوكه • ولما ضاقت هذه البيوت بالمعتقلين ،

---

(٩) الصحفي Allan A.M. في ص٦٩ من كتابه Retreat to Victory.

اتخذت ردهات الجيش العراقي المقامة على الضفة اليمنى من مدينة العمارة معتقلا للمغضوب عليهم وقد تجاوز عدد المعتقلين في الثكنات العسكرية الألف معتقل فيهم العين والنائب والوزير . وفيهم الموظف والمحامي والطبيب ، وقد حشرت الحكومة بين هؤلاء المعتقلين لفيفا من المتشردين والعاطلين وابناء السبيل امعانا في الحاق الاذى بالمذكورين • وقد بقي المعتقل قائما حتى انتهت الحرب العالمية الثانية في اواسط أيار سنة ١٩٤٥م وكان صاحب هذا الكتاب من بين المعتقلين • ولأجل ان نصف سلطة الاعتقال الفاعلة ، نروي الرواية الآتية :

جاءت برقية من وزارة الداخلية ذات يوم تنبيء بقرار الافراج عن ستين معتقلا كان اسم التاسع والخمسين منهم « زمايل بيرمام » ولما لم يكن بين المعتقلين من يسمى بهذا الاسم روجعت الدوائر المختصة لمعرفة الشخص المراد تسريحه وقد تأجل الافراج عن الستين معتقلا اسبوعا كاملا حتى جاءت برقية تقول ان الاسم المراد معرفته هو ISMAEEL PIRMAM

**محنة الانتقام**

بعد ان عاد الامير عبد الاله الى العراق على آسنة الحراب البريطانية — كما قدمنا — اخترقت حياد ايران الحكومتان الروسية والبريطانية فاخذت الحكومة الايرانية الجديدة تضايق العراقيين اللاجئين الى بلادها وما لبثت ان قبضت عليهم وسلمتهم الى السلطات البريطانية فنقلوا الى الاحواز بالقطار ، ثم الى البصرة حيث شحنوا بباخرة كانت مهيأة للسفر الى جنوبي افريقية ولم ينج من الاعتقال الا السيد رشيد عالي الكيلاني الذي كان قد سافر الى تركيا ومنها الى ايطاليا فالمانيه . والا العقيد صلاح الدين الصباغ الذي استطاع ان يهرب الى تركية حيث لبث فيها خمسة اعوام كلاجيء سياسي وليس كمجرم ليجري استرداده في حينه •

وتألف مجلس عرفي في بغداد لمحاكمة الضالعين في احداث الشهرين

نيسان ، مايس ١٩٤١ وجيء بفريق من هؤلاء المبعدين بينهم العقيدان محمد فهمي سعيد ومحمود سلمان ، والوزير الشاب محمد يونس السبعاوي لاجراء محاكمتهم امام المجلس العسكري وقد حكم كل من هؤلاء الثلاثة بالاعدام شنقا حتى الموت وقد نفذ فيهم هذا الحكم في الخامس من شهر ايار سنة ١٩٤٢ وحضر عملية التنفيذ الامير عبد الاله وزئيس الوزراء نوري السعيد ثم جيء بالعقيد كامل شبيب واعدم في ٢٠ اب سنة ١٩٤٤ اما العقيد صلاح الدين الصباغ فقد بذل الوصي جهودا مضنية لأسترداده من الحكومة التركية ولكن تركية ابت تسليمه فاضطر الامير ان يعرج على انقرة في احدى سفراته ، وان يطلب الى رئيس الجمهورية شخصيا ان يتدخل في امر تسليمه وكان الضغط البريطاني يشتد ايضا حتى تم تسليمه فأخذ الى الوصي فانّبه وبصق في وجهه ثم صلب على باب وزارة الدفاع في فجر اليوم السادس عشر من شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٥ وبقي معلقا على المشنقة خمس ساعات حتى اذا مرّ الامير وهو في طريقه الى البلاط الملكي . امر بانزاله ولسان حاله يقول :

وتجلـــدي للشـــامتين اريهـــم
انـــي لريـــب الدهـــر لا اتوجـــع
واذا المنيّة انشـــبت اظفـــارها
القيت كل « تميمة » لا تنفـــع

ولما قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي اطاحت بنظام الحكم الملكي في العراق واقامت النظام الجمهوري بدلا عنه قـــرر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ١٠ كانون الثاني ١٩٥٩ منح كل من عوائل المعدومين خمسة الاف دينار وفي صباح ١٥ مايس ١٩٧٠ امرت الحكومة بنقل رفاتهم الى مسجد ام الطبول في جانب الكرخ تكريما لجهودهم الوطنية ثم اقامت لهم تماثيل في احد الميادين العامة وكان الوصي عبد الاله قد قتل في يوم الثورة وعلقه الثائرون على باب الوزارة في الموقع الذي علق صلاح الدين عليه •

لم تبق سلطة فاعلة في العراق الا سلطة الامير عبد الاله ، وكانت السلطات البريطانية المحتلة تحمي تصرفاته وتستعين بها في تمشية اشغالها وتأمين مصالحها في هذا الجزء من الوطن العربي الكبير وجالت في نفس الوصي فكرة تعديل القانون الاساسي العراقي تعديلا يضمن له ولاية العهد مضافا الى منصب الوصاية . ويمنحه سلطة اقالة الوزارة التي تتمرد عليه ولا يرضى عنها ، وعلى الرغم من ان المادة « ٢٢ » من القانون الاساسي « الدستور » لا تجيز ادخال اي تعديل عليه مدة الوصاية فان الاعيان والنواب وافقوا على التعديل المطلوب ، ولم يشذ عن هذا الاجماع الا العين القانوني الكبير محمود صبحي الدفتري فلم تجدد عضويته في مجلس الاعيان ، ولم ينتخب لعضوية مجلس النواب ، ولم يستوزر بعد موقفه هذا وقد خالف العين عمر نظمي ولكن معارضته كانت شكلية وقد حضر الوصي جلسة الاقتراع على التعديل .

**وثبة كانون الثاني**

كانت معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ العراقية ــ البريطانية التي الغت الانتداب البريطاني على العراق بصورة رسمية ومهدت دخول العراق عضوا في عصبة الامم عام ١٩٣٢ ، كانت هذه المعاهدة الناظم الرسمي للعلاقات الحلفية بين بريطانية والعراق . وكانت مدة هذه المعاهدة ٢٥ سنة تنتهي بعام ١٩٥٧ وكانت طعون كثيرة قد وجهت الى هذه المعاهدة في اويقات مختلفة ، ولما كانت عصبة الامم قد انتهى اجلها وحلت محلها هيئة الامم المتحدة . وكانت المادة ( ١٠٣ ) من عهد هذه الهيئة تنص على انه [ اذا تعارضت الالتزامات التي يرتبط بها اعضاء الامم المتحدة وفقا لهذا الميثاق مع اي التزام دولي اخر يرتبطون به . فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق ] فقد اصبحت معاهدة ٣٠ حزيران منتهية بحكم هذه المادة ولم يكن في امكان الوزارات العراقية

المتعاقبة ان تجهر بهذه الحقيقة فاتجهت النيه الى تعديلها فجرت في بغـداد مفاوضات سريه بين الجانب العراقي ـ والجانب البريطاني كان للامير عبد الاله اليد الطولى في اجرائها وصياغة المواد المراد تعديلها ثم تقرر ارسال وفد الى لندن لاتمام هذه الطبخة ، وقد رأس هذا الوفد رئيس الوزراء صالح جبر وكان بين اعضائه العينان نوري السعيد وتوفيق السديدي ، ووزير الدفاع شاكر الوادي على ان ينضم اليهم وزيـر الخارجية الدكتور محمد فاضـل الجمالي وكان يومئذ في لندن ، وبعد مفاوضات ومذاكرات صورية تم التوقيع على الصيغة النهائية لمعاهدة جديدة في اليوم السادس عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٨ وكان التوقيع عليها في ميناء بورتسموت فسميت المعاهدة بهذا الاسم ، وما كادت نصوص المعاهدة تنشر في لندن وبغداد في السابع عشر من شهر نفدها حتى تصدت لها الاحزاب السياسية فسلقتها بالسنة حداد وبينت معايبها والاضرار التي ستنجم عنها لو ابرمت من قبـل مجلس الامـة واذا بمظاهرات الاستنكار تندلع في كل مكان وعبثا حاولت قوات الامن ان تقضي عليها فقد سرى التحفز لاستنكارها سريان النار في الهشيم واذا بالسلطات الحكومية توعز الى قوات الشرطة باستعمال القوة للقضاء عليها فكانت جروح وقتول وكانت فوضى واعمال تخريب ، وخشي البـلاط ان تتكرر حوادث نيسان وايار من سنة ١٩٤١ فاعلن الامير عبد الاله بانه سوف لا تبرم اية معاهدة لا تضمن حقوق الشعب وامانيه الوطنية وكلفت الحكومة البريطانية ان يرجع صالح جبر الى بغداد ليعالج الموضوع بما عرف عنه من جرأة وقوة اعصاب فهدأت الاحوال بعض الهدوء وانصرف الطلاب الى معاهدهم ومدارسهم ولكن ما كاد الوفد المفاوض يعود الى بغداد حتى استفز رئيسه ( صالح ) الذين قاموا بالمظاهرات والاضرابات فعاد الطلاب الى التظاهر والهياج فامر رئيس الوزراء ان تفتح الشرطة النار على المتظاهرين وان تحتل المساجد القائمة على ضفتي النهر وتنصب المدافع الرشاشة فوق السطوح ، وتحصد الارواح حصدا ولكن المتظاهرين صمدوا امام هذا التحدي فكثرت الجروح والقتول

وتجاوز عدد القتلى المئة وصار الناس ينادون بسقوط الملكية جهارا وزاد الطين بلة ان وزيرين من وزارة صالح استقالا من المناصب الوزارية وان وزراء اخرين في طريقهم الى الاستقالة مما راب الوصي عبد الاله واضطر الى ان يطلب استقالة الوزارة وتمكن رئيس الوزراء ان يهرب الى منازل اصهاره في قضاء الهاشمية بلواء الحلة «بابل» ثم التسلل الى خارج العراق ، وتألفت وزارة جديدة برئاسة السيد محمد الصدر فقررت رفض معاهدة بورتسموث وقبرها في لحد عميق فزمجر الانكليز وتوعدوا واضطر الوصي ان يرسل احد مستشاريه الى لندن لشرح الظروف التي اضطرته للسكوت امام رفض المعاهدة وليستنزل شآبيب رحمة الانكليز عليه .

### الاستهانة بالشعب

كانت وزارة توفيق السويدي « الثانية » التي تألفت في ختام الحرب العالمية الثانيه قد اجازت تأسيس خمسة احزاب سياسية كان اثنان منها تراقب اعمال الحكومه وتحصي اخطاءها وتنبه الشعب الى كل سيئة تصدر عنها ولا سيما بعد الفوضى التي سادت اعمال الدوائر الحكومية ، والنشاط المريب بين الموظفين وتفشي سياسة التحزب في تعيينات الموظفين وترفيعاتهم وتنقلاتهم .

### ثورة في مصر

وكان الجيش المصري قد قام بثورة عاتية في ٢٣ تموز من سنة ١٩٥٢ اطاحت بالملك فاروق ، واجلته عن ارض الكنانة وما لبثت ان استبدلت بنظام الحكم الجمهوري حكم الملك فاروق فرأت الاحزاب العراقية ان ترفع الى

الوصي عبدالاله مذكرات تحمله مسؤولية تردي الأحوال في البلاد وتطلب اليه تدارك الامور قبل ان يستعصي تداركها ، وكان مما جاء في مذكرة الجبهة

الشعبية المؤرخة في ٢٨ تشرين الاول من عام ١٩٥٢ قولها « وقد اصبح لنا في الانتفاضات الاخيرة وفي الاحداث التي حلت في مختلف اقطار هذا الشرق القريب ، وخصوصا في مصر ولبنان ، عبرة بالغة لا مناص من الاتعاظ به لان الاسباب المتشابهة تؤدي الى نتائج متشابهة[١٠] .

وبدلا من ان يتعمق الوصي في دراسة هذه المذكرات ، ويسعى الى تلافي الاضرار ، فانه اوعز الى رئيس ديوانه احمد مختار بابان ان يرد على مذكرات الاحزاب ردا قاسيا فزاد الطين بلة ، وتدارك رئيس الوزراء مصطفى العمري الامر فقدم التماسا الى الوصي ان يجتمع باصحاب المذكرات ويستمع الى مطالبهم وارائهم وطلب الى بعض الكبار من السياسيين ان يساعدوه على طلبه من الوصي فتقرر ان يعقد اجتماع في مساء يوم الاثنين الموافق ٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ وبعد ان استمع الوصي الى الحاضرين وتذاكر معهم ، اخذ يفند ما جاء في المذكرات وفي الاقوال المطروحة وما لبث ان احتد واتهم الجالسين بالكذب ولعل خير ما ندونه عن هذا الاجتماع ما جاء في ص٣٧٠ من الجزء الاول من مذكرات طه الهاشمي رئيس الجبهة الشعبية قال :

وبعد ان انتهى من هذا الاستعراض الذي دل على انه قد املي عليه او ان استكتبه بورقة . وجه كلامه الى الحاضرين وقال لهم هل انا عملت هذه الاشياء ؟ انتم عملتموها انتم كلكم كذابون . وبعد ان سكت برهة ، وجه الكلام الي وقال لي انت كذاب وعدتني بانه لن يقع شيء من الضباط فوقع فاجبته اذا كنتم تقصدون اجتماع قصر الرحاب ، لقد طلبت الاجتماع لتوقعي من حدوث حادث وامر الاجتماع سهل والحاضرون موجودون فاجاب نعم الموجودون حاضرون او من مات منهم اذا انا كذاب ؟ فتدخل ارشد العمري قائلا استغفر الله ثم قال الوصي لي اذن انت كذاب .. ولما اخذ يردد كلمة

---

(١٠) مذكرات الاحزاب والجواب عليها موجود كلها في الوزارات العراقية ـ الجزء الثامن .

كذاب فقمت مستنكرا فقال لي اجلس فجلست مكرها واخذ يكرر ذلك فاجبت اني رجل شريف وقمت محتجا وتركت القاعة ، ويظهر ان كامل الجادرجي تأهب للخروج فخرجنا سوية وكامل يلعن ويسب ويشتم ويقول : اما هذا ادبسز سرسري . فأتيت داري وكان الحمام حاضرا فاغتسلت ونمت نوما هادئا .

وأدرك الوصي الاثر الذي تركه في نفوس الذين وجه اليهم تهمة الكذب فطاف بسيارته على دور الذوات الذين حضروا اجتماع المساء ووضع بطاقته الشخصية في دار كل منهم ، ولم يستثن من ذلك الا السيدين طه الهاشمي وكامل الجادرجي ، فطلب منه رئيس ديوانه احمد مختار بابان ان يسترضي الفريق الركن طه الهاشمي فرفض ذلك رفضا باتا فاصطحب رئيس التشريفات تحسين قدري وذهبا الى دار طه وهونا عليه الم الاهانـة التي سببها موقف الوصي فقبل منهما هذا الشعور بالشكر والثناء .

**وزارة عسكرية**

قال لنا الدكتور محمد فاضل الجمالي ذات يوم ، انه مرّ بلندن في طريقه الى هيئة الامم المتحدة لتمثيل العراق في هذه المؤسسة الدولية وكان الوصي في العاصمة البريطانية للاشراف على تداوي شقيقته فزاره في محل اقامته . ولما سأله عن الوضع في العراق ورد على استفساره بما عنده من معلومات قال ( الوصي ) اذا استقالت وزارة مصطفى العمري القائمة فانه سيسند منصب رئاسة الوزراء الى رئيس اركان الجيش ليؤلف وزارة عسكرية تتولى وضع الامور في نصابها .

وفي منتصف تشـرين الثاني سنة ١٩٥٢ رأت رئاسة كلية الكيميـاء والصيدلة أن تدخل تعديلا على نظامها الداخلي يجعل الطالب المعيد في درسه معيدا في كافة دروس الصف فاستنكر الطلاب هذا التعديل وقاموا باضراب مدرسي توسع بحيث شمل طلاب جميع المعاهد والكليات واصبح بمثابة القشة

التي قصمت ظهر البعير بحيث اضطرت الحكومة للاستعانة برجال الشـرطة فكانت جروح وقتول ، وتوسع الاضراب فانتقل الى بعض المدن المجـاورة فلجأت الحكومة الى الجيش للاستعانة به في انقـاذ الموقف واضطر رئيس الوزراء مصطفى العمري الى تقديم استقالة وزارته فرأى الوصي ان يحقق احلامه التي كانت تراوده فعهد الى الفريق نور الدين محمود ان يتولى تاليف وزارة تأخذ على عاتقها انقاذ الموقف وكلفه بجعل الوزارة مؤلفة من بعض الضباط الذين يعتمد عليهم[11] فاجابه الرئيس المكلف انه سيؤلف الوزارة من الذوات المدنيين الذين يثق بهم ويعتمد على جرأتهم فتتولى تهدئة الوضع والقضاء على الفوضى التي تسود البلاد فلما وجه الوصي كتاب الاسناد اليه أصدر الرئيس هذا البيان :

بناء على حدوث اضطرابات تعرض امن البلاد وسلامتها الى الخطر ، فقد كلفني صاحب السمو الوصي وولي العهـد المعظم بتشكيل الوزارة وتسلم مسؤولية الحكم وحفظ الامن في البلاد . وعليه فانني ادعو الشعب العراقي الكريم الى مؤازرتي والجيش في القيام بالواجب وذلك عن طريق الخلود الى السكينة والتزام جانب الهدوء وعدم القيام بما يعكر صفو الامن في البلاد وادعوا الله مخلصا أن يوفقني والجيش الى خدمة البلاد واسعادها والوصول بها الى اهدافها السامية والله ولي التوفيق ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ .

رئيس اركان الجيش رئيس الوزراء نور الدين محمود

وكان اول عمل قامت به الوزارة الجديدة نزول قطعات الجيش الى الشوارع وصدور منع التجول ، واعلان الاحكام العرفية في لواء بغداد ، فاصدرت الادارة

---

(١١) رواه لنا الرئيس المكلف ، واثبتناه في ص ٢٣٠ من الجزء الثامن من تاريخ الوزارات العرقية ، كما اكد لنا وجوب اعتقال الزعماء وكبار الساسة الذين اساءوا للوطن ، ونصب مشانق على طول شارع الرشيد بين باب المعظم الى الباب الشرقي وصلبهم عليها ، ولكن رئيس الوزراء المكلف رفض ذلك رفضا باتا .

العرفية اوامرها بمنع حمل السلاح وان كان مجازا وغلق الاحزاب السياسية وتعطيل الصحف الوطنية والقبض على بعض السياسيين والصحفيين والمشتبه في سلوكهم وقد بلـغ عدد المقبوض عليهم وقدموا الى المحـاكم العسكرية (٢٩٩١) حكم على شخصين بالاعدام ، وعلى ٩٠٠ بالسجن ، وعلى ٥٨٢ بالغرامة، وافرج عن المتبقين وقد استقالت الوزارة في ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٣ ولم تلغ الاحكام العرفيه الا بعد ٥٨٣ يوما .

**بعد ازمة السويس**

ارادت الحكومه المصريه ان تزيد في مساحات الارض القابله للزرع وحفظ المياه الزائدة فقررت اقامة السد العالي في اسوان فاستعانت ببنك الاعمار الدولي لتحقيق مشاريعها الجبارة فوعدها هذا البنك بقرض كبير ، كما تبرعت الولايات المتحدة الامريكية بمساعدة مالية قدرهـا اربعون مليون دولار ، وتبرعت بريطانيا بخمسة ملايين جنيه ، وكانت مصر كلما ارادت الاستعانه بدول اوربا الغربيه وبامريكا لشراء الاسلحة الضروريه لامنها وحدودها ، وجدت اسواق هذه الدول مسدودة في وجهها الامر الذي اضطرها لتدارك هذا السلاح من الاسواق الشـرقية واذا بكل من البنك الدولـي وامريكا وبريطانية تتراجع عما وعدت ، واذا برئيس جمهورية مصـر السيد جمال عبد الناصر يقرر تأميم قناة السويس ليستعين بوارداتهـا في تأمين النفقات الضرورية لمشاريعه الاروائية الكبرى ، واذا بالحكومتين البريطانية والفرنسيه ومعهما اسرائيل تهاجم أرض الكنانة أرضاً وبحرا وجوا واذا بالبلاد العربيه تتكهرب وتعلن استعدادها لنصرة مصر في محنتها ، وكان العـراق المعروف بصدق القومية والوطنية في مقدمة البـلاد التي تصدت لهذه المظالم فقامت المظاهرات في كل مدينة من مدنه ، وتسلسلت الاحتجاجات من جميع الصفوف وكثرت الاصطدامات فاعلنت الحكومة الاحكام العرفية في طول البـلاد

وعرضها وذلك في الاول من تشرين الثاني ١٩٥٦م ولسنا بذكر ما حدث ولكن نقول بصدق ان ازمة السويس وقبلها قيام الثورة المصرية هيأتا الظروف لتململ الجيش وهياج الساسة وتفكير الطرفين في الاطاحة بنظام الحكم الملكي القائم واحلال النظام الجمهوري محله وكانت المناداة بذلك تجري على السنة المتظاهرين وافواه الضباط المتحمسين وقد الفت كتب ورسائل كثيرة في ذلك وهي ميسورة في كل محل .

### فكرة القتل

ترتقي فكرة قتل الامير عبد الاله الى السنة التي فشلت فيها حركة ايار ١٩٤١ التحررية ورجوع المشار اليه الى العراق على اسنة الحراب الانكليزية ، واعدامه العقداء الذين قاموا بتلك الحركة ، وبالوزير الشاب يونس السبعاوي، وبفصل النخبة الممتازة في وظائف الدولة من وظائفهم واعتقال المئات من كبار الساسة والشيوخ والمثقفين والشباب الوطني المتحمس ولكن الجيش البريطاني الذي احتل العراق ورجال الاستخبارات العسكرية والمدنية كانت بالمرصاد ، وجاء تعديل القانون الاساسي العراقي تعديلا يمنح الوصي سلطة اقالة رئيس الوزراء والتحكم في جهاز الدولة وهو التعديل المخالف للمادة ٢٢ منه ثم فساد الادارة وحماية الوصي للمرتشين والعابثين بالبلاد كل ذلك اخذ يتزايد ويتضاعف في فكرة التخلص لا من عبد الاله حسب بل من نوري السعيد الذي كان يسنده ويتستر عليه واذا علمنا ان السعيد الف اربع عشرة وزارة من اصل تسع وخمسين وزارة قامت في العهد الملكي بين ٣ اب ١٩٢١ و ١٤ تموز ١٩٥٨ ادركنا قوة هذا الرجل وبراعته في حكم هذه البلاد ومسؤوليته عن تصرف الوصي لهذا فقد اتفقت اراء الضباط الاحرار والزعماء المتظلمين على التخلص منهما ليتسنى القضاء على نظام الحكم الملكي اما الملك فيصل الثاني فقد الحق بهما لا بغضا له ولا نكاية بتصرفاته ولكن الالحاق كان ضروريا لسلامة النتيجة ...

## مضامين الكتاب




الغلاف : رياض عبدالكريم

السعر ... دينار




بغداد - ١٩٩٧

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة